٢٤٥

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع وتلى
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه اعتمادي

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا
وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول
وغايات وما هي الا صفات مبتدا مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم
ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات
وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما بين يديه من الكتب
السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان
بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على
انهم كانوا اكثر من حصا البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم
بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة
عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم
بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد
زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه
حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي
ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المويد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل
النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى
جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية و
اقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع
الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع
فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد
وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف
معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا
اوحديهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في
يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املا العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما
يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير
الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان
برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص
القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي

وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك
الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم
المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما
همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان يكون آخذا من
سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا
ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل
الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها
على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا
غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه
ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين
بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من
الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا
الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت
فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء
على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من
رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على
علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان
وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة
نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله فتوجهت
تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور
على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من
نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام
شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن
مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه
كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه
والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفي الحيل وعيت
به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب
فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله و
سدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية
من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله تعالى ان يجعل ما تعبت
فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤل

## سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى ويسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما يبدى بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى **فان قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره باسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروّ كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست ونكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما **فان قلت** لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل بقوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرسيها **فان قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله صلى الله عليه وآله كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثيرا من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه



ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر **قلت** اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى **فان قلت** فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر **فان قلت** اسم هو ام صفة **قلت** بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال **فان قلت** هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح **فان قلت** هل تفخم لامه **قلت** نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا

من مراكبهم يا لشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل
منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا
اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى • وهو من الصفات الغالبة كالدبران و
العيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة
في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه • وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من
تعنتهم في كفرهم **فان قلت** كيف تقول الله رحمن أتصرفه ام لا **قلت** اقيسه على اخواته من بابه
اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه **فان قلت** قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ذلك
ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة
بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس
على نظائره **فان قلت** ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنه الرحم لانعطافها
على ما فيها **قلت** هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره و
معروفه **فان قلت** فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى
الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض **قلت** لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم
وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف **الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين** الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من
نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى
النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير
المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الحمد
راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على
موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من
الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه
الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب
الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى
الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها
منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة
المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه
قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم عليه السلام حياهم
بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه و
المعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف

تحمدونه فقيل اياك نعبد **فان قلت** ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها العراك
وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من
بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري
الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال
والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة
تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم
حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن **الرب** المالك
ومنه قول صفوان لابي سفيان لأن يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن
تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة
كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن
علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين
العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض
**فان قلت** لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت** فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون
صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على
المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك
اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين
تدان وبيت الحماسة • ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا **فان قلت** ما هذه الاضافة **قلت**
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم **فان قلت**
فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا يكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة
للمعرفة **قلت** انما يكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال وكان في تقدير
الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد به معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس
او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو
المعنى في مالك الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف
التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله
في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد
لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله
**اياك نعبد واياك نستعين** ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء

والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل ستين فاياه وايا الشواب فشي شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي شعر فهياك والامر الذي ان تراحبت ۝ موارده ضاقت عليك مصادره ۝ والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم يستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات شعر تطاول ليلك بالاثمد ۝ ونام الخلي ولم ترقد ۝ وبات وباتت له ليلة ۝ كليلة ذي العاير الارمد ۝ وذلك من نبا جاءني ۝ وخبرته عن ابي الاسود ۝ وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون اهدنا الصراط المستقيم هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي عليه السلام وابي رضي الله عنه اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط

السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاء وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهي ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فايدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله ع ولقد امر على اللئيم يسبني وكان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه واله وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي عليه السلام انهما قرآ وغير الضالين وقرا ايوب السختياني

ولا الضألّين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأنّ وهذه لغة من جدّ في الهرب من
التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبّة ودأبّة. آمين صوت سمّي به
الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلمّ اصوات سمّيت بها الافعال التي
هي أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى
آمين فقال افعل وفيه لغتان مدّ الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال
أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وآله لقّنني جبريل آمين عند فراغي
من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت
في المصاحف وعن الحسن انه لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور
عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفّل وانس عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قرأ
ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لابيّ بن
كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال
فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان
النبي عليه الصلوة والسلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبيّ
من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم بذلك العذاب
اربعين سنة

## سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

**الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** اعلم ان الالفاظ التي يتهجّى بها اسماء
مسمّياتها الحروف المبسوطة التي منها ركّب الكلم فقولك ضاد اسم سمّي به ضه من ضرب اذا
تهجّيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان
المسمّيات لمّا كانت الفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والاسامي في عدد حروفها مرتقية الى
الثلاثة اتّجه لهم طريق الى ان يدلّوا في التسمية على المسمّى فلم يغفلوها وجعلوا المسمّى صدر كل
اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسمّاها لانه لا يكون الا ساكنا ومما
يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها
العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما يقال واحد
اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى
الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل
شيء من تأثيراتها فحقّك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا
مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام
جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا **فان قلت** لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلّا
زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين **قلت** قد استوضحت بالبرهان النيّر انها
اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم
متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف
مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام
دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف
ما دلّ على معنى في غيره وهذا كما ترى دالّ على معنى في نفسه ولانها متصرّف فيها بالامالة
كقولك بَا تَا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد
والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك
قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف يقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في
لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال
اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في التهجي
فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا
الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها **فان قلت**
فمن اي قبيل هي من الاسماء أمعربة ام مبنيّة **قلت** بل هي اسماء معربة وانما سكنت
سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه
والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين و
هؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين **فان قلت** فلم لفظ المتهجّي بما
آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مدّ فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيّل ان و
زانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء **قلت** هذا التخييل
يضمحل بما لخّصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجّاة ومدّت حين مسّها الاعراب
ان حال التهجّي خليقة بالاخفّ الاوجز واستعمالها فيه اكثر **فان قلت** قد تبيّن انها
اسماء الحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف
فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور **قلت** فيه اوجه احدها وعليه
اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها
في حدّ ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب
نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف
ونون او اسماء عدّة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل و
هابيل وكذلك طسم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين
فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكيّ ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه
الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي

**شعر** يذكّرني حاميم والرمح شاجر ٭ فهلّا تلا حاميم قبل التقدّم ٭٭

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها و
هما العلمية والتأنيث ٭٭ والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى

كقولك دعنى من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال شعر
وجدنا فى كتاب بنى تميم ٥ احق الخيل بالركض المعار ٥ وقال ذو الرمة شعر سمعت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح انتجعى بلالا ٥ وقال الآخر شعر تنادوا بالرحيل غدا وفى ترحالهم نفسى ٥ وروى
منصوبا ومجرورا ويقولها اهل الحجاز فى استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من ابن يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف ونون
مفتوحات قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع
الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك فى حاميم
وطاسين ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافى ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال
حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها
وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن وأى الله لافعلن على حذف حرف الجر
واعمال فعل القسم قال ذو الرمة شعر الا رب من قلبى له الله ناصح ٥ وقال آخر شعر
فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت
ذلك لجمعت بين القسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل
فى قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان
الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء فى قولك
مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا يكون
الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شىء ولو كان انقضى قسمه
بالاول على شىء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن
اليوم ولا يقوى ان يقال وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو القسم لا يجوز
الا مستكرها وقال وتقول وحياتى ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل
فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب فان قلت
فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو
للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب
ويعضده ما رووا عن ابن عباس انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه
قراءة بعضهم صاد قاف بالكسر قلت وجهها ما ذكر من التحريك لالتقاء الساكنين
والذى يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامى شاكلت لذلك ما اجتمع
فى آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء
فان قلت هل تسوغ لى فى المحكية مثل ما سوغت لى فى المعربة من ارادة معنى
القسم قلت لا عليك فى ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا فى قوله عز وعلا
حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه

واما قوله صلعم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الباء
الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية هذه السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان
المعنى فى ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الالفاظ كما قال عز من قايل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة فى المصحف على
صورة الحروف انفسها لا على صورة اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء
ويقع فى الكتابة الحروف وانفسها عمل على تلك المشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح و
ايضا فان شهرة امرها واقامة الالسن الاسود والاحمر لها وان اللافظ غير متهجاة لا
يحلى بطايل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت فى خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التى بنى
عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ
وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه فى كتابه المترجم
بكتاب الكتاب المتمم فى الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثانى ان يكون ورود
هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن
وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر فى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم
كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم
يتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب والمتهالكون
على الافتنان فى القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بذت
بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم
يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر
وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولنا صرة على الاول ان يقول ان القرآن
انما نزل بلسان العرب مصبوبا فى اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا
ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول
بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس فى لغة العرب ويؤدى ايضا الى صيرورة الاسم
والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده
اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروى قفا
نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله
ورسوله ويوصيكم الله فى اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل
باسامى هذه القصايد وهذه السور والآى وانما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلالها

استملها وتلاوة السورة او الآية التى تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد
التسمية بثلثة اسماء فصاعدا واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل
المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا
على طريق حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب
التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمى
بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر
وبين التسمية بطايفة من اسماء الحروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما
تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مولف
بمفرد والمولف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولك صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم
مولفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلايل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب
خلاف النطق باسامى الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا وخالط اهل الكتاب و
تعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة
كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيا من اهله
حكم الاقاصيص المذكورة فى القران التى لم يكن قريش ومن دان بدينها فى شى من الاحاطة
بها ان ذلك حاصل له من جهة الوحى وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة
من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه فى الفواتح
من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامى حروف المعجم اربعة عشر سواء وهى الالف
واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين و
الحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد الحروف المعجم ثم اذا نظرت
فى هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان
فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة
نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن
الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم
والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المطبقة
نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والعين والياء والسين والحاء والنون والقاف والياء ومن المستعلية نصفها القاف

والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء و
العين والياء والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء
والعين ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التى الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الله الذى دقت فى كل شى حكمته وقد
علمت ان معظم الشى وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل واختصاراته
فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من
التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم
اكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا فى معظم هذه
الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان و
السجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها فى اول القران وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان
المتحدى به مولف منها لا غير وتجديده فى غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له فى
الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القران فمطلوب
به تمكين المكرر فى النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت
اعداد حروفها فوردت صاد وقاف ونون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين
والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحمعسق
على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم فى اساليب الكلام وتصرفهم فيه على
طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلامهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز
ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة
بالفاتحة التى اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادى كلها فى تادية هذا
الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده
زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض
التمييز وهذا حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لمن سمى هذا الجنس بالرجل وذلك
بالفرس لم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت فما بالهم
عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة
السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهى ست وكذلك المص
آية والمر لم تعد آية والر ليست باية فى سورها الخمس وطسم اية فى سورتيها
وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية فى سورها كلها وحم عسق آيتان و
كهيعص آية واحدة وصاد وقاف ونون ثلثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين و
من عداهم لم يعدوا شيا منها اية فان قلت فكيف عد ما هو فى حكم كلمة واحدة آية
قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت

ما حكمها في باب الوقف قلت توقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل
غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسورة ونعق بها كما ينعق بالاصوات
او جعلت وحدها اخبار ابتدا محذوف كقوله عز قايلا الم الله اى هذه الم ثم ابتدا
فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل
فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كساير اسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل
الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم
بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء لم يتصور ان يكون لها محل
في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداء وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعدما سبق التكلم به وتقضى والمتقضى
في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما
لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا
بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه
وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيا احتفظ بذلك وقيل معناه
ذلك الكتاب الذى وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث
وهو السورة قلت لا اخلو من اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك
في معناه ومسماه مسماه وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم
الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص
فعل كذا وقال الذبياني شعر نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذلك العاتب
الزارى فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما
للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتداء ثان والكتاب خبره
والجملة خبر المبتداء الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من
الكتب في مقابلته ناقص وانه الذى يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي
الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم
قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب
الموعود وان يكون الم خبر مبتداء محذوف اى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا
او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى
وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتداء وخبره الكتاب اى ذلك الكتاب
المنزل هو الكتاب الكامل والكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتداء محذوف
اى هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا احصل فيك الريبة وحقيقة
الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي عليهما السلام قال سمعت رسول الله

ما حكمها في باب الوقف قلت توقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسورة ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتدا محذوف كقوله عز قايلا الم الله اى هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كساير اسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداء وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضى في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذى وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه موثث وهو السورة قلت لا اخلو من اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني شعر نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذلك العاتب الزارى فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتداء وذلك مبتداء ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذى يستاهل ان يسمى كتابا كما يقول هو الرجل اى الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتداء محذوف اى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتداء وخبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتداء محذوف اى هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابنى اذا احصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن على عليهما السلام قال سمعت رسول الله

ما حكمها في باب الوقف قلت نوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل

غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسورة وينعق بها كما ينعق بالاصوات

ذلك الكلام
محذوف
تنزيل الكتاب
وحقيقة
سمعت رسول الله

صلى الله عليه وآله يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة
اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما يقلق له النفس ولا يستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن
له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه
انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء **فان قلت** كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه **قلت** ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه انما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة
له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله
ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما
عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل
تتم للمعارضة او تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل
للريبة **فان قلت** فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول **قلت**
القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان
المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب
لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول
كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب
فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه
والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من ان
ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة
الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح
كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى
الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك **فان قلت** لم قيل هدى للمتقين والمهتدون
متقون **قلت** هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو
ثابت فيه واستدامته به كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند
مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلعم من قتل قتيلا فله سلبه
وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اى صائرا الى الكفر والفجور **فان قلت** فهلا قيل هدى للضالين **قلت**
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق
علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان
يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى

صلى الله عليه وآله يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة
اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما يتعلق له النفس ولا يستقر وكونه صحيحا صادقا مما يطمئن
له ويسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه
انه مر بظبى حاقف فقال لا يريبه احد بشئ **فان قلت** كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه **قلت** ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه انما المنفى كونه متعلق للريب ومظنة
له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله
ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما
عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحرزوا انفسهم ويروزوا قواهم فى البلاغة هل
يتم للمعارضة او يتضائل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل
للريبة **فان قلت** فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول فى قوله لا فيها غول **قلت**
لان القصد فى ايلاء الريبة حرف النفى نفى الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان
المشركون يدعونه ولو اولى الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب
لا فيه كما قصد فى قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول
كما تغتالها هى كانه قيل ليس فيها ما فى غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب
فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه
والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من ان
ينوى خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهى كثيرة فى لسان اهل الحجاز
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة
الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او فى ضلال مبين ويقال مهدى فى موضع المدح
كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع فى خلاف معنى اصله الا ترى
الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك **فان قلت** لم قيل هدى للمتقين والمهتدون
متقون **قلت** هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو
ثابت فيه واستدامته به كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند
مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلعم من قتل قتيلا فله سلبه
وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اى صائرا الى الكفر والفجور **فان قلت** فهلا قيل هدى للضالين **قلت**
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق
علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقى ان
يكون هدى لهؤلاء فلو جئ بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى

بعد الضلال فاختص الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرناها فقيل هدى للمتقين وايضا
فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول
المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه
فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه
ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة
الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل
الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن
لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق اسم العدل الا على المختبر ومحل
هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا
جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة
او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله
الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية
ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب
حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا
بعضها بعنق بعض والثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب وكان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة
وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم
اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ثم لم يخل كل واحدة من هذه الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب
الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض
بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب
على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد و
ايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيانا لنكت تنزيله و
توفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** الذين
يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين
يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقطوع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك
على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقطوعا كان وقفا تاما
**فان قلت** ما هذه الصفة اواردة كشفا وبيانا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير ما
افادتها ام جارية على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان

ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات
وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات وضمّهما و
ذكر السيّات الصلوة والصدقة لانّ هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على
غيرهما الم تر كيف سمّى رسول الله صلّى الله عليه وآله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين
الاسلام والكفر ترك الصلوة وجعل سمّى الزكوة قنطرة الاسلام قال الله تعالى فويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة فلمّا كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعها
ومن ثمّ اختصر الكلام اختصارًا بان استغنى عن عدّ الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها
والذي اذا وجد لم يتوقّف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين
العبادتين واما الترك فكذلك الا يرى الى قوله تعالى انّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
يحتمل ان لا يكون بيانًا للمتقين ويكون صفة برأسها دالّة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون كباير الاثم المعاصي ويحتمل ان يكون مدحًا للموصوفين بالتقوى وتخصيصًا للايمان
بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارًا لانافتها على ساير ما يدخل تحت حقيقة
هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال
آمنه اذا صدّقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فليضمن
معنى اقرّ واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت
فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب
اي يعترفون به او يثقون بانّه حقّ ويجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع
الحال اي يؤمنون غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم
بالغيب ليعلم انّي لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله
صلّى الله عليه وآله وايمانهم فقال ابن مسعود انّ امر محمّد كان بيّنًا لمن رآه والذي
لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب
ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغايب اما تسمية
بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبًا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوبها كلاها
يريد بالغيب الخمصة التي يكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابّة انتفخت واما ان يكون
فيعلا فخفّف كما قيل قيل واصله قيّل فالمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف
الخبير وانّما نعلم منه نحن ما علمناه او نصب لنا دليلًا عليه فلهذا لا يجوز ان
يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوّات وما يتعلّق بها
والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة
والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحقّ ويعرب بلسانه ويصدّقه بعمله
فمن اخلّ بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخلّ بالشهادة فهو كافر ومن
اخلّ بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في

فوائضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قوّمه او للدّوام عليهما والمحافظة كما قال عزّ وجلّ والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السّوق اذا انفقت واقامها قال اقامت غزاله سوق الضّراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذى يتوجّه اليه الرّغبات ويتنافس فيه المحصّلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشئ الكاسد الذى لا يرغب فيه او للتجلد والتشمّر فى ادائها وان لا يكون فى مؤدّيها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفى ضدّه قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبّط او ادائها فعبّر عن الاداء بالاقامة لانّ القيام بعض اركانها كما عبّر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسّجود قالوا سبّح اذا صلّى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبّحين والصّلوة فعلة من صلّى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخّم وحقيقة صلّى حرّك الصّلوين لانّ المصلّى يفعل ذلك فى ركوعه وسجوده ونظيره كفّر اليهودىّ اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثنى على الكاذبين وهما الكافرتان وقيل للدّاعى مصلّ تشبيها له فى تخشّعه بالراكع والساجد واسناد الرّزق الى نفسه للاعلام بانّهم ينفقون الحلال الطّلق الذى يستاهل ان يضاف الى الله تعم ويسمّى رزقا منه وادخل من التبعيضيّة صيانة لهم وكفّا عن الاسراف والتبذير المنهىّ عنه وقدّم مفعول الفعل دلالة على كونه اهمّ كانه قال ويخصّون بعض المال الحلال بالتصدّق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهى الصّلوة وان يراد هى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كلّ منفق فانفق الشئ وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشئ ونفد واحد وكلّ ما جاء ممّا فاؤه نون وعينه فاء دالّ على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت **فان قلت** والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانّما وسّط العاطف كما يوسّط بين الصّفات كما فى قولك هو الشجاع والجواد وفى قوله ٭ الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة فى المزدحم ٭ وقوله ٭ يا لهف زيّابة للحارث الصّابح فالغانم فالآيب ٭ **قلت** تحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كلّ وحى نزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انّه لا يدخل الجنّة الّا من كان هودا او نصارى وانّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح فى الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجرى حالهم فى التلذّذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها فى الدنيا ودفعه آخرون وان اهل الجنّة مستغنون عنه فلا يتلذّذون الّا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم فى الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاوّلين ووسّط العاطف على معنى انّهم الجامعون بين تلك الصّفات وهذه **فان قلت** فاذا اريد

بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا **قلت** ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك **فان قلت** قوله بما انزل اليك ان عني به القران باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب **قلت** المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كله كانه قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا يريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه لماضيه وقرا يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وتقديم الاخرة وبنا يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرا ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه **شعر** لحب المؤقدان الى موسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود **اولئك على هدى** الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب فقد ذهب به مبتداء والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصايصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هذه عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلعم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك هم اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى

عاجلا بالفلاح اجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجئ تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه قال فان قلت هل يجوز ان يجرى الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثانى على الابتداء واوليك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة محمد صلعم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالوا الفلاح عند الله وفى اسم الاشارة الذى هو اوليك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التى عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك ومعنى الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم انهم منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على اعمال الخير والترقى الى الافضل فالافضل ونكر هدى للمتقين ليفيد ضربا مبهما لا يعرف كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اى هدى كما يقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلى شعر فلا وابى الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون فى من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائى وحمزة ويزيد وورش فى رواية والهاشمى عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو وقد روى عنه فيها روايتان فى تكرير اوليك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين فى تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التى لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمه فانهما متفقان فان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما فى الاولى فهى من العطف بمعزل وهم فصل وفايدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك ومعنى التعريف فى المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون فى الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك واستخبرت من هو فقيل زيد التايب اى هو الذى اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز من قايل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسط الفصل بينه وبين اوليك

ليبصروا مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع
الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زيّنا بلباس
التقوى واحشرنا في زمرة من صدّرت سورة البقرة بذكرهم والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت
له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء
والجيم والتركيب دالّ على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لمّا
قدّم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهّلتهم لاصابة الزلفى عنده وبيّن ان الكتاب هدى
ولطف لهم خاصّة قفّى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى
ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت
لم قطعت قصة الكفار عن قصة المومنين ولم تعطف كقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن
فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت
فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حدّ لا مجال فيه للعاطف. فان قلت هذا اذا
زعمت ان الذين يومنون جارٍ على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المومنين ثم عقبته
بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مرّ لي ان الكلام المبتدأ عقيب
المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سوال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له
في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان
يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان
يكون للجنس متناولا كلّ من صمّم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودلّ على تناوله للمصرّين الحديث
عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر
لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستوٍ
عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم
في موضع الابتداء وسواء خبر مقدّما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت
الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام
المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني
ميلا بيّنا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب
اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجرّدتان لمعنى
الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما
جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام
ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم
المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما

معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن تقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان يخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس الانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يومنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف تتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت به الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب

ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهايم او بحال قلوب البهايم انفسها او بحال القلوب مقدرا ختم الله عليها حتى لا تعي شيا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم وفي المكان طريق ساير ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب له بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا يغني عنهم الايات والنذر ولا يجدي عليهم الا الطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجيهم ثم لم يقسرهم ولم يلجيهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرايهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة **فان قلت** اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول **قلت** على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم **فان قلت** اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم **قلت** لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم **فان قلت** هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد **قلت** لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير فكان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال لها ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به

يبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشى اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمى كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اى عقابا يرتدع به الجانى عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان فى الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا فى آيتين وحال الذين نافقوا فى ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة فى الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسى وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول فى وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتى على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابى واصحابه ومن كان فى حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم فى قولك نزلت ببنى فلان فلم يقرونى والقوم لئام ومن فى من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبى فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع بين الفريقين معا وصيرهما

جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعى هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأبى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم فى الايمان الحقيقى كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا فى هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفى تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول فى ذكر شان الفعل لا الفاعل والثانى فى ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك فى ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس فى غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين فى الايمان واذا شهد عليهم بانهم فى انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا فى الثانى ومقيدا فى الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان فى شىء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذى لا حد له وهو الابد الدائم الذى لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد به الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذى لا حد للوقت بعده

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذى لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذى لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله شعر واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذى الرمة شعر ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت

فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنيع الخادعين وصورة صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله تعالى ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد لذكر فضله **فان قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح **قلت** وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو لو جوه ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم تدّعون الايمان كاذبين وما رفعهم في ذلك فقيل يخادعون **فان قلت** عم كانوا يخادعون **قلت** كانوا يخادعونهم عن اغراض ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنون من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم **فان قلت** فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها **قلت** لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة **فان قلت** ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم **قلت** يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشابهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما يقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم

بالاماني وان يراد وما يخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدّعون من خدّع ويَخَدّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويُخدَعون ويُخادَعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قوله المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقوله صدر الجهل وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهما ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس سموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا والحقيقة ان يراد الالم كما يقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلعم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وآله اعف عنه يا محمد واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما داخل قلوبهم من الضعف والخور والجبن لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواؤه يخفق اياما ثم يقر وضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا

وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم عم انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كان صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضع وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق وقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهايم وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متردد متوقف في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال صلى الله عليه واله مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما يقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي اضحك وابكى والذي

اما وواحيى والذي امره الامر رده الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الاوليين من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم وكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة **فان قلت** كيف يصح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح **قلت** الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله صلعم ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهايم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه **فان قلت** لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح **قلت** لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم بانهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فان قلت** فلم فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون **قلت** لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان بينهم قائما من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**

مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين وليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروى ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار والباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه لرسول الله ثم اخذ بيد علي عليه السلام فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلعم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زايدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زايدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المومنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التاكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه عنهم وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المومنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رايج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت اني تعلق قوله انما نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم

معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت وظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تع لانه تعالى متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزايه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد بذلك وقد كثر التهكم في كتاب الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم بالنسبة اليه استهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان ينزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا اصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوسواس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والامهال والاملاء قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام

كاملى له فان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله تعالى
واخوانهم يمدونهم فى الغى قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التى يمنحها
المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين و
الظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المومنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند
الى الله سبحانه وتعالى لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء
واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله سبحانه لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه
وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة
كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى
الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان
منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من
القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد
ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان
الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرا زيد بن على عليهما السلام فى طغيانهم بالكسر
وهما لغتان كلقيان ولقيان وغيان وغنيان فان قلت اى نكتة فى اضافته اليهم قلت
فيها ان الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم
وان الله برى منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى
يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند
اليه المد على الطريق الذى ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع فى
صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغى
ولم يقيده بالاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى والعمه مثل العمى الا ان العمى
عام فى البصر والراى والعمه فى الراى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى اين يتوجه و
منه قوله بالجاهلين العمه اى الذين لا راى لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء
لا منار بها **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين** ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها على
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه قوله اخذت بالجمة راسا
ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب بنى اسرائيل الذين تفقهون لغير الله وتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت
جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه فى ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه و
استبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل

خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه
فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمى الشف من
قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر
وهو الذى يبيع ويشترى للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرابى
ابى عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو
من الاسناد المجازى وهو ان يسند الفعل الى شى يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما
تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد
المجازى قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رايت اسدا وانت
تريد المقدام ان لم تقم حالة دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع
مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت
هذا من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق
المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء
ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كان اذنى قلبه خطلا وان جعلوه
كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل
ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه **شعر**
ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش فى وكريه جاش له صدرى لما شبه الشيب بالنسر
والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم فى امه **شعر**
فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع فى قفاها تنفقناه بالحبل التوام
اى اذا دخل الشيطان فى قفاها استخرجناه من نافقايه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت و
اساءت الخلق اجتهدنا فى ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا
ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه
وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيان
سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى
فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق فى ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح
وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم
له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما
يربح فيه ويخسر **مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون** لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل
زيادة للكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظاير شان
ليس بالخفى فى ابراز المعانى ورفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق

والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح
الابي ولامر ما اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله
صلى الله عليه وآله وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل
وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه
بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا
قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير **فان قلت** ما معنى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد
المثلين بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او
القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد
نارا وكذلك قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجايب
قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان
من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل
من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان
**فان قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم
كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا
نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه
في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم اقتصروا على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس
بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات
لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد
نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذوات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجمع بالواحد
انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها
وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق
والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تعالى
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية
مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده
قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل
اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى

الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور
**فان قلت** اين جواب لما **قلت** فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم
والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع
امن الالباس للدال عليه فكان الحذف اوجز من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت
ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوات الضوء خايبين بعد
الكدح في احياء النار **فان قلت** اذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت**
يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفيت ناره اعترض
سايل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل ذهب الله بنورهم او يكون
بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان **فان قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين
فما مرجعه في الوجه الثاني **قلت** مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا
الضمير وتوحيده في قوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى **فان قلت** فما معنى اسناد
الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم **قلت** اذا طفيت النار بسبب سماوي ريح
او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا
الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام
وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض
المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم **فان قلت** كيف صح في النار
المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريق المجاز المرشح فاحسن
تدبره **فان قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت **قلت** ذكر النور ابلغ لان
الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى
نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات
والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل
على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون **فان قلت** فلم وصفت بالاضاءة
**قلت** هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت
ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين ذهب به واذهبه ان معنى اذهبه ازاله و
جعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما
ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق منه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم و
امسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم
وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان
مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة **شعر** فتركته جزر السباع ينشنه

ومنه قوله تركهم فى ظلمات اصله فى ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرء الحسن ظلمات بسكون اللام وقرء اليمانى فى ظلمة على التوحيد و المفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فى قوله ويذرهم فى طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم وقراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المومنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمى وفى الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم **صم بكم عمى فهم لا يرجعون** كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للاحساس والادراك صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشئ الذى لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار **فان قلت** كيف طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا فى الصفات وذاك فى الاسماء والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق **فان قلت** هل يسمى ما فى الاية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما يطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير **شعر** لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام **شعر** ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان فى سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه فى حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج **شعر** اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين فى مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون او يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه **او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين**

ثم ثنّى الله تعالى في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف وايضاحاً غبّ ايضاح وكما يجب على البليغ في مظانّ الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصّل ويشبع انشد الجاحظ شعر يرمون بالخطب الطوال وتارة ٭ وحي الملاحظ خيفة الرقباء ٭ ومما ثنّي من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذي الرمّة كيف صنع في قصيدته شعر اذاك ام نمش بالوشي اكرعه ٭ ام ذاك ام خاضب بالسيّ مرتعه فان قلت قد شبّه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبّه في التمثيل الثاني بالصيّب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبّه دين الاسلام بالصيّب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيّب والمراد به كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبّهات وهلّا صرّح به كما في قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس شعر كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرّقة لا يتكلّف لواحد واحد شيء يقدّر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبّهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبّه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامّت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حمّلوا التورية ثم لم يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمرّ بدفّيه من الكدّ والتعب وكقوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبّهت حيرتهم وشدّة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدّره في المفرّق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيّب هل يقدّر مثله في المركّب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله

تعالى يجعلون اصابعهم فى آذانهم لما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لانى اراعى الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام فلا باس اولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى
قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا
بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى هذا قول لبيد شعر وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ، لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة
زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت
اى التمثيلين ابلغ قلت الثانى لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروهم
يتدرجون فى نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر
بحرف الشك قلت او فى اصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت
للتساوى فى غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان فى استصواب
ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اى الآثم والكفور متساويان فى وجوب
عصيانهما فكذلك قوله تعالى او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتى
هاتين القصتين وان القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلت
فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى يصوب اى ينزل ويقع ويقال
للسحاب صيب ايضا قال الشماخ شعر واسحم دان صادق الرعد صيب ، وتنكير صيب لانه اريد
نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ والسماء هذه
المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة فى ذكره والصيب
لا يكون الا من السماء قلت الفائدة انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اى من افق
واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء فى قوله
تعالى واوحى فى كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء ، والمعنى انه غمام
مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير
امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم
من يزعم انه يأخذ من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد
فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد هو الصوت
الذى يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند
ذلك من الارتعاد والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل
الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات
السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمته سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات
المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف
يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا فى اعلاه ومصبه وملتبسين
فى الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان فى البلد وما هو منه الا فى حيز يشغله جرمه فان قلت

هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحترى شعر يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين
بروقه ورعوده ، وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين
فى الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعى حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى
الجمع والثانى ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان
المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير
فى يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان
المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه فى قوله
يسقون من ورد البريص عليهم ، بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى
ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما
يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون
البرق يجعلون اصابعهم فى آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد
البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هى التى تجعل فى الآذان فهلا قيل
اناملهم قلت هذا من الاتساعات فى اللغة التى لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله تعالى فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذى الى المرفق والذى الى الرسغ وايضا ففى
ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس فى ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التى تسد بها الاذن
اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان
اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة و
السباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هى الفاظ
مستحدثة لم يتعارفها الناس فى ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق
متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم كقولك سقاه من العيمة
والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته وصعق فمات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى
وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين
سواء فى التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على
راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس
بقلبه لاستوائهما فى التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للتاء للمبالغة
كما فى الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابى ليلى حذار الموت وانتصب
على انه مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره ، واعرض عن شتم اللئيم تكرما
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة

احاطة الله بالكفرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة
وهذه الجملة اعتراض لا محل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم
مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
ان الله على كل شيء قدير الخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح
افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الخاء واصله يختطف و
عنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي عليهما السلام يخطف من خطف
وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث
كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل
لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير
والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف
ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه
بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء
البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول
محذوف واما غير متعد والمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه و
يعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد
فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت
لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا
منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد
وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب
اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس شعر هما اظلما حالي ثمة اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ، وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو
من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه
بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف
لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها
ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب
كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ، وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله
ان يتخذ ولدا فاراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض
البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم
بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء

يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما
ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم
لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي
الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان
لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها
كانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم
ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين مختلفين
فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على
مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من
المومنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت
به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من
الالتفات المذكور عند قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه
هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من
قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت
يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد
في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك
زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما يجده
اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف
الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح
عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا
فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في
اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة
ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به
القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان
قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد
واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى
وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط
في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لدعائه وابتهاله واي
وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء
الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه

فلا بدّ ان يردفه اسم جنس او ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصحّ المقصود بالنداء و
الذى يعمل فيه حرف النداء هو اى والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا انّ
ايا لا يستقلّ بنفسه استقلال زيد فلم ينفكّ من الصفة وفى هذا التدريج من الابهام الى
التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لمعاضدة
حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اى من الاضافة
فان قلت لم كثر النداء فى كتاب الله تعالى على هذه الطريقة ما لم يكثر فى غيره قلت لاستقلاله
باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه
وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك
مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم
وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت
لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة
خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم
متلبسون به وهل هو الا كقول القايل فلو انى فعلت كنت كمن تساله وهو قايم ان يقوموا واما
الكفار فلا يعرفون الله تعالى ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين
ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بدّ لها
منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرايطها من الوضوء والنية وغيرهما
وما لا بدّ للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من
لوازمه على انّ مشركى مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولنّ الله
فان قلت فقد جعلت قوله تعالى اعبدوا اسما ولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها
قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شىء آخر فان قلت فى ربكم ما المراد به قلت كان المشركون
معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصّوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه
ربّ السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذى خلقكم صفة موضحة
مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح و
الخلق ايجاد الشىء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدّرها وسوّاها بالمقياس وقرأ ابو عمرو
خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن على عليهما السلام والذين من
قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثانى بين الاول وصلته
تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله شعر يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه و
كاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه فى لا اباك ولعلّ للترجى والاشفاق تقول
لعلّ زيدا يكرمنى ولعله يهيننى وقال تعالى لعله يتذكر او يخشى لعلّ الساعة قريب الا ترى الى قوله
تعالى والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع فى مواضع من القرآن ولكن لانه

اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى الوعد المحتوم وفاؤ
به قال من قال انّ لعل بمعنى كى ولعل لا يكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن
ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطنون
انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما او يخيلوا احاله او يظفر منهم بالرمزة
او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شىء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك فى النجاح
والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذى العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون
التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سياتكم فان قلت فلعل التى فى الآية ما معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرناه فى شىء لان قوله
خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تعالى تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب
والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة فى الآية
موضع المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركّب فيهم العقول و
الشهوات وازاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم زمام الاختيار
واراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة
والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم
ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبّه بالاختبار بناء على امرهم على
الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم
قصرهم عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصرهم عليهم ولكن غلّب المخاطبين على الغايبين فى اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب
طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يودى ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة
كان ابعث على العبادة واشدّ الزاما لها واثبت لها فى النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خرايط
الكتب فما ملكتك يمينى الا لجرّ الاثقال ولو قلت لحمل خرايط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع
الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدّم سبحانه وتعالى من موجبات
عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها
والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى
لا بدّ لهم منه وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التى هى كالقبة
المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سوّاه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلّة و
المظلّة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان
الثمار رزقا لبنى آدم ليكون ذلك لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والا
عتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق انفسهم وخلق ما فوقهم

ولم تخفهم ان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان
لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا يقدر
على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او
على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد
الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها
وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان
الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء
كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها
وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول
والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب
اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا فان
قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء
سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا
اسباب ولا مواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال
الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الا
ستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرايب
حكمته ليس ذلك في انشايها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض
لشهادة قوله تعالى واخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء
ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء
فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من
السماء من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز
ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت
من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت
فالثمر المخرج من ماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد
ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق
والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقايها في الجمعية كقوله تعالى كم تركوا من جنات
وثلثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميقع من الثمرة على التوحيد ولكم
صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل
رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا
ربكم فلا تجعلوا لله اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك

او يطلعل



او يطلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
والارض فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم او خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه
فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفكم بهذه
الايات العظيمة والدلايل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء
والند المثل ولا يقال الا نافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد
نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما
يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها و
عظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على
مخالفته ومضادته فقيل لهم على ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع
عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي
ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه . اربا واحدا ام الف رب . ادين
اذا تقسمت الامور . وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم
تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد
والمعرفة بدقايق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة
بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا
يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون مطروح
متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون
ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل اي وانتم تعلمون ما بينه وبينها من
التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل فعاله كقوله هل من شركايكم من يفعل من
ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان
من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على
ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وما يدحض الشبهة
في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند
نفسه كما يدعون بارشادهم على ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء
جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال
قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي و
ذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند
الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل

وكفاء الحوادث وعلى سنن ما ترى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم
مفرقا حينا فحينا وشيا فشيا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة
لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بمجموع خطبه او رسايله ضربة فلو انزله الله
لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران
جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة
واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور وايات شتى مفتريات و
هذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله ص وامته و
السورة الطايفة من القران المترجمة التى اقلها ثلث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان
تسمى بسورة المدينة وهى حايطها لانها طايفة من القران محدودة محوزة على حيالها
كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتواء سور المدينة
على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التى هى الرتبة قال النابغة ، ولرهط حراب وقد سورة
فى المجد ليس غرابها بمطار ، لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارى
وهى ايضا فى نفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها فى الدين
وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطايفة من القران كالسورة التى هى البقية
من الشىء والفضلة منه فان قلت ما فايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست
الفايدة فى ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وساير ما اوحاه الى انبيايه
على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور
بالتراجم ومن فوايده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارى اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ
فى اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله
ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشط للسير
ومن ثم جزا القراء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة
اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه
ويجل فى نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ومن ثم
كانت القراءة فى الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظاير
وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعانى ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوايد والمنافع
ومن مثله متعلق بسورة صفة لها اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز
ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت
معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم او فاتوا ممن
هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل
ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير

حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة
اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة
من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير
بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا
وذلك لان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك
عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم
نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه واله
ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا
وهم الجم الغفير بان ياتوا بطايفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ فى التحدى
من ان يقال لهم لياتِ واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملايم
لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة ومعنى دون
ادنى مكان من الشىء ومنه الشىء الدون وهو الدنى الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع
الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا
ودونك هذا اصله خذه من دونك اى من ادنى مكانك فاختصر واستعير للتفاوت فى
الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه
بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل مجاوزة حد الى حد
وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين اى لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت
وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا وبشهداءكم فان علقته بشهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم
على الحق وادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهى
دونه اى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى لرقتها وصفايها وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد الذى
لا ينطق فى معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون
اوليايه ومن غير المومنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة
والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة
الفاسد البين عندهم فساده واشتقاق المحال الخلى فى عقولهم احالته وتعليقه بالدعا
فى هذا الوجه جاير وان علقته بالدعا فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى لا تستشهدوا
بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه و
ادعوا شهداءكم من الناس الذين شهادتهم بينة تصح بها الدعاوى عند الحاكم وهذا تعجيز
لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم

الله يشهد أنا الصادقون. وقولهم هذا استجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة، وعن بعض
العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة. أو ادعوا
من دون الله شهداءكم يعني أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين
أعناق رواحلكم والجن والإنس مشاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس
إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله
تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا الآية. **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون
أمر النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله
قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه وقد صرح الحق
عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على
إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه
إلا الله. **فإن قلت** انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء بإذا الذي هو للوجوب دون إن الذي
للشك. **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وأن
العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم
على الكلام. والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه
إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به. **فإن قلت** لم عبر عن الإتيان بالفعل
وأي فائدة في تركه إليه. **قلت** لأنه فعل من الأفعال تقول للموصوف أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت
والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه
ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات
وأفعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا. **فإن قلت**
ولن تفعلوا ما محلها. **قلت** لا محل لها لأنها جملة اعتراضية. **فإن قلت** ما حقيقة لن في باب
النفي. **قلت** لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا أقيم
غدا فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غدا كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم وهي عند الخليل في إحدى
الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه وإحدى الروايتين
عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل. **فإن قلت** من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به
حتى يكون معجزة. **قلت** لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله
فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم
أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة. **فإن قلت** ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم
بسورة من مثله. **قلت** إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق
رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا صح صدقه عندهم ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا

استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع المعاندة ونظيره أن
يقول الملك لحشمه إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا أمري و
افعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدة الإيجاز
الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعا
ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها. والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه
الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود أكثر
والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين
بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أي ليست حياته إلا به فكأن نفس السليط
حياته. **فإن قلت** صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار
الآخرة توقد بالناس والحجارة. **قلت** لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو
سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا
وقودها الناس والحجارة. **فإن قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم
وههنا معرفة. **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت
هذه بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا. **فإن قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
**قلت** معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها
إن أريد إحراق الناس وإحماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه وإحماؤه وتلك
أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها
إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها. **فإن قلت** أنار الجحيم كلها موقدة بالناس
والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة. **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس
والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس فأنذرتكم
نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس نارا
وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب. **فإن قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت
الحجارة معهم وقودا. **قلت** لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما
وجعلوها لله أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم. وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى
الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها. ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من
دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم
بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم
وإغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة و
ذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم. وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو

المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدّت هيئت لهم وجعلت عدّة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدّة وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ من عادته عزّ وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلمّا ذكر الكفّار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفّاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها عن الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله وبشّر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلّى الله عليه وآله وان يكون كلّ احد كما قال النبيّ عليه السلام بشّر المشّائين الى المساجد في الظلمة بالنور التامّ يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانّما كلّ احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يوذن بانّ الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشّر به كلّ من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصحّ عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتّى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انّما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين فهي معطوفة على وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشّر عمروا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتّقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشّر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن عليّ عليهما السلام وبُشِّرَ على لفظ المبنيّ للمفعول عطفا على اعدّت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثمّ قال العلماء اذا قال لعبيده ايّكم بشّرني بقدوم فلان فهو حرّ فبشّروه فرادى عتق اوّلهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشّرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه وامّا فبشّرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتالّمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوّه ابشر بقتل ذرّيّتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة بيت كيف الهجاء وما تنفكّ صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني والصالحات كلّ ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنّة واللام للجنس فان قلت اىّ فرق بين لام الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لانّ وزانه في تناول الجمعيّة في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسيّة والجمعيّة في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف والجنّة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف



اغصانه قال زهير تسقي جنّة سحقا اى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سمّيت بالجنّة التي هي المرّة من مصدر جنّه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسمّيت دار الثواب جنّة لما فيها من الجنان فان قلت الجنّة مخلوقة ام لا قلت الجنّة اسم لدار الثواب كلّها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتّبة مراتب على استحقاقات العاملين لكلّ طبقة منهم جنّات من تلك الجنان فان قلت امّا يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلّف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية قلت لمّا جعل الثواب مستحقّا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصّة بمن يتولّاهما وركز في العقول انّ الاحسان انّما يستحقّ فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقّبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيّه صلّى الله عليه وآله وهو اكرم الناس صلّى الله عليه واعزّهم لئن اشركت ليحبطنّ عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق انّ انهار الجنّة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظلّلة والانهار في خلالها مطّردة ولولا انّ الماء الجاري من النعمة العظمى واللذّة الكبرى وانّ الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحيّة والنشاط حتّى يجري فيها الماء والّا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنّات البتّة الّا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بدّ لاحدهما من صاحبه ولما قدّمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق والنيل نهر مصر واللغة العالية النهَر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازيّ كقولهم بنو فلان يطاهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكّرت الجنّات وعرّفت الانهار قلت امّا تنكير الجنّات فقد ذكر وامّا تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوّض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغيّر طعمه الآية وقوله كلّما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنّات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة لانه لمّا قيل انّ لهم جنّات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنان اشباه ثمار جنّات الدنيا او اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل انّ ثمارها اشباه ثمار الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الّا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلّما اكلت من بستانك من الرمّان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمّان

قيل كلّما رزقوا من الجنّات من اىّ ثمرة كانت من تفّاحها او رمّانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثّانية كلتاهما لابتداء الغاية لانّ الرّزق قد ابتدا من الجنّات و الرّزق من الجنّات قد ابتدا من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اىّ ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرّمّان وتحريره انّ رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنّات ثمّ جعل مقيّدا بالابتداء من ضمير الجنّات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثّمرة التّفّاحة الواحدة والرّمّانة الفذّة على هذا التّفسير وانّما المراد النّوع من انواع الثّمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصحّ ان يراد بالثّمرة النّوع من الثّمار والجناة الواحدة **فان قلت** كيف قيل هذا الّذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنّة هي ذات الّذي رزقوه في الدّنيا **قلت** معناه هذا مثل الّذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انّه لاستحكام الشّبهة كانّ ذاته ذاته **فان قلت** الام يرجع الضّمير في قوله واتوا به **قلت** الى المرزوق في الدّنيا والآخرة جميعا لانّ قوله تعالى هذا الّذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدّارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيّا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسي الغنيّ والفقير لدلالة قوله غنيّا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضّمير الى المتكلّم به لقيل اولى به على التّوحيد **فان قلت** لاىّ غرض تتشابه ثمر الدّنيا وثمر الجنّة وما بال ثمر الجنّة لم تكن اجناسا اخر **قلت** لانّ الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا رآى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانّه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدّم له معه الف ورآى مزيّة ظاهرة وفضيلة بيّنة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال به استعجابه واستغرابه وتبيّن كنه النّعمة فيه وتحقّق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فايقا حسب انّ ذلك الجنس لا يكون الّا كذلك فلا يتبيّن موقع النّعمة حقّ التّبيّن فحين ابصروا الرّمّانة من رمّان الدّنيا ومبلغها في الحجم وانّ الكبرى لا تفضل عن حدّ البطّيخة الصّغيرة ثمّ يبصرون رمّانة الجنّة تشبع السّكن والنّبقة من نبق الدّنيا في حجم الفلكة ثمّ يرون نبق الجنّة كقلال هجر كما راوا ظلّ الشّجرة من شجر الدّنيا وقدر امتداده ثمّ يرون الشّجرة في الجنّة يسير الرّاكب في ظلّها ماية عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزيّة واجلب للسّرور وازيد في التّعجّب من ان يفاجئوا ذلك الرّمّان وذلك النّبق من غير عهد سابق بجنسهما و ترديدهم هذا القول ونطقهم عند كلّ ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزيّة وتمام الفضيلة وعلى انّ ذلك التّفاوت العظيم هو الّذي يستملي تعجّبهم ويستدعي تبجّحهم في كلّ اوان وعن مسروق نخل الجنّة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلّما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضّمير في واتوا به الى الرّزق كما انّ هذا اشارة اليه ويكون المعنى انّ ما يرزقونه من ثمرات الجنّة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصّحفة فياكل منها ثمّ يؤتى بالاخرى

فيقول هذا الّذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللّون واحد والطّعم مختلف وعنه صلّى الله عليه وآله والّذي نفس محمّد بيده انّ الرّجل من اهل الجنّة ليتناول الثّمرة ليا كلها فما هي بواصلة الى فيه حتّى يبدّل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتّفسير الاوّل هو هو **فان قلت** كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام **قلت** هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورآى من الرّاى كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزّة اهلها اذلّة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل الّتي تساق في الكلام معترضة للتّقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهّرن ممّا يختصّ بالنّساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختصّ بهنّ من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطّهر من دنس الطّباع وطبع الاخلاق الّذي عليه نساء الدّنيا ممّا يكتسبن بانفسهنّ وممّا ياخذن من اعراق السّوء والمناصب الرّديّة والمناشي المفسدة ومن ساير عيوبهنّ ومثالبهنّ وخبثهنّ وكيدهنّ **فان قلت** فهلّا جاءت الصّفة مجموعة كالموصوف **قلت** هما لغتان فصيحتان يقال النّساء فعلن وهنّ فاعلات وفواعل والنّساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة **شعر** واذا العذارى بالدّخان تقنّعت ¤ واستعجلت نصب القدور فملّت ¤ والمعنى وجماعة ازواج مطهّرة وقرا زيد بن علىّ عليهما السّلام مطهّرات وقرا عبيد بن عمير مطّهّرة بمعنى متطهّرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطّهّر به اطّهّرة اى فاتطهّر به تطهّرة **فان قلت** هلّا قيل طاهرة **قلت** في مطهّرة فخامة لصفتهنّ ليست في طاهرة وهي الاشعار بانّ مطهّرا طهّرهنّ وليس ذلك الّا الله عزّ وجلّ المريد بعباده الصّالحين ان يخوّلهم كلّ مزيّة فيما اعدّ لهم والخلد الثّبات الدّايم والبقاء اللّازم الّذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان متّ فهم الخالدون وقال امرؤ القيس **شعر** الا انعم صباحا ايّها الطّلل البالي ¤ وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ¤ وهل ينعمن الّا سعيد مخلّد ¤ قليل الهموم لا يبيت باوجال ¤ انّ الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فامّا الّذين آمنوا فيعلمون انّه الحقّ من ربّهم وامّا الّذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضلّ به الّا الفاسقين ¤ سيقت هذه الآية لبيان انّ ما استنكره الجهلة والسّفهاء واهل العناد والمراء من الكفّار واستغربوه من ان يكون المحقّرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل انّ التّمثيل انّما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهّم من المشاهد فان كان المتمثّل له عظيما كان المتمثّل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثّل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الّا امرا تستدعيه حال المتمثّل له وتستجرّه الى نفسها فيعمل الضّارب للمثل على حسب تلك القضيّة الا ترى الى الحقّ لمّا كان واضحا جليّا ابلج كيف تمثّل له بالضّياء والنّور والى الباطل لمّا كان بضدّ صفته كيف تمثّل له بالظّلمة ولمّا كانت حال الآلهة الّتي جعلها الكفّار اندادا لله تعالى لا حال احقر منها واقلّ ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضّعف والوهن وجعلت اقلّ من الذّباب واخسّ قدرا وضربت لها البعوضة فالّذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع

ولم يقل للتمثيل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سايق للمثل على قضية مضرب محتذ على مثال ما يحتمله وليستدعيه ولبيان ان المومنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصايرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالتهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قرادة واضرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوضة ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذ لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به للمشركين المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله عز وجل هذه الاية و الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وجمد في مكانه خجلا **فان قلت** كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا **قلت** هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السوال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام **شعر** من مبلغ افناء يعرب كلها

اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل ولطافته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوام مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح وهو قول المتنبي فيه • اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد • وقرئ في رواية شبل عن ابن كثير يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه واله خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا ندركه لتناهيه في صغره الا هو وحده للطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى روبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد **شعر** لنعم البيت بيت ابي دثار • اذا ما خاف بعض القوم بعضا • ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فيما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم

والدّرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما تخلّف فيه فهو الدّرهم و
الدّرهمان كذلك قلت فضلاً عن الدّرهم والدّرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم
عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شابّ من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم
قالوا فلان خرّ على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا انّي سمعت
رسول الله صلّى الله عليه وآله قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الّا كتبت له بها درجة و
محيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشّوكة وتجاوزها في القلّة وهي نحو نخبة النّملة في قوله عليه
السّلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفّارة لخطاياه حتّى نخبة النّملة وهي عضّتها ويحتمل ما
هو اشدّ من الشّوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما
دون البعوضة وهي النّهاية في الصّغر قلت ليس كذلك فانّ جناح البعوضة اقلّ منها واصغر
بدرجات وقد ضرب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مثلاً للدّنيا وفي خلق الله حيوان اصغر
منها ومن جناحها ربّما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبّة لا يكاد يجليها للبصر الحادّ
الّا تحرّكها فاذا سكنت فالسّكون يواريها ثمّ اذا لوّحت لها بيدك حادت عنها وتجنّبت مضرّتها
فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظّاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها
ويطّلع على ضميرها ولعلّ في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الّذي خلق الازواج كلّها ممّا تنبت
الارض ومن انفسهم وممّا لا يعلمون وانشدت لبعضهم **شعر** يا من يرى مدّ البعوض جناحها
في ظلمة اللّيل البهيم الاليل • ويرى عروق نياطها في نحرها • والمخّ في تلك العظام النّحّل • اغفر لعبد
تاب من فرطاته • ما كان منه في الزّمان الاوّل • واما حرف فيه معنى الشّرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك
وانّه لا محالة ذاهب وانّه بصدد الذّهاب وانّه منه عزيمة قلت امّا زيد فذاهب ولذلك قال
سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التّفسير مدلّ بفائدتين بيان كونه توكيداً
وانّه في معنى الشّرط ففي ايراد الجملتين مصدّرتين به وان لم يقل فالّذين آمنوا يعلمون والّذين
كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انّه الحقّ ونعيّ على الكافرين اغفالهم
حظّهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحقّ الثّابت الّذي لا يسوغ انكاره يقال حقّ الامر
اذا ثبت ووجب وحقّت كلمة ربّك وثوب محقّق محكم النّسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسماً
بمعنى موصولاً الّذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركّبة مع ما مجعولتين اسماً واحداً فتكون كلمة واحدة
فتكون فهو على الوجه الاوّل مرفوع المحلّ على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثّاني منصوب
المحلّ في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاوّل مرفوعاً وعلى الثّاني
منصوباً ليطابق الجواب السّؤال وقد جوّزوا عكس ذلك كما تقول في جواب قال ما رايت خير اي المرئيّ
خير وفي جواب ما الّذي رايت خيراً اي رايت خيراً وقرئ قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو بالرّفع والنّصب على التّقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشّيء اذا طلبته
نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلّمين الارادة معنى يوجب للحيّ حالاً لاجلها يقع منه

الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زايد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل اولان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ما اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلمايهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير من انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ٥ ان الكرام كثير في البلاد وان ٥ قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا ٥ واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل وضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهديهم وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرا نديم على عم يضل به كثيرا وكذلك وما يضل به الا الفاسقين والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة ع فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي منزلة المومن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل شهادته ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزى خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل

اعزّك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر
الشئ المستعار ثمّ يرمزوا اليه بذكر شئ من روادفه فينبّهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه
قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوّجت امرأة فاستوثقها لم تقل هذا
الّا وقد نبّهت على الشجاع والعالم بانّهما اسد وبحر وعلى المراة بانّها فراش والعهد الموثق و
عهد اليه في كذا اذا وصّاه به ووثّقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه
والمراد بهولاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنّتون او منافقوهم او الكفّار جميعا فان قلت
فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجّة على التوحيد كانّه امر وصّاهم به ووثّقه
عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربّكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم
بانّهم اذا بعث اليهم رسول يصدّقه الله بمعجزاته صدّقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدّمه
من الكتب المنزلة عليهم كقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله تعالى في الانجيل
لعيسى صلوات الله على نبينا وعليه سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم
من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيّعوا من
عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف
انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لانّ اليهود فعلوا باسم
عيسى ما فعلوا باسم محمّد صلّى الله عليه وآله عليهما من التحريف والجحود وكفروا به كما
كفروا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وقيل هو ما اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم
ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد
الاوّل الذي اخذه على جميع ذرّيّة آدم الاقرار بربوبيّته وهو قوله واذ اخذ ربّك وعهد
خصّ به النبيّين ان يبلّغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرّقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا
من النبيّين ميثاقهم وعهد خصّ به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثّقوا به
عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما انّ الميعاد و
الميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد
ما وثّق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل
قطعهم الارحام وموالاة المومنين وقيل قطعهم الارحام ما بين الانبياء من الوصلة والتحام
والاجتماع على الحقّ في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممّن
هو دونك وبعثه عليه وبه سمّي الامر الذي هو واحد الامور لانّ الداعي الذي يدعو اليه من
يتولّاه شبّه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانّه مامور به كما قيل له شان و
الشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانّهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثلها في قولك اتكفرون

بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجّب ونظيره قولك اتطير بغير
جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانّه مستحيل بغير
جناح وامّا الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما
قوي من الصارف عن الكفر والدواعي الى الايمان فان قلت قد تبيّن امر الهمزة وانّها لانكار الفعل
والايذان باستحالته في نفسه او لقوّة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي
يقع عليها كفرهم قلت حال الشئ تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت
الحال فكان انكار حال الكفر لانّها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انّه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد
علم انّ كلّ موجود لا ينفكّ من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات
كان انكارا لوجوده على الطريق البرهانيّ والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صحّ ان
تكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الامير الّا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو
على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانّه قيل كيف تكفرون بالله وقصّتكم
هذه وحالكم انّكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثمّ يميتكم بعد هذه الحيوة ثمّ
يحييكم بعد هذا الموت ثمّ يحاسبكم فان قلت بعض هذه القصّة ماض وبعضها مستقبل
والماضي والمستقبل كلاهما لا يصحّ ان يقعا حالا حتّى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال
عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصّة كانّه قيل كيف تكفرون بالله وانتم
عالمون بهذه القصّة باوّلها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اىّ حال تكفرون
في حال علمكم بهذه القصّة فما وجه صحّته قلت قد ذكرنا انّ الاستفهام في كيف للانكار
وانّ انكار الحال متضمّن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانّه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قلت ان اتّصل علمهم بانّهم كانوا امواتا فاحياهم ثمّ يميتهم ثمّ لم يتّصل بالاحياء
الثاني والرجوع قلت قد تمكّنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول
العلم وكثير منهم علموا ثمّ عاندوا والاموات جمع ميّت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم
اموات في حال كونهم جمادا وانّما يقال ميّت فيما يصحّ فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك
لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتة وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة
لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت فما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به
الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت
لم كان العطف الاوّل بالفاء والاعقاب بثمّ قلت لانّ الاحياء الاوّل قد تعقّب الموت بغير تراخ
وامّا الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ
عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصّة التي ذكرها قلت لانّها مشتملة على آيات
بيّنات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقّهما ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ جميعاً لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي تصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء يناقضه ثم لاعطايه معنى التراخي والمهلة قلت ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائك جمع ملاك على الاصل كالشمايل في جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ



والخبر وهما قولك خليفة في الارض فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلايف وخلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في الارض وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الراس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء

لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم انبئهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها **فان قلت** فما معنى تعليمه اسماء المسميات **قلت** اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء اراده للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرا عبد الله عرضهن وقرا ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء المكسورة فيهما **وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على جهة التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرا ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة معمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة ~~على وجه التوسعة~~ شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة بكسر السين فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي **فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلَى حِينٍ** الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر

الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها **فان قلت** كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم **قلت** يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به **فان قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى **فان قلت** ما جواب الشرط الاول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة

فمن تبع هداى **فان قلت** فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت**
للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه لو لم ينزل
كتابا ولم يبعث رسولا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة
ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التى اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة
لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج
من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغى والضلال ونسيان العهد وعدم
العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص و
الافكار الصالحة التى هى اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما
للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء
المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ
فمن تبع هدىّ على لغة هذيل فلا خوف **يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم
واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون** اسرائيل هو يعقوب عليه السلام
لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف
مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقيل اسرائيل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا
بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم
مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ
العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله
عليه وآله وسلم المبشر به فى التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
جميعا يقال اوفيت بعهدى اى بما عاهدت عليه كقوله تعالى ومن اوفى بعهده من الله و
اوفيت بعهدك اى بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدى واوفوا بما عاهدتمونى
عليه من الايمان بى والطاعة لى كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب
على حسناتكم واياى فارهبون فلا تنقضوا عهدى وهو من قولك زيدا رهبته وهو
اوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوفّ بالتشديد اى ابالغ فى الوفاء
بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدى ما
عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا
اول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون**
اول كافر به اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة اى كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من
يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحى اليه والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم
على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعنى من اشرك به من اهل مكة اى
لا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا فى التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له
وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة
للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا و
كقوله **شعر** فانى شريت الحلم بعدك بالجهل يعنى ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا والا فالثمن هو
المشترى به والثمن القليل الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو
اصبحوا اتباعا لرسول الله ص فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق
الذى كل كثير قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون
احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم
الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم
الاموال ليكتموا ويحرفوا **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون**
الباء التى فى الباطل ان كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ وخلطته به كان
المعنى ولا تكتبوا فى التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى
لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى
كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبونه وتكتموا جزم داخل
تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اى لا تجمعوا
لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن **فان قلت**
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا
الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا
من كتبهم فى التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد فى التورية صفة محمد
عليه السلام او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفى مصحف عبد الله
وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون فى حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم
لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا
مع الراكعين** واقيموا الصلوة يعنى صلوة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم
لان اليهود لا ركوع فى صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله
ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين
يعنى فى الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين
**اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون**

اتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر
لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه
في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة
ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من
اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها
فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر
كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية
وفيها نعت محمد صلعم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون
توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه
وكانكم في ذلكم مسلوبوا العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما
تعبدون من دون الله افلا تعقلون **واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون** واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما و
ان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين مشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب
وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعات الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية
والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن
سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا
على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه
نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال
فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل
الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان
يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال
الى الله تعالى في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي
امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي انعمت الآية واستعينوا لكبيرة
لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **فان قلت**
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل **قلت** لانهم يتوقعون ما ادخر
للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي
يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه
يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون و
اما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين

والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله
فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف
حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلت قرة عيني
في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة
المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته **يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين** واني فضلتكم نصب
عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله
باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون** يوما يريد
يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا
من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون
في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما **فان قلت** فاين
العائد منه الى الموصوف **قلت** هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي
تروحي اجدر ان تقيلي اي ما اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري
مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او مال اصابوا ومعنى التنكير
ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع
وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه
الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء
الفعل للفاعل وهو الله تعالى عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فاويسوا **فان قلت** هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة
**قلت** نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من ترك او فعل ثم نفى ان تقبل منها
شفاعة الشفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة **فان قلت** الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع
**قلت** الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة
ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها
لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون
يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي
كما تقول ثلثة انفس **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اصل آل
اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم

وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتى وتجبر وفي ملح بعضهم يصف المختون شعر قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في • اقصى تفرعنه وفرط عرامه • وقرئ انجيناكم و نجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا • ابينا ان نقر الخسف فينا • واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب و يريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ و كان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط **فان قلت** فما معنى بكم **قلت** فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اى تدوسها ونحن راكبوها وروى ان بنى اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ** لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد المجي للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم **ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم **وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**



**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** جمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروى ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التورية فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين **فان قلت** ما الفرق بين الفاآت **قلت** الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم **فان قلت** من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ **قلت** البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت متميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شئ منها **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما ينصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادّهم القول وعرّفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اى اماتهم وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت

من السماء وقيل ارسل الله جنودًا سمعوا بحسّها فخرّوا صعقين ميّتين يومًا وليلةً وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتًا ولكن غشية بدليل قوله فلمّا افاق والظاهر انّه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرا علي عليه السلام فاخذتكم الصعقة **ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون** لعلّكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت **وظلّلنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيّبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون** وظلّلنا وجعلنا الغمام تظلّلكم وذلك في التيه سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلّهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتّسخ ولا تبلى وينزل عليهم المنّ وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكلّ انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين** القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبّة التي كانوا يصلّون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرًا لله وتواضعًا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحّفين على اوراكهم حطّة فعلة من الحطّ كالجلسة والركبة وهي خبر مبتداء محذوف اي مسئلتنا حطّة او امرك والاصل النصب بمعنى حطّ عنّا ذنوبنا حطّة وانّما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرًا على اصبر صبرًا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطّة اي ان نحطّ في هذه القرية ونستقرّ فيها **فان قلت** هل يجوز ان تنصب حطّة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة **قلت** لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محلّ ذلك المضمر بقولوا وقرئ تغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنًا منكم كانت تلك الكلمة سببًا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئًا كانت له توبة ومغفرة **فبدّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون** فبدّل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطّة قولًا يعني انّهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انّهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطّة فجاؤوا بلفظ آخر مستقلّ بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطّة نغفرك ونتوب اليك او اللهمّ اعف عنّا او ما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطّة حنطة وقيل قالوا بالنبطيّة حطّا سمقاثا

اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولًا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بانّ انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضمّ الراء وروي انّه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفًا وقيل سبعون الفًا **واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كلّ اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين** عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام امّا للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انّه حجر طوري حمله معه وكان حجرًا مربّعًا له اربعة اوجه كانت تنبع من كلّ وجه ثلث اعين لكلّ سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستّمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلًا وقيل اهبطه من الجنّة آدم فتوارثوه حتّى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففرّ به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فانّ لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته وامّا للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرًا بعينه قال وهذا اظهر في الحجّة وابين في القدرة وروي انّهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرًا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشًا فاوحي اليه لا تقرع الحجارة وكلّمها تطعك لعلّهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعًا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من آس الجنّة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتّقدان في الظلمة نورًا وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلّقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الّا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كلّ اناس كلّ سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله ممّا رزقكم من الطعام وهو المنّ والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثيّ اشدّ الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانّهم كانوا متمادين فيه **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الارض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فانّ لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بانّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير الحقّ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** كانوا فلّاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى **فان قلت** هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد **قلت** ارادوا بالواحد

ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة رجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل ادنى الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرا زهير الفرقبي ادناه بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فيما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقراءة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤ بالغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم عليهم السلام فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرا علي عليه السلام ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء وذلك الكفر والقتل مع ما عصوا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ إن الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول كما هو وفي الثاني فلهم اجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عم جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عم فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقون ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ ما آتيتكم وتذكروا واذكروا وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل

الفيل لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم ولكل متق سمعها **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا والهزو نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه قرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاء نحو كفؤا وقرا حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون** في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة **شعر** لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا • تساق اليه ما تقوم على رجل • وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال **ع** نواعم بين ابكار وعون وقد عونت **فان قلت** بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك **قلت** لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر **فان قلت** كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر **قلت** جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لروبة في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مامورکم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها**

**تسر الناظرين** الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانی وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك ردانی **فان قلت** فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء **قلت** لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها **فان قلت** فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون **قلت** الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي عليه السلام من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى **شعر** تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون** ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت سوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشئ فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسالته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه علينا بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ

تسقى بضم التاء من سقى مسلمة سلمها الله من العيوب ومعفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله
شعر أو معبّر الظهر ينبى عن وليته ٭ ما حج ربه فى الدنيا ولا اعتمرا ٭ ومخلصة اللون من سلم
له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شىء من الالوان لا شية فيها لا لمعة فى نقبتها من لون آخر سوى
الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه
لونا آخر ومنه ثور موشى القوايم الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة ومابقى اشكال
فى امرها فذبحوها اى فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا
يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم
ماكادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل وروى انه كان فى بنى اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه
وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة
اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التى
تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا
المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ
قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع
الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص ٭
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ واذ قتلتم نفسا
خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين يدرء
بعضهم بعضا اى يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه
الطارح او لان الطارح فى نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج
ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو
فى معنى المضى قلت قد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارء كما حكى الحاضر فى قوله باسط ذراعيه
وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ
بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ والضمير فى اضربوه
اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص او الانسان واما الى القتيل لما دل عليه من
قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف فى البعض الذى ضرب به فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل
البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيى الله الموتى
روى انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان وفلان لابنى
عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيى الله الموتى اما ان
يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيى الله الموتى يوم القيمة
ويريكم اياته فان دلايله على انه قادر على كل شىء لعلكم تعقلون تعملون على



قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الا
ختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت
هلا احياه ابتداء ولم شرط فى احيايه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت فى الاسباب والشروط
حكم وفوايد وانما شرط ذلك لما فى ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب
والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما فى التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف
لهم ولآخرين فى ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور
من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر
بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته
من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق فى اختيار ما يتقرب به وان يختار
فتى السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه و
ان يغالى بثمنه كما يروى عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة فى الخطاب نسخ له
وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لاداية الى البداء و
ليعلم بما امر من مس الميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان
الموتين الحاصلين فى الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص
على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها
وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل
ما قص من بنى اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها
ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء و
ترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس
المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر
القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض فى تثنية التقريع
ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت
بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها حتى
يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف
مع تاخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ معنى ثم قست
استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون
وصف القلب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر

فيما وذلك اشارة الى احيا القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي
في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى
او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش
بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على وهي في انفسها اشد قسوة والمعنى من عرف حالها
شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها
شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة و
وجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل
اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل
عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم هو وقوله وان من الحجارة بيان
لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ
وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها
قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرا مالك بن دينار ينفجر يتشقق
يتشقق وبه قرا الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء
الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبطه
يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع
على ما يريد فيها وقلوبهم لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء و
التاء وهو وعيد **أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**
يعني اليهود قالوا قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به
واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد صـ وقال المنافقون لا عقابهم
يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون
المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله
هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد **أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون**
يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا
ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة

**خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون** واذا لقوا صح صح

فقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب
في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب
الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه
وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ
اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين
قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى
بالتقليد والظن وهو متمكن **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** يكتبون
الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا
كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون**
اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة
آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف يوما فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم
يكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة **بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون** بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى
تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من
الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة
وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال
سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية نهى الله عنها
واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة **والذين آمنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم و
انتم معرضون** لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا
تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو
يخبر عنه وتنصره قراءة ابي وعبد الله لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه
ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان تقدر وتحسنون بالوالدين او احسنوا
وقد قيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء مجرى القسم كانه قيل واذ
اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله **شعر**
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وتدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان
لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه

بل اخذنا ميثاق بني اسرائيل بتوحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اى توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون** لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق **ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اى تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اى بالفداء وتكفرون به اى بالقتال والاجلاء و ذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ تردون ويعملون بالياء والتاء **اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة **ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** الكتاب التورية آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارمياء وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لم تضمه الاصلاب وارحام الطوامث فقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر **فان قلت** هلا قيل وفريقا قتلتم **قلت** هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** غلف جمع اغلف اى هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزايغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم و للمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**

كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال
فان قلت كيف جاء نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه
وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما
اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا
بالنبي المبعوث في آخر الزمان نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب
واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم
واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان
يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب
على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا
به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم و
هو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل وعلى ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو
الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم
كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير بن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين بما انزل الله مطلق الكتاب فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيدا بالتورية
ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما
معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم
بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى
بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم
العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا و
اشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وكرر رفع
الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التأكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه
قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في
قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به



ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب
اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح
في صحة دعواهم له قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم
بالظالمين خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس
لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد
وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم
والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي عليه السلام يطوف
بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ع ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت
سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة
لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد
من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وآله تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر
بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من
المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا
قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من
اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب
وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول
الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب
ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت
لم يقولوا لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء
على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ومما لا محمل له الا الكذب البحت
ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا
صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع
احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف
سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون هو من وجد
بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم
قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة
بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص
من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان

حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه
وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها
لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم
التوبيخ **فان قلت** لم زاد حرصهم على حرص المشركين **قلت** لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون
الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل
ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له
مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم
وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر
من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد
والانحاء **فان قلت** يود احدهم ما موقعه **قلت** هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف **فان
قلت** كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم **قلت** هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر
الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن **قل من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين** روي
ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلعم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل
فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان
يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم
ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم
سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب
وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله
ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد وافقك ربك
يا عمر قال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل
وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل
بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه
عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن
صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته

على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله **فان قلت** كان حق الكلام
ان يقال على قلبي **قلت** جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك **فان قلت** كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط **قلت** فيه وجهان
احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا
للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك الكتاب مصدقا لكتابهم وموافقا
له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته
له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات اليه **من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن
قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني
العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان
الله تعالى انما عاداهم لكفرهم فان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة
وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب **ولقد انزلنا اليك آيات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون** الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وآله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية
فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب
**اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون** اوكلما
الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السمال
بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا وكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا
او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلعم
فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه
وقرا عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به **ولما
جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على
الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به**

**من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون** كتاب الله يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا و نبذه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفين ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقراها على ملك سليمان اي عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا الاكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغوايهم واضلالهم وما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مومنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يومن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود ان من اشتريه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ماله في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرا الزهري هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف **فان قلت** كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن **قلت** جعل الجار جزءا من المجرور **فان قلت** كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون **قلت** معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه **ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون** ولو انهم آمنوا برسول الله والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم **فان قلت** كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو **قلت** لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك **فان قلت** فهلا قيل لمثوبة الله خير **قلت** لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير **يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم** كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا يا رسول الله وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المومنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المومنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وآله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم **ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله**

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي ولذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل روى انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية تذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات بخير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير روى ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن



اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وآله واخبراه فقال اصبتما خيرا فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة من صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرا ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء

وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل بيت المقدس احد

من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرا الحسن فاينما تولوا بفتح الياء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون وقالوا قرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع

بمعنى المسمع وفيه نظر لان فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام و
تمثيل ولا قول ثم كما لا قول فى قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق والمعنى ان ما قضاه من الامور
واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما المامور المطيع الذى
يومر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان
بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام فى توالدها وقرئ بديع السموات
مجرورا على انه بدل من الضمير فى له وقرا المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون لولا
يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم
قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل
الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعلموا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا
منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما آتيهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت
قلوبهم اى قلوب هولاء ومن قبلهم فى العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون
يوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر
على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم و
تصميمهم على الكفر ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت جهدك فى
دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسال على النهى روى انه قال ليت
شعرى ما فعل ابواى فنهى عن السوال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم
ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا
تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تساله
ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره
فلا تسال وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسال وقراءة ابى وما تسال ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير كانهم قالوا لن نرضى
عنك وان ابلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله م عن دخولهم
فى الاسلام فحكى الله تعالى كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم
عن قولهم يعنى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح ان يسمى هدى
وهو الهدى كله وليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى
الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اى اقوالهم التى هى اهواء وبدع بعد الذى جاءك من العلم
اى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته اولئك يومنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون الذين آتيناهم الكتاب
هم مومنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله

اولئك يومنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث
اشتروا الضلالة بالهدى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك
للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره
باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما
يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرا ابو حنيفة وهى قراءة
ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل
يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل فى القراءة المشهورة يلى الفعل فى التقدير فتعلق الضمير به
اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى
ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا
واما الثانى فابرهيم فيه مقدم فى المعنى وكذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى
فلا سبيل الى صحته والمستكن فى فاتمهن فى احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام و
اداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذى وفى وفى الاخرى لله تعالى
بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم
ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت
ما العامل فى اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال انى جاعلك
فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات
فقيل قال انى جاعلك للناس اماما وعلى الثانى جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله
ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت والاسلام قبل ذلك فى قوله
اذ قال له ربه اسلم وقيل فى الكلمات هى خمس فى الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس فى البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط
وقيل ابتلاه بثلثين سهما من شرايع الاسلام عشر فى براءة التائبون العابدون وعشر فى الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات وعشر فى المومنون وسال سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون
وقيل هى مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه
بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يوتم به على زنة الاله
كالازار لما يوتزر به اى يأتمون بك فى دينهم ومن ذريتى عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض
ذريتى كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدى الظالمين وقرئ الظالمون اى من كان
ظالما من ذريتك لا يناله استخلافى وعهدى اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا
من الظلم وقالوا فى هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه و
شهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة يفتى سرا بوجوب

نصرة زيد بن علي عليهما السلام وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام و الخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم و محمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد و ارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى و عهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطايفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله و اليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبيس المصير** و البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة و مرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة يصلون فيه وهي على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه واله انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم او مر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه واله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعا ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي تسمى مقام ابرهيم وعن عمر انه سال مطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض والخبايث كلها او اخلصاه لهولاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين و يجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين بمعنى القايمين في الصلوة كما قال للطايفين والقايمين والركع السجود والمعنى للطايفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نايم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المومنين من اهله خاصة

ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك **فان قلت** لم خص ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه المومنين حتى رد عليه **قلت** قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الامامة استخلاف واسترعاء يختص بمن ينصح للرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك **فان قلت** فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة **قلت** في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسالته اختصاص المومنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر **واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم** يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطا يعني جعل هيئته القاعدة المستوطية مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان موسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملايكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنايه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود و قيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانه قايلين ربنا انك

انت السميع لدعائنا العليم بضمايرنا ونياتنا **فان قلت** هلا قيل قواعد البيت واى فرق بين العبارتين **قلت** فى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس فى اضافتها لما فى الايضاح بعد الابهام من تفخيم لسان المبين **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم** مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرى مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانه منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم **فان قلت** لم خصا ذريتهما بالدعاء **قلت** لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرى وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذل لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير او استتابا لذريتهما **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** وابعث فيهم فى الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وآله قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابى ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى يتلو عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وساير الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث **ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين** ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابرهيم ومن سفه فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله ... ولا بفزارة الشعر الرقابا ... اجب الظهر ليس له سنام ... وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنى مقيم اى فى ظنى والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطا راى من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله فى الدارين بان كان



صفوته وخيرته فى الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير فى الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة فى طريقته منه **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** اذ قال ظرف لاصطفيناه اى اخترناه فى ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر ببالك النظر فى الدلايل المودية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اى فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** قرى واوصى وهى فى مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير فى بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرى ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بنى على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه فى معنى القول ونحوه قول القايل ... رجلان من ضبة اخبرانا ... انا راينا رجلا عريانا ... بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفى قراءة ابى وابن مسعود ان يا بنى اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع فى حال صلوته **فان قلت** فاى نكتة فى ادخال حرف النهى على الصلوة وليس بمنهى عنها **قلت** النكتة فيه اظهار ان الصلوة التى لا خشوع فيها كلا صلاة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة لجار المسجد الا فى المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد وكذلك المعنى فى الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول فى الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا**

**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ام كنتم شهداء هى ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عم اذ حضره الموت اى حين احتضر والخطاب
للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحى وقيل الخطاب
لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبى الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه
وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم
فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف
كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعنى ان
اوائلكم من بنى اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام
وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه برآء وقرئ حضر بكسر الضاد وهى
لغة ما تعبدون اى شئ تعبدون وما عام فى كل شئ فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا
قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولى العلم وحدهم ويجوز ان
ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير
ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل وهو
عمه من جملة ابائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما فى سلك واحد وهو الاخوة
لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما
كما لا تفاوت بين صنوى النخلة وقال فى العباس هذا بقية ابائى وقال ردوا على ابى فانى
اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرا ابى واله ابرهيم بطرح
ابائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان
يكون جمعا بالواو والنون قال وقد يينا بالانبياء الها واحدا بدل من ابائك كقوله بالناصية
ناصية كاذبة او على الاختصاص اى نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه فى له ويجوز ان يكون جملة معطوفة
على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة ومعناها ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون بالتوحيد
او مذعنون **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** تلك اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابرهيم ويعقوب وبنوهما
الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان
اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما كسبتم وذلك انهم افتخروا
باوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يا بنى هاشم لا ياتينى الناس
باعمالهم وتاتونى بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا
ينفعكم حسناتهم **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اى اهل ملته
كقول عدى بن حاتم انى من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم

وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اى ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال
من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق
والحنف الميل فى القدمين وتحنف اذا مال وانشد شعر ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا
ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع
ابرهيم ع وهو على الشرك **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا
لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا
انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين عليهما السلام سبطى
رسول الله ص والاسباط حفدة يعقوب ذرارى ابنائه الاثنى عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن
ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه
**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين اخر يماثل دين الاسلام
فى كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على
سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد
اهتدوا وفيه ان دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه
باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الراى الصواب فان كان عندك
راى اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على ان ما رايت لا راى وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك
كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى امنتم
بها وقرا ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به وقرا ابى بالذى امنتم به وان تولوا عما تقولون
لهم ولم ينصفوا فما هم الا فى شقاق اى فى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق
فى شئ او وان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار
رسول الله صلى الله عليه واله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير و
معنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اى يسمع
ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله ص
بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك
الى مرادك **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** صبغة الله مصدر
مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من
جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل

فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر ويسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم
واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا
بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون
صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما
تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة
يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغة الله وقوله
نحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة
ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن
التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام

**قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**

قرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله و
اصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة
منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء
من عباده ثم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة اى نحن
موحدون ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اى نحن له موحدون
نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق
بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء
ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية
والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل
اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل انتم اعلم ام الله يعني ان
الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اى كتم شهادة الله عنده وانه شهد بها وهي شهادته لابرهيم
بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة
وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم
شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه
شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله **سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**

سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة
وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة
ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم **فان قلت** اى فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه **قلت**
فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من
توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش
السهم ما ولّيهم ما صرفهم عن قبلتهم وهو بيت المقدس لله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب
والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من
توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم**

وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم
الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه
الصلوة والسلام وانطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط
الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها
الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي شعر كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت
بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد
من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا
شهداء على الناس روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة
على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه واله فيشهدون فيقول الامم من
اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
صلى الله عليه واله فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا **فان قلت** هلا قيل لكم شهيدا وشهادته
لهم لا عليهم **قلت** لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه
قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل
لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم
شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم **فان قلت** لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا **قلت**
لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي
كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت
عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه واله كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة
الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب

ان يستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم
الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان
اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع
الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس
الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه
علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و
نعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله ص والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل
الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع
العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفا
والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة
ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين
في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على
الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله
ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس
قبل التحويل فصلوته قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم
ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي
منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء
للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك
علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع
ووجهها ان يكون كان مزيدة كما في قوله ع وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك
ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد **قد نرى تقلب وجهك في
السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون** قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله ع قد اترك
القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم ع وادعى للعرب الى
الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبرئيل والوحي
بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته
واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك

من الولي وهو القرب

الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال ع واطعن بالقوم شطر الملوك
وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة فصلى نحو بيت
المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال
بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي
المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في
جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي ان التحويل الى الكعبة هو الحق
لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وآله انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء
والتاء **ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك
من العلم انك اذا لمن الظالمين** ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل
آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك
ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من
نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت
على قبلتنا لكنا نرجو ان نكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع
قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك
مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل
بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه
فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة
شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله
المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير
بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن
المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال
من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت
كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت
كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة
**الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** يعرفونه يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وآله معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين
المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر انه سال عبد الله

ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست
اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار و
ان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم
واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن وتحويل القبلة
وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام **فان قلت** لم
اختص الابناء **قلت** لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا
منهم استثناء لمن آمن منهم او لجاهلهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من
ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك و
فيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق
الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على
معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي عليه انت اهل الكتاب
فهو الباطل **فان قلت** اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك **قلت** يجوز ان يكون
خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي عليه السلام الحق من ربك على الابدال عليه
من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم
الحق مع علمهم او في انه من ربك **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير** ولكل من اهل
الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف
احد المفعولين وقيل هو الله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة
والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد
ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة وقد وليها والمعنى لكل
امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها
غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة
محمد وجهة اي جهة تصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية
فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه
ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة
الكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل
صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام **ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت



للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء
والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل
الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البدا فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه
نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوايدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا
يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى
دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء **فان قلت** اي حجة كانت تكون للمنصفين
منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين **قلت** كانوا يقولون ماله لا يحول
الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة **فان قلت** كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين
**قلت** لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في
ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي عليهما
السلام الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم
فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته
مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم امرتكم
بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل
هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام
النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا
ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين
آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين** كما ارسلنا اما ان يتعلق بما
قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او
بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بل احياء ولكن لا تشعرون** اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن
لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا
فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز
ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة
وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر **ولنبلونكم بشيء من الخوف و
الجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا
اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات**

من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة
تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون
لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين
المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وآله
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه و
روى ان طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة
هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء
اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته في كل حال لا تزايلهم
وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء
من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي
الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه
فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها و
بين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة و
اولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة
من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا
فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة
وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت
وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف
فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه
ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا
وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله
وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون
الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف
في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك
كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له ويروى
ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا
يطوف فمن تطوع خيرا بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند
الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا





فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله و
من يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا
وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين يكتمون من احبار اليهود
ما انزلنا في التورية من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وآله والهدى
والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية
لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا
على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة و
المؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله
في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا اسمة الكفر عنهم ويعرفوا
بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان الذين كفروا
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن
والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت
من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة
فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس الكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه
وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا
انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان
يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم
اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان
للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لآيات لقوم يعقلون ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اعتقابهما لان
كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما
يحمل فيها او ينفع او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه
عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا
جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه

على احياء على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة بر لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وآله ويل لمن قرا هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرى والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد **ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب** اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤسا الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدايد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبينه فيقولون هولاء شفعاونا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الاها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شي من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرى ولو ترى على خطاب الرسول او كل اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرى اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة **اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبراوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي تبروا في حال رويتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة

في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص **يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرى خطوات الشيطان بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطي على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظايم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه **فان قلت** كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان **قلت** شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهايم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهايم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهايم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هولاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون

أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع إلا أن قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئاً والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل شعر فانعق بضأنك يا جرير فإنما . منتك نفسك في الخلاء ضلالا وأما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي وهو رفع على الذم يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالاً واشكروا لله الذي رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى إني والجن والإنس في نبإ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم أهل به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فإن قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وآله أحلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دماً لم يسبق الوهم إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث وإن أكل لحماً في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحماً طرياً وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث وإن سماه الله دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعاً له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار لأنه إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال أكلت دماً إن لم أرعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة إكافاً أراد ثمن الإكاف فسماه إكافاً لتلبسه به بكونه ثمناً له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض بما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من

هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله ذلك بأن الله نزل أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون البر اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما بينته وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقرأ عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى ذي البر أو كما قالت شعر فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه الصلوة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له

كالمسكين للدايم السكون وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل ترعف به والسايلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله للسايل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى تفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتا المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدايد ومواطن القتال على ساير الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس وان تلك والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دما في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا ليقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطايفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه وليّ الدم ومطالبه به كما يقول الرجل للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفى يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى

عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله اعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخرج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جراءة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه الصلوة والسلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وايل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالايمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين

بالمعروف حقا على المتقين فمن بدّله بعد ما سمعه فانّما اثمه على الذين يبدّلونه انّ الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه انّ الله غفور رحيم

اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا وعن عايشة انّ رجلا اراد الوصيّة وله عيال واربعماية دينار وقال ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصى فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انّما قال الله ان ترك خيرا وانّ هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك وعن على عليه السّلام انّ مولى له اراد ان يوصى وله سبعماية فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصيّة فاعل كتب وذكّر فعلها للفاصل ولانّها بمعنى أن يوصى ولذلك ذكّر الرّاجع فى قوله فمن بدّله بعد ما سمعه والوصيّة للوارث كانت فى بدو الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه الصّلوة والسّلام انّ الله اعطى كلّ ذى حقّ حقّه الا لا وصيّة لوارث وتلقّى الامّة اياه بالقبول حتّى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانّهم لا يتلقّون بالقبول الّا الثبت الّذى صحّت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصيّة والميراث بحكم الايتين وقيل ما هو بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله يوصيكم الله فى اولادكم او كتب على المحتضر أن يوصى للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليه وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكّد اى حقّ ذلك حقا فمن بدّله ممن غيّر الانصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحقّقه فانّما اثمه على الذين يبدّلونه فما اثم الايصاء المغيّر او التبديل الّا على مبدّليه دون غيرهم من الموصى والموصى له لانّهما بريّان من الحيف انّ الله سميع عليم وعيد للمبدّل فمن خاف من توقّع وعلم وهذا فى كلامهم شايع يقولون اخاف ان يرسل السّماء يريدون التوقّع والظنّ الغالب الجارى مجرى العلم جنفا ميلا عن الحقّ بالخطاء فى الوصيّة او اثما وتعمّدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرايهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينيذ لانّ تبديله تبديل باطل الى حقّ ذكر من يبدّل بالباطل ثمّ من يبدّل بالحقّ ليعلم انّ كلّ تبديل لا يؤثم يا ايّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتّقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدّة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء السّالفة والامم من لدن آدم الى عهدكم قال على عليه السّلام اوّلهم آدم يعنى انّ الصّوم عبادة قديمة اصليّة ما اخلى الله امّة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلّكم تتّقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلّكم تتّقون المعاصى لانّ الصّايم اظلف لنفسه واردع لها من موافقة السّوء



وقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله فعليه بالصّوم فانّ له وجاء او لعلّكم ينتظمون فى زمرة المتّقين لانّ الصّوم شعارهم وقيل معناه انّه كصومهم فى عدد الايّام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه فى البرد الشّديد والحرّ الشّديد فشقّ عليهم فى اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتا والرّبيع وزادوا عشرين يوما كفّارة لتحويله عن وقته وقيل الايّام المعدودات عاشورا وثلثة ايّام من كلّ شهر كتب على رسول الله صلّى الله عليه وآله صيامها حين هاجر ثمّ نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب على الذين عليهم ان يتّقوا المفطر بعد ان يصلّوا العشا او بعد ان ناموا ثمّ نسخ ذلك بقوله احلّ لكم ليلة الصّيام الآية ومعنى معدودات موقّتات بعدد معلوم او قلايل كقوله دراهم معدودة واصله انّ المال القليل يعدّ بالعدد ويحكر فيه والكثير يهال هيلا ولحثى حثيا وانتصاب ايّاما بالصّيام لقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدّة فعليه عدّة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدّة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدّة من ايّام آخر واختلف فى المرض المبيح للافطار فمن قايل كلّ مرض لانّ الله تعالى لم يخصّ مرضا دون مرض كما لم يخصّ سفرا دون سفر فكما انّ لكلّ مسافر ان يفطر فكذلك كلّ مريض وعن ابن سيرين انّه دخل عليه فى رمضان وهو ياكل فاعتلّ بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرّجل يصيبه الرّمد الشّديد او الصّداع المضرّ وليس به مرض تضجعه فقال انّه فى سعة من الافطار وقايل هو المرض الذى يعسر معه الصّوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشّافعى لا يفطر حتّى يجهده الجهد غير المحتمل واختلفوا ايضا فى القضاء فعامّة العلماء على التخيير وعن ابى عبيدة بن الجرّاح انّ الله لم يرخّص لكم فى فطره وهو يريد ان يشقّ عليكم فى قضايه ان شئت فواتر وان شئت ففرّق وعن على عليه السّلام وابن عمر والشّعبى وغيرهم انّه يقضى كما فات متتابعا وفى قراءة ابىّ فعدّة من ايّام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدّة على التّنكير ولم يقل فعدّتها اى فعدّة الايّام المعدودات قلت لمّا قيل فعدّة والعدّة بمعنى المعدود فامر بان يصوم ايّاما معدودة مكانها علم انّه لا يؤتى على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصّيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من برّ وصاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مدّ وكان ذلك فى بدو الاسلام فرض عليهم الصّوم ولم يتعوّدوه فاشتدّ عليهم فرخّص لهم فى الافطار والفدية وقرا ابن عبّاس يطوّقونه تفعيل بمعنى من الطوق امّا بمعنى الطّاقة او القلادة اى يكلّفونه او يقلّدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوّقونه بمعنى يتكلّفونه او يتقلّدونه ويطّوّقونه بادغام التاء فى الطّاء ويطيّقونه ويطّيّقونه بمعنى يتطيّقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انّهما من فيعل وتفيعل من الطّوق فادغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثّانى يكلّفونه او يتكلّفونه على جهد منهم وعسر وهم الشّيوخ والعجايز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه

ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم
فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم ويجوز ان ينتظم
فى الخطاب المريض والمسافر ايضا وفى قراءة ابى والصيام خير لكم **شهر رمضان الذى انزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون** الرمضان مصدر رمض اذا
احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما
قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت **فان قلت** لم سمى
شهر رمضان **قلت** الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع و
مقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اى يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر رمض
الحر **فان قلت** فان كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء
فى الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وآله من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك
رمضان فلم يغفر له **قلت** هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسى
حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذى انزل فيه القرآن او على انه
بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على
صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل
فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا
ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل فى شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما يقول انزل
فى عمر كذا وفى على كذا وعن النبى صلى الله عليه وآله نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس
وبينات نصب على الحال اى انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات
مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى قوله وبينات من جملة
ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة
بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اى حاضرا مقيما غير مسافر
فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا
به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم
ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وامركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر فيها ومن جملة ذلك
ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض
والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل

محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم
من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا
نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما
عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين
على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد **فان قلت**
هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا
العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا **قلت**
لا يبعد ذلك والاول اوجه **فان قلت** ما المراد بالتكبير **قلت** تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير
يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال **واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** فانى قريب تمثيل
لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعى
اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وآله هو بينكم و
بين اعناق رواحلكم وروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى
لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها **احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم و
كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا
الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا
تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** كان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه
الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما
اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله انى اعتذر اليك
من نفسى هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال
فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اى
احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث
الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك
لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق
فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شئ من ذلك **فان قلت** لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث

الدال على معنى الفتح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لمستم النساء
دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد
منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء
لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه
قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس
لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون
انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه
زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم
الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء
ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحراير وقيل وابتغوا المحل الذي
كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله
لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة
القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض
اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش
الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا
وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان
للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة
ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا
زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على
الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان تدل
عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان
تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى
قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا
لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه واله فاخبرته
فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد
الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه واله قفاه لانه مما
يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات بعيد عريض القفا
ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد
الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط
الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انما

يعني

يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد
اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي
غير مرادة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي
وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد
منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه
دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم
الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد
بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالان باشروهن وقيل
معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان
الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان
الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد
نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على في مسجد جماعة وقرا مجاهد في
المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها
مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد
الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن
الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه واله ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن
رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه والرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله
محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم
تعلمون ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا
تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفة من اموال الناس بالاثم بشهادة
الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه واله انه
قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد
منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم
داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل و
ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ يسالونك عن الاهلة قل هي
مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى
واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم

الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه واله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا خاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النسا والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما

فقاتلوا

تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكما ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القايل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا على الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة وقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه واله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة

فيهما

التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدلّ هذا من قول ابى عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ماحكاه سيبويه من قولهم التضرّة والتسرّة ونحوها فى الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوها على انها مصدر من هلّك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار فى الجوار **وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب** واتموا الحج والعمرة لله اى ايتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقلوا واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذى لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على عليه السلام وبن عباس وبن مسعود رضى الله عنهما وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والاغراض الدنيوية **فان قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة **قلت** ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل فى ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يومر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفى الوجوب وهو ما روى انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع **فان قلت** فقد روى عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر ان رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج **قلت** كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان فى الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل فى ذلك على كونها قرينة له فى الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذى ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فى انك تامر بفرض وتطوع وقرا على عليه السلام وبن مسعود والشعبى رضى الله عنهما والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضى او سجن ومنه قيل للحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شىء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيبانى وعليه قول ابى حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر فى اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وآله

من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما يقال فى جدية السرج جدى وقرى من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة **فان قلت** اين ومتى ينحر هدى المحصر **قلت** ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة وعندهما فى ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابى حنيفة **فان قلت** فان النبى صلى الله عليه وآله نحر هديه حيث احصر **قلت** كان محصره طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل والجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فى نزلت هذه الاية وروى انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعنى فاذا لم تحصروا وكنتم فى حال امن وسعة فمن تمتع اى استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة ويأكل منه وعند الشافعى يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج اى فى وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابى حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزيه الا الدم وعند الشافعى لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله فى الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابى حنيفة وعند الشافعى هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابى عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما **فان قلت** ما فايدة الفذلكة **قلت** الواو قد تجىء للاباحة فى نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا فايدة الفذلكة فى كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفى امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها

وان لا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى وفى قراءة ابى فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابى حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعى الى الحكم الذى هو وجوب الهدى والصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابى حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا يقصر فيها الصلوة واتقوا الله فى المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم فى التقوى الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب اى وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عند ابى حنيفة وعند الشافعى تسع ذى الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعى فى غيرها وعند ابى حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه فى ساعة منها فان قلت ما مذهب مالك وهو مروى عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن ابن عمر انه قال للرجل ان اطعتنى انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدى وسوقه عند ابى حنيفة وعند الشافعى بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير فى الصلوة والتطريب فى قراءة القران والمراد بالنفى وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهى كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قال ولا شك ولا خلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فيقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسئ فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف فى الحج واستدل على ان المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير

يعلمه الله حث على الخير عقيب النهى عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابى يا اولى الالباب يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها فى ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح فى ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى فى هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة فى الحج فقال فهل كانت معايشنا الا من التجارة فى الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم فى مواسم الحج ان تبتغوا فى ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك فى دفعوا من موضع كذا وصبوا وفى حديث ابى بكر صب فى دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا فى الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمى بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التى فى لفظها واما بتاء مقدرة كما فى سعاد فالتى فى لفظها ليست للتانيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث فى بنت لان التاء التى هى بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به فى المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهى من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف فى اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبى صلى الله عليه وآله الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتكبير والتهليل والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلى المزدلفة من مازمى عرفة الى

وادى محسّر وليس لما رمان ولا وادى محسّر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وآله لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبّر وهلّل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسّر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اى دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اى يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم ليكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا يكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظّمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وساير الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اى من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اى الناسى وهو آدم عليه السلام من قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد ذكرا او في موضع نصب عطف على اباءكم او اشد ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اى اعطانا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اى من طلب خلاق وهو النصيب وما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي عليه السلام الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب

مما كسبوا اى نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى انه يحاسب الخلائق على قدر حلب شاة وروى في مقدار فواق ناقة وروى في مقدار لمحة وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن تعجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت اليس التاخر افضل قلت ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القران بنفي المآثم عنهما جميعا لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه في شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ من يعجبك قوله اى يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وآله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا

قلت بالقول اى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لان ادعاء المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقى والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذا فى الدنيا لا فى الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اى قوله حلو فصيح فى الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك فى الاخرة لما يرهقه فى الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله وفى مصحف ابى ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى فى الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهى لغة نحو ابى يابى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اى حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ

ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد

يشرى نفسه يبيعها اى يبذلها فى الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت فى صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رءوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء

يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم

السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج منكم احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المومنين امروا بان يدخلوا فى الطاعات كلها وان لا يدخلوا فى طاعة دون طاعة او فى شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشئ منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه واله ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية فى صلاته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا عن ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول فى السلم من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروى ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابى فانكره ولم يقرا القران



وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت

هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور

اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتى امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتى به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فاعلموا ان الله عزيز فى ظلل جمع ظلة وهى ما اظلك وقرئ ظلال وهى جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضى الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما

سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب

سل امر للرسول او لكل واحد وهذا السؤال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدى انبيائهم وهى معجزاتهم او من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهى اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه واله فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف

زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب

المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا وتدل عليه قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المومنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اى لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم فى عليين من السماء وهم فى سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم فى كرامة وهم فى هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعنى انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون

وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم **فان قلت** لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا **قلت** ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك **كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه **فان قلت** متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق **قلت** عن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدرهم في الثبات والاصطبار وضبط النفس فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير

يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية **يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** **فان قلت** كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف **قلت** قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان يقع موقعها قال ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم واراد ان ينفق فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون** وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** بعث رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا لا نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطا انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما حل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و

عن سبيل الله مبتدأ و اكبر خبره وكباير قريش من صدّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم
بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمومنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال
فى الشهر الحرام على سبيل الخطاء والبناء على الظنّ والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام
عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء فى به فان قلت كيف صحّ العطف قبل الفراغ من
المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت وكفر فى معنى الصدّ عن سبيل الله فاتحادهما هو الذى سوّغ
ذلك كانه لا فصل وكانه قال وصدّ عن سبيل الله والمسجد الحرام هذا وجه والوجه الاحران موضع
قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية عليه كما فى قوله لم يكن له كفوا
احد كان من حق الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له لفرط العناية كذا
ههنا ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اى
يقاتلونكم كى يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت
بى فلا تبق علىّ وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم
على ردّه اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة لما يفوتهم باحداث
الردة مما للمسلمين فى الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة و
بها احتج الشافعى على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابى حنيفة انها تحبطها
وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون
رحمة الله والله غفور رحيم ان الذين امنوا والذين هاجروا روى ان عبد الله بن جحش و
اصحابه حين قتلوا الحضرمى ظنّ قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون
رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من
رجا طلب ومن خاف هرب يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم
الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة نزلت فى الخمر اربع ايات نزلت بمكة
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال
ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن عوف ناسا
منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابى وقاص فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه
موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن على صلوات الله عليه واله
لو وقعت قطرة فى بئر فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلا

ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعى فيه لم تتبعنى وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق
تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب
والتمر الذى لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل
شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابى حنيفة وعن بعض اصحابه لان
اقول مرارا هو حلال احب الىّ من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الىّ
من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر العلماء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت
خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره
خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته
واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كدّ ولا تعب او من اليسار لانه سلب
يساره وعن ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونى
اى يفعلون بى ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح
وهى الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح
والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين
الا لثلثة وهى المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لى فى الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن
وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة و
للمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها
ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب
الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله و
كانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمّون من لم يدخل
فيه ويسمونه البرم وفى حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبى صلى الله
عليه واله اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن على عليه السلام ان
النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عما فى
تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان
ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على
الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفى قراءة ابى واثمهما اقرب من نفعهما ومعنى الكثرة ان اصحاب
الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ
انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذى العفو منى تستديمى مودتى ويقال للارض السهلة
العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبى صلى الله عليه واله ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها
فى بعض المغازى فقال خذها منى صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه واله فاتاه من الجانب
الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجئ احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس

انما الصدقة عن ظهر غنى فى الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بيّنت لكم ان العفو اصلح من الجهد فى النفقة او تتفكرون فى الدارين فتوثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا فى عقاب الاثم فى الآخرة والنفع فى الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبيّن على معنى يبيّن لكم الآيات فى امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم فى الحرج فقيل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ولامة مومنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اى ولا تتزوجوهن او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الكتابيات والحربيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهى منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شئ قط وهو قول ابن عباس والاوزاعى وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة فى الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مومنة ولامراة مومنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مومن لان الناس كلهم عبيد الله وامائه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المومنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المومنين الا المناصبة والقتال والله يدعو الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يوثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى تستحق به الجنة والمغفرة وقرئ والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة

بتيسيره ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين المحيض مصدر حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اى الحيض شئ يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعنى فاجتنبوا مجامعتهن روى ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة وان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شئ فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف فى الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهى حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه واله ما يحل لى من امراتى وهى حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابى حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انما قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطّهّرن بالتشديد اى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها فى اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفى اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضى عليها وقت كل صلوة وذهب الشافعى الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله من الماتى الذى امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف التى منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اى فاتوهن كما تاتون اراضيكم التى تريدون ان تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اى شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المومنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا

مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهى حايضة مجبية من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه واله فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهى واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المومنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبايح وفعل الحسنات **فان قلت** ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعنى ان المأتى الذى امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا ياتوهن الا من المأتى الذى يتعلق به هذا الغرض **فان قلت** ما بال يسئلونك جاء بغير واو ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا **قلت** كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع فى احوال متفرقة فلم يوت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسئلوا عن الحوادث الاخر فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن انفاق والسؤال عن كذا وكذا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهى اسم ما تعرضه دون الشىء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلونى عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث فى يمينى فيترك البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه واله لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك اى على شىء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس **فان قلت** بم تعلقت اللام فى لايمانكم **قلت** بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضنى كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اى ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه فى وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط الذى لا يعتد به

من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الايمان وهو الذى لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابى حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشىء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعى هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اى اقترفته من اثم القصد الى الكذب فى اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقول وهى اليمين الغموس والثانى لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اى بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو فى ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم **فان قلت** كيف عدى بمن وهو معدى بعلى **قلت** قد ضمن فى هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعى وحكم ذلك انه اذا فاء اليها فى المدة بالوطى ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفىء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابى حنيفة وعند الشافعى لا يصح الايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفىء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا فى الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل ولبعض الاسباب لاجل الفيئة التى هى مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضى المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعى معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضى المدة **فان قلت** كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص **قلت** موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **فان قلت** ما تقول فى قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة

ولا بدّ له من ان يحدّث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان **والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ ثلثة قروء ولا يحلّ لهنّ ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهنّ ان كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر وبعولتهنّ احقّ بردّهنّ في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم** والمطلّقات اراد المدخول بهنّ من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت ارادتهنّ خاصّة واللفظ يقتضي العموم **قلت** بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكلّه وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت** فما معنى الاخبار عنهنّ بالتربّص **قلت** هو خبر في معنى الامر واصل الكلام ولتتربّص المطلّقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانّه ممّا يجب ان يتلقّى بالمسارعة الى امتثاله فكانهنّ امتثلن الامر بالتربّص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانّما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ ممّا زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل وتتربّص المطلّقات لم يكن بتلك الوكادة **فان قلت** هلّا قيل يتربّصن ثلثة قروء كما قيل تربّص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس **قلت** في ذكر الانفس تهييج لهنّ على التربّص وزيادة بعث لانّ فيه ما يستنكفن منه فيحملهنّ على ان يتربّصن وذلك انّ انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهنّ ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربّص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايّام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدّتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدّتهنّ ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولانّ الغرض الاصيل في العدّة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتّى تحيض للاستبراء **فان قلت** فما تقول في قوله تعالى فطلّقوهنّ لعدّتهنّ والطلاق الشرعي انّما هو في الطهر **قلت** معناه مستقبلات لعدّتهنّ كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدّتهنّ الحيض الثلث **فان قلت** فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا **قلت** اراد لما ضاع فيها من عدّة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد بهنّ اي مدّة طويلة كالمدّة التي تعتدّ فيها النساء استطال مدّة غيبته عن اهله كلّ عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانّه مرّ على نسائه مدّة كمدّة العدّة ضائعة لا يضاجعهنّ فيها او اراد من اوقات نسائك فانّ القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا **فان قلت** فعلام انتصب ثلثة قروء **قلت** على انّه مفعول به كقولك المحتكر يتربّص الغلاء اي يتربّصن مضيّ ثلثة قروء او على انّه ظرف اي يتربّصن مدّة ثلثة قروء **فان قلت** لم جاء المميّز على جمع الكثرة دون القلّة التي هي الاقراء **قلت** يتّسعون في ذلك فيستعملون كلّ واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعيّة الا ترى الى قوله بانفسهنّ وما هي الا نفوس كثيرة ولعلّ القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرأ الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهنّ من الولد او من دم



الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلّا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلّا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهنّ من الاجنّة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهنّ كناية عن اسقاطه ان كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهنّ وانّ من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهنّ احقّ بردّهنّ برجعتهنّ وفي قراءة ابيّ بردّتهنّ في ذلك في مدّة ذلك التربّص **فان قلت** كيف جعلوا احقّ بالرجعة كانّ للنساء حقّا فيها **قلت** المعنى انّ الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احقّ منها لا انّ لها حقّا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهنّ واحسانا اليهنّ ولم يريدوا مضارّتهنّ ولهنّ مثل الذي عليهنّ ويجب لهنّ من الحقّ على الرجال مثل الذي عليهنّ بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلّفنهم ما ليس لهنّ ولا يكلّفونهنّ ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحقّ وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذّة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها **الطلاق مرّتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحلّ لكم ان تاخذوا ممّا آتيتموهنّ شيئا الّا ان يخافا الّا يقيما حدود الله فان خفتم الّا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون** الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرّتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثمّ ارجع البصر كرّتين اي كرّة بعد كرّة لا كرّتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبّيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علّمهم كيف يطلّقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهنّ وبين ان يسرّحوهنّ السراح الجميل الذي علّمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرّتان لانّه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتّى تبين بالعدّة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدّة عليها وضرارها وقيل بان يطلّقها الثالثة في الطهر الثالث وروي انّ سائلا سال رسول الله صلّى الله عليه وآله اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة والسنّة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال له انّما السنّة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلّقها لكلّ طهر تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلّقها ثلثا بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم ينكر عليه روي انّ جميلة اخت

عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله
صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب
عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء
فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها
حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام **فان قلت** لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم
ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام
فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بموتيهن **قلت** يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج و
اخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام
لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والموتون مما آتيتموهن
مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة
حدود الله فيما يلزمهما من موجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح
عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به نفسها واختلعت به
من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروى ان
امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف
وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها
قال قتادة يعني بما لها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ
الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك
خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله
الا ان تخافوا وفي قراءة ابى الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف
ان يكون كذا وافرق كذا ان يكون يريدون ان اظن **فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى
تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار
في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل من بعد ذلك
التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل
كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو
سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عايشة ان امراة
رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتريدين
ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروى انها لبثت ما شاء الله
ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت
حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهد [اليك]

رسول الله صلى الله عليه وآله حين لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان
اتيتيني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها **فان قلت** فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت**
ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة
مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وآله
انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا بمحلل له الا رجمتهما وعن عثمان لا نكاح الا نكاح رغبة غير مدالسة
فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في
ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله
ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان تقوم زيد و
لكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا **واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن
يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم**
فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان
اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء
الغاية وقال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه
وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له
لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها
من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير
ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا
عن حاجة ولكن لتطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى
الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها
والتفهم والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر
انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق و
يتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وآله ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق
والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل
عليكم **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا
بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم
واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون** فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من
شاءوا من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب

به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روى انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة

وان قصائدي لك فاصطنعني ... عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابى حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا **فان قلت** لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت** يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكل واحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر ازكى لكم وأطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى وأطهر افضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه

والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير

يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرا ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل **فان قلت** كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اى هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اى يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابى حنيفة ما دامت زوجة له او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق **فان قلت** فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن **قلت** اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم **فان قلت** لم قيل المولود له دون



الوالد **قلت** ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد

فانما امهات الناس اوعية ... مستودعات وللاباء ابناء

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضاران وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرا الحسن بالكسر على النهي وهو يحتمل البنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نوى ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اى لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابى ليلى كل من ورثه وعند ابى حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غير الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها

احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا يذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير** والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي عليه السلام والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي عليه السلام على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن بالمعروف من التعرض للخطاب بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم** فيما عرضتم به وهو ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال

او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعي وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت** اي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم **فان قلت** اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء **قلت** بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان تقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث والافحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين** لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة

دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا تنقص من نصفها والموسع الذى له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره
مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به وقرئ بفتح الدال والقدْر والقدَر لغتان و
عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل
ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندى شئ قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها
وتستحب لساير المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يحسن فى الشرع
والمروة حقا صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو
الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون
بصير الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون
قلت الواو فى الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضمير هن والفعل
مبنى لا اثر فى لفظه للعامل وهو فى محل النصب ويعفو عطف على محله والذى بيده عقدة النكاح الولى يعنى
الا ان يعفو مارأنى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف اخذ منه شيئا او يعفو الولى الذى يلى عقد نكاحهن
وهو مذهب الشافعى وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابى حنيفة والاول ظاهر
الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج
فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها وسماه عفوا على طريق المشاكلة
وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل
على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم
تزوجتها قال عرضها على فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اى ولا تنسوا
ان يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذى بسكون الواو واسكان الواو والياء فى
موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم
فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والصلوة الوسطى اى الوسطى بين الصلوات او الفضلى من
قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهى صلوة العصر وعن النبى
صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها
الصلوة التى شغل سليمان بن داود عنها حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف
اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤها فاملت عليه
والصلوة الوسطى صلوة العصر وروى عن عايشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه
القراءة يكون التخصيص لصلوتين احدهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف
الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلهما لما فى وقتيهما من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن عمر
هى صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة



اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هى الفجر لانها بين صلوتى النهار وصلوتى الليل وعن قبيصة بن ذؤيب
هى صلوة المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت
عايشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى وقوموا لله فى الصلوة قانتين
ذاكرين الله فى قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلوة فنهوا وعن مجاهد
هو الركود وكف الايدى والبصر وروى انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او
يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف عدو او غيره
فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء
ورجّالا بالتشديد ورجلا وعند ابى حنيفة لا يصلون فى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند
الشافعى يصلون فى كل حال والراكب يومى ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا
الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما
احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال الامن والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين
يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ
بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون
وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابى متاع لازواجهم متاعا وروى
عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابى متاعا
نصب بمتاع لانه فى معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبنى ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير
اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اى غير مخرجات
والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا
كاملا اى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذى هو الربع
او الثمن واختلف فى السكنى فعند ابى حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن فى انفسهن من التزين والتعرض
للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون
الآية متقدمة فى التلاوة وهى متاخرة فى التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك
فى السماء وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون
وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهى المطلقة غير المدخول
بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابى العالية والزهرى انها
واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر
الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله

لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار
الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى
التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم
ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم
وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه نادهم ان قوموا باذن الله
فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم
ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف
فيه دليل على ان الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون ومن
بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود **فان قلت** ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا
**قلت** معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد
بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير
اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو
فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص
خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم القيمة
والدليل على ذلك انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط
واليه ترجعون اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة
في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي
كثرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم اذ قالوا لنبي لهم
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا
من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله من التامير على الجيوش التي كان
يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا
احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال
اي ابعثه لنا مقدرين القتال واستيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط

فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول
عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون
واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على
الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل واي داع لنا
الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا
قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من
يشاء والله واسع عليم طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه
وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت
منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق
عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رخمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان
احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فان قلت**
ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة
على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه
انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد
به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن
طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله
حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله
اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على
حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان
المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل
قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع
به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة
السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء
اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل و
العطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت
صندوق التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل
ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها

راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية
هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله
وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون
به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم
ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة الى
طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد بن ثابت
التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا
يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت
من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه
يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من
التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا ابو السمال سكينه
بفتح السين والتشديد وقرئ يحمله الملائكة فان قلت من ال موسى وال هرون قلت الانبياء من بني يعقوب
بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد لاوي الهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى و
هرون والال مقحم لتفخيم شانهما فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب
منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا
منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى
صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا
كوقف وصد وغيرهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ
منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله
مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس
بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كان بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي
واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت
لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء
ما ابتلى به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك
طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثنى
قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها
قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة

في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ
غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى
والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كانه
قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والذين امنوا معه
يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا
انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل
الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم
تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة
كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله
وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك ايات الله نتلوها عليك
بالحق وانك لمن المرسلين وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها
ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب
العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وداود سابعهم
وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته
ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب واتاه الله الملك
في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة
وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله
يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وساير ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت
الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل
الارض تلك ايات الله يعني القصص التي قصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت
واظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة
كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة

او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وآله فضّلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم
في الحسنات منهم من كلّم الله منهم من فضّله الله بان كلّمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ
كلّم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدلّ عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات
اي ومنهم من رفعه على ساير الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
انه اراد محمدا صلى الله عليه وآله لانه هو المفضّل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات
المتكاثرة المرتقية الى الف آية او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما اوتي الانبياء
لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما
لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا
فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه
بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه
ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل
صلوات الله عليهم وسلامه وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته
وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وآله افضل
بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم
فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم **فان قلت**
لم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر **قلت** لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد
بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد
اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين على ان من زيد تفضيلا بالآيات
منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وآله هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها
وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو
شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم
وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه
عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة **يا ايها الذين
آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون
هم الظالمون** انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا
تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى
يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط
الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة
هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل
ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة **الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات**

وما



**وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده
حفظهما وهو العلي العظيم** الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين
الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي، وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم، اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك
استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام
ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيديك قارورتين مملوءتين فاخذهما
والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك
السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان
لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
من علمه من معلوماته الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله
وسع كرسيه السموات اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته
وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه ولا قعود ولا قاعد كقوله وما
قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم
والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي
العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا
يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم
الملك والقدرة **فان قلت** كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف **قلت** ما منها جملة
الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير
ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق
وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها او لجلاله وعظم قدره **فان قلت** لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد
قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها
ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم
منها وعن علي عليه السلام سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر
كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها
اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل

ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي سيد البشر آدم و
سيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال
الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت
لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور
اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها
منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة
لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر
الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى
الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر
بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل
الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس
حتى يتصوره السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا
تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب
خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا
قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الله ولي الذين آمنوا اي
ارادوا ان يؤمنوا تلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على
الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم
له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي
تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق
فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ألم تر تعجيب من محاجة نمرود
في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء
الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من
الشكر على ان آتاه الملك فكأن المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه
عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني
حاج وقت ان آتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب

به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال
نصب بحاج او بدل من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض
عتيدا ولكن ابراهيم صلى الله عليه وآله لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه
على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ
فبهت الذي كفر اي فغلبه ابراهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين
كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه
فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله
بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك
آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله
على كل شيء قدير او كالذي معناه او أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة
تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل أرأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار
كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي
وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي اعتراف
بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر
وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على
الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد
التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه
من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ
المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت
عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت
وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان
يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا
ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال
هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو
ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده
شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار
او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله
الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين

مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قوله ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرا عبد الله قيل اعلم **فان قلت** فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله **قلت** كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا **واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم** ارني بصرني **فان قلت** كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا **قلت** ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك **فان قلت** بم تعلقت اللام في ليطمئن **قلت** بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحماما فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال شعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن **فان قلت** ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها **قلت** ليتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها وقرئ جزّا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر **فان قلت** كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود **قلت** بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا

على سبيل الفرض والتقدير **فان قلت** هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز لجمع القلة كما قال وسبع سنبلات **قلت** هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين** المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرا اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا **فان قلت** اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم **قلت** الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله ومثل نفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق **فان قلت** كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق **قلت** اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير** وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان

لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المومنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم **فان قلت** فما معنى التبعيض **قلت** معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هولاء في زكايها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زايدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرى كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث وكلها بفتح بضمتين **ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** الهمزة في ايود للانكار وقرى له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي شي منها يا امير المومنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا **فان قلت** كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات **قلت** النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على ساير الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل **فان قلت** علام عطف قوله واصابه الكبر **قلت** الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر **يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض**



**ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها **فان قلت** هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض **قلت** معناه من طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتاممه سوا في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض وبالاغماض تغمض وقرا قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرى الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة **يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب** يوتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرى ومن يوت الحكمة بمعنى ومن يوته الله الحكمة وهكذا قرا الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء والعمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق **وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار** وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي ولا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه **ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سياتكم والله بما تعملون خبير** ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيا ابداوها وقرى بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتوتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرايض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرايض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاوه افضل

والمتطوّع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفّر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محلّ ما بعد الفاء وما بعده لانّه جواب الشرط وقرئ ويكفّر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفّر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار أنْ ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفّر عنكم سيّاتكم **ليس عليك هداهم ولكنّ الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلّا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون** ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديّين الى الانتهاء عمّا نهوا عنه من المنّ والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلّا أن تبلّغهم النواهي فحسب ولكنّ الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم أنّ اللطف ينفع فيه فينتهي عمّا نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم إلّا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجّه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوفّ إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن انفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجّت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمّها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتّقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أنّ ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلمّا أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شرّ خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوّز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمّة وأباه غيره **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإنّ الله به عليم** الجارّ متعلّق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء والذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفّة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفّة المسجد وهي سقيفته يتعلّمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وعن ابن عبّاس وقف رسول الله صلى الله عليه وآله يوما على أصحاب الصفّة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفّة فمن بقي من أمّتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنّه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفّف مستغنين من أجل تعفّفهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلّا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الله يحبّ الحييّ الحليم المتعفّف ويبغض البذيّ السائل الملحف ومعناه أنّهم إن سألوا سألوا بتلطّف ولم يلحّوا وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء

**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بالليل والنهار سرّا وعلانية يعمّون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير وكلّما نزلت بهم حاجة محتاج عجّلوا قضاءها ولم يؤخّروه ولم يتعلّلوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصدّيق حين تصدّق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السرّ وعشرة في العلانية وعن ابن عبّاس نزلت في عليّ عليه السلام لم يملك إلّا أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرّا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مرّ بفرس سمين قرأ هذه الآية **الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الربوا وأحلّ الله البيع وحرّم الربوا فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحبّ كلّ كفّار أثيم إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** الربوا كتب بالواو على لغة من يفخّم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان أي المصروع وتخبّط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أنّ الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمسّ الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأنّ الجنّيّ يمسّه فيختلط عقله وكذلك جنّ الرجل معناه ضربته الجنّ ورأيتهم لهم في الجنّ قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهد المحسوس **فإن قلت** بم يتعلّق قوله من المسّ **قلت** بلا يقومون أي لا يقومون من المسّ الذي بهم إلّا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلّق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنّهم يقومون يوم القيمة مخبّلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلّا أكلة الربوا فإنّهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنّهم أكلوا الربوا فأرباه الله في بطونهم حتّى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب بسبب قولهم إنّما البيع مثل الربوا **فإن قلت** هلّا قيل إنّما الربوا مثل البيع لأنّ الكلام في الربوا لا في البيع فوجب أن يقال إنّهم شبّهوا الربوا بالبيع فاستحلّوه وكانت شبهتهم أنّهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلّا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين **قلت** جيء به على طريق المبالغة وهو أنّه قد بلغ من اعتقادهم في حلّ الربوا أنّهم جعلوه أصلا وقانونا في الحلّ حتّى شبّهوا به البيع وقوله وأحلّ الله البيع وحرّم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أنّ القياس يهدمه النصّ لأنّه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنّه أخذ قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيمة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد إلى الربوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بيّن على تخليد الفسّاق وذكّر فعل الموعظة لأنّ تأنيثها غير حقيقيّ ولأنّها في معنى الوعظ وقرأ أبيّ والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وإن كثر إلى قلّ ويربي الصدقات

مايتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي
الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل
المسلمين يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين اخذوا ما شرطوا
على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان
لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي
وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف
ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو
الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله
قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي لما نزلت قالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة
عليهم ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا قلت قالوا يكون
مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان ذا عسرة
على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة
بسكون الظاء وقرا عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب كقولهم
مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها الى
ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء
عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير
لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب
للتقوى وقيل اريد بالتصديق الامهال لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا
بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على
طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها احدا
وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم
بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله
فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من

رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا
الى اجله اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا
كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة شعر داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا
والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة
الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر
لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت
ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو
قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق و
آمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم قال لما حرم الله
الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه
اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما
يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا
بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد
من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق ولا يبدل ولا يغير وقيل
هو كقوله واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض
كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان
علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة
لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق
ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا تكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته
واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا و
البخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او
ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل
وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو
يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا
شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط
مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن
سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل
فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال
مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما
ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي

ارادة ان تضل **فان قلت** كيف يكون ضلالها مراداً لله **قلت** لما كان الضلال سبباً للإذكار والاذكار
مسبباً عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال
المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم
اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر
بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرا حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكراً يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل
ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلاً لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في
الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق
ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداياناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير
او كبير كتاباً فربما مل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيراً او كبيراً على اي حال كان الحق من
صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصراً او مشبعاً ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته
الذي اتفق الغريمان على تسميته **ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار
كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون
على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب **فان قلت** مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط
واقوم **قلت** يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على
طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما **فان قلت** ما معنى
تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم **قلت** اريد بالتجارة
ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يداً بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيد
فلا بأس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل
هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة
حاضرة كبيت الكتاب: بني اسد هل تعلمون بلاءنا ... اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعا: اي اذا كان اليوم يوماً واشهدوا
اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقاً ناجزاً او كالئاً لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف
ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة
وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل
البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر
بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة و
النقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا ولا يعطى الكاتب حقه من الجعل وتحمل الشهيد
مؤنة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وان تفعلوا

شيئاً مما نهيتم عنه **وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضاً فليؤد
الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون
عليم** على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي كتاباً وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد
الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتباً وقرا الحسن كتاباً جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ
فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان **فان قلت** لم شرط السفر في الارتهان
ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وآله درعه في غير سفر **قلت** ليس الغرض
تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل
الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذاً بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره
وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضاً فان امن بعض الدائنين
بعض المديونين لحسن ظنه به وقرا ابي فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء
والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به
وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو
مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فيقول الذي
ايتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء
منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية
كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان **فان قلت** هلا
اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده **قلت** كتمان الشهادة هو
ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثماً مقترفاً بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل
بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي و
لان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله
فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة
من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان
ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها
الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة
من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الا
شراك بالله كقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله
سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثماً **لله ما في السموات وما في الارض و
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير** وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله
فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء من استوجب

العقوبة بالاضرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوسواس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بها لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرى فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب

فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ويدغم الراء في اللام لاحن مخطي خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطي مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يوذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله **شعر**

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ۞ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ۞

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحب زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير والمومنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نايب عنه في كل راجعا الى الرسول والمومنين اى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدا كان الضمير للمومنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب

فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قايمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شي واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اى نستغفرك ولا نكفرك وقرى وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اى لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يواخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها

فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله

اعمل

اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اى لا تواخذنا بالنسيان والخطاء ان فرط منا

فان قلت النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يواخذ به فما فيهم سبب مواخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اى يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكاليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرى آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد

فان قلت اى فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزتاه عن قيام الليل

فان قلت هل يجوز ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة قلت لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وآله من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي عليه السلام خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرات البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرات السورة التي فيها البقرة عن النبي صلى الله عليه وآله السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مايتا آية بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف واللام وان يبدا ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز

القاء حركتهما عليهما وهي همزة وصل لا يثبت في درج الكلام فلا يثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا
ليس بمبرح لان الميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثبات وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها
على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا
زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف وذلك قولك
هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم
لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم تحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا
الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل
على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال
مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيمّ ومديقّ فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة
الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر
قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ
أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ والتورية والانجيل اسمان اعجميان
وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين و
قرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب
فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان القران نزل منجما ونزل الكتابان
جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى
وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرايع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان
قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل والكتب التي ذكرها
كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من
هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر
ذكر القران بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما
لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد
لا يقدر على انتقامه منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع
على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة
وقرا طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي
اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان
عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى
على الله هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ



وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات
مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال
ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القران
كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه
الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله
وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه و
لما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم
الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى
فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه
وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في
ايقانه فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه
منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه
من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب
ان تاوله التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا
وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون و
يفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول
هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا
به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولو الالباب مدح
للراسخين بالقاء الذهن وحسن التاويل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله
ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ لا تزغ قلوبنا لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا
وارشدتنا لدينك ولا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق
والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او جزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك
ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الوعد إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قرا علي [illegible] لن يغني بسكون الياء

وهذا من الجد في استعمال الحركة على حروف اللين من قوله من الله مثله في قوله ان الظن
لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن يغني عنهم من رحمة الله او طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته
وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اي
بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى وقرئ وُقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وآله
وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان
من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم
ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اوليك او توقد
بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم
وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه
جواب سؤال مقدر عن حالهم **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد**
قل للذين كفروا هم مشركوا مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله
عليه وآله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد
وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل
بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت
منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون **فان قلت** اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى
**قلت** معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار
بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة التي
بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي
لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة
لاولي الابصار** قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى
المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله
اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة
والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي
انفسهم **فان قلت** فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم **قلت** قللوا اولا في اعينهم حتى
اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين و
نظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى
وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل



يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله وان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الا(ضعاف)
وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يُرَونهم على البناء للمفعول
بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئةٍ تقاتل واخرى كافرةٍ بالجر على البدل من فئتين
وبالنصب على الاختصاص وعلى الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة
لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **زين للناس
حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب** زين للناس المزين هو الله
سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد
زَيَّنَ للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها
حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه
ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه
بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه
ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها و
يتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن
جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية
من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي
العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور
متاع الحيوة **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** للذين اتقوا عند ربهم
جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي
رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع
جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرا جناتٍ بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب و
يعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا باحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات **الذين يقولون
ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين و
المنفقين والمستغفرين بالاسحار** الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين
او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقدم الكلام في ذلك
وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار
هذا نهارهم وهذا ليلهم **شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا**

هو العزيز الحكيم شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من
اياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص واية الكرسى وغيرهما بشهادة الشاهد فى البيان والكشف
وكذلك اقرار الملائكة واولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق
والآجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه
على انه حال موكدة منه كقوله تعالى وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوف
عليه ولو قلت جاءنى زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالتباس كما جاز فى قوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة
او على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبيا
لا نورث شعر انا بنى نهشل لا ندعى لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة
قول الهذلى شعر ويأوى الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى فان قلت هل يجوز ان يكون صفة
للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رايناهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف
فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو فى لا اله الا هو قلت نعم
لانها حال موكدة والحال الموكدة لا تستدعى ان يكون فى الجملة التى هى زيادة فى فائدتها عامل فيها كقولك
انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد
وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط فى حكم شهادة الله والملائكة واولى العلم
كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفى
كانه قيل شهد الله والملائكة واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرا عبد الله القائم بالقسط
على انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعنى انه العزيز الذى لا يغالبه اله آخر الحكيم الذى لا يعدل
عن العدل فى افعاله فان قلت ما المراد باولى العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى
الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين
وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه وبانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة
للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما
بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد
وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده فى شىء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او الى ما
يودى اليه كاجازة الروية او ذهب الى الجبر الذى هو محض الجور لم يكن على دين الله الذى هو الاسلام
وهذا بين جلى كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثانى بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين
عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه فى المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل
وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض موكد وهذا ايضا شاهد على
ان دين الاسلام هو التوحيد والعدل فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقراءة عبد الله انه لا
اله الا هو وقرا ابى ان الدين عند الله الاسلام وهى مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله



بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة
والملائكة واولو العلم قلت على الضمير فى شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله
لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة
ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه
قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية
والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر
بآيات الله فان الله سريع الحساب الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم
انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذى لا محيد عنه فثلثت
النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب
وهذا تجوير لله بغيا بينهم اى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هولاء بمذهب وهولاء بمذهب الا حسدا
بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطاون اعقابهم لا شبهة فى الاسلام
وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وآله حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم
فى الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى
عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بنى اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف
يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على
حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم فى امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله
ورسوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد
فان حاجوك فان جادلوك فى الدين فقل اسلمت وجهى لله اى اخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم
اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القديم الذى
ثبت عندكم صحته كما ثبت عندى وما جئت بشىء بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المومنين هو حق اليقين الذى لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف
على التاء فى اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ءاسلمتم يعنى انه قد اتاكم من البينات
ما يوجب الاسلام ويقتضى حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت
له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله
تعالى فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفى هذا الاستفهام استقصار وتعيير
بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلى
الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك فى هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة
وفى فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطى المنهى عنه فان اسلموا فقد اهتدوا

فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان قولوا لم يضروك
فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى **ان الذين يكفرون بايات
الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين** وقرا الحسن يقتلون
النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا وقرا ابى يقتلون النبيين والذين يامرون
وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمومنين
لولا عصمة الله وعن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا
او رجلا امر بالمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثه واربعين نبيا
من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فى الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب
فى الاخرة **فان قلت** لم دخلت الفاء فى خبر ان **قلت** لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها
ليت ولعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون** اوتوا نصيبا من الكتاب
يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من
جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهى نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهى التورية ليحكم بينهم وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه واله دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اى
دين انت فقال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا
وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه
كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله
واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرى ليحكم على البناء للمفعول والوجه
ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم
دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى
فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضى ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا
فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه واله **ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون** ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب
وطمعهم فى الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون
من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه واله فى
كبائرهم **فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**
فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون او فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل
لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فى دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه



عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع
الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى **قل اللهم
مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار
فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب**
الميم فى اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى
القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى يا الله وبغير ذلك مالك الملك
اى تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتى الملك من تشاء تعطى من تشاء النصيب
الذى قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذى اعطيته منه
فالملك الاول عام شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روى ان رسول الله
صلى الله عليه واله حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون
واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك و
روى ان رسول الله صلى الله عليه واله لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة
اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيه
المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه واله يخبره فاخذ المعول من سلمان
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف بيت مظلم و
كبر وكبر المسلمون معه وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح
لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت **فان قلت**
كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر **قلت** لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه
الى المومنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير توتيه اولياءك على رغم من اعدائك
ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك و
نزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت
فى اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك
الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده فهو قادر
على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب المنزلة انا الله
ملك الملوك ونواصيهم بيده فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم
عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلم

كما تكونون يولّى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي عنك لعازب

إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله وسلامه عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن يكون ما شرطية لارتفاع تود

فإن قلت فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرءونه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملئوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم وتحبكم من حبه يحبه قال

أحب أبا مروان من حب تمره وأعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم آل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها وإذ منصوب به وقيل بإضمار

اذكروا امراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت
فاقوذ وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه
السلام والقول الاخر يرجحه ان موسى عليه السلام يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر **فان قلت** كانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران
هذا هو ابو مريم البتول **قلت** كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته
ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل
شجرة بصرت بطاير يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا
ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشي
وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين
ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت
الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا **فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**
فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة
او النفس او النسمة **فان قلت** كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثى انثى **قلت** الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشي واحد كما انث الاسم
في من كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة
فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى **فان قلت** فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت بهذا
القول **قلت** قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجايها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها
كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن
قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم
بالشي الذي وضعت وما علق به من عظايم الامور وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك
لا تعلم منه شيا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا
وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية في نفسها **فان قلت** فما معنى وليس الذكر كالانثى **قلت**
هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت
كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد **فان قلت** علام عطف قوله واني سميتها مريم **قلت** هو عطف
على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم **فان قلت** فلم ذكرت تسميتها
مريم لربها **قلت** لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان واغوايه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل

صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في
اغوايه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه
ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي: لما تؤذن الدنيا به من صروفها / يكون بكاء
الطفل ساعة يولد: واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم
لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه **فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا** فتقبلها ربها فرضي بها في النذر
مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشي كالسعوط واللدود
لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان
تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت
بنو ماثان رؤس بني اسرايل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا
حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق
الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها
بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك
تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله
وعنفوانه قال القطامي: وخير الامر ما استقبلت منه / وليس بان تتبعه اتباعا: ومنه المثل خذ الامر
بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
العايدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن عملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء
ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة
ابي واكفلها من قوله اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلثة
ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها ورب بها واجعل زكريا كافلا لها قيل بني زكريا عليه السلام
محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها
الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء **قال
يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** انى
لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو ات في غير حينه والابواب
مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة
كما تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه انه جاع في زمن قحط فاهدت

فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وآله انى لك
فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلك
شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله على بن ابى طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه
فاكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم عليها
السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة و
مجازاة على عمل بحسب الاستحقاق **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعاء** هنالك فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب وفى ذلك الوقت فقد
يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب فى ان يكون له من
ايشاع ولد مثل ولدها مريم فى النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك
وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية يقع على الواحد
والجمع سميع الدعاء مجيبه **فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى
مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين** قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه
جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر
على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك
بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع الصرف للتعريف والعجمة كموسى وعيسى
وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل
هو اول من آمن به وسمى عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن من غير سبب
آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته والسيد الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس
كلهم فى انه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة والحصور الذى لا يقرب النساء حصرا لنفسه
اى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر قال الاخطل **شعر**
وشارب مربح بالكاس نادمنى ¤ لا بالحصور ولا فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل فى اللعب واللهو
وقد روى انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا
من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه فى
الآخرة لمن الصالحين **قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال
كذلك الله يفعل ما يشاء** انى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغنى
الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر فى الكبر واضعفنى وكانت له تسع و
تسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة كذلك اى يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة
مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ او
خبر اى على نحو هذه الصفة والله يفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة



للعادات **قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك
كثيرا بالعشى والابكار** آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك
ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على
تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى
والابكار يعنى فى ايام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة **فان قلت** لم حبس لسانه عن كلام
الناس **قلت** ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
وشكرها الذى طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة
بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب
الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه
ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف ¤ روانف اليتيك وتستطارا ¤ بمعنى الا مترامزين
كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشى من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من
طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين **فان قلت**
الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه **قلت** لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى
كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك
واصطفيك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** يا مريم روى
انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام اصطفاك
اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال
ومما قذفك به اليهود واصطفيك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك
لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلوة واركانها قيل
لها واركعى مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اى فى الجماعة او وانظمى نفسك من جملة المصلين
وكونى معهم فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم ويحتمل ان يكون فى زمانها من كان يقوم ويسجد
فى صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع **ذلك من انباء
الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**
ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها
الا بالوحى **فان قلت** لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفى استماع الانبياء من حفاظها
وهو موهوم **قلت** كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم
يبق الا المشاهدة وهى فى غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى مع
علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ
اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الاقلام
التى كانوا يكتبون بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون فى شانها تنافسا فى التكفل بها

فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل وليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت بدل من اذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما يقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا و معناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبرئيل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ويعلمه عطفا على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ونعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء

المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال شعر
مولى الريح روقيه وجبهته كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما
وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وكذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله بآية من ربكم اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله تعالى او موسى صلوات الله عليه لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا اشهاده باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وآله لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك

الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
ثم الى الله مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك
اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف
انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك
في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها
ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا الى
يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل
الايمان وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم
قوله فاعذبهم فيوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم اجورهم بالياء ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر
الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات
خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر و
يجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة
لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة
لما له شبه عيسى بآدم فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت هو مثيله
في احد طرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف
ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب
وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته
اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب
له فقال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل
ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص فقال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من
تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية
الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء
وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين من حاجك من النصارى فيه في عيسى من
بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر
في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل

ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده
من رحمته من قولك ابهلته اذا اهملته وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا
الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف
نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا
يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك
ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي
كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال
والذي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي
نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله
ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت
ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى
ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على
تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء
والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى
يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة
بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم
وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء
عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لانه لم يرو احد من موافق
ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله
لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ان هذا الذي قص عليك من نبأ
عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة
بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره
والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان
دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله

الا الله بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله فى افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى فى
تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء
بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير
الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
يعنى تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا
ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن
عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق او صليت لغير
القبلة وقرى كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا
عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فوجب ان تعترفوا وتسلموا
بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال او صراع او غيرهما اعترف بانى انا الغالب
وسلم لى الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون
حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده افلا تعقلون زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان
منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية
والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف
يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل
هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم و
الله يعلم وانتم لا تعلمون ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة
مستانفة مبينة للجملة الاولى يعنى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم
جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له فى كتابكم من
دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو آانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من
حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم اعلمهم بانه
برئ من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين لم يكن منكم او اراد بالمشركين
اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا
النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه

من الولى وهو القرب للذين اتبعوه فى زمانه وبعده وهذا النبى خصوصا والذين آمنوا من امته وقرى
وهذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه اى اتبعوه واتبعوا هذا النبى وبالجر عطفا على ابرهيم
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ودت طائفة
هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال
الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين
وانما يضلون امثالهم من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم
لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله او وتكفرون
بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون
انها حق وقرى تلبسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله
كلابس ثوبى زور وقوله شعر اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى
انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وجه النهار اوله قال شعر من كان مسرورا بمقتل مالك
فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين فى اول النهار واكفروا به آخره لعلهم
يشكون فى دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل
تواطا اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد اول النهار من غير اعتقاد
واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت فظهر لنا
كذبه وبطلان دينه واذا فعلتم ذلك شك اصحابه فى دينهم وقيل هذا فى شان القبلة لما صرفت الى الكعبة
قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليه من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها فى اول النهار ثم اكفروا به
فى آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى
احد وما بينهما اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم
ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم
دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على
ان يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجميع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم
يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت ان الهدى هدى
الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته فى الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم
تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق
او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار
الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من
رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى احد معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم

قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب
دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى
الان يؤتى احد **فان قلت** فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا **قلت** معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى
وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم
فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب
اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله
فلا يحاجوكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان
الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى
احد مثل ما اوتوا **ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون** عن ابن عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش
بدينار فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا
عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير
وصل وبسكونها وقرا يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك
الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي
لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس
اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم
في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم
دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال عند نزولها كذب اعداء
الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس
انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا
في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم
الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون **بلى من
اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل
فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى
من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه **فان قلت**
فهذا عام يتخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله **قلت** اجل لانهم اذا وفوا
بالعهود وفوا اول كل شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم

ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوا في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على
ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه
من الكفر واعمال السوء **فان قلت** فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من **قلت** عموم المتقين قام مقام الضمير و
عن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب **ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم** يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم وبايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع
الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب
حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب
ابن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد
هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا
فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا لقد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن
الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها
في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم
والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
**فان قلت** اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه **قلت** اصله فيمن يجوز عليه النظر
الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد
والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه
فيمن يجوز عليه النظر **وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** لفريقا هم كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح
الى المحرف وقرا اهل المدينة بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما
قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **فان قلت** الام يرجع الضمير في
لتحسبوه **قلت** الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من
الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب
ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى
كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين
قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله

ثم احذت قريظة ماكتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون** ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان تعبد غير الله وان نامر بعبر عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين فقهاء علماء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا ينفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعلم تدرسون يدرسون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ومعنا تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما يقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان يجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في لا يامركم ويامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق عليه كما يقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد

على زعمهم تهكما بهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان يكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان يكون موصولة بمعنى للذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرا حمزة لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني اتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل انى اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان يكون ما موصولة **فان قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على اتيتكم وهو قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم **قلت** بلى لان ما معكم في معنى ما اتيتكم فكانه قيل للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون** فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال عليه السلام كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف وبمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** امر رسول الله صلى الله عليه وآله بان يخبر

عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحّد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه **فان قلت** لم عدّي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين والاخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت **فان قلت** علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم **أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ** ثم ازدادوا كفرا بكفرهم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة تتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة **فان قلت** قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم **قلت** جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا يقبل توبته من الكفار هو الذي

يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مايتون على الكفر داخلون في جملة من لا يقبل توبتهم **فان قلت** فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل **قلت** قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم **فان قلت** فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر **قلت** لانه كم من مرتد مزداد الكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر **فان قلت** فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة **قلت** الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال **فان قلت** كيف موقع قوله ولو افتدى به **قلت** هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا اباحسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن تقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء للتبيين ما تنفقوا من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه

كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك
هم الظالمون كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر حل الشيء حلا كقولك ذلت
الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفى حديث عايشة كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى فى الوصف به المذكر
والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذى حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على
لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النساء فنذر ان شفى ان يحرم على نفسه لحوم الابل والبانها فحرمه
وقيل اشارت اليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها
لم يزل حلالا لبنى اسرائيل من قبل التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك
غير المطعوم الواحد الذى حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم
حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله
عذابا اليما وفى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وجحودا ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات
عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى
ابرهيم ومن بعده من بنى اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت من قبلنا وغرضهم
تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد
من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية
فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم
وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروى انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك
الحجة البينة على صدق النبى صلى الله عليه واله وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه فمن افترى على الله الكذب
بزعمه ان ذلك كان محرما على بنى اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك
هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله فاتبعوا
ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهى ملة الاسلام التى عليها محمد و
من آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله
لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التى احلها الله لابرهيم ولمن تبعه ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وضع للناس صفة للبيت والواضع هو الله تعالى تدل عليه قراءة من
قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله تعالى ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال
اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه واله انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن على عليه السلام ان رجلا قال له اهو
اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة
واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن

عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل
الارض بالفى عام وكان زبدا بيضا على وجه الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم فى الارض و
قيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفى عام وكان فى موضعه قبل
آدم بيت يقال له الضراح فرفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذى ببكة للبيت الذى
ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط فى اسم موضع بالدهناء
ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد
وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء
يصلى بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهى الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة
فخله حتى يبك بكه وقيل لانها تبك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا
كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه
على الحال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه المقدر فى الظرف من
فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن
دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان
الله غنى عن العالمين مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان
الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه
وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تاثير قدمه فى حجر صلد كقوله تعالى
ان ابرهيم كان امة والثانى اشتماله على آيات لان اثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها
الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون آيات سائر الانبياء عليهم
السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف
سنين آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من
الجمع كالثلثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات
كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه فى طى الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه الصلوة والسلام حبب
الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة وقرا ابن عباس وابى ومجاهد وابو جعفر
المدنى فى رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف
بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله
كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان
قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن من دخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن
داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه فى معنى قولك فيه آية
بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع
بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء

زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا
الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى
شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى من دخله كان امنا معنى
قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام
رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجاء الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابى حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص
او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى
يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وآله من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة امنا وعنه صلى الله عليه وآله الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في
الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله
عليه وآله على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن
هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع
كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وآله
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل
من الناس وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن
ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان
الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر
على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو
مستطيع فقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو
حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه
وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعنى انه حق
واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل
عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد و
تكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين
ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وآله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا
فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن
العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى
عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط
الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب
وروى انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال

اقاله



ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن
به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وآله حجوا قبل ان لا
تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل
ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا ياكل
دابة الا نفقت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل
الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله
بغافل عما تعملون والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على
صدق محمد صلى الله عليه وآله والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال
توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته قرا الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق
علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المومنين ويحتالون لصدهم
عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم
ماكان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون
لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت
فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة
موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وآله عن وجهها ونحو ذلك والثاني
انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من
كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء
بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار
وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى
صراط مستقيم قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه
ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم
اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل
فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع
القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فخرج
اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام فقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان و
كيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله

فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله فقد هدى ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدى فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون** حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروى مرفوعا وقيل هو ان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها الى الاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة **فان قلت** كيف جعلوا على حرف حفرة من النار **قلت** لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلى الله عليه وآله افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح **فان قلت** ما طريق الوجوب **قلت** قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده **فان قلت** ما شرائط النهي **قلت** ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان النهي يزيد في مناكره وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث **فان قلت** فما شروط الوجوب **قلت** ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة **فان قلت** كيف يباشر الانكار **قلت** يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا **فان قلت** فمن يباشره **قلت** كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد فاما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها **فان قلت** فمن يؤمر وينهى **قلت** كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها **فان قلت** هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه **قلت** نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر **فان قلت** كيف قيل يدعون

الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام فى التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهى عن المنكر خاص فجى بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته فاظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابى امامة رضى الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشئ تقوله برايك ام شئ سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هى جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففى رحمة الله ففى نعمته وهى الثواب المخلد فان قلت كيف موقع هم فيها خالدون بعد قوله ففى رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور تلك آيات الله الواردة فى الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيئ بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم ويزيد فى عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون كان عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم فى علم الله خير امة وقيل كنتم فى الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم

ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا مما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون فى الكفر لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن فى الدين ونحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف فى قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاى فرق بين رفعه وجزمه فى المعنى قلت لو جزم لكان نفى النصر مقيدا بمقاتلتهم كتوليتهم الادبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التى اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذى عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخى فى ثم قلت التراخى فى المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعنى منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون بحبل من الله فى محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل من الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين اى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون فى المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا اى ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب فى استحقاق

سخط الله وان سخط الله ليستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل **ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين** الضمير في ليسوا سواء لاهل الكتاب اى ليس من اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل اريد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضى الله عنه اخر رسول الله صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اى امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** فلن تكفروه لما جاء وصف الله تعالى بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك **فان قلت** لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد يقول شكر النعمة وكفرها **قلت** ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرى تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى **مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون** الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن اتاويين تضربهم ... نكباء صر باصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد ويملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر **فان قلت** فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر **قلت** فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصفت بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعنى فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله صلى

الله عليه وآله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ **فان قلت** فلم قال ظلموا انفسهم ولم يقتصر بقوله اصابت الحرث او اصابت حرث قوم **قلت** لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شئ وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا انه لا يذهب معنى لما فيه من حصول الاعواض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب **فان قلت** الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح **قلت** هو التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح ومثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرى تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اى وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرى ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون** بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وآله الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اى تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به **فان قلت** كيف موقع هذه الجمل **قلت** يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور** ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اى انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون واو الحال و

وانتصابها من لا يحبونكم اى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم
وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون
يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المرى ٭ فاقتل اقواما لئاما اذلة
يعضون من غيظ رؤس الاباهم ٭ قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد
بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزى والتبار ان الله
عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض
وهو كلام داخل في جملة المقول ومعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله
عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان
خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفى من ذلك و
هو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله موتوا بغيظكم امرا
لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم
كانه قيل حدث نفسك بذلك **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما تعملون محيط** الحسنة الرخاء والخصب والنصرة
والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم
من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة **فان قلت** كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة **قلت**
المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه و
تتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم
على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا
تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قالت الحكماء اذا اردت ان تكبت من
يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم
اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه **واذ غدوت من اهلك تبوئ
المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم** واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد
من حجرة عائشة روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه و
دعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا
فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا
عنهم وقال صلى الله عليه وآله اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا



بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا
فلم يزالوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله
والوحي ياتيه وقالوا اصنع ما رايت يا رسول الله فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج
يوم الجمعة بعد صلوتها واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال يمشي على رجليه فجعل يصف
اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل
ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ
المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوى لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع
في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق
قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم **اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اذ همت بدل من
اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في
ثلثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله
عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس
وكما لا يخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال
المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة ٭ اقول لها اذا جشأت وجاشت ٭ مكانك تحمدي او تستريحي ٭ حتى
قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة
ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما
فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله **فان قلت** ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله
ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا **قلت** معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم
من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن
عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه **ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر
وهم في قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا
قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب
النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم
في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان
لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته

ولعلكم ينعم الله عليكم بنعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول للمومنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اذ تقول ظرف لنصركم
على ان تقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان
يقوله لهم يوم احد ولم ينزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا
عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم ينزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت
وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار
ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا
لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالايسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد
بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين
من فورهم هذا معنى قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه
قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت
به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى
انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله
يعجل نصركم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر
ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على
اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله
الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وما جعله الله الهاء
لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة
لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا
ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على
قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور
رحيم ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و
اسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير
ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده
بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا وارى عدوا هو من الكبد والرية واللام متعلقة
بقوله ولقد نصركم الله ببدر وبقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس



لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل
ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء
او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك
لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى
منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل
اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا
للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب
من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم
او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشواء
ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب
الصغير يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون و
اتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون لا تاكلوا الربا اضعافا
مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل
فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف
اية في القران حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد
ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المومنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الايات
وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو
هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابته رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرا
الباقون بالواو وتنصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان
به عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله كعرض السماء والارض والمراد
وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى
من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا
في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة
وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم
حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس

فانه لابدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شئ على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وآله من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عايشة ان خادما لها اغاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروى ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام في المحسنين للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هولاء

**والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين**

والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين والتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اي اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوها وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وآله ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله

يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات

**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**

قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين

**ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين**

ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمومنين على ما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان واعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مومنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة

**ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**

قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان تخالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر

وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان

انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا ابو بكر وها انا عمر قال يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال ترد المياه فلا تزال مداولة في الناس بين تمثل سماً يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفاً ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله تعالى لم يزل عالماً بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجوداً منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحد ليسليهم عما جرى عليهم ولتبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان الله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناساً منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى ليكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيراً يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل فانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون** ولقد كنتم تمنون خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهداً مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا





وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده **فان قلت** كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم **قلت** قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهله الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقاً لصناعته وقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موتة وقيل له ردكم الله: لكنني اسئل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ الا ان محمداً قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ وقال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا اماناً من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمداً قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة للانكار ان تجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب ان يجعل سبباً للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وآله لا للانقلاب عنه **فان قلت** لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزاً عند المخاطبين **فان قلت** اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف

عن رسول الله صلى الله عليه وآله واسلام فلن يضرّ الله شيئاً يعني فما ضرّ الا نفسه لان الله تعالى
لا يجوز عليه المضارّ والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسمّاهم
الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلاً**
**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين** المعنى
انّ الموت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا
باذن الله فيه تمثيلاً ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفساً الا باذن من الله و
هو على معنيين احدهما تحضيضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احداً
لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة
العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل كتاباً مصدر
مؤكد لان المعنى كتب الموت كتاباً مؤجلاً موقتاً له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا
تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما **وكأيّن من نبي قاتل معه ربيّون**
**كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** قرئ
قتل وقُتّل بالتشديد والفاعل ربيّون او ضمير النبي ومعه ربيّون حال عنه بمعنى قتل كائناً معه ربيّون و
القراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول عن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيّون الربانيون
وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء
والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم
من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكا
نتهم
لهم حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابيّ في طلب الامان من ابي سفيان **وما كان**
**قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على**
**القوم الكافرين** وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم
ربانيين هضماً لها واستقصاراً والدعاء بالاستغفار منها مقدماً على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب
والنصرة على العدو وليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة **فآتاهم الله**
**ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة و
الغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد
به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردّوكم**
**على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** ان تطيعوا الذين كفروا قال
علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم
وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم
الشبه في الدين ويقولون لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفين واصحابه



وتستأمنوهم يردّوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم و لا
يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا تستجرّوهم الى موافقتهم بل الله مولاكم
اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم
**سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى**
**الظالمين** سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين
الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما
كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب
في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطاناً آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة
**فان قلت** كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك **قلت** يعني ان هناك حجة الا انها لم
تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعاً كقوله و
لا ترى الضب بها ينجحر **ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسّونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم**
**في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**
**ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ولقد صدقكم الله
وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا و
تنازعوا الرعب عنهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا و
قد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعل احداً خلف ظهره
واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة
للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف
حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسّونهم اي يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى اذا فشلوا والفشل الجبن
وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف
امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون
بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكرّ المشركون
على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صباً حتى
هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب
وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان
امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال
سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة **فان قلت** اين متعلق
حتى اذا **قلت** محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم
الله وعده الى وقت فشلكم **اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في**

اخرىكم فاثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون

اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب فى الارض والابعاد فيه يقال صعد فى الجبل واصعد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرا الحسن تصعدون يعنى فى الجبل وتعضد الاولى قراءة ابى اذ تصعدون فى الوادى وقرا ابو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد فى السلم وقرا الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة فى اخريكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهى المتاخرة يقال جئت فى آخر الناس واخراهم كما تقول فى اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله غماً حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غماً مضاعفاً غماً بعد غم وغماً متصلاً بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير فى فاثابكم للرسول اى فاساكم فى الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غماً اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو

ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور

انزل الله الامن على المومنين وازال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتنى مع رسول الله صلى الله عليه وآله حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا و الامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاساً بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه كقولك رايت راكباً رجلاً او مفعولاً له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالاً من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار و بررة يغشى قرئ بالياء والتاء رداً على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق و اليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم فى الهموم والاشجان فهم فى التشاكى والتباكى غير الحق فى حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به وظن الجاهلية

بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما يقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسالونه هل لنا من الامر من شئ معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المومنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلى وان جندنا لهم الغالبون يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شئ سؤال المومنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون فى انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شئ اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم يعنى من علم الله منه انه يقتل ويصرع فى هذه المصارع وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهى مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المومنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة فى الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به فى بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب فى الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شئ يعنون لم نملك شيئاً من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راى عبد الله بن ابى وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئاً لما قتلنا فى هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله تعالى قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلى الله وليمتحن ما فى صدور المومنين من الاخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التى بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة طائفة ويظنون صفة اخرى وحال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلاً من الاخبار بالظن قلت كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استينافاً

ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم

استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب فى توليهم انهم اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً فلذلك منعهم التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولى وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفاً فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذى امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل

بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير وقالوا لاخوانهم اى لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله تعالى عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله تعالى كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اى الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اى يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوا وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه واله ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر



مشاورة من اصحاب رسول الله وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراى دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد الله بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك اتخلته واحمته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا ان يكون غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يسترتب به احد كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروى انها نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه واله الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه الصلوة والسلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روى انه بعث طلايع فغنمت غنايم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروى الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد

فاقول لا املك من الله شيا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت
عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد بانه بما احتمل من وباله و
تبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جي بعام دخل تحته كل كاسب
من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا
اوشرا مجزى فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اى يعدل
بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون
هم درجات اى متفاوتون كما يتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم
درج السيول وقيل ذو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او
التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم
على حسبها لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين لقد من الله
على المومنين على من امن مع رسول الله من قومه وخص المومنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه
من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة
عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه
عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة وكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق
به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى
الله عليه واله وقراءة فاطمة عليها السلام من انفسهم اى من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد
اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف و
قريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه واله وفيما خطب به ابو طالب في تزويج
خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابرهيم
وزرع اسمعيل وضيضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا
محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن برفتى
من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المومنين
اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المومنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف
لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى
لمن من الله على المومنين وقت بعثه يتلو عليهم اياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم
شئ من الوحى ويزكيهم ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة ساير الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث
وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس
وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هى المخففة من الثقيلة
واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وتقديره ان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال
مبين ظاهر لا شبهة فيه او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو

من عند انفسكم ان الله على كل شئ قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين
منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب لقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت
الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة
على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا قوله من
عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او
لتخليتكم المركز وعن على عليه السلام لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شئ
قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ومنكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان
فباذن الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن
باذن الله اى بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم ولان الاذن مخل بين
الماذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المومنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل
لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المومنين لهم
الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم قتالا ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا ويكون و
قيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المومنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن
لهم غم الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم و
دغلهم وذلك ما روى ان عبد الله بن ابى انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو
بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي
وقد كف بصره لو امكنني لبعت دارى ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف
وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ووجه اخر هو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا
لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشئ ولا يقال
لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأى عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب
الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعنى انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت امارة
تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المومنين فقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا
من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية
للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعى قلوبهم منه شيا وذكر الافواه
مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المومنين في مواطاة
قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجرى بعضهم مع بعض من ذم المومنين وتجهيلهم وتخطئة
رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله
وكيفياته الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم

صادقين الذين قالوا فى اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين
قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن
بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار
وقعدوا اى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل
قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه ان كنتم صادقين فى انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو
القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعنى ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذى هو
احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع ساير اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها روى انه مات
يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين فى انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود
فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال
وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان
سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون فى مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين
فى قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا
عن انفسكم الموت استهزاء بهم اى ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا
ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا تحسبن الخطاب لرسول الله
او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا
والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اى ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز
حذف المفعول الاول قلت هو فى الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا فى قوله احياء والمعنى هم احياء
لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم
احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق ساير الاحياء ياكلون
ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتيهم الله من
فضله وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكرامات والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين
معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبى صلى الله عليه وآله لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
فى اجواف طير خضر تدور فى انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش
ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اى لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم قد بقوا بعدهم و
هم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون
بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك
فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة
والجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه فى خير فيتمنى
مثله لاخوانه فى الله وبشرى للمومنين بالفوز فى المآب وكرر يستبشرون ليتعلق به ما هو بيان لقوله ان



لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب فى عدل الله
وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتدا
وعلى ان الجملة اعتراض وهى قراءة الكسائى ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين استجابوا
مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمومنين او نصب على المدح وروى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا
من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاراد
ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا
احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وآله مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من
المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله
الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن فى للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها فى قوله تعالى وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا
لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لى عايشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعنى
ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
روى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال
صلى الله عليه وآله ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله
الرعب فى قلبه فبدا له ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى
واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر و
نشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة فثبطهم
ولك عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراى اتوكم فى
دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله
لا يفلت منكم احد وقيل مر بابى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل
بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام والذى
نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
وقيل هى الكلمة التى قالها ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه حين القى فى النار حتى وافوا بدرا
واقاموا بها ثمانى ليال وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين
غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق
فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو
المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له
الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون
جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن فى فزادهم قلت الى المقول الذى

هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر
قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او
مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه
الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن
عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل
غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي
السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوهم واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم
حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي
عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الشيطان
خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان
صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفين ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفين
واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالام يرجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت
الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا
مع رسوله وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مومنين يعني ان الايمان يقتضي ان توثروا خوف الله على خوف
الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم يسارعون في الكفر يقعون فيه
سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت
فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه
ولا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون
بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان
نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار

بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم
في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين مريدا ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر
بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا
لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من
المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين الذين
كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير
لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن
ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان يكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف
وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز
الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في
حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف
محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان
الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم
مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان
الاملاء خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان يكتب متصلة لانها كافة دون الاولى
وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا
اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل
علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك
وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة
للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء
وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى
ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي
لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله
عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت
معناه ولا يحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب
مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا
فلكم اجر عظيم اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز
الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز
بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله

ليذر المخلصين منكم على الحال التى انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز هم منكم بالوحى الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اى وما كان الله ليؤتى احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحى اليه ويخبره بان فى الغيب كذا وان فلانا فى قلبه النفاق وفلان فى قلبه الاخلاص فيعلم الرسول ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التى لا يصبر عليها الا الخالص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح فى الجهاد وانفاق الاموال فى سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما فى قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فامنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب فى شىء وعن السدى قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ولا تحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذى سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفى امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها فى عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبى صلى الله عليه وآله فى مانع الزكوة يطوق شجاعا اقرع وروى شجاع اسود وعن النخعى سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اى وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهى ابلغ فى الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوا ذلك عن اعتقاد او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا يصدر الا عن متمردين فى كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاه من العقاب سنكتب ما قالوا فى صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة



له ايذانا بانهما فى العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء فى الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله كتب مع ابى بكر الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودى ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص تقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضى الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدى لان اكثر الاعمال يزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات فى استحقاق التعذيب قلت معنى قوله غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسئ منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين عهد الينا امرنا فى التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الاية الخاصة وهى ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان ابنيا بنى اسرائيل تلك ايتهم كان تقرب بالقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار والقربان لم يجب الايمان للرسول الاتى به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وساير الايات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التى اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه التى اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرى بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذى قلتم قلت معناه وبمعنى الذى قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اى لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير فى مصاحف اهل الشام وبالزبر وهى الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقرا اليزيدى ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفى ما روى ان القبر روضة من رياض الجنة وحفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل

هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يقاربه ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد و نيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وآله من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وآله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا

وقرئ ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبن الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين فلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما أتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا و يدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل الله من وعيدهم اي لا يحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما أتوا بما اوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل انهم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوا على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من اتى بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املا عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت لعائشة اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك

مانقدّم من ذنبك وما تأخّر فقال يا بلال فلا اكون عبدًا شكورًا ثمّ قال ومالى لا ابكى وقد انزل الله علىّ فى هذه الليلة
انّ فى خلق السّموات والارض ثمّ قال ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّلها وعن
علىّ عليه السّلام انّ النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم كان اذا قام من الليل يتسوّك ثمّ ينظر الى السّماء ثمّ يقول
انّ فى خلق السّموات والارض وحكى انّ الرّجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلّته سحابة
فعبدها فتًى من فتيانهم فلم تظلّه فقالت له امّه لعلّ فرطة فرطت منك فى مدّتك قال ما اذكر قالت لعلّك
نظرت مرّة الى السّماء ولم تعتبر قال لعلّ قالت فما اوتيت الّا من ذاك الّذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى
جنوبهم ويتفكّرون فى خلق السّموات والارض ربّنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب
النّار يذكرون الله ذكرًا دائبًا على اىّ حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذّكر فى اغلب احوالهم
وعن ابن عمر وعروة بن الزّبير وجماعة انّهم خرجوا يوم العيد الى المصلّى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله
تعالى الّذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم
من احبّ ان يرتع فى رياض الجنّة فليكثر ذكر الله وقيل معناه فى هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله
صلى الله عليه وآله لعمران بن الحصين صلّ قائمًا فان لم تستطع فقاعدًا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء وهذه
حجّة للشّافعى فى اضجاع المريض على جنبه كما فى اللحد وعند ابى حنيفة انّه يستلقى حتّى اذا وجد خفّة قعد
ومحلّ على جنوبهم نصب على الحال عطفًا على ما قبله كانّه قيل وقعودًا ومضطجعين ويتفكّرون فى خلق السّموات
والارض وما يدلّ عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبّر فيها ممّا تكلّ الافهام عن ادراك بعض
عجائبه على عظم شان الصّانع وكبرياء سلطانه وعن سفين الثّورى انّه صلّى خلف المقام ركعتين ثمّ رفع راسه
الى السّماء فلمّا راى الكواكب غشى عليه وكان يبول الدّم من طول حزنه وفكرته وعن النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم
بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النّجوم والى السّماء فقال اشهد انّ لك ربًّا وخالقًا اللّهمّ اغفر لى
فنظر الله اليه فغفر له وقال النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلّم لا عبادة كالتّفكّر وقيل الفكرة تذهب الغفلة و
تحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزّرع النّبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل
الفكرة وروى عن النّبىّ صلى الله عليه وآله لا تفضّلونى على يونس بن متّى فانّه كان يرفع له فى كلّ يوم مثل
عمل اهل الارض قالوا وانّما كان ذلك التّفكّر فى امر الله الّذى هو عمل القلب لانّ احدًا لا يقدر ان يعمل بجوارحه
فى اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلًا على ارادة القول اى يقولون ذلك وهو فى محلّ الحال
بمعنى يتفكّرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقًا باطلًا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو ان
تجعلها مساكن للمكلّفين وادلّة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل
به قوله فقنا عذاب النّار لانّه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق
على انّ المراد به المخلوق كانّه قيل ويتفكّرون فى مخلوق السّموات والارض اى فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة
الى السّموات والارض لانّها فى معنى المخلوق كانّه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلًا وفى هذا ضرب
من التّعظيم كقوله انّ هذا القرآن يهدى للّتى هى اقوم ويجوز ان يكون باطلًا حالًا من هذا وسبحانك
اعتراض للتّنزيه من العبث وان يخلق شيئًا بغير حكمة ربّنا انّك من تدخل النّار فقد اخزيته وما
للظّالمين من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت فى اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه فى كلامهم من ادرك

قوله فقد ابلغت فى اخزائه اى وصلت فى النهاية قوله بعض عجائبه اى مستدلين قوله وما جليت اى تزكية

مرعى الضّمان فقد ادرك ومن سبق فلانًا فقد سبق وما للظّالمين اللّام اشارة الى من تدخل النّار واعلام
بان من يدخل النّار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربّنا انّنا سمعنا مناديًا ينادى للايمان ان آمنوا
بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الابرار تقول سمعت رجلًا يقول
كذا وسمعت زيدًا يتكلّم فتوقع الفعل على الرّجل وتحذف المسموع لانّك وصفته بما يسمع او جعلته حالًا عنه
فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بدّ وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاىّ فائدة
فى الجمع بين المنادى وينادى قلت ذكر النّداء مطلقًا ثمّ مقيّدًا بالايمان تفخيمًا لشان المنادى لانّه لا منادى
اعظم من منادٍ ينادى للايمان ونحوه قولك مررت بهادٍ يهدى للاسلام وذلك انّ المنادى اذا اطلق ذهب
الوهم الى منادٍ للحرب او لاطفاء النّائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النّوازل او لبعض المنافع وكذلك
الهادى قد يطلق على من يهدى للطّريق ويهدى لسداد الرّاى وغير ذلك فاذا قلت ينادى للايمان ويهدى
للاسلام فقد رفعت من شان المنادى والهادى وفخّمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه
له واليه ونحوه هداه للطّريق واليه وذلك انّ معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعًا والمنادى
هو الرّسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربّك وعن محمّد بن كعب القرآن ان آمنوا اى آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا
كبائرنا سيّئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار جمع برّ او بارّ كربّ وارباب
وصاحب واصحاب فاستجاب لهم ربّهم انّى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم
من بعض فالّذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفّرنّ عنهم
سيّئاتهم ولادخلنّهم جنّات تجرى من تحتها الانهار ثوابًا من عند الله والله عنده حسن
الثّواب يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذلك مجيب انّى لا اضيع قرئ بالفتح على حذف
الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيّع بالتّشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اى يجمع
ذكوركم واناثكم اصل واحد فكلّ واحد منكم من الآخر اى من اصله او كانّه منه لفرط اتّصالكم واتّحادكم
وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بيّنت بها شركة النّساء مع الرّجال فيما وعد الله عباده العاملين
وروى انّ امّ سلمة قالت يا رسول الله انّى اسمع الله يذكر الرّجال فى الهجرة ولا يذكر النّساء فنزلت فالّذين هاجروا
تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التّعظيم له والتّفخيم كانّه قال فالّذين عملوا هذه الاعمال السّنيّة الفائقة
وهى المهاجرة عن اوطانهم فارّين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطرّوا الى الخروج من ديارهم الّتى ولدوا
فيها ونشأوا بما سامهم المشركون واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتّشديد وقتلوا وقاتلوا على التّقديم بالتخفيف
والتّشديد وقتلوا وقاتلوا على بناء الاوّل للفاعل والثّانى للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابًا
فى موضع المصدر المؤكّد بمعنى اثابة او تثويبًا من عند الله لانّ قوله لاكفّرنّ عنهم ولادخلنّهم فى معنى لاثيبنّهم
وعنده مثل اى يختصّ به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرّجل عندى ما تريد يريد
اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرّع و
تكرير ربّنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة من احتمال المشاقّ فى دين الله والصّبر على
صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنّين عليه وتسجيل على من لا يرى الثّواب موصولًا اليه بالعمل
بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصّادق رضى الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرّات ربّنا انجاه الله ممّا

قوله فاستجاب لهم ربهم الآية اى استجاب ما سأل ولكن الثانى على الاضمار لما ذكره فى القصص ومعناه انه يوصل الى الداعى بالالام والى الدعاء بنفسه وا عند البيت

ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انّك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد فى قولك وعد الله الجنّة على الطّاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك

يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدى الدعاء **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد** لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد اى لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروى ان ناسا من المومنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع **فان قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى نهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للمتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار** النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي شعر

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر موكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرئ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد **وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب** وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى

عليه

عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن لان من يومن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين يوتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد **يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اى غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وآله من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

**سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا** يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم **فان قلت** علام عطف قوله وخلق منها زوجها **قلت** فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر **فان قلت** الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها **قلت** لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يودي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا

وحافظوا

عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل
وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به فادغمت التاء الثانية في السين وقرئ تساءلون
بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف و
انا شدك الله والرحم وتساءلون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع يفعلون للجمع كقولك رايت الهلال
وترايناه وتنصره قراءة من قرا تسالون به مهموزا او غير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلث فالنصب
على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره
قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل
كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد وكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما
اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد
وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال
لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فما بك والايام
من عجب والرفع على انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او
والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم
اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي
يتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن تعالى اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان
لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه والرحم
حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم متعلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت
به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلوة والسلام تخيروا لنطفكم
فقال يقول لاولادكم وذلك ان تضع ولده في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا تقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب
الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا** اليتامى الذين مات
اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة وقيل اليتيم في الاناسي من قبل الاباء وفي
البهائم من قبل الامهات **فان قلت** كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى **قلت** فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى
لان اليتم من وادي الافات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى
الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء
معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل
وقائم عليهم وانتصبوا اكفاء يكفون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله
يتيم ابي طالب اما على القياس واما على حكاية الحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله
عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام
الصغار **فان قلت** فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم **قلت** اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال

ان لا

ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا
بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا
بالصغر كما تسمى الناقة عشارا بعد وضعها على ان فيها اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم عن حد البلوغ ولا
يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان
كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه واله فنزلت
فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي صلى الله عليه واله
ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه واله ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر
كيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث
في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو
حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار
قال ذو الرمة **شعر** فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته
الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة
وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا
بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال **فان قلت** قد حرم
عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها **قلت** لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال
اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم يفعلون كذلك
فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر سمع بهم لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق
ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا
وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك
ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا
مريئا** ولما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب
بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر
من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في
حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من
ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه
لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم
الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل

تحد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليّها فيتزوجها ضنّاً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف
لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوهن من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب
كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريدون
خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا
الى الصفة ولان الاناث من العقلاء تجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى وما ملكت ايمانكم مثنى
وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها
وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرفت بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع و
محلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى
التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من
العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة
واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى **فان قلت** فلم جاء العطف بالواو دون او **قلت** كما جاء بالواو
في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة
اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا
بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة
الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من
النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء
ذلك وقرا ابرهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما
خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله
يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت
واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة و
بين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة
من المهاير لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام
لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا
اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم
في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة عن
رسول الله الا تعولوا الا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي انه فسر الا تعولوا الا تكثر عيالكم
فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم
لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب
الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وايمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل

على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب لا تظنن
بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم
بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب
من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات
**فان قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير **قلت** ليس كذلك لان الغرض
بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن
فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي
من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة
وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد
وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن
طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر اني نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية
وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن
نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن
ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل
نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام
خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول
له ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج
وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة
لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى
اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر
الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد
توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق
لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين
لانه في الاصل اصدق مجزوما فلما جاء بالفاء نصبه فعطف واكن على محل اصدق
لان الفاء عارض كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل
عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما
يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت
له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته
شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله

تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها لما جعلت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن
وحكى ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها
فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي
بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة
فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله
سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا
يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال
الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق
المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او
سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن
لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها
ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون
متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء
والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما
تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمرئ الطعام
فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وهو يوقف
على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه
عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل
الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا** السفهاء المبذرون
اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب
للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم مما
ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم واكسوهم
فيها جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها
قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو
وقوام الشيء ما يقام به كقولهم هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة
يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا قال لئن ادنتني
عن الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان
اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا
لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق
وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه

يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم
وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك
نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا
من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر **وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا** وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم
ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا آنستم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير
تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به
وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء
عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد
التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي
الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء وتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد
الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال **فان قلت** فان لم يؤنس منه رشد
الى حد البلوغ **قلت** عند ابي حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده
بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان
لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس و
عند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد **فان قلت** ما معنى تنكير الرشد **قلت**
معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى
لا ينتظر به تمام الرشد **فان قلت** كيف نظم هذا الكلام **قلت** ما بعد حتى الى فادفعوا
اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا
متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا
اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ
ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين
ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم
الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقنع
بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره
على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف

مما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها وعن النبى صلى الله عليه وآله ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا تلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم لا تلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وتنزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب انى انزلت نفسى من مال الله منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل فى الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابى حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعى لا يصدق الا بالبينة فكان فى الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضى الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اى كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض ومحاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا الاقربون هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من ما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روى ان اوس بن صامت الانصارى ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال يقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وآله فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة اى قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشئ من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى ان

عبدالله بن عبد الرحمن بن ابى بكر قسم ميراث ابيه وعايشة حية فلم يدع فى الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية عن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعى ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب صارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لو مع ما فى حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القايل شعر لقد زاد الحيوة الى حبا ** بناتى انهن من الضعاف ** احاذر ان يرين البوس بعدى ** وان يشربن رنقا بعد صاف ** وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى ومن المجالسين الى المريض ان يقولوا اذا اراد الوصية لا تسرف فى وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله لسعد انك ان تترك اولادك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته فى بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان فى بطنه وفى بعض بطنه قال ** كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ** فان زمانكم زمن خميص ** ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار فى الحقيقة وروى انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا وقرئ سيصلون بضم اليا وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس

من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله
كان عليما حكيما يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا
اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر
قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان
فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على
فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية
فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة
بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع
لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ
المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه
لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس
معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء
اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى
فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرا زيد بن
ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت
قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح
ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما
فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء
فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة
قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمه خلوصهن اناثا
لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن و
اريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين
في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما
وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء
فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة و
الذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان
الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين
وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس
رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد

رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها
ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت
ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره
اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت
فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال
والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا و
خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك
الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر
بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث
مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه
قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس
مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك
الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت
ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما يستحق ما يسهم
له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام
بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة جامعا بين الامرين فلو ضرب
لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فكان للزوج
النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون
للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا
لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا
الا عند ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان
يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة يفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية
والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة
عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية
من بعد وصية متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه
الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء
للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على
قسمة المواريث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين
مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة بالميراث في كونها ماخوذة من غير عوض
كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف
الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها

مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اي لا تدرون من انفع لكم من ابنائكم وآبائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم اقرب لكم نفعا فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملايم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يوكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به **فان قلت** ما الكلالة **قلت** ينطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء وقال الاعشى **شعر** فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق **فان قلت** فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها **قلت** على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها **فان قلت** فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه **قلت** الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث **فان قلت** فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ **قلت** الى الرجل والى اخته او اخيه وعلى الاول اليهما **فان قلت** اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل يبقى هذه الفايدة قايمة في هذا الوجه **قلت** نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان والله منه بري الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة لما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزاد عليه على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من ساير الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومعاصيهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وتنصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجاير لا يعاجله وهذا وعيد **فان قلت** فيوصى ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث **قلت** كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت **فان قلت** فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها على ما لم يسم فاعله **قلت** يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على يسبح فكان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال **فان قلت** هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا **قلت** لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾

فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يأتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادة قبحها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز ان يكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ويجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروطا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفيهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين يتوفاهم الملائكة ان الذين توفيهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما يدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم قلت انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا

لهم عذابا اليما ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار بظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله عليه السلام من لم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حالة قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احديهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء

منه بما اعطاها ليصرفها الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم الاستبدال زوج الاية القنطار المال العظيم من قنطرت الشئ اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومى اقسم ربها لتلتقن حتى تشاد بقرمد وعن عمر انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتى عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعوننى اقول مثل هذا فلا تنكرونه علىّ حتى ترد علىّ امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو برئ منه لانه يبهت عند ذلك اى يتحير وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اى افضى بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولى عند العقد انكحتك على ما فى كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبى صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان فى ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح ممقوت فى المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ ولا تحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الباء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه فى موضع الحال وآتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اى فرق بين تعديتى ذهب بالباء وبها بالهمزة قلت اذا عدى بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن فى جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة فان قلت من اى وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعنى ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا تحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال فى التابيد فى نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات

الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ولان تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام تحرم من الرضاعة ما تحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا فى مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع فى النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز فى الرضاع لان المانع فى النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثانى لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا يقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فانى لست منك ولست منى ما انا من دد ولا الدد منى وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله فى رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان تدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روى عن على عليه السلام وابن عباس وابن عمر وابن الزبير انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها

قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول فى ذلك كما قام مقامه فى باب المهر وسمى ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربها كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما **فان قلت** ما فايدة قوله فى حجوركم **قلت** فايدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفى حكم التقلب فى حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن على عليه السلام انه شرط ذلك فى التحريم وبه اخذ داود **فان قلت** ما معنى دخلتم بهن **قلت** هى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابى حنيفة وعن عمر انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما انى لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدى من اللمس والنظر قالوا المراد بالنظر النظر الى الفرج وعن الحسن فى الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن حماد بن ابى سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا بنتها وعن الاوزاعى اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم وان تجمعوا فى موضع الرفع عطف على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم فى الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما فى ملك فعن عثمان وعلى عليه السلام انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما والمحصنات القراء بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزوج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتى سبين ولهن ازواج فى دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفى معناه قول الفرزدق

وذات حليل انكحتنا رماحنا ❊ حلال لمن يبنى بها لم تطلق ❊

كتاب الله عليكم مصدر موكد اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم **فان قلت** علام عطف قوله واحل لكم **قلت** على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليمانى كتب الله عليكم واحل لكم وروى عن اليمانى كتب الله عليكم على الجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاءكم باموالكم التى جعل الله لكم قياما فى حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والاموال المهور وما يخرج فى المناكح **فان قلت** اين مفعول تبتغوا **قلت** يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحينى وماذينى من المذى فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما فى معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر موكد اى فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت فى المتعة التى كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وآله انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هى محكمة يعنى لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى فى المتعة وقولى فى الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اى زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادنى حبا لنفسى انى ❊ بغيض الى كل امرء غير طائل ❊

ومنه قولهم ما خلى منه بطائل اى بشئ يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول فى الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعى واما ابو حنيفة فيقول الغنى والفقير سواء فى جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفى رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة

نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرًا وكذلك قوله من فتياتكم المومنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المومنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على الايمان ليس بشرط بوصف الحراير مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل **فان قلت** لم كان نكاح الامة منحطًا عن نكاح الحرة **قلت** لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين **فان قلت** فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم **قلت** معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقايكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرءة افضل في الايمان من الرجل وحق المومنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدًا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط اذن المولى في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم واتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز **فان قلت** الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل واتوهن **قلت** لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفايف لا اخدان اخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن نصف ما على المحصنات اي الحراير من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرؤا عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم الحراير صلاح البيت والاماء هلاك البيت **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم** يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسياتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم **والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلًا عظيمًا يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفًا** والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلًا عظيمًا وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل هم المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب

وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول الله يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفًا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما** بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان يكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان الاسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المومنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه واله وقرا علي عليه السلام ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة **ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا** ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى ولذلك لكونه سببا للصلي نارا نارا مخصوصة شديد العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه **ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما** كباير ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سياتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغايركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكباير وصبركم عنها على عقاب السيات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي عليه السلام الكباير

سبع الشرك والقتل والقذف والربا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق وقبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسبا له وسلوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلق الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا

وقيل معناه وكان من حلف في زمن الجاهلية فاجروا احكامه على منزميه حتى اذا مات احدهم ورث الآخر منه وبهذا يشعر ظاهر المصنف نزلت في الذين آخا بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة فنسخ الله ذلك بآية المواريث

يعني انما

يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما يستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن تجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وآله خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا الواجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني والمعنى توبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم

وانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقولك بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين وتبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما تقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا عليه السلام وقد جاءته امراة وزوجها ومع كل واحد فيام من الناس فاخرج هولاء حكما وهولاء حكما فقال علي عليه السلام اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي عليه السلام كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الاجنبي وانشد شعر لبلغا بن قيس

لا يجتوينا مجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنب

وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه

ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجده وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره وان امرا ضنت يداه على امرء بنيل يد من غيره لبخيل ولقد راينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه واله اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته عليه وبنى عامل الرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفات رسول الله والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرئاء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما وما ذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هولاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مونث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول ان الله يعطي عبده المومن بالحسنة

الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفى الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا لو تسوى بهم الارض او يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون فى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على فواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم تكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء فى السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلى بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون فى اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه لا تقربوا مواضعها وهى المساجد كقوله عليه الصلوة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سنانهم كل الرنين وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة يلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجناب الا عابرى سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التى قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة فى حال الجنابة الا ومعكم حال الاخرى تعذرون فيها وهى حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اى ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير معذورين



فان قلت كيف يصح صلوتهم على الجنابة بعدم السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان يكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ياذن لاحد ان يجلس فى المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلى عليه السلام لان بيته كان فى المسجد فان قلت ادخل فى حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذى هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابى حنيفة فان قلت فما تصنع بقوله فى سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى بعضه وهذا لا يتاتى فى الصخر الذى لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد تعالى ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء فى التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق فى مكان الاناء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط وقيل هو تخفيف غيط كهين فى هين والغيط بمعنى الغائط الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا الم تر من رؤية القلب وعدى بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وانه هو النبى العربى المبشر به فى التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا فى سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم

فلا يؤمنون الا قليلا من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض وبيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله شعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح اى فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه فى التورية بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفى المايدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرى ويحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان لا يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابى وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير فى قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اى ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى للمهم تصيبه

اى عديم التشكى او الا قليلا منهم قد آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهى اذرعات الشام يريد اجلاء بنى النضير فان قلت لمن الراجع فى قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم ونخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود وقيل يوم القيمة ولان الله اوعد باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما فان قلت قد ثبت ان الله تعالى يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفى والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثانى من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اى ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل فى القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكى من يشاء اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكى من يشاء يزكى المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به

ولا يظلمون اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا كيف يفترون على الله الكذب فى زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشياطين وذلك ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام و اطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة فى ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيا وقرا ابن مسعود فاذن لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذى هو النصب وهى ملغاة فى قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة و ازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتى اسلافه وعن ابن عباس الملك فى آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا فمنهم من اليهود من آمن به اى بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص





قلت العذاب للجملة الحساسة وهى التى عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شئ مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وما هو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفى قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام فى كل امانة وقيل نزلت فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على بن ابى طالب عليه السلام يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج سال العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى عليه السلام اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله فى شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان يكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان يكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اى نعم ما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل فى العدل وقرئ نعما بفتح النون يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان تحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولى الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما فى ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهى عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعونى ما عدلت فيكم فاذا خالفت فلا طاعة لى عليكم وعن ابى حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا فى قوله واولى الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان

تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الديّنون الذين يعلّمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شيء في امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن عاقبة وقيل احسن تأويلا من تأويلكم انتم **الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه واله وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد الميم من تعالوا فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردون اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغا في وعظهم بالتخويف والانذار **فان قلت** بم تعلق قوله في انفسهم **قلت** بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث عليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما** فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم **فان قلت** هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون **قلت** يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق

من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وينقادوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من
قولك سلّم لامر الله واسلم له وحقيقته سلّم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما
وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل
نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة لانهما اختصما الى رسول الله في شراج
من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن
عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم
ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير
حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته و
لوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء
يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة واحدة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه فقال اقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله
ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود
وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه واله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي
لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم
حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في
فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله
وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم
في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب لسؤال مقدر كانه قيل
وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء من لدنا اجرا
عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم
لطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك
الفضل من الله وكفى بالله عليما الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم
كابي بكر وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل
وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن
الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع النقلين والرفيق كالصديق والخليط في
استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه واله كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه

وعرف الحزن في وجهه فسأل رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك
اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني
عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين
لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه واله وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى
اكون اليه احب من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة
ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره
والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه يفضل به
عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم
من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو توفقهم على حسب احوالهم
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا خذوا
حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من
المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة
سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة
وقرئ فانفروا بضم الفاء وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد
انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن
كان لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه
ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون
معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى
اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ نحو
ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد
ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي
ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او
غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن
في معنى الجماعة وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن
وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون
المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر
انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا
على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم

والفوز مع التمني فيكونا متمنيين جميعاً ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيماً يشرون بمعنى يشترون ويبتغون وقال ابن مفرغ ۞ وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامة ۞ فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله و يجاهدون في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المومنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافراً او مظفوراً به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوباً على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلاً بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاماً لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحراير وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الاباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً رغب الله المومنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو

وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمومنين في جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكاً في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفوراً عن الاخطار بالارواح وخوفاً من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوفاً على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالاً عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالاً منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجروراً عطفاً على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلاً ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت فشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غايب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلاً اي ولا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتداء قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقراءة ابن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر

فارضها السيّئة يقع على البليّة والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيّات لعلهم يرجعون وقال انّ الحسنات يذهبن السيّات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بليّة من قحط وشدّة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيّئة يطّيّروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيّرنا بك وبمن معك وروى عن اليهود لعنت انهادنا منذ رسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فردّ الله عليهم بقوله قل كلّ من عند الله تبسط الارزاق وتقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا انّ الله هو الباسط القابض وكلّ ذلك صادر عن حكمة وصواب **ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيّئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** ثمّ قال ما اصابك يا انسان خطابا عامّا من حسنة اى من نعمة واحسان فمن الله تفضّلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيّئة اى من بليّة ومصيبة فمن عندك لانّك السبب فيها بما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عايشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك **من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولّى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيّت طايفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيّتون فاعرض عنهم وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا** من يطع الرسول فاطاع الله لانّه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عمّا نهى الله عنه فكانت فى امتثال ما امر به والانتهاء عمّا نهى عنه طاعة لله وقد روى انّه قال من احبّنى فقد احبّ الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربّا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولّى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشىء طاعة بالرفع اى امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانّه قال امرى وشانى حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدلّ على ثبات الطاعة واستقرارها بيّت طايفة زوّرت طايفة وسوّت غير الذى تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وضمنت من الطاعة لانّهم ابطنوا الردّ لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت امّا من البيتوتة لانّه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيّت بالليل وامّا من ابيات الشعر لانّ الشاعر يدبّرها ويسوّيها والله يكتب ما يبيّتون يثبته فى صحايف اعمالهم ويجازيهم عليه

على سبيل الوعيد او يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا انّ ابطانهم يغنى عنهم فاعرض عنهم ولا تحدّث نفسك بالانتقام منهم وتوكّل على الله فى شانهم فانّ الله يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعزّ انصاره وقرئ بيّت طايفة بالادغام وتذكير الفعل لانّ تانيث الطايفة غير حقيقى ولانّها فى معنى الفريق والفوج **افلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** تدبّر الامر تامّله والنظر فى ادباره وما يؤل اليه فى عاقبته ومنتهاه ثمّ استعمل فى كلّ تامّل فمعنى تدبّر القرآن تامّل معانيه وتبصّر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه وكان بعضه بالغا حدّ الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالّا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالّا على معنى فاسد غير ملتيم فلمّا تجاوب كلّه بلاغة معجزة فايتة لقوى البلغاء وتناصر صحّة معان وصدق اخبار علم انّه ليس الّا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلم احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كانّها جانّ فوربّك لنسألنّهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جانّ من الاختلافات قلت ليس باختلاف عند المتدبّرين **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان الّا قليلا** هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردّوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولى الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا يؤمّرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من امر رسول الله واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر وفوّضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبّرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحّة فيذيعونه فيعود ذلك الخبر وبالا على المومنين ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو ممّا يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحّته وهل هو ممّا يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يتلقّونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السرّ واذاع به قال

شعر اذاع به فى الناس حتى كانّه ٭ بعلياء نار اوقدت بثقوب ٭

ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله

شعر فان اهجه يضجر كما ضجر بازل ٭ من الادم دبرت صفحتاه وغاربه ٭

والنبط الماء يخرج من البير اوّل ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهمّ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتّبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الّا قليلا منكم او الّا اتّباعا قليلا

فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهار بعض الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان يقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب شعر وذي ضغن كففت السوء عنه ؛ وكنت على اساءته مقيتا ؛ وقال السموءل ؛ ألي الفضل ام علي اذا حوسبت ؛ اني على الحساب مقيت ؛ واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها وإذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف من قال لآخر اقرأ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل



اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم فانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام لا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه تعالى صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق من الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بما نطق وربما كان الكذب احلى عنده من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن ساير القبائح فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وآله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه

لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا تتولوهم وان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ولرسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله بمن معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاق لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له صحة في تاثير الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا

رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه وكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ستجدون اخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا اشر فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه ومنه

قولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبّر عنها بالرأس فى قولهم فلان
يملك كذا رأسا من الرقيق فالمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة ~~الاسلام~~
العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلّت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى كفارة
الظهار فاشترط الايمان وقيل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلّمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ يقضى منها الدين
وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته
تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك
بن سفين الكلابى فقال كتب الىّ رسول الله يامرنى ان اورّث امرأة اشيم الضبابى من عقل
زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين
ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرّة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من تجب
الرقبة والدية **قلت** على القاتل الا ان الرقبة فى ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهى
فى بيت المال فان لم يكن ففى ماله الا ان يصدّقوا الا ان يتصدّقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان
يعفون ونحوه وان تصدّقوا خير لكم وعن النبى صلى الله عليه واله كل معروف صدقة وقرأ ابى الا ان
يتصدّقوا **فان قلت** بم تعلّق ان يصدّقوا وما محله **قلت** تعلّق بعليه او بمسلّمة كانه قيل وتجب عليه
الدية او يسلّمها الا حين يتصدّقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم
اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدّقين من قوم عدو لكم من قوم
كفار اهل الحرب وذلك نحو رجل اسلم فى قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله
خطاء وليس على عاقلته لاهله شئ لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتى قومه وهم
مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطاء لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة
لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين
فمن لم يجد رقبة يعنى لم يملكها ولا ما يتوصّل اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من
الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة
الى الصوم توبة **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم
وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفين كان اهل
العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله فى التغليظ والتشديد والا
فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل
امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان
الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين
عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن القران هذه الاية ويرون ما فيها ويسمعون هذه





الاحاديث القطيعة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا يدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما
يخيّل اليهم مناهم ان يطمعوا فى العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها
ثم ذكر الله تعالى التوبة فى قتل الخطاء لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع
ولكن لا حياة لمن تنادى **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل
فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اى قاتل كان من مسلم او كافر تائبا وغير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن
ادّعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ
فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ
مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا** فتبيّنوا وقرئ فتثبّتوا وهما من التفعّل بمعنى الاستفعال اى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه
من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية اهل
الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اى لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا
من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه واله كان عليها غالب
بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الاية
على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت
ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا يطلبون الغنيمة
التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبّت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله
مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك
كنتم من قبل اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم
واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمنّ الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم
وان تعتبروا ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية
فتجعلوه سلّما الى استباحة دمه وماله وقد حرّمهما الله وقوله فتبيّنوا تكرير للامر بالتبيين
ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين
فى ذلك **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا
وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ
وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا** غير اولى الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع
صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة
من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه واله

فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرا يا زيد فقرات لا يستوي القاعدون من المومنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك **فان قلت** معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء **قلت** معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره **فان قلت** قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم **قلت** اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات والذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية **فان قلت** لم نصب درجة واجرا ودرجات **قلت** نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة نظير قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة

**ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة **فان قلت** كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء **قلت** معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة هذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يحب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بهذه الاية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم **فان قلت** كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا كما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سوال **فان قلت** الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها **قلت** هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله شعر ولقد امر على اللئيم يسبني **فان قلت** لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع **قلت** للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما** مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي شعر كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف

فلما ثم نقل حركة الهاء الى القاف كقوله ع من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان
كقوله ع والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع
والسقوط فانا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب
عليه وروى في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم
هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت
وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا
في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى رسول الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على
الله **واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي
يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا
اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة
ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة السفر
اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر
والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه اتم في السفر
وعن عائشة اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت
مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب
علي وما كان عثمان يتم ويقصر وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره و
عن عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر **فان قلت** فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا **قلت**
كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب
انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى
تقصيرها وقرا الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو
قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة
ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال و
التعرض بما يكره **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك
وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم
يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون
عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان
كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله
اعد للكافرين عذابا مهينا** واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى

صلوة الخوف بعد رسول الله حيث شرط كونه فيهم وقال من راها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله
في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة
في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين
فليقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فليقم احديهما معك فصل بهم وليأخذوا فاصل بهم
وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه
فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة
ان يصلي الامام احدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو
ثم يقف هذه بازاء العدو وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم يقف هذه بازاء العدو
وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها
والسجود على ظاهر عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة
ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها
ويسلم بهم وتعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم **فان قلت**
كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ **قلت** جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها
الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا
الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء
فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها
بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو
**فان قلت** كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا **قلت** الامر بالحذر
من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم
ويخذله وينصرهم عليه ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله
كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا و
على جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا** فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم
حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال
القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها
عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب
في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما
عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر
الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود و

واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجاء اليه فاذا اطماننتم فاذا امنتم فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تالمون اى ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة وقرا الاعرج ان تكونوا تالمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله فانهم يالمون كما تالمون تعليل وقرئ فانهم يئلمون كما تيلمون وروى ان هذا فى بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يامركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما روى ان طعمة بن ابيرق احد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودى وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حايطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر لا يقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الراى من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعنى لا تخاصم اليهودى لاجل بنى ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودى يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم **فان قلت** لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده **قلت** لوجهين احدهما ان بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له فى الاثم والثانى انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخاين قط ولا تجادل عنه **فان قلت** لم قيل خوانا اثيما على المبالغة **قلت** كان الله عالما من طعمة بالافراط فى الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشكك فى حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده فى اول مرة يستخفون

من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مومنين انهم فى حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته **فان قلت** كيف سمى التدبير قولا وانما هو معنى فى النفس **قلت** لما حدث بذلك نفسه سمى قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذى حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودى ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ها انتم هؤلاء ها للتنبيه فى انتم واولاء وهما مبتدا وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما يقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتوثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه فى الدنيا فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرا عبد الله عنه اى عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما فانما يكسبه على نفسه اى لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم اثم وبرميه البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وقرا معاذ بن جبل ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شىء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولولا فضل الله عليك ورحمته اى عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طايفة منهم من بنى ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بان الجانى هو صاحبهم فقد روى ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شىء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضماير القلوب او من امور الدين والشرايع ويجوز ان يراد بالطايفة بنو ظفر ويرجع الضمير فى منهم الى الناس وقيل الآية فى المنافقين لا خير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله

جهنم وساءت مصيرا لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما عبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد وكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ أنثا جمع انيث كخبيث وخبث واناث وأنثا وأنثا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت الواو همزة نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعون الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا



غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور عند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا باماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل له وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما تزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز

ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في من يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الاخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يراد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل **ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا** اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكن يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه الله خليلا **ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا** ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والظالمين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة



في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فاذا كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم **وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله واماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بضرب او سب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا

على ذلك مراعاة لحق الصحبة ونتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عبادة الشاكرين والصابرين **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما** ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب بعث الى ازواج رسول الله بمال فقالت عايشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما** قرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغني الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر **ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا** من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين



اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا وتكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان الله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله ولله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله **ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات بآخرين وكان الله على ذلك قديرا** ان يشا يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشاكم ويات باخرين ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب اي ان يشا يمتكم ويات بناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس **من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا** من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم **فان قلت** الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه **قلت** هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على اقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر **فان قلت** لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين **قلت** قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير

اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرا عبد الله ان يكن غني
على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس
او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او
تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم
عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على
الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب و
الدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب
لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انها نزلت لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن
قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام
بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين
كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من
قبل وكانوا مؤمنين بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من
الكتب قبله فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة
ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه
علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد تعالى في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و
يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل
من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية
ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا ان
الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية
وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت
والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا
ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا
ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم
فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر
لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه
امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب
ان يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتورية وموسى ثم بالانجيل وعيسى ثم ازدادوا



كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل
عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا والذين نصب
على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان
كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن
قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به فنهي
المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل
المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في
القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين
والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت
الى من دل عليه من يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها
فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين و
الراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين
منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين
يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين
او نصب على الذم منهم يتربصون اي ينتظرون ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين
فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا
عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في
قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار
ان قال الحطيئة شعر الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر
المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر
المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني
ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع

من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث
تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم
يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته
فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون
بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المومنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ
بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اى يقومون متثاقلين متقاعسين
كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون بصلاتهم الرياء
والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا
ما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم
يتطوعوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من
المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة
ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى
المراآة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه
والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى راءهم كقولك نعمه وناعمه
وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة المرأة الرجل اذا امسكتها ليرى وجهه ويدل
عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤون بهمزة مشددة مثل يرعون اى يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم
لذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون
بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اى يذاد ويدفع فلا يقر في
جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال
الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم
او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر
مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا الى العابين
ماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان
لا الى هولاء منسوبين الى هولاء فيكونوا مومنين ولا الى هولاء ولا منسوبين الى هولاء فيسموا
مشركين يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في
اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين
بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المومن وخالق الكافر و
الفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المومن ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا



واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما الدرك الاسفل
الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد
عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المومنون
الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المومنين فهم اصحاب المخلص
المومنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم
فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية
من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله
عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي
يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه
فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم
وقلد واعطى سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا
عليما ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع
به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته
الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب
وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان
قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر شكرا مفصلا وكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل
التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما الا من
ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما
فيه من السوء وقيل هو ان يبدا بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل
قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع
اى ولكن الظالم راكبها لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر
بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد
ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع و
العبودية ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وذكر ابداء
الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير
وسبطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا

اى يعفوا عن الخاينين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ان الذين يكفرون بالله و رسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله وآمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا فى القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون فى الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضى شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما يقول ما رأيت احدا فيقصد العموم الا تراك تقول الا بنى فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله لستن كاحد من النساء والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر والغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا روى ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان و كتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن لو سألوه لكى تتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوا منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم فى ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت جهرة عيانا بمعنى ارناه جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جايزا لما سموا ظالمين واخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مطل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا فى السبت وقد اخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعتدوا ولا تعدّوا بادغام التاء فى الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله

وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذى تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اى فى اكنة لا يتوصل اليها شئ من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه كما هو مذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجئ بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا البهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهادا روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه

قُتِلَ وصُلِبَ وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رُفِع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا **فان قلت** شُبِّه مسند الى ماذا ان جعلته مسندًا الى المسيح فالمسيح مُشبَّه به وليس بمشبَّه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خُيِّل اليك كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يُسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شُبِّه لهم من قتلوه الّا اتباع الظنّ استثناء منقطع لان اتباع الظنّ ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتّبعون الظنّ **فان قلت** قد وُصفوا بالشكّ والشكّ ان لا يترجّح احد الجائزين ثم وُصفوا بالظنّ والظنّ ان يترجّح احدهما فكيف يكونون ظانّين **قلت** اريد انهم شاكّون ما لهم من علم قطّ ولكن ان لاحت لهم امارة فظنّوا فذاك وما قتلوه يقينًا وما قتلوه قتلًا يقينًا او ما قتلوه متيقّنين كما ادّعوا ذلك في قولهم انّا قتلنا المسيح او يجعل يقينًا تاكيدًا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقًّا اى حقّ انتفاء قتله حقًّا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علمًا ونحرته علمًا اذا بالغ فيه علمك وفيه تهكّم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيًا كليًّا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الّا تهكّمًا بهم **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ليؤمننّ به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الّا ليؤمننّ به ونحوه وما منّا الّا له مقام معلوم وان منكم الّا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الّا ليؤمننّ قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعنى اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لى الحجّاج آية ما قراتها الّا تخالج فى نفسى شيء منها يعنى هذه الآية وقال انى اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدوّ الله اتاك عيسى نبيًّا فكذّبت به فيقول آمنت انه عبد نبىّ وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيًّا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متّكيًا فاستوى جالسًا فنظر الىّ وقال ممّن قلت حدّثنى محمد بن علىّ ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبى فقلت له ما اردتَ ان تقول حدّثنى محمد بن علىّ ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعنى بزيادة اسم علىّ لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسّره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا يخرج نفسه حتى يحرّك بها شفتيه قال وان خرّ من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلّم بها فى الهواء ولا يخرج روحه حتى يؤمن به ويدلّ عليه قراءة ابىّ الّا ليؤمننّ به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم الّا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدًا يصلح للجمع **فان قلت** ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم **قلت** فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بدّ لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثًا لهم وتنبيهًا على معاجلة الايمان به فى اوان الانتفاع به وليكون الزامًا للحجّة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدًا يشهد على اليهود بانهم كذّبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الّا





ليؤمننّ بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله روى انه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الّا يؤمن به حتى تكون الملّة واحدة وهى ملّة الاسلام ويُهلك فى زمانه المسيح الدجّال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيّات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفّى ويصلّى عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الّا ليؤمننّ به على ان الله يحييهم فى قبورهم فى ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير فى به يرجع الى الله وقيل الى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** فبظلم من الذين هادوا فباىّ ظلم منهم والمعنى ما حرّمنا عليهم الطيّبات الّا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدّد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيّبات التى حرّمت عليهم ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر وحرّمت عليهم الالبان وكلّما اذنبوا ذنبًا صغيرًا او كبيرًا حرّم عليهم بعض الطيّبات من المطاعم وغيرها وبصدّهم عن سبيل الله كثيرًا ناسًا كثيرًا او صدًّا كثيرًا بالباطل بالرشوة التى كانوا ياخذونها من سفلتهم فى تحريف الكتاب **لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا** لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون فى العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعنى المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنًا فى خطّ المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان وغبى عليه ان السابقين الاوّلين الذين مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كانوا ابعد همّة فى الغيرة على الاسلام وذبّ المطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله ثلمة ليسدّها من بعدهم وخرقًا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اى يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفى مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهى قراءة مالك بن دينار والجحدرى وعيسى الثقفى **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** انّا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابًا من السماء واحتجاج عليهم بانّ شانه فى الوحى اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زُبورًا بضمّ الزاى جمع زِبْر وهو الكتاب **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ورسلًا نصب بمضمر فى معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبّأنا وما اشبه ذلك او بما فسّره

قصصناهم وفي قراءة ابيّ ورسل قد قصصنا هم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرايع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قرأ السلمي لكنّ الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملئكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملئكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملئكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفايت للقدرة وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملئكة والملئكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح



عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلثة خبر مبتدإ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة والا فتقديره الآلهة ثلثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته من خدك باصبعك ولا الملئكة المقربون ولا من هو اعلى قدرا منه واعظم منه خطرا وهم الملئكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملئكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق

لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية وجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلام منزلة ومثاله قول القايل شعر وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر والامواج يلتج زاخره ولا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الاية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي عليه السلام عبيدا لله على التصغير وروى ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به **فان قلت** علام عطف قوله والملائكة **قلت** لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه **فان قلت** قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا لله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون **فان قلت** التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد **قلت** هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله **يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا** البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز **فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما** في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا و**

**نساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم** روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وآله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله الانصاري فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت **فان قلت** الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد **قلت** بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر **فان قلت** الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة **قلت** اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل ان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم **سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد** يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه الموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة **شعر** قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم

وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة والا ما يتلى عليكم آية والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام الملابسة الشبيه غير محلي الصيد وانتم حرم نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم في حال امتناعكم من الصيد والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله ولا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة



وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا احللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين يقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى ع وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام او الى تناول

ما حرّم عليهم لانّ المعنى حرّم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا **فان قلت** لم كان استقسام المسافر و غيره بالازلام لتعرّف الحال فسقا **قلت** لانه دخول في علم الغيب الذى استاثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد انّ اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرنى ربّى ونهانى ربّى افتراء على الله وما يدريه انّه امره او نهاه والكهنة والمنجّمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روى انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانّما اراد الزمان الحاضر وما يتّصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابّا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لمّا ابيضّ مسربتى وعضضت من نابى على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محلّلين لهذه الخبائث بعد ما حرّمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان تغلبوه لانّ الله تعالى وفى بوعده من اظهاره على الدين كلّه فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفّار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشونى واخلصوا لى الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوّكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتى بفتح مكّة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهليّة ومناسكهم وان لم يحجّ معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتى عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى بذلك لانه لا نعمة اتمّ من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا بمعنى اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضىّ وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا انّ هذه امّتكم امّة واحدة **فان قلت** بم اتّصل قوله فمن اضطرّ **قلت** بذكر المحرّمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكّد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لانّ تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامّة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطرّ الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فانّ الله غفور لا يؤاخذه بذلك **يسئلونك ماذا احلّ لهم قل احلّ لكم الطيّبات وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلّمونهنّ ممّا علّمكم الله فكلوا ممّا امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتّقوا الله انّ الله سريع الحساب** في السؤال معنى القول ولذلك وقع بعده ماذا احلّ لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احلّ لهم وانّما لم يقل ماذا احلّ لنا حكاية لما قالوه لانّ يسئلونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلنّ ولو قيل لافعلنّ واحلّ لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحلّ لهم خبره كقولك اىّ شىء احلّ لهم ومعناه ماذا احلّ لهم من المطاعم كانهم حين تلى عليهم ما حرّم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عمّا احلّ لهم منها فقيل احلّ لكم الطيّبات اى ما ليس بخبيث منها وهو كلّ ما لم يات تحريمه في كتاب او سنّة او قياس مجتهد وما علّمتم من الجوارح عطف على الطيّبات اى احلّ لكم الطيّبات وصيد ما علّمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطيّة وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب و

هذا للكفّار فيما لفقته المجبرة وليس باوّل تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بنى عبد المطّلب وهو حبر الامّة وبحرها ومفسّرها بالخطاب الذى لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصّين انّ الحديث فرية ما فيها مرية **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فانّ الله يتوب عليه انّ الله غفور رحيم** والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمّنهما معنى الشرط لانّ المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول تضمّن معنى الشرط وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضّلها سيبويه على قراءة العامّة لاجل الامر لانّ زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذى يجب به القطع عشرة دراهم عند ابى حنيفة وعند مالك والشافعى ربع دينار وعن الحسن درهم وفى مواعظه واحذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السرّاق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح بالتقصّى عن التبعات فانّ الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وامّا القطع فلا تسقطه التوبة عند ابى حنيفة واصحابه وعند الشافعى في احد قوليه يسقطه **الم تعلم انّ الله له ملك السموات والارض يعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كلّ شىء قدير** من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرّين والتائبين وقيل يسقط حدّ الحربى اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لانّ في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في القصاص حيوة **فان قلت** لم قدّم التعذيب على المغفرة **قلت** لانه قوبل بذلك تقدّم السرقة على التوبة **يا ايّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنّا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهّر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم** قرئ لا يحزنك بضمّ الياء ويسرعون والمعنى لا تهتمّ ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اى في اظهار ما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فانّى ناصرك عليهم وكافيك شرّهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شىء اذا وجدوا فرصة لم يخطؤوها وآمنّا مفعول قالوا وبافواههم متعلّق بقالوا لا بآمنّا ومن الذين هادوا منقطع عمّا قبله خبر لسمّاعون اى ومن اليهود

قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او الذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يعنى اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اى قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وآله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التى وضعها الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم وايّاه فهو الباطل والضلال وروى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فى التورية الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم

**سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين** السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم فى بنى اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها فى كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر

الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكى ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم الوضائع وجعل يحدثهم بما جرى له فى عمله فقال اعرابى من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبى صلى الله عليه وآله كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعى والشعبى انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بما انزل الله وعند ابى حنيفة ان احتكموا الينا حكموا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبى صلى الله عليه واله وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلفاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله منهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم **وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين** وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين فى الايمان على سبيل التهكم **فان قلت** فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب **قلت** اما ان ينتصب حالا من التورية وهى مبتدأ خبره عندهم واما ان ترتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره **فان قلت** لم انثت التورية **قلت** لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها فى كلام العرب **فان قلت** علام عطف ثم يتولون **قلت** على يحكمونك **انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون** فيها هدى يهدى للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم تعالى لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التى هى دين الانبياء كلهم فى القديم والحديث وان اليهود بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود

بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اى بسبب سؤال انبيائهم اياهم
ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن فى من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء ورقباء كيلا
يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما الف نبى وعيسى للذين هادوا
يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابايه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون و
الاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضايا احكامه وبسبب كونهم عليه
شهداء ويجوز ان يكون الضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ
من الله اى كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهى للحكام عن خشيتهم غير الله
فى حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة
اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا
قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة
عن الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو فى كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها
وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان
من حلو فهو لكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر ظالم
فاسق وعن الشعبى هذه فى اهل الاسلام والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى وعن ابن
مسعود هو عام فى اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببنى اسرائيل لتركبن طريقهم
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير انى لا ادرى اتعبدون العجل ام لا فى مصحف ابى وانزل الله
على بنى اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف
على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان المعنى
الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتابة والقراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة
انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم
فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين و
الانف مجذوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص
ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا
لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة
له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته و
عن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجانى اذا تجاوز
عنه صاحب الحق يسقط عنه ما لزمه وفى قراءة ابى فهو كفارته له يعنى فالمتصدق كفارته
له اى الكفارة التى يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب
فى العفو وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه

الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثانى بزيادة الباء فان
قلت فاين المفعول الاول فى الآية قلت هو محذوف والظرف الذى هو على آثارهم كالساد مسده
لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير فى آثارهم للنبيين فى قوله يحكم بها النبيون
الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمى خرج لعجمته عن زنات
العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال
وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال لقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله و
ليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان
قلت فان نظمت هدى وموعظة فى سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت
بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ
وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروى فى قراءة ابى وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان
موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل و
قيل ان عيسى صلوات الله كان متعبدا بما فى التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر و
الاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التورية وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
فان قلت اى فرق بين التعريفين فى قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت
الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثانى تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز
ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه
وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات
وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هيمن عليه الله تعالى والحفاظ فى كل بلد لو حرف
حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمازوا رادين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى
ولا تنحرف فلذلك عدى بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا
منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين
تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة
على شريعة واحدة او ذوى امة واحدة اى دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم

من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه و تفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استيناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم و مبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب فى قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كساير الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستنزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نومن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه واله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولى واستسرافهم فى ارتكابه ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد ع او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اى نفس وكما ان التنكير يعطى معنى التكبير وهو فى معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون فى الكفر معتدون فيه يعنى ان التولى عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء فى الكفر افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثانى ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى من الله وعن الحسن هو عام فى كل من يبتغى غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرا السلمى افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة فى اهذا الذى بعث الله وعن الصفة فى الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال فى مررت بهند تضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذى يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام فى قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل

من الله

من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المومنين ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض اى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه واله لا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر لابى موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين يسارعون فيهم ينكمشون فى موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان يصيبهم دائرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه واله ان لى موالى من يهود كثيرا عددهم وانى ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع فعسى الله ان ياتى بالفتح لرسول الله صلى الله عليه واله على اعدايه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون فى امر رسول الله صلى الله عليه واله ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحرى ان تكون الدولة والغلبة لهولاء وقيل او امر من عنده او ان يومر النبى صلى الله عليه واله باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ويقول الذين امنوا قرئ بالنصب عطفا على ان ياتى وبالرفع على انه كلام مبتدا اى ويقول الذين امنوا فى ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهى فى مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون حينئذ فقيل يقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص اهولاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوا لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المومنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى راى اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله تعالى شهادة لهم

يحبط الاعمال ويحيا من سوء احوالهم ﴿يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم﴾

قري من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكاينات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وآله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم اشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه واله الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة الآف من كندة وبجيلة وثلثة الآف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله تعالى عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان يلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن

لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمومنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المومنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المومنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لايم قط وان يكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قايل ولا اعتراض معترض ولا لومة لايم يشق عليه جدهم في صلابتهم وانكارهم في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يوتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون﴾ عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وآله والمومنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم الله فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطات قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يوتون الزكوة بمعنى يوتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سايل وهو راكع في صلوته فطرح خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي عم واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المومنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم في الصلوة لم يوخروه الى الفراغ منها ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾ فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا علما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمومنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن

لا يغالب **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين** روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل تقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين **واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون** اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانهم لا عقل لهم **قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون** وقرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وآله نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا **قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل** ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثلهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت بالاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة



قلت كان اليهود يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة الشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز **واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون** نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وآله ويظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم **وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه

ويتدرّب وينسب اليه وكان المعنى فى ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التى تدعو اليها وتحمله على ارتكابها واما الذى نهاه فلا شهوة معه فى فعل غيره فاذا فرّط فى الانكار كان اشدّ حالا من المواقع ولعمرى ان هذه الاية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هى اشدّ اية فى القرآن وعن الضحاك ما فى القرآن آية اخوف عندى منها

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنّ كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين غلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غلّ ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله فى ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا معا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله شعر

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا فى قوله شعر

اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

ويقال بسط اليأس كفيه فى صدرى فجعلت لليأس الذى هو من المعانى لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب فى تاويل امثال هذه الاية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزال عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفرى وانحرفت عن العلى

ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدى حقيقة يغلون فى الدنيا اسارى وفى الاخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبنى سب الله دابره اى قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذى يقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التى تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد فى بل يداه مبسوطتان وهى مفردة فى يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخى بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفى مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روى ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله فى محمد صلى الله عليه وآله وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضى بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اى يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا فى الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلمتهم مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع

اتفاق



اتفاق بينهم ولا يتعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم فى ملك المجوس وقيل خالفوا احكم التورية فبعث الله تعالى بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون فى الكيد للاسلام ومحوا ذكر رسول الله فى كتبهم ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التى هى الشريطة فى الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نواخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصى اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجى ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ولو انهم اقاموا التورية والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وما انزل اليهم من ساير كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل هى الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف واصحابه والروم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واى شئ انزل اليك غير مراقب فى تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلى به غيرها وكونها لذلك فى حكم شئ والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله فى تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شئ وان كان كلمة واحدة انت كمن ركب الامر الشنيع الذى هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثانى ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله

من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلام فاوحى الله الىّ ان لم تبلغ رسالتى عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدايك فما عذرك فى مراقبتهم **فان قلت** اين ضمان العصمة وقد شج فى وجهه يوم احد وكسرت رباعيته **قلت** المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس فى ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدى القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس **قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين** لستم على شىء اى على دين يعتد به حتى يسمى شيا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشىء تريد تحقيره وتصغير شانه وفى امثالهم اقل من لا شىء فلا تاس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفى المومنين غنى عنهم **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له

وإلا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق

اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك **فان قلت** هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها **قلت** لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان **فان قلت** لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو **قلت** لانى اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل فى محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل فى الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين فى عمله كما تنتظمهما ان فى عملها فلو رفعت الصابئون المنوى به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين **فان قلت** فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو **قلت** هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتى عطف عليها **فان قلت** ما التقديم والتاخير الا لفايدة فما فايدة هذا التقديم **قلت** فايدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هولاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اى خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل فى الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذى هو بغاة لئلا يدخل قومه فى البغى قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما **فان قلت** فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا **قلت** لو قيل هكذا لم يكن من التقديم فى شىء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار فى مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض فى





الكلام **فان قلت** كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن **قلت** فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه **فان قلت** ما محل من آمن **قلت** اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه **فان قلت** فاين الراجع الى اسم ان **قلت** محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء فى موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفى قراءة ابى والصابئين بالنصب وبها قراءة ابن كثير وقراءة عبد الله يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابيون **لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون ويذرون فى دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اى رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرايع **فان قلت** اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان يقول ان اكرمت اخى اخاك اكرمت **قلت** هو محذوف يدل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقايل يقول كيف فعلوا برسلهم **فان قلت** لم جئ باحد الفعلين ماضيا والآخر مضارعا **قلت** جئ يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها **وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون** قرئ ان لا يكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة اصله انه لا يكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان **فان قلت** كيف دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق **قلت** نزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم **فان قلت** فاين مفعولا حسب **قلت** سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اى بلاء وعذاب فى الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول فى صفات الله وهو الروية وقرئ عموا وصموا بالضم على عماهم الله وصمهم اى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلونى البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف اى اولئك كثير منهم **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله**

فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما للظالمين من انصار لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب مثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عباده او فيما هو مختص به من صفاته وافعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين وحرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهو تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الابرص واحيا الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حيث وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسبا اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو

السميع



السميع العليم ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقايقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبهة كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله تعالى امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله

علیهم والمعنی موجب سخط الله ولو كانوا یؤمنون بالله والنبی وما انزل الیه ما اتخذوهم اولیاء ولكن كثیرا
منهم فاسقون ولو كانوا یومنون ایمانا خالصا غیر نفاق ما اتخذوا المشركین اولیاء یعنی انّ موالاة المشركین كفی بها
دلیلا علی نفاقهم وانّ ایمانهم لیس بایمان ولكن كثیرا منهم فاسقون متمرّدون فی كفرهم ونفاقهم وقیل معناه ولو كانوا
یومنون بالله وموسی كما یدّعون ما اتّخذوا المشركین اولیاء كما لم یوالهم المسلمون لتجدنّ اشدّ الناس عداوة
للذین آمنوا الیهود والذین اشركوا ولتجدنّ اقربهم مودّة للذین آمنوا الذین قالوا انّا نصاری
ذلك بانّ منهم قسّیسین ورهبانا وانّهم لا یستكبرون وصف الله شدّة شكیمة الیهود وصعوبة اجابتهم
الی الحقّ ولین عریكة نصاری وسهولة ارعوایهم ومیلهم الی الاسلام وجعل الیهود قرناء المشركین فی شدّة
العداوة للمومنین بل نبّه علی تقدّم قدمهم فیها بتقدیمهم علی الذین اشركوا وكذلك فعل فی قوله ولتجدنّهم
احرص الناس علی حیوة ومن الذین اشركوا ولعمری انّهم لكذلك واشدّ وعن النبیّ صلی الله علیه وآله
ما خلا یهودیّان بمسلم الا همّا بقتله وعلّل سهولة ماخذ النصاری وقرب مودّتهم للمومنین بانّ
منهم قسّیسین ورهبانا ای علماء وعبّادا وانّهم قوم فیهم تواضع واستكانة ولا كبر فیهم والیهود علی
خلاف ذلك وفیه دلیل بیّن علی انّ العلم انفع شیء واهداه الی الخیر وادلّه علی الفوز حتّی علم
القسّیسین وكذلك علم الآخرة والتحدّث بالعاقبة وان كان فی راهب والبراءة من الكبر وان
كانت فی نصرانیّ واذا سمعوا ما انزل الی الرسول تری اعینهم تفیض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ
یقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدین وصفهم برقّة القلوب وانّهم یبكون عند استماع القرآن
وذلك نحو ما یحكی عن النجاشیّ انه قال لجعفر بن ابی طالب حین اجتمع فی مجلسه المهاجرون الی الحبشة
والمشركون وهم یغرونه علیهم ویتطلّبون عنتهم عنده هل فی كتابكم ذكر مریم قال جعفر فیه سورة تنسب
الیها فقراها الی قوله ذلك عیسی بن مریم وقرا سورة طه الی قوله هل اتیك حدیث فبكی النجاشیّ وكذلك
فعل قومه الذین وفدوا علی رسول الله صلی الله علیه وآله وهم سبعون رجلا حین قرا علیهم رسول الله
صلّی الله علیه وآله سورة یس فبكوا فان قلت بم تعلّقت اللام فی قوله للذین آمنوا قلت بعداوة
ومودّة علی انّ عداوة الیهود التی اختصّت المومنین اشدّ العداوات واظهرها وانّ مودّة النصاری
التی اختصّت المومنین اقرب المودّات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف الیهود بالعداوة
والنصاری بالمودّة ممّا یوذن بالتفاوت ثمّ وصف العداوة والمودّة بالاشدّ والاقرب فان قلت
ما معنی قوله تفیض من الدمع قلت معناه تمتلئ من الدمع حتّی تفیض لانّ الفیض ان یمتلئ
الاناء او غیره حتّی یطلع ما فیه من جوانبه فوضع الفیض الذی هو من الامتلاء وهو من اقامة
المسبّب مقام السبب او قصدت المبالغة فی وصفهم بالبكاء فجعلت اعینهم كانّها تفیض بانفسها ای تسیل
من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عینه دمعا فان قلت ایّ فرق بین من ومن فی قوله
ممّا عرفوا من الحقّ قلت الاولی لابتداء الغایة علی انّ فیض الدمع ابتداء ونشاء من معرفة
الحقّ وكان من اجله وبسببه والثانیة لتبیین الموصول الذی هو ما عرفوا ویحتمل معنی التبعیض
علی انّهم عرفوا بعض الحقّ فابكاهم وبلغ منهم فكیف اذا عرفوه كلّه وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنّة
وقری تری اعینهم علی البناء للمفعول ربّنا آمنّا المراد به انشاء الایمان والدخول فاكتبنا مع الشاهدین



مع امّة محمّد الذین هم شهداء علی سائر الامم یوم القیمة لتكونوا شهداء علی الناس وقالوا ذلك لانّهم
وجدوا ذكرهم فی الانجیل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقّ ونطمع ان یدخلنا
ربّنا مع القوم الصالحین وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الایمان مع قیام موجبه وهو الطمع فی
انعام الله علیهم بصحبة الصالحین وقیل لمّا رجعوا الی قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا
لا نؤمن بالله وحده لانّهم كانوا مثلّثین وذلك لیس بایمان بالله ومحلّ لا نؤمن النصب علی الحال بمعنی غیر
مؤمنین كقولك ما لك قائما والواو فی ونطمع للحال فان قلت ما العامل فی الحال الاولی والثانیة
قلت العامل فی الاولی ما فی اللام من معنی الفعل كانه قیل ایّ شیء حصل لنا غیر مؤمنین وفی الثانیة
معنی هذا الفعل ولكن مقیّدا بالحال الاولی لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم یكن كلاما ویجوز ان
یكون ونطمع حالا من لا نؤمن علی انّهم انكروا علی انفسهم انّهم لا یوحّدون الله ویطمعون مع ذلك ان یصحبوا
الصالحین وان یكون معطوفا علی لا نؤمن علی معنی وما لنا نجمع بین التثلیث وبین الطمع فی صحبة الصالحین
او علی معنی وما لنا لا نجمع بینهما بالدخول فی الاسلام لانّ الكافر ما ینبغی له ان یطمع فی صحبة الصالحین
فاثابهم الله بما قالوا جنّات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها وذلك جزاء المحسنین و
الذین كفروا وكذّبوا بآیاتنا اولئك اصحاب الجحیم قرا الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلّموا به من اعتقاد
واخلاص من قولك هذا قول فلان ای اعتقاده وما یذهب الیه یا ایها الذین آمنوا لا تحرّموا طیّبات
ما احلّ الله لكم ولا تعتدوا انّ الله لا یحبّ المعتدین طیّبات ما احلّ الله لكم ما طاب ولذّ من الحلال و
معنی لا تحرّموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحریم ولا تقولوا حرّمناها علی انفسنا مبالغة منكم فی العزم علی
تركها تزهّدا منكم وتقشّفا وروی انّ رسول الله صلی الله علیه وآله وصف القیمة لاصحابه یوما فبالغ
واشبع الكلام فی الانذار فرقّوا واجتمعوا فی بیت عثمان بن مظعون واتّفقوا علی ان لا یزالوا صائمین قائمین
وان لا یناموا علی الفرش ولا یاكلوا اللحم والودك ولا یقربوا النساء والطیب ویرفضوا الدنیا ویلبسوا
المسوح ویسیحوا فی الارض ویجبّوا مذاكیرهم فبلغ ذلك رسول الله صلی الله علیه وآله فقال لهم
انی لم اومر بذلك انّ لانفسكم علیكم حقّا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانی اقوم وانام واصوم و
افطر وآكل اللحم والدسم وآتی النساء فمن رغب عن سنّتی فلیس منی فنزلت وروی انّ رسول الله صلی
الله علیه وآله كان یاكل الدجاج والفالوذج وكان یعجبه الحلواء والعسل وقال انّ المؤمن حلو یحبّ الحلاوة
وعن ابن مسعود انّ رجلا قال له انی حرّمت الفراش فتلا هذه الآیة وقال نم علی فراشك وكفّر عن یمینك
وعن الحسن انه دعی الی طعام ومعه فرقد السبخیّ واصحابه فقعدوا علی المائدة وعلیها الالوان من الدجاج
المسمّن والفالوذ وغیر ذلك فاعتزل فرقد ناحیة فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنّه یكره هذه الالوان
فاقبل الحسن علیه وقال یا فریقد اتری لعاب النحل بلباب البرّ بخالص السمن یعیبه مسلم وعنه انه قیل له فلان
لا یاكل الفالوذ ویقول لا اودّی شكره قال افیشرب الماء البارد قیل نعم قال انه جاهل انّ نعمة الله علیه فی الماء
البارد اكثر من نعمته علیه فی الفالوذ وعنه انّ الله تعالی ادّب عباده فاحسن ادبهم قال لینفق ذو سعة من سعته
ما عاب الله قوما وسّع علیهم الدنیا فتنعّموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدّوا
حدود ما احلّ لكم الی ما حرّم علیكم او ولا تسرفوا فی تناول الطیّبات وجعل تحریم الطیّبات اعتداء وظلما

فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولاً اوليًا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك
وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبًا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون وكلوا مما رزقكم الله اى من الوجوه
الطيبة التى تسمى رزقا حلالا احال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله
الذى انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون اللغو فى اليمين الساقط
الذى لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عايشة انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو
مذهب الشافعى وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشئ يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابى حنيفة بما عقدتم
الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده
الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعنى اجب عنك فقال شعر ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المواخذة لانه
كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التى من
شانها ان تكفر الخطيئة اى تسترها من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف فى اطعام اهله
ومنهم من يقتر وهو عند ابى حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند
الشافعى مد لكل مسكين وقرا جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالى جمع لاهل كالليالى فى جمع ليلة و
الاراضى فى جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء فى حال النصب
فللتخفيف كما قالوا رايت معدى كرب تشبيها للياء بالالف وكسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف
ونحوه قدوة فى قدوة واسوة فى اسوة والكسوة ثوب يغطى العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزى يومئذ
وعن ابن عمر ازارا وقميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرا سعيد
ابن المسيب واليمانى او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار
نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى
لمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعى الايمان قياسا على كفارة القتل
واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة فى كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى
او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد
احداها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند ابى حنيفة تمسكا بقراءة ابى وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات
وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان وتخير فى كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك
كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث
لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث فى الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابى حنيفة
واصحابه ويجوز عند الشافعى بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان
التى الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان

تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم
آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها
الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد
منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله تعالى شارب الخمر كعابد الوثن ومنها
انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان
لا ياتى منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان
الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع
التعادى والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات
الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلى عليكم ما فيهما من انواع الصوارف و
الموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت
الام يرجع الضمير فى قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما
او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب و
الازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهوا عما كانوا يتعاطونه من شرب
الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من
افعال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره فكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله
فى علم الغيب وبين من شرب الخمر او قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن
الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا واطيعوا الله واطيعوا الرسول
واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين واحذروا وكونوا حذرين
خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد و
احذروا ما عليكم فى الخمر والميسر او فى ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما
كلفتموه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين رفع الجناح عن المؤمنين
فى اى شئ طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان
والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء
المعاصى واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعنى
ان المؤمنين لا جناح عليهم فى اى شئ طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا و
احسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم من الايمان والتقوى

والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد
جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل
يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه
بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد
وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد
ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى
التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي
تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من
صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه وقرا ابرهيم يناله بالياء يا ايها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل
ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز
ذو انتقام حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما
يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد
او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام
يستوي فيه العمد والخطاء فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي
انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل انك قتلت
الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطاء لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله
ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة
بالخطاء وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطاء شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان
فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة
قيمة المصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة
الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان
شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به و
عند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول ابي حنيفة
فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة
قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية
فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد و
اشترى بالقيمة هديا واهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان
يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم و

بعد التقويم



بعد التقويم اي الثلثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا
لا نظير له قوم حينئذ ثم يتخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين
او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرا عبد الله فجزاؤه
مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف
كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرا السلمي على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل
بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرا الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق
فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين والواو فيه دليل على ان المثل
القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا
وهو محرم فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم
امير المؤمنين حتى يسال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت
محرم فقال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم
اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال من جزاء فيمن وصفه بمثل
لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز
ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى
بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي
في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من نصب الجزاء قلت يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب
عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة
طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين
كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحده لانه واقع
موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما
ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه
عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور
بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل ذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك
لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى
الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة
هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه
من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرا
عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وآله
وتسئلوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم
وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله
منه فينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن

يوم من برّيّة فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفّارة على العائد فعن عطاء و
ابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامّة العلماء وعن ابن عبّاس وشريح انّه لا كفّارة عليه
تعلّقا بالظّاهر وانّه لم يذكر الكفّارة **احلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسّيّارة وحرّم**
**عليكم صيد البرّ ما دمتم حرما واتّقوا الله الّذى اليه تحشرون** صيد البحر مصيدات البحر
ممّا يوكل وممّا لا يوكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احلّ لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحلّ لكم
اكل المأكول منه وهو السّمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على انّ تفسير
الآية عنده احلّ لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اى احلّ لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له
بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لانّ قوله متاعا لكم مفعول له مختصّ بالطّعام
كما انّ نافلة حال مختصّة بيعقوب يعنى احلّ لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريّا ولسيّارتكم يتزوّدونه قديدا
كما تزوّده موسى عم الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البرّ ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه
وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرّم على المحرم كلّ
شئ يقع عليه اسم الصّيد وهو قول عمر وابن عبّاس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انّهم
جاز والمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدلّ ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشّافعىّ واحمد لا يباح له ما صيد لاجله **فان قلت** ما يصنع ابو حنيفة
بعموم قوله صيد البرّ **قلت** قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرما
لانّ ظاهره انّه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانّهم هم المخاطبون فكانّه قيل وحرّم عليكم ما صدتم في البرّ
فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدلّ عليه قوله تعالى يا ايّها الّذين آمنوا
لا تقتلوا الصّيد وانتم حرم وقرأ ابن عبّاس وحرّم عليكم صيد البرّ اى الله وقرئ ما دمتم بكسر الدّال فيمن
تقول دام يدام **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للنّاس والشّهر الحرام والهدى**
**والقلائد ذلك لتعلموا انّ الله يعلم ما في السّموات وما في الارض وانّ الله**
**بكلّ شئ عليم** البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التّوضيح كما يجئ الصّفة كذلك
قياما للنّاس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم
لما يتمّ لهم من امر حجّهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا
لم ينظروا ولم يؤخّروا والشّهر الحرام والشّهر الّذى يؤدّى فيه الحجّ وهو ذو الحجّة لانّ لاختصاصه
من بين الاشهر باقامة موسم الحجّ فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدى
والقلائد والمقلّد منه خصوصا وهو البدن لانّ الثّواب فيه اكثر وبهاء الحجّ معه اظهر ذلك اشارة
الى جعل الكعبة قياما للنّاس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصّيد وغيره لتعلموا انّ الله
يعلم كلّ شئ وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم ممّا امركم به وكلّفكم **اعلموا انّ الله شديد العقاب**
**وانّ الله غفور رحيم** شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها **ما على**
**الرّسول الّا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ما على الرّسول الّا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر به وانّ الرّسول قد فرغ ممّا وجب عليه من التّبليغ وقامت

عليكم الحجّة ولزمتكم الطّاعة فلا عذر لكم في التّفريط **قل لا يستوى الخبيث والطّيّب ولو اعجبك**
**كثرة الخبيث فاتّقوا الله يا اولى الالباب لعلّكم تفلحون** البون بين الخبيث والطّيّب بعيد
عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتّى تؤثروه لكثرته على الطّيّب القليل فانّ
ما تتوهّمونه في الكثرة من الفضل لا يوازى النّقصان في الخبث وفوات الطّيّب وهو عامّ في حلال
المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيّد النّاس ورديّهم فاتّقوا الله
وآثروا الطّيّب وان قلّ على الخبيث وان كثر ومن حقّ هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا
بالكثرة شعر وكاثر بسعد انّ سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا لا يرهبنّك من دهما
عدد فانّ جلّهم بل كلّهم بقر وقيل نزلت في حجّاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن
الايقاع بهم وان كانوا مشركين **يا ايّها الّذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم**
**وان تسألوا عنها حين ينزّل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها**
**قوم من قبلكم ثمّ اصبحوا بها كافرين** الجملة الشّرطيّة والمعطوفة عليها اعنى قوله ان تبد لكم
تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزّل القرآن تبد لكم صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله
صلّى الله عليه وآله حتّى تسألوه عن تكاليف شاقّة عليكم ان افتاكم بها وكلّفكم ايّاها تغمّكم
وتشقّ عليكم وتندموا على السّؤال عنها وذلك نحو ما روى انّ سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن
قال يا رسول الله الحجّ علينا كلّ عام فاعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى اعاد مسألته
ثلث مرّات فقال صلّى الله عليه وآله ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانّما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن
شئ فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزّل القرآن اى وان تسألوا عن هذه التّكاليف الصّعبة
في زمان الوحى وهو ما دام الرّسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التّكاليف الّتى
تسؤكم وتؤمروا بتحمّلها فتعرّضون انفسكم لغضب الله بالتّفريط فيها عفا الله عمّا
سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم
بعقوبته عنها **فان قلت** كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثمّ قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها
**قلت** الضّمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتّى يجب تعديته بعن وانّما هو راجع الى المسألة
الّتى دلّ عليها لا تسألوا يعنى قد سأل هذه المسألة قوم من الاوّلين ثمّ اصبحوا بها اى بمرجوعها
او بسببها كافرين وذلك انّ بنى اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها
فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكنّ الّذين**
**كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون** كان اهل الجاهليّة اذا نتجت
النّاقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقّوها وحرّموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا
مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرّجل اذا قدمت من سفرى
او برئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان

الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** الواو في قوله او لو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طريق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال تعالى لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا بزمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون امرا جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم**



**لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين** ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي ان خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلوة العصر او بعد الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وآله صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي عليه السلام انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملآثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادلولى **فان قلت** ما موقع تحبسونهما **قلت** هو استئناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا فيهما فقيل تحبسونهما **فان قلت** كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة **قلت** لما كانت معروفة عندهم

بالتحليف بعدها أعني ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض أئمة الفقه إذا صلى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن يكون اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما والأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأوليين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة وكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل وهو علي عليه السلام وأبي وابن عباس رضي الله عنهما قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم أدنى أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع إجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينصب بإضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم فإن قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد فإن قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا قلت يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول

ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين أيدتك قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب للطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن المهد فيه دليل على حد من الطفولية وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه أيد به لتثبيت الحجة فإن قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولية وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون وتخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون أوحيت إلى الحواريين أمرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم

مؤمنين عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله ع احار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم **فان قلت** كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم **قلت** ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى ع لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه **قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ونكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا اكد دعواهم للايمان والاخلاص وانما سال عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب ان خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين** اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد وكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرا عبد الله تكن على جواب الامر ونظيره يرثني ويرث لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى ع لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله

ويمددكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم ينزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب** سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقول في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد **ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد** ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكي بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله تعالى فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان يكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته **فان قلت** فكيف تصنع **قلت** يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان يكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل **ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم** ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب **فان قلت** المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم **قلت** ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه

وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم فى المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ذلك الفوز العظيم قرئ هذا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتداء والظرف خبر ومعناه هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا يملك لانه مضاف الى متمكن وقرا الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزى فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم فى الآخرة فليست الآخرة بدار العمل وان اريد صدقهم فى الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه فى معنى الشهادة لعيسى عم بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى عليه السلام فكان صادقا فى الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير فان قلت فى السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهى مائة وستون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفى الجعل معنى التضمين كانشاء شىء من شىء او تصيير شىء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وخلقناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شىء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثانى الموت فان قلت المبتداء النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه فى قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص



بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندى ثوب جيد ولى عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واى اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون فى السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما ومنه قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او هو المعروف بالالهية فيهما او وهو المتوحد بالالهية فيهما او وهو الذى يقال له الله فيهما لا يشرك به فى هذا الاسم ويجوز ان يكون الله فى السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه فى السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شىء كان ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذى استوى فى علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت فى السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيثيب عليه ويعاقب وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين من فى من آية للاستغراق وفى من آيات ربهم للتبعيض يعنى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعنى القرآن الذى تحدوا به على تبالغهم فى الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشىء الذى كانوا به يستهزؤن وهو القرآن اى اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باى شىء استهزؤا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب فى الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين مكن له فى الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له فى الارض اولم نمكن لهم واما مكنته فى الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما فى قوله مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة فى الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء هو المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اى فائدة فى ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويحدث بدلا منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كتابا مكتوبا فى قرطاس فى رق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا فبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون لقضى امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فى صورته وهى آية لا شىء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا

نزّلنا اليهم الملٰيكة لم يكن بدّ من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا فى صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثمّ بُعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشدّ من قضاء الامر لان مفاجاة الشدّة اشدّ من نفس الشدّة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الّا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملٰيكة لجعلناه رجلا لارسلناه فى صورة رجل كما كان ينزل جبريل الى محمد صلى الله عليه وآله فى اعمّ الاحوال فى صورة دحية لانهم لا يلفون مع رؤية الملٰيكة فى صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك فى صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على انى ملك انى جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بانى ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة فى كفرهم بايات الله البيّنة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرا الزهرى وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشئ الذى كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فان قلت اىّ فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير فى قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا فى الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير فى الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر فى آثار الهالكين ونبّه على ذلك بثمّ لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما فى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنّكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون لمن ما فى السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اى هو لله لا خلاف بينى وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اى اوجبها على ذاته فى هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شئ بقوله ليجمعنّكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم فى علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم وله عطف على لله ما سكن فى الليل والنهار من السكنى وتعديه بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكوننّ من المشركين اولى غير الله همزة الاستفهام

دون الفعل الذى هو اتخذ لان الانكار فى اتخاذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان اولى بالتقدم ونحوه افغير الله تامرونّى اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجرّ صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهرى فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يُطعم ولا يُطعم على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسّر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهرى اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك وهو يعطى ويمنع ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر اول من اسلم لان النبى سابق امته فى الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكوننّ وقيل لى لا تكوننّ من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهى النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة من لم يعذب لم يكن له بدّ من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اى من يصرف الله عنه ذلك اليوم اى هوله فقد رحمه وتنصر هذه القراءة قراءة ابى من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الىّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الشئ اعمّ العامّ لوقوعه على كل ما يصحّ ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صحّ ان يقال فى الله تعالى شئ لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كساير المعلومات ولم يصح جسم لا كالاجسام واراد اى شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بينى وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدى شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد بينى وبينكم وان يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله تعالى اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شئ شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اى لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب

والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القران فكانما راى
محمدا صلى الله عليه واله أئنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في
الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا
استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين و
من اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
انه لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا ما ثبت
بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا وقالوا الله
امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب
وذهبوا فكذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم
نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم
التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم
ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم
ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في
الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه
وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبري منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد
ثم لم تكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع
الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا
بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وضل عنهم وغاب
عنهم ما كانوا يفترونه اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على
حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه
من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود
ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه
ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في
الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا
الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره
بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد
قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع

اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا
بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ومنهم من
يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم فقالوا يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال
والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن
القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر
في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو
قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون
به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة بكسر الواو وحتى اذا جاؤك يجادلونك
هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز
ان تكون الجارة وتكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول
الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم
يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية
في التكذيب وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون وهم ينهون الناس
عن القران وعن رسول الله واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون
وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله
وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه واله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي
انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه واله سوءا فقال شعر والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا * فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا * لولا الملامة
او حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا * ودعوتني وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا * فنزلت ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا
ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت
امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار
عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين كانهم قالوا ونحن لا
نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم
تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين
فتدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت
هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك
واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئ كذب كانه
قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على انه جواب

التمنّي ومعناه ان رددنا لم نكذّب ونكن من المومنين **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانّهم لكاذبون وقالوا ان هي الّا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبايحهم وفضايحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنّوا ما تمنّوا ضجرًا لا انّهم عازمون على انّهم لو ردّوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانّه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرّونه وقيل هو في اهل الكتاب وانّه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحّة نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ولو ردّوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا من الكفر والمعاصي وانّهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردّوا لكفروا ولقالوا ان هي الّا حيوتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانّهم لكاذبون على معنى وانّهم لقوم كاذبون في كلّ شيء وهم الذين قالوا ان هي الّا حيوتنا الدنيا وكفى به دليلًا على كذبهم **ولو ترى اذ وقفوا على ربّهم قال اليس هذا بالحقّ قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** وقفوا على ربّهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما توقف العبد الجاني بين يدي سيّده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربّهم وقيل عرفوه حقّ التعريف قال مردود على قول قايل قال ماذا قال لهم ربّهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحقّ وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحقّ وما هو الّا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم **قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتّى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون** بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتّصل بها وقد حقّق الكلام فيه في موضع آخر وحتّى غاية لكذّبوا لا لخسر لأنّ خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة **فان قلت** اما يتحسّرون عند موتهم **قلت** لمّا كان الموت وقوعًا في احوال الآخرة ومقدّماتها جعل من جنس الساعة وسمّي باسمها ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانّه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرّطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصّرنا في شأنها وفي الايمان بها كما يقول فرّطت في فلان ومنه فرّطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانّه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم **وما الحيوة الدنيا الّا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتّقون افلا تعقلون** جعل اعمال الدنيا لعبًا ولهوًا واشتغالًا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما يعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتّقون دليل على انّ ما سوى اعمال المتّقين لعب ولهو وقرأ ابن عبّاس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالياء والتاء **قد نعلم انّه ليحزنك الذي يقولون فانّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون** قد في قد نعلم بمعنى ربّما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنّه قد يهلك المال نائله والهاء في انّه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمّها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذّاب لا يكذّبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذّبه اذا جعله كاذبًا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبًا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانّك رسوله المصدّق بالمعجزات

فهم لا يكذّبونك في الحقيقة وانّما يكذّبون الله بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه فاله عن حزنك لنفسك وانّهم كذّبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهمّ وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيّد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انّهم لم يهينوك وانّما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله انّ الذين يبايعونك انّما يبايعون الله فانّهم لا يكذّبونك بقلوبهم ولكنّهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانّهم لا يكذّبونك لانّك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنّهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عبّاس كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يسمّى الامين فعرفوا انّه لا يكذب في شيء ولكنّهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذّبك وانّك عندنا المصدّق وانّما نكذّب ما جئتنا به وروي انّ اخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمّد اصادق هو ام كاذب فانّه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله انّ محمّدًا الصادق وما كذب قطّ ولكن اذا ذهب بنو قصيّ باللواء والسقاية والحجابة والنبوّة فماذا يكون لساير قريش فنزلت وقوله ولكنّ الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انّهم ظلموا في جحودهم **ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتّى اتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين** ولقد كذّبت تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وهذا دليل على انّ قوله فانّهم لا يكذّبونك ليس بنفي لتكذيبه وانّما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنّهم اهانوني على ما كذّبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدّل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انّهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين **وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقًا في الارض او سلّمًا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** كان يكبر على النبيّ صلّى الله عليه وآله كفر قومه واعراضهم عمّا جاء به فنزل لعلّك باخع نفسك انّك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقًا منفذًا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتّى تطّلع لهم آية يؤمنون بها او سلّمًا في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انّك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانّه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يودّ ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انّه بلغ من حرصه انّه لو استطاع ذلك لفعله حتّى يأتيهم بما اقترحوا لعلّهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض والسلّم في السماء هو الاتيان بالآية كانّه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقيّ الى السماء لفعلت لعلّ ذلك يكون آية لك يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان تزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بآية ملجئة ولكنّه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكوننّ من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه **انّما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثمّ اليه يرجعون** انّما يستجيب الذين يسمعون يعني انّ الذين تحرص على ان يصدّقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانّما يستجيب من يسمع كقوله انّك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته

على الجايم الى الاستجابة بانه هو الذى يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه ترجعون للجزاء وكان قادرا على هولاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهولاء الموتى يعنى الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرى يرجعون بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون لولا نزل عليه اية بمعنى انزل وقرى ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مونث لان تانيث آية غير حقيقى وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله صلى الله عليه وآله لترك لهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شى من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل اية يضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بنى اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون امم امثالكم مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا فى الكتاب فى اللوح المحفوظ من شى من ذلك لم يكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها كما روى انه ياخذ من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم امثالكم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله فى الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط فى جميع الارضين السبع وما من طائر قط فى جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض فى ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من ساير الحيوان وقرا ابن ابى عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف والذين كذبوا باياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلائقه واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون فى ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشاء الله يضلله اى يخذله ويخله وضلاله لا يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم اى يلطف به لان اللطف يجدى عليه قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ارايتكم اخبرونى والضمير الثانى لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله

اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم تكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم ولا تذكرونها فى ذلك الوقت لان اذهانكم معمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار بما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط فى الكشف المشية وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون الباساء والضراء البوس والضر وقيل الباساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفى التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اى تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شى من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتى الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرى فتحنا بالتشديد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم ياتيكم به اى ياتيكم بذاك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا ونهارا وقرى بغتة او جهرة هل يهلك اى ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرى هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب

قوله لما كانت البغتة آه توجيه للمقابلة بل ... العذاب ... عليهم من غير سبق علامة يدلهم عليه ... والبغتة ...

اصلاحه مما كلف والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماسا كانه
حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع
العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير
افلا تتفكرون اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين
الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملئكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة
منه اي لم ادع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملئكة حتى تستبعدوا
دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل
للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الالهية او الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت
ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب
قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا
هذا القول وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
لعلهم يتقون وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون
في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون
في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم
انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون
المتمردين منهم فامره ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى
يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر
على هذه الحال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ذكر غير المتقين من المسلمين
وامره بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم
خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام
وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه
والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وآله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب
وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك
فقال عليه ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك
ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا
فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر
من مقالته قال سلمان وخباب وصهيب فينا نزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وآله

يقعد



يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني
حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم
من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك
من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى و
ان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك
من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان
بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب
صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى
يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليهم الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من
الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما
مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن
العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين
اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده
من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم
على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول
لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم
لمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق
واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم
فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم
بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما
يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه
بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال
من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل
الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه

والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر شعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة **وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين** قرئ وليستبين بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل **قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين** نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك **قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين** ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره **قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين** لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان والقرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين** جعل للغيب مفاتح على

طريق



طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما تسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتخفيف والتشديد فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه **ثم ردوا الى الله موليهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين** ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون** ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر

بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن انجيتنا على
ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية
بالضم والكسر قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون هو القادر هو الذي
عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة
وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم
من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات
او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم
ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وآله سالت الله ان لا يبعث على
امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبر
جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله قال لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه
وآله اعوذ بوجهك فلما نزل ومن تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد
باحد اصناف العذاب المعدودة وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا
مستقر وسوف تعلمون والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان
ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل
نبا لكل شيء ينبا به يعني انباءه بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد
منه وقيل الضمير في به للقران واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في
حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين يخوضون
في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان
شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك
بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من
حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى
اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض
حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم
ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى
اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء لقولك ما في الدار من
احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان
تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان ياخذوا به لعبا ولهوا و
ذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو
واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام
وغيرها دينا لهم واتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا
به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من
المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا دينهم كما شرع الله ومعنى
ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس مخافة
ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال
وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه
شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل
كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على
المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ و
اما في قوله فلا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم
لعبا ولهوا قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله
كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى
الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون
قيل نزلت في ابي بكر حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعو انعبد من دون الله الضار
النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله وهدانا
للاسلام كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا
يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي
او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا
مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كالذي يتخبطه
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت
اليهم قل ان هدى الله هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته
قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انتكص مشبهين من استهوته
الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب
فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه وان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على

محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل هذا قل القول وقل امرنا لنسلم
فان قلت ما معنى اللام فى لنسلم قلت هى تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم
فان قلت فاذا كان هذا واردا فى شان ابى بكر فكيف قيل للرسول قل اندعو قلت للاتحاد الذى
كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله والمومنين خصوصا بينه وبين الصديق فان قلت
علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موقع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان
يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلوة وهو الذى خلق
السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم
ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير قوله الحق مبتدا ويوم يقول
خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى
الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قايما بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الاشياء
كن فيكون ذلك قوله الحق اى لا يكون شيا من السموات والارض وساير المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ
ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله
الحق اى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين
يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب وارتفاعه على المدح واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما
آلهة انى اريك وقومك فى ضلال مبين آزر اسم ابى ابرهيم وفى كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية
تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمايهم
وهو عطف بيان لابيه وقرى آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما
نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض المحدثين
ادعى باسماء نبزا فى قبايلها كان اسماء اضحت بعض اسمائى او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وقرى أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة
وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك
وتقريرا وهو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان له وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض و
ليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين
فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابرهيم جملة معترض بها بين المعطوف
والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض
يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق
الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطاء فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر و
الاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مود الى ان شيا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها
وان وراها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وساير احوالها
هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى

الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة ارباب
المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام فلما
راى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
بازغا مبتديا فى الطلوع لئن لم يهدنى ربى تنبيه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب فى الافول
فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر
فلما افلت قال يا قوم انى برى مما تشركون هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه انى
برى مما تشركون من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها انى وجهت وجهى للذى فطر السموات و
الارض حنيفا وما انا من المشركين انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض اى للذى دلت
هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتديها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله
والاول اظهر لقوله لئن لم يهدنى ربى وقوله يا قوم انى برى مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون
البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب
فان قلت ما وجه التذكير فى قوله هذا ربى والاشارة الى الشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر
لكونهما عبارة عن شى واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم يكن فتنتهم الا ان قالوا
وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا فى صفة الله علام
ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرى ترى ابرهيم ملكوت السموات
بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله و
قد هدانى ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيا وسع ربى كل شى علما
افلا تتذكرون وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكانوا حاجوه فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه
منكرين لذلك وقد هدانى يعنى الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه
بسوء الا ان يشاء ربى شيا الا وقت مشية ربى شيا يخاف فحذف الوقت يعنى لا اخاف معبوداتكم
فى وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى ان يصيبنى بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا
استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمنى بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتى
وسع ربى كل شى علما اى ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون فى علمه انزال المخوف بى من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وكيف اخاف لتخويفكم شيا
مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه
سلطانا اى حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون على الامن فى
موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا
عن تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاى الفريقين يعنى فريقى المشركين والموحدين ثم استانف الجواب
عن السوال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير

الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعنى فى العلم والحكمة وقرى بالتنوين ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم وداود عطف على نوحا اى وهدينا داود ومن آبائهم فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين آتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعنى اهل مكة قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انما هم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى بها صلة كافرين وفى بكافرين تاكيد النفى فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم انكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرا تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء



والاخفاء وروى ان مالك ابن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شئ فقال له قومه ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه اغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اى علمتم على لسان محمد مما اوحى اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اى انزله الله فانهم لا يقدرون على ان يناكروك ثم ذرهم فى خوضهم فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان فى عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرى لتنذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس لانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلق فى بعض القربات رحله وام القرى ملقى رحالى ومنتابى والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له فى المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحى الى ولم يوح اليه وهو مسيلمة الحنفى الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وآله رايت فيما يرى النائم كان فى يدى سوارين من ذهب فكبر على واهمانى فاوحى الله الى ان انفخهما فنفختهما فطارا عنى فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله وهو عبد الله بن سعد بن ابى سرح القرشى فكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت

كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث
والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اى لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله
وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة
باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف فى السياق والالحاح والتشديد من غير تنفيس وامهال وانهم
يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا
يمهله ويقول له اخرج الى ما لى عليك الساعة ولا اريم مكانى حتى انزعه من احداقك وقيل
معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اى لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريد وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع و
ان يريد الوقت الممتد المتطاول الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيمة والهون
الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه
عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة و
تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فرادى منفردين عن اموالكم
واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التى زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء
لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا
قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء فى استعبادكم لانهم حين دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوها
لله شركاء فيهم وفى استعبادهم وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلث وفردى نحو سكرى فان
قلت كما خلقناكم فى اى محل هو قلت فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اى مجيئا مثل خلقنا
لكم تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى
مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفى
قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت
من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد
الشقين اللذين فى النواة والحنطة يخرج الحى من الميت اى الحيوان والنامى من النطف والبيض و
الحب والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحى
بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل و
يخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات
والشجر الناميين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيى الارض
بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيى المميت هو الله الذى تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون

من الميت ليس من جنس فلق الحب بالنبات ولما كان هذا ادخل فى القدرة لان جعل الجماد ناميا حيا اتم من جعله ناميا فقط لم يرد انه البيان
يجوز ان يريد وقت الاماتة آه اى قبل الموت قوله وان يريد الوقت الممتد اى بعد الموت وفى السعادمه اه عطف تفسيرى لقوله فيهم

عنه وعن



عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير
العزيز العليم الاصباح مصدر سمى به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رياحا وبنى رياح
تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمعى مسى وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح
والظلمة هى التى ينفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلى الصبح والثانى ان يراد فالق الاصباح الذى
هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسمى الفجر فلقا بمعنى مفلوق و
قال الطائى وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح و
قرا النخعى فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واسترواحا اليه
من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمئن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس
والقمر قرئا بالحركات الثلث بالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اى وجعل الشمس والقمر حسبانا او
يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه فى معنى المضى ولا تقول زيد ضارب عمرو امس قلت ما هو فى معنى المضى وانما هو دال على جعل مستمر فى
الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون
زمان والجر على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان
حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم
بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز العليم الذى
قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل بالبر والبحر و
اضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات وهو الذى انشاكم من نفس واحدة
فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم
مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع
فى الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون
مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بنى آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذى هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا
له وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه
حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان
مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فاخرجنا
به بالماء نبات كل شىء نبت كل صنف من اصناف النامى يعنى ان السبب واحد وهو الماء والمسببات
صنوف مختلفة كما قال تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات

خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة
نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها
بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه
تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على
حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وفتحها على انه اسم جمع كركب لان
فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول
ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية
قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر
القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما
ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة
من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات
كل شيء او واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه
الشيآن وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه
وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه
متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره
اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود
شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى
حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره **وجعلوا لله شركاء**
**الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون** ان جعلت لله شركاء
مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على
الاول **فان قلت** فما فائدة التقديم **قلت** فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا
او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر
على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان
الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان
الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ و
خلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله
امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير
وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال
كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله
ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد

للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس وحرّفوا له بمعنى وزوّروا له اولادا لان المزوّر
محرّف مغيّر للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطاء او صواب ولكن
رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية **بديع السموات والارض انى يكون له ولد**
**ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** بديع السموات والارض من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض
كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع
وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ
بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها
ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات
الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا عن زوجين
من جنس واحد وهو متعالي عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم يصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا
وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم
يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء **ذلكم الله ربكم لا اله الا**
**هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل** ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات
وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات
فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه
ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل
شيء من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف**
**الخبير** البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به يدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا
تتعلق به ولا يدركه لانه متعال عن ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او
تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة
التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان يدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار
لا يلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن**
**عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ** قد جاءكم بصائر من ربكم وهو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر
اي جاءكم من الوحي والبينة على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن
فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم
واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم **وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست**
**ولنبينه لقوم يعلمون** وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست
قرات وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا
اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول

بمعنى قرئت وعفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاءا الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اى دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد ودارسات على هى دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية

فان قلت اى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير فى قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها فى معنى القران كانه قيل وكذلك نصرف القران او الى القران وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درستنا الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحى لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهى حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهى عنه وانما يصح النهى عن المعاصى قلت رب طاعة علم انها مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهى عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهى عن المنكر وهو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدى الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهى عن ذلك النهى كما يجب النهى عن المنكر فان قلت فقد روى عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك فى ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اى خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه فى زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندى فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم ان الآية التى تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعنى انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال



تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمى به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشترى لحما وقال امرؤ القيس شعر

عوجوا على الطلل المحيل لاننا ... نبكى الديار كما بكى ابن خذام

ويقويها قراءة ابى لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون اى يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان يكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القران وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم انهم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اى نطبع على قلوبهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم فى طغيانهم اى نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اى الله تعالى وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شىء قبلا كما قالوا او تأتى بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اى عيانا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون ان هؤلاء ~~شوا~~ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون به من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد على من شياطين الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اى ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير فى اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير فى فعلوه اى ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما

يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذى انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب لامته وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وتمت كلمات ربك اى تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اى ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وان تطع اكثر الناس يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين قرئ من يضل بضم الياء اى يضله الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم ومات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وما لكم الا تاكلوا واى غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله تعالى الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اى يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل وما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذى البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الاية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين

ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون مثل الذى هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذى يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقى على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهى قوله في الظلمات ليس بخارج كقوله مثل الجنة وعد المتقون فيها انهار اى صفتها هذه وهى قوله فيها انهار زين للكافرين اى زينه الشيطان او الله تعالى على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون روى ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروى ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى يضعها فيه سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذى لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد وحرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذى اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى وذخيرة لهم لا يعلمون كنهها

كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم يحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين انه بعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال الاخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد صلعم يبعثون الى الانس ورسول الله صلعم الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يتفاوت الاحوال

والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطية لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشاكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها هذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرا

ولا تركيبة بن غنم وقرئ بالضم اى قد زعموا انه لله والله لم يامر بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التى هى من الشرك
بانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم فى القربة فلا يصل الى الله اى لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها
من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها وذبح نسايك عندها والاجراء على سدنتها
ونحو ذلك ساء ما يحكمون فى ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك ومثل
ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربات بين الله والآلهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذى علم من الشياطين
والمعنى ان شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد ونحرهم للآلهة وكان الرجل
يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذى
هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذى هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم
برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشىء لو كان
مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج زج القلوص ابى مزاده فكيف به فى الكلام المنثور فكيف
به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذى حمله على ذلك ان رأى فى بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ
بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم فى اموالهم لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى
الشرك وقيل دينهم الذى وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم فى دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت
ان كان التزيين من الشياطين فهى على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قسرها فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او
اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا
هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر
والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج و
هو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح
وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا
هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك
التجنيس الى الله افتراء عليه اى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد
لان قولهم ذلك فى معنى الافتراء وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم كانوا يقولون فى اجنة البحائر
والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور
والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما فى معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم

من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان يكون التاء للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وان يكون مصدرا
وقع موقع الخالص كالعافية اى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو
الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس
خالصه على الاضافة وفى مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما فى بطونها ميتة وقرئ وان تكن ميتة
بالتأنيث على وان يكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير
فى قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم
اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام قد خسر
الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
نزلت فى ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم و
جهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم من البحائر والسوائب وغيرها وهو الذى
انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين انشأ
جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم يعرش وقيل المعروشات
ما فى الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا فى البرارى
والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه
مختلفا اكله فى اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع
داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين
وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره
وقيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه
يوم حصاده الآية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة واريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد حتى
لا تؤخروه وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه
واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا
تسرفوا فى الصدقة كما روى عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله و
لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش
للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فى التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم
صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير

إن الله لا يهدي القوم الظالمين ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر
والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد
وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى
تعليل لقوله وهما زوجان والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين
ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاج
كأسا بشرط أن يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرئ أبي ومن المعز
وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين
الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنس الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي
ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنس الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما
وذلك أنهم يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت ذكورا أو إناثا أو مختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم نبئوني بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم
إن كنتم صادقين في أن الله حرمه أم كنتم شهداء بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم
بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم
في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فإن قلت كيف
فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود وذلك
أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من
حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على
طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم فيما أوحي إلي تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه
لا بهوى النفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحا
أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح أو فسقا عطف على المنصوب
قبله سمي ما أهل لغير الله به فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة
له فسقا منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فسقا فإن قلت فعلام يعطف أهل وإلام
يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن
دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته
من تناوله فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون
ذو الظفر ما له إصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم
كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل

شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله إلا ما حملت
ظهورهما يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل على الأمعاء أو ما اختلط بعظم
وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك الجزاء
جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما
وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العذاب فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ
بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته
عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه
ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم و
شرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه
كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاءوا بالتكذيب المطلق لأن الله تعالى ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه
وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة
الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره
حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم
فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم
هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف
قل فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني وإن كان الأمر كما زعمتم أن
ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في
الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم
وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين
يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا و
الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند
الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فإن قلت كيف أمرهم باستحضار شهدائهم
الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمرهم باستحضارهم وهم شهداء
بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام
الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم
ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء
الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو
متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله فإن قلت هلا قيل قل هلم

هم شهداء هم الذين يشهدون ان الله حرّم هذا واى فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلّدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقولون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء لذلك وجئ بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصّيكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصّيكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّيكم به لعلكم تتقون تعال من الخاص الذي صار عامًّا واصله ان يقوله من كان في مكان عالٍ لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عمّ وما حرّم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرّمه ربكم او بحرّم بمعنى اتل اى شئ حرّم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا به مفسّرة ولا للنهي فان قلت هلّا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا مما حرّم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرّم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي

ان يزيد في القول وينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرى وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرا الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وساير البدع والضلالات فتفرق بكم فيفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرى فتفرق بادغام التاء وروى ابو وايل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذه سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس هذه الايات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شئ في التورية ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون فان قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصّاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية به بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل يوصى بها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصّاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اى تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشئ اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرا يحيى بن يعمر على الذي احسن اي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اى على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اى على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طايفتين يريدون اهل التورية والانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اى لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرى ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم سكيت لهم وهو على قراءة من قرا بها يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه

من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعدما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب لقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيمة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلعم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن لم يكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجية مضطرة ذهب وان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم تفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقتها ولم يكسب خيرا ليعلم ان قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان ينفك احدهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما و يسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرى ان تاتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المونث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا فرقة واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقرى فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرى عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعماية ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافات السيات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القايم وقرى قيما والقيم مصدر بمعنى القيام ووصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المؤمنين ان صلوتي ونسكي اي عبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلوتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الصنم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل اغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وهو الذي جعلكم خلايف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم جعلكم خلايف الارض لان محمدا صلعم خاتم النبيين فخلفت امته ساير الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتيكم من نعمة الجاه والمال كيف يشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب عن رسول الله صلعم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى الله عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات واسألهم عن القرية الى و اذ نتقنا الجبل وهي مايتان واربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم وكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب وبانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون اتبعوا ما انزل اليكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرا مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا

وبجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرا تذكرون بحذف التاء وتتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون
اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم
قايلون فجاءها فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بايتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة
وقوله هم قايلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بايتين او قايلين فان قلت هل نقدر حذف
المضاف الذى هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما نقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان
القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قايلون فان قلت لا يقال جاءني
زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قايلون قلت قد بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال
لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس وجاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح انها
اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل
فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت
فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم
الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول
العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم
الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه
لا يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا
ينفعهم ولات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر كان وان قالوا
رفع اسم له ويجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا
غايبين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ارسل مسندا الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم
يسئلهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسئل المرسلين عما اجيبوا به
كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم
الظاهرة والباطنة واقوالهم واحوالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان
يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم الانبياء والوزن
يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون والوزن يومئذ الحق يعنى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها
ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اى والوزن يوم يسئل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اى العدل
وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق
تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم ويشهد بها عليهم
ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملايكة والاشهاد وكما يثبت في صحايفهم فيقرؤنها في موقف
الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت





اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي حسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع
فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون مكناكم في الارض جعلنا
لكم فيها مكانا وقرارا وملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش
به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه
بصحايف ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعنى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى
الى قوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك
قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها
فاخرج انك من الصاغرين لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها
لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فايدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه
قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه
عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم ساله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار
معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرايه اصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى
ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب
ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله
من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا
بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي
مكان المطيعين المتواضعين من الملايكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك ان
فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليايه لتكبرك
كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر من تواضع
لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال انظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما كان في ذلك
من الابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ
والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فبما اغويتني فبسبب اغوايك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملايكة مع كونهم افضل
منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لا
لاجتهدن في اغوايهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد
عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن
اي فبسبب اغوايك اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوايك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا
والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد وكان جديرا بان يقسم به ومن اكاذيب المجبرة ما حكوا

عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من اكابر الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس
تقوم ام تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني
وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله تعالى ان لفقوا الكذب
على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات
الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل
اذا بشم والبشم الفساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما
يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب و
شبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلعم ان الشيطان
قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق
الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم
مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين ثم لآتينهم من جهات الاربع التي يأتي منها العدو
في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك
واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم
بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به وكما اختلفت حروف التعدية في
ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس
عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه
ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره
كما ذكرناه في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها
ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان
للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما
من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول
لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي
فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن
جهنم منكم اجمعين مذؤوما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في
لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم
قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم
اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة

والاصل اليا والها بدل منها فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره و
منه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح
ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس
اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل
على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة
في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب الا ان
تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ
ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد
وسوتهما بالواو المشددة وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت
المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه
قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم
لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما بغرور فلما
ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن
تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة انما يخدع
المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا
للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها
وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا
لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان
لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل و
قرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان يجعل طرقة
على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان
من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة
قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطاء حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس
وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت
ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة
الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما
لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم
العظيم من الحسنات قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال

اي متعاد يعاديهما ابليس ويعاديانه **مستقر** واستقرار او موضع استقرار **ومتاع** وانتفاع بعيش **الى حين** انقضاء آجالكم

وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده **يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرا عثمان ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى لباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا يخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرهما مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون** لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكففهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول **فان قلت** علام عطف وقبيله **قلت** على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرا اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان تعطفه على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون** الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلعم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تع واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء

لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة **قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون** بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء او تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله تع لا اثر له في ضلالتهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون بالبيت عراة عن طاوس لم يامر بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاولا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلعم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد **فان قلت** هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم **قلت** لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر **قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم

عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر فرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوزان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم بالتاء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان يفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم بجحدوه في العاقبة قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم



عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل مجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس من غل كان في قلبه على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما يرى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث ويكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ان في ان قد وجدنا يحتمل ان يكون مخففة من الثقيلة وان يكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها

وكذلك قول الموذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامر الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقايل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك **وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون** وبينهما حجاب يعنى بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور فى قوله فضرب بينهم بسور له وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهى اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا فى الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم فى دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او يعرفهم الملئكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم **واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم **ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون** يقولون لهم هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفايدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق الله الا بسبقه فى العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون فى حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التى استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن فى احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سايلا سال عن اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعنى حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ يستكثرون من الكثرة **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين** افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع ياسهم



من الاجابة اليه حيرة فى امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عينى ان تطعما الكرى **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون** فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقايه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون** فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وساير معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه **هل ينظرون الا تاويله يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبيين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اى تبين وصح انهم جاءوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرا ابن ابى اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى ان اى يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرا الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل **ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين** يغشى الليل النهار وقرئ يغشى بالتشديد اى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى قراءة احمد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد بامره بحسبته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اى هو الذى خلق الاشياء وهو الذى صرفها على حسب ارادته **ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين** تضرعا وخفية نصب على الحال اى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل اى تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقى والدعاء الخفى ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس وان كان الرجل ليصلى الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه فى السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اى المجاوزين ما امروا به فى كل شىء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلعم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول

اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول و
عمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان
رحمت الله قريب من المحسنين** ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم والترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه
تشبيهه تفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض
والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي **وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا
اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج
الموتى لعلكم تذكرون** قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه
قال نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل و
قرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كالنقض والحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير
وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته
امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال
من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير
للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل
بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به
كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه **والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** والبلد الطيب الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة
التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا والذي خبث لانه
واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد
ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع
الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل ويقدر ونبات الذي خبث
وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف من الثقيلة كقوله نزه عن الريب
بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد
آدم وذريته منهم طيب وخبيث وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها
الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله و
هم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله **لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة

لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان
نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عم وقرئ غيره بالجر كالنعت فالرفع على
المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء وبمعنى ما لكم من اله اياه كقولك ما في الدار
من احد الا زيدا او غير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله
واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان **قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال
مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم
واعلم من الله ما لا تعلمون** الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب
عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت
الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك
الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله
مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ
ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول
رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب
قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي
ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر و
النذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث
وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت
خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض
من نصيحة الله ورسوله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه
على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون
ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله شيئا لا علم لكم بها قد اوحي الي بها **اوعجبتم ان جاءكم ذكر من
ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون** اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك
وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا
لانزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم
ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم **فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوما عمين** والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام و
يافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم تعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك
او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك

والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين فان قلت لم وصف الملأ الذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا وارد للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم فاذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قد كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عم مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم العذاب قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن



ان ابنه عبد الرحمن لسعة زنبور وهو طفل وجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عم كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن كمرثد بن سعد منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمودا لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي كانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا

قوله يا بني قد قلت الشعر لانه اتى بالتشبيه قوله ما بين عمان آه عمان بضم العين مخفف عمان بالفتح والتشديد قوله جهدوا آه جهده حمله فوق طاقته قوله في بردي حبرة آه لانه كانت ام معاوية كلدة بنت الخيبري

وانما اضيفت الى اسم الله تعالى تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من
آياته كما تقول آية الله ورُوى ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا
طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش
فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا
فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج
معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت
فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله و
عظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم
ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما
ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري
اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي
فتهرب مواشيهم منها الى بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك
عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم
مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان
يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة
من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض
ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها
بشيء من الاذى اكراما لآية الله ويروى ان رسول الله صلعم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن الحرم
احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي
اصابهم وقال رسول الله صلعم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح قال اتدري
من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهو في موضع الحال
بمعنى آكلة وبوأكم وانزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها
من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع
الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب
قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة
قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء قال الملأ الذين

استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل
به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون للذين استضعفوا للذين استضعفهم
رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من للذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ما
ذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك
ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على
المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين
وكافرين تعلمون ان صالحا مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق
العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله
امرا معلوما مكشوفا لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه
وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم
به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة وعتوا
عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان
برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن
امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عم من قوله فذروها
تأكل في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كأن امر ربهم
بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا اراد وامن العذاب
وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا
لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم
ولا يتنفسون نفسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله
صلعم لما مر بالحجر فقال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في
حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروى ان صالحا كان بعثه
الى قوم فخالف امره وروى انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة
ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فتولى عنهم
الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من
ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون
الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى
ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو
يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا
ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل وهو ميت

وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى التي بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير مطور حري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا

في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام فيه ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى وكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجركم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد ويقولون لمن يمر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها

للناس بانه سبيل معوجة غير مستقيم لتصدوهم عن سلوكها او للدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلهما بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا وافتربصوا واشطروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء ربنا والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا فتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اى هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تنقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة او لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا وبين قومنا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار



مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ الاسى شدة الحزن قال العجاج ع وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ الا اخذنا اهلها بالباساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة شعر بمستاسد القريان عاف نباته وقال شعر ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين السراء والضراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله

لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ
وافظعه وهو اخذهم فجاة من غير شعور منهم ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون اللام في القرى اشارة الى القرى
التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا
آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لاتيناهم
بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان
يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر امر
الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القاري اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه
بالتلقين افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى
التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتين او وقت
بيات ومبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال
اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والواو والفاء في
اوامن وافامن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت
الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى
الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا
فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرى
او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم
رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب
الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس
ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا اولم يهد
للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
فهم لا يسمعون اذا قرى اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى او لم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرى بالنون فهو منصوب كانه
قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم
قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت

هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه
المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا
التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة
لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى ونقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا
قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت
ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها
ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجي الرسل
او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجي الرسل
اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات
ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان
وجدنا اكثرهم لفاسقين وما وجدنا لاكثرهم الضمير للناس على الاطلاق اي وجدنا لاكثر الناس
من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا
اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين
وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين ثم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عم لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول
ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم
موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من بعدهم الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد
ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها ولانه اذا وجب
الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه
وهو موضع الايمان وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك
فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية
فات بها ان كنت من الصادقين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق
علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي
وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله شعر
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة نافع
والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث

ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب: اذا تغنى الحمام الورق هيجني * ولو تغربت عنها ام عمار
والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما
وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق
اي واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فخلهم
حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي
وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت بآية قلت معناه
ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك **فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين** ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه
ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه
الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث
قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا و
دخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى عليه السلام
فعاد عصا فان قلت بم تعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان
بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر اليه كما يجمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه
ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا
نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة **قال الملأ من قوم فرعون ان
هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم** ان هذا الساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس
بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في
سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثمّ وقولهم ههنا او قاله
ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم
الرأي فيكلم من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه و
اخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار ساحر مثله في العلم والمهارة او خير
منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من آمرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار
عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم
كانه قيل فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك
فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمزة وارجه من ارجأه وارجاه **وجاء السحرة
فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين** فان قلت
هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاءوه فاجيب بقوله قالوا
ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم والحكم كأنهم قالوا

لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت
وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه
قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب
وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل
اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من
يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل
الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا
وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلف الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل
نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر **قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم** تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل
ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتأخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين
فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف
الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة
بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل
والشعوذة وخيلوا اليها بالحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم
ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم و
جعلوا فيها ما توهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق **واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف
ما يأفكون** ما يأفكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه
او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين**
فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فأثر فيها من قولهم قاس وقيع وانقلبوا
صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين **والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهارون** والقي السحرة وخروا سجدا كأنما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكأنهم
القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله **قال فرعون آمنتم به
قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين** آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا
الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا

لكم مكرتموه في المدينة ان صنعتم هذه الحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى الصحراء فتواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون قالوا انا الى ربنا منقلبون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وانا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى تفيض علينا وتغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل وصب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة شعر الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك والهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي حدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزع واهنه وتضجروا منه فسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت

هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فتتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن وما يمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم ومواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج ايما تكونوا يدرككم الموت فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن

لك بمؤمنين فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شئ تاتنا به او النصب بمعنى ايما شئ تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية ونحوه قول زهير شعر ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم * وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شئ ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم واكلت كل شئ حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد فكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم وكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي

ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل المعروف بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم ان حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول

قوله بما عهد عندك آه هذا نوع عاهد على ان تكرمه بها وعاهد كما بين المتوافقين اولا لطاهر قا الله سبحانه بتوليه من اكرمه بها ما آثره في هذا المقام لانه الظاهر وذكر في الزخرف اوجها علي ان يستقل باعبائها اولما تحفظ كما يحفظ العهد او هو ثم قوله والباء اما ان

قوله بر يقصدونه آه وذلك لان الانتفاع باخراج الدرر والمسافرة الى البلاد التاسعة لا يحصل دون اللجج ثم قوله

كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وآله مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء
بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها
ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل قوم من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين
الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه
وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة
للكاف فلذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي عليه السلام ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان تجف ماؤه
فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى
فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني ان عبدة تلك التماثيل متبر ما هم
فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم
دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها
فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاوثان بانهم
هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا
قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا
وهو فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به
غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله واذ انجيناكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت
هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب
والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات
ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين روي ان موسى
عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون و
ما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله
اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تع ان يزيد عليها عشرة ايام
من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية
في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا وميقات ربه ما وقته له من الوقت
وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على
النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل

ومن دعاك

ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر
اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه له
وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر
وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا
في اللوح وروي ان موسى عم كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين
ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني
نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك
اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن
تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة
هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عم ذلك
وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك
ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة
احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت
الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم
ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا
ويتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطاء ونبههم على الحق فلجوا
وتمادوا في لجاجهم فقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك
فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله تع انما كلم موسى عم وهم يسمعون فلما سمعوا كلام
رب العزة ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس
فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته
عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب
به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم
دليل انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل و
الشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا
تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان
لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله
قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل

الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه فى قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا فى جهاته فسوف ترانى تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية اعنى قوله فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبى قال لى الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اى مدها مستوية وقرئ يحيى بن وثاب دكا اى قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رآى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاعقة من صعقه اذا اصابه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى ان الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت فى رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئى ولا مدرك بشىء من الحواس **فان قلت** فان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب **قلت** من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية فى هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجيا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارنى انظر اليك عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة فى جلائها بآية مثل آيات القيامة التى تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كانى انظر اليك كما جاء فى الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كابصار القمر اذا امتلا واستوى قال لن ترانى اى لن تطيق معرفتى على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآيات فان بثت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رآى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وباسك قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتى وهى اسفار التورية وبكلامى وبتكليمى اياك فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة فى ذلك فهى من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطى التورية يوم النحر **فان قلت** كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا **قلت** اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل فى حمل الرسالة

وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين ذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شىء فى محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدلا منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه فى دينهم من المواعظة وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهى سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه فى سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كاذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير فى فخذها للالواح او لكل شىء لانه فى معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولى العزم من الرسل ياخذوا باحسنها اى فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم فى الاخذ بما هو ادخل فى الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهى مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم فى ممركم عليها فى اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهى لغة فاشية بالحجاز يقال اورنى كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لى وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهى قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ساصرف عن آياتى بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وآله اذا عظمت امتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اى يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرا مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان رآى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رآى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك فى دينه اسفه ذلك فى محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف

بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اى لقاؤهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها
ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله فى الآخرة **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا**
**له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين** من بعده من بعد فراقه اياهم الى
الطور **فان قلت** لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامرى **قلت** فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم
لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد لانهم كانوا مريدين
لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثانى ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد
جمع حلى كثدى وثدى ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلى ومن حليهم على التوحيد والحلى اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة
**فان قلت** لم قال من حليهم ولم يكن الحلى لهم انما كانت عوارى فى ايديهم **قلت** الاضافة تكون بادنى ملابسة
وكونها عوارى فى ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى
الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بنى اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم
ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامرى قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم
قطع البحر فقذفه فى فى العجل فكان عجلا له خوار وقرا على رضى الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح واستغاث
جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه
على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه
بما ركز فى العقول من الادلة وبما انزل فى كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اى اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين
واضعين كل شىء فى غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم **ولما سقط فى ايديهم وراوا انهم**
**قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين** ولما سقط فى ايديهم ولما اشتد ندمهم
وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد
وقع فيها وسقط مسند الى فى ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميفع سقط فى ايديهم على تسمية الفاعل اى وقع العض
فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم فى ايديهم اى فى قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وان كان محالا
ان يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد ضلوا وتبينوا
ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا
كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال**
**بئسما خلفتمونى من بعدى اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم**
**استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين** الاسف الشديد الغضب
فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتمونى قمتم مقامى وكنتم خلفائى من بعدى وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة
العجل من السامرى واشياعه او لوجوه بنى اسرائيل وهم هرون عم والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى
والمعنى بئس ما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله تع او حيث لم تكفوا من عبد غير الله **فان قلت** اين ما يقتضيه
بئس من الفاعل والمخصوص بالذم **قلت** الفاعل مضمر يفسره ما خلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس
خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم **فان قلت** اى معنى لقوله من بعدى بعد قوله خلفتمونى **قلت** معناه من بعد
ما رايتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بنى اسرائيل على التوحيد واكفهم

عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة
المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اى من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال
عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فقال اعجلت
الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ
آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتى فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروى ان السامرى قال لهم حين
اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها
فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه
حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان فى نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك
كان احب الى بنى اسرائيل من موسى وروى ان التورية كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها
ستة اسباعها وبقى سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شىء وفيما بقى الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اى
بشعر راسه يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذى استفزه وذهب بفطنته وظنا
باخيه انه فرط فى الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امى بالياء و
ابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فلانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن
واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها
هى التى قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفونى يعنى انه لم يأل جهدا فى كفهم
بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة فى مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه
فلا تشمت بى الاعداء فلا تفعل بى ما هو امنيتهم من الاستهانة بى والاساءة الى وقرئ فلا تشمت بى الاعداء
عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ولا تجعلنى فى موجدتك
على وعقوبتك لى قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد انى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم
**قال رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين** لما اعتذر اليه اخوه وذكر له
شماتة الاعداء قال رب اغفر لى ولاخى ليرضى اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه فلا تتم لهم شماتتهم و
استغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط فى حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمة الله
رحمته ولا تزال منتظمة لهما فى الدنيا والآخرة **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة**
**فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين** غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة
خروجهم من ديارهم لان ذلة الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير
من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم
من قول السامرى هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق فى الحيوة الدنيا بالذلة وحدها والمراد
سينالهم غضب فى الآخرة وذلة فى الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله
**ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**
ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق
الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها

قوله هدى ورحمة الآية قيل يجوز ان يكون المراد بالهدى ارشاد سبيل الحق وبالرحمة الثواب والجنة المرتبة على سلوك طريق الهدى ويكون عطفا تفسيريا للهدى فان

**والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم** والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصى كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله

كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن
عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت
اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفى غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر
الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ويقول لك ضربت **واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين**
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من
اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن
قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من
الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب
عنهم الجهل والصبى فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امر ربه
ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنى موسى ودخل
وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال
رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت
الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب
الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك للثبات
بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا
فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا **واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون** واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا
حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا
رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة
السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول
بمعنى حركنا اليك نفسنا واملناها او حركنا اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين
فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على
هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي
من وجب في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة

تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتب
هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وآله الذين
هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها **الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات و
يحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به و
عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون** الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه
من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم
وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم
الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة
وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم و
صعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو
بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من
الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت
تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية
يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف
واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو
المنع والقرآن **فان قلت** ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبرئيل **قلت** معناه انزل مع نبوته لان استنباءه
كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته و
بما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعوه مصاحبين له في اتباعه **فان قلت** كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى
ودعائه **قلت** لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله و
على كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان
يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره
من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين
اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات
والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون** اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلعم الى كافة الانس وكافة
الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم **فان قلت** الذي له ملك السموات والارض ما محله **قلت** الاحسن ان يكون
منصوبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف
بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت
وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه

بالالهية لانه لا يقدر على الاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرى وكلمته على الافراد وهى القران او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد ان اراد عيسى بن مريم وقيل هى الكلمة التى تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهى قوله كن وانما قيل عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا **فان قلت** هلا قيل فامنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله اليكم **قلت** عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر ليجرى عليه الصفات التى جريت عليه ولما فى طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كاينا من كان انا او غيرى اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بنى اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم فى الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبى صلى الله عليه وآله وآمن به من اعقابهم وقيل ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبى صلعم ان جبرئيل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبى الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدى عبد الله فقال رجل انى منهم فقال عبد الله يعنى لمن كان فى مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صالحكم عليهم شيئا من تهدى بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا فى طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وآله الى كل افق وتغلغل فى كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر فى مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرى وقطعناهم بالتخفيف اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب **فان قلت** مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا **قلت** لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحى مالك ونهشل وامما بدل من اثنتى عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحد كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرى اثنتى عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربى دالج تبجسا **فان قلت** هلا قيل فضرب فانبجست **قلت** لعدم الالتباس وليجعل الانبجاس مسببا من الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتى عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتى عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت فى نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه وكلوا من ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس **فان قلت** كيف اختلفت العبارة ههنا وفى سورة البقرة **قلت** لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا اسكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا فى الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون فى الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرى نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم على البناء للمفعول **واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون** واسئلهم وسل اليهود وقرى واسيلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التى لا تعلم الا بكتاب او وحى فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحى ونظيره همزة الاستفهام التى يراد بها التقرير فى قولك اعدوتم فى السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية وعن ابى عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعنى رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطيه اذ يعدون فى السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه وقرى يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء فى الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا تشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرى لا يسبتون بضم الباء وقرأ على عليه السلام لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا

وعن الحسن لا يُسبَتون على البناء للمفعول اى لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا **فان قلت** اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب **قلت** اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان فى بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم **واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون** واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم فى الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اى موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب فى النهى عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا فى ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اى وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة **فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** فلما نسوا يعنى اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر **فان قلت** الامة الذين قالوا لم تعظون من اى الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين **قلت** من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى حال المنهى وان النهى لا يؤثر فيه سقط عنه النهى وربما وجب الترك لدخوله فى باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهى بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم فى امرهم كما وصف الله رسوله فى قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلنى الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان روى ان اليهود امروا باليوم الذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت

كذا

اهم

فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد فاخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا الى خشبة فى الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ فى السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثنى عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج احد من المعتدين فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكى فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد فى كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيّس بوزن ريّس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين فى هيّن وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ **واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم** تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلعم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد **وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** وقطعناهم فى الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة **فان قلت** ما محل دون ذلك **قلت** الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم يعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون** فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلعم ورثوا الكتاب التورية بقيت

يعنى

ينتهون

في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون
عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير
والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه
من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفاعل
سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة
والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة
ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه
كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله
شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية و
الدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء
وادّارسوا بمعنى تدارسوا وافلا يعقلون بالتاء والياء فان قلت ما موقع قوله الا يقولوا على الله الا الحق قلت
هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة
خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان
ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على
الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم
ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسّكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين والذين
يمسّكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم
لان المصلحين في معنى الذين يمسّكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا
والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون فيكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسّكون بالتشديد
ويعضده قراءة ابيّ والذين مسّكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف
افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها اداء للدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا
بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما
فيه لعلكم تتقون واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه
ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا
انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم
مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل
منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا
على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق
جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم
على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه

وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم
فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة و
الانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكّروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكّروا واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
افتهلكنا بما فعل المبطلون من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم
من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم وقالوا بلى شهدنا
من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم
وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال
لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في
كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار
ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة
على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم
فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة
التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا
بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اخلافهم
المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على
انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت هي عليها واسلوبها وذلك قوله واسألهم
عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا افتهلكنا
بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك
نفصل الآيات ولعلهم يرجعون وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون
وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين واتل عليهم واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها
من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه
خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه وكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا
اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى
فعل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث

او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ولو شئنا لرفعناه
لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها
وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى
ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة
والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض
فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على
ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة
كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه او شد عليه وهيج فطرد
او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم
يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى
الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب
في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه
وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله
لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا
في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وآله في التورية وذكر القرآن المعجز
وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم
لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته
من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم لما اضمر اسم ساء
انتصب اصحاب مثل على التمييز لان تقديره ساء الامثل وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا
يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله
وظلمهم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدوها الى غيرها من يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون
حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم فانهم
لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى
عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم
لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على

توغلهم

توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام تخذوا
لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان
الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله مع
علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك
كالانعام بل هم في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه
والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها
فتلزم [illegible] وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك
الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها
فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم
يا ابيض الوجه يا سخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد
قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف
الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون
في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية و
نحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من
العزيز وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا اخبر ان
كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي
صلى الله عليه وآله انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وعن النبي عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين
آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة
بعد درجة قال الاعشى شعر فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك
القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب
طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا
قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم
في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف
النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج
الله نعوذ بالله منه واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان
هو الا نذير مبين واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي
متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان

ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وآله من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وآله علا الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوّت الى الصباح **اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون** اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدل لان من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى ولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان **فان قلت** بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون **قلت** بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا **من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون** قرئ ونذرهم بالياء والنون والرفع على الاستيناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله فلا يهده احد ويذرهم **يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يسئلونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من اوبت اليه لان البعض آوى الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويوده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها ولان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها الا بغتة الا فجاءة على غفلة منكم وعن النبي صلعم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة

عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استيصاله واحفى في المسئلة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل متعلق بيسئلونك اي يسئلونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه **فان قلت** لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله **قلت** للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون** قل لا املك هو اظهار العبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطيا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين** من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه علي كبدي حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وغيره فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا

لانّ المذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتينا ولنكوننّ لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما **فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما فتعالى الله عمّا يشركون** فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوىّ جعلا له شركاء اى جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اى آتى اولادهما وقد دلّ على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عمّا يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريّان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم آل قصىّ الا ترى الى قوله في قصة امّ معبد فيا لقصىّ ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسؤدد ويراد هو الذى خلقكم من نفس قصىّ وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوىّ جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سمّيا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصىّ وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اى ذوى شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون** اجريت الاصنام مجرى اولى العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شئ كما يخلق الله وهم يخلقون لانّ الله خالقهم او لا يخلق على اختلاق شئ لانه جماد وهم يختلقون لانّ عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعوا عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم **وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون** وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم **فان قلت** هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية **قلت** لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مسّ الناس ضرّ فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم **ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون** الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمّونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتى ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فانى لا ابالى بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوّفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون **ان وليّى الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون** ان وليّى الله اى ناصرى عليكم الله الذى نزّل الكتاب الذى اوحى الىّ الكتاب واعزّنى برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم **وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوّروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئى **خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين** العفو ضد الجهد اى خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهّل من غير كلفة ولا تداقّهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشقّ عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسّروا ولا تعسّروا قال خذى العفو منّى تستديمى مودّتى ولا تنطقى في سورتى حين اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهّل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت امر ان يأخذهم بها طوعا او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادرى حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد انّ ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمّن ظلمك وعن جعفر الصادق رضى الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم** واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنّك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جدّ جدّه وروى انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يا ربّ والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابى بكر انّ لى شيطانا يعترينى **ان الذين اتقوا اذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدّونهم في الغىّ ثم لا يقصرون** طيف من الشيطان لمّة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال انى الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف طيّف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وانّ المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فانّ الشياطين يمدّونهم في الغى اى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادّونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصرّوا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فانّ الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لانّ اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا **فان قلت** لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد **قلت** المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت **واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الىّ من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه

اى خذ كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم
كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وهلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الى فلست بمفتعل
للآيات اولست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او
هو بمنزلة بصائر القلوب وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلوة
فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول
القرآن عند نزوله فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ واذكر ربك فى نفسك هو عام فى الاذكار من
قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون
الجهر لان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام
ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل فى الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق
للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم وسلامه ومعنى عند
دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا
يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة سورة الانفال مدنية وهى ست
وسبعون آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ
وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ النفل الغنيمة لانها من
فضل الله وعطائه وقال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم و
هو ان يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او
ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعى فى احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف
بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسئلوا رسول الله صلعم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين ام للانصار
ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء وليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط
لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا
فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله المغنم قليل والناس كثير فان تعط هؤلاء ما شرطت لهم
حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابى وقاص قتل اخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ان الله قد شفا صدرى من المشركين فهب لى هذا
السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت
الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلعم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد
صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه

اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك
تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام وادغام نون عن فى اللام وقرأ ابن مسعود يسئلونك الانفال اى يسئلك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان
قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله
يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مفوضا الى رأى احد والمراد
ان الذى اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسى المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات
فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب
والتصافى فاتقوا الله فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متاخين فى الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا
فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد
اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال
حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهى مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين
قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين
وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم
مؤمنين ان كنتم كاملى الايمان إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ واللام فى قوله انما
المؤمنون اشارة اليهم اى انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون
حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل فى القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت
فادع الله فان الدعاء يذهبه يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة
وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه
وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بالمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة نحو وبق فى وبق
وفى قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه و
اثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابى هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض
وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى
غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح
من الصلوة والصدقة أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
حقا صفة للمصدر المحذوف اى اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التى هى اولئك هم المؤمنون
كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت
تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن
وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا
ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين

حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثنى
عنه وحكى عنه انه قال لقتادة لم يستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم صلوات الله عليه وآله فى قوله
والذى اطمع ان يغفر لى فقال له هلا اقتديت به فى قوله اولم تومن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة و
علو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيآتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل
التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون
يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون كما اخرجك
ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب
والثانى ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول وبثت مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او
المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق
اى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه وان فريقا من المومنين لكارهون فى موضع الحال
اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رويا فقالت لاخيها انى رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من
السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث
بها العباس فقال ابو جهل ما ترضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع
بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى تنحر الجزور وتشرب الخمور وتقيم القينات والمعازف
ببدر وبدر ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم
احدى الطائفتين اما العير واما النفير فاستشار النبى صلى الله عليه وآله اصحابه وقال ما تقولون ان
القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من
لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وآله ابو بكر وعمر
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث احببت لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من

من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان
النبى صلى الله عليه وآله يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد
بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا
انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
رسول الله صلى الله عليه وآله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى
احدى الطائفتين والله لكانى الآن انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح فقال له النبى صلى الله عليه
وآله لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان
فريقا من المومنين لكارهون والحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله تلقى النفير لايثارهم عليه
تلقى العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وآله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا
الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم فى فرط فزعهم ورعبهم وهم
يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه
ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروى انه ما كان فيهم الا فارسان واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق
بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ منصوب باضمار اذكر و
انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا
والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها
ومنها قولهم ومنها قولهم شاك السلاح اى تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة
ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة
وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر والدابر الآخر فاعل من
دبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعنى انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزاكم فى ابدانكم واحوالكم والله تعالى يريد معالى الامور وما يرجع الى عمارة الدين و
نصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين فشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة
وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض دناه العير وما فيها وقرئ بكلمته
على التوحيد فان قلت بم يتعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما
فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين
متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على
غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذى هو سيد الاغراض ويجب ان
يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع اذ تستغيثون

ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم فإن قلت بم يتعلق إذ تستغيثون قلت هو بدل من إذ يعدكم و
قيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب
انصرنا يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا
تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك أني ممدكم وأصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه
استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول وعلى إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة
من القول فإن قلت هل قاتل الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبرئيل عليه السلام في خمسمائة ملك على
الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب عليه السلام في صورة الرجال
عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم يقاتل يوم الأحزاب
ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة
فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في إثر رجل من المشركين إذ سمع صوت
ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه
بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد
كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبرئيل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم
صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله ردف لكم بمعنى ردفكم
وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده ولا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى
متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض
أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين أيديهم وهم
على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد
هذا الوجه قوله تع في سورة آل عمران بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله
مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الأصل أو على إتباع الدال وبالضم على إتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة
آل عمران فإن قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين
بارتدافهم غيرهم قلت بأن المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم فإن قلت
إلام يرجع الضمير في وما جعله قلت إلى قوله أني ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم فإن قلت ففيمن قرأ
بالكسر قلت إلى قوله إني ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل
عليه ممدكم إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لهلعكم وذلتكم فكان الإمداد



بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر إلا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من
الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من
نصره الله إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين
عذاب النار إذ يغشيكم بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند والضمير لله تع وأمنة مفعول له فإن
قلت أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون
انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم ومنه صفة لها أي أمنة
حاصلة لكم من الله فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينعسكم إيمانا منه
أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا فإن قلت هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم
أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو
على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة
حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر و
لقد ألم به من قال يهاب النوم أن يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حيوة
ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف
والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور رجز الشيطان
وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل
لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم
فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق
ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا
وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله
صلى الله عليه وآله وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز
أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال إذ يوحي يجوز أن يكون بدلا ثالثا
من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت أني معكم مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول
كقوله أني ممدكم والمعنى أني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم
فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة
ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال
وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول

اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا ليتكشفن ومشى بين الصفين يقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم
تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال شعر
واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الا
يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او على غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم
النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال
قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب
العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من
الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا
في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق و
ذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل واحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل
ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه
وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل
الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا
الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش
الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر
والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم
او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم
يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله
ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا للقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب
من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها
وعن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير
المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من الزحف من
اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن
يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء
متفعل منه متحوز فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل
يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم

بها فقال لما التقى الجمعان لعلي عم اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم فالفاء جواب شرط
محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء
النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية
التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله
حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان
اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن
الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير شعر
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم
باحوالهم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله
موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة
وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان
تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة قالوا اللهم انصر
اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا
اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا
عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ
بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع
المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا
تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون ولا تولوا وقرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله
عليه وآله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء
واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله
وانتم تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون
لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم
ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة رسول الله في
بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر
الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم
جعلهم شرها ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ولو علم الله في هؤلاء الصم
البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم

لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا
وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون
نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج
هم المنافقون وعن الحسن هم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون اذا دعاكم وحد الضمير ايضا
كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وآله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر
للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وآله مر على باب ابي وناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم
تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيها قولان احدهما ان هذا مما اختص
به رسول الله صلى الله عليه وآله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع
صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت وبعضهم لا يعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة
وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فيفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا
هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلب
واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله
بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تع فاما ما يثاب عليه
العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن
تعالى عما يقولون الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء وباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره
فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها
على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين
اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر
او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فان كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت
نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب
ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها
لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول
فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود
لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي عليه السلام وعمار وطلحة والزبير وهو
يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن





السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وآله يوما اذ اقبل
علي عليه السلام فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله
بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف
جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا
تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا
منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان
الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان
يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون اذ انتم نصبه
على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل
الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين
فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس
واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم
في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في
ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل
خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف به ومنه قوله وتخونوا اماناتكم
والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها
وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد
لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلعم حاصر يهود بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا
من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له
ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد
خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد
تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي يحلني
فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من
مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان
وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب
قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقراء

مجاهد وتخونوا اماناتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدى اليه هممكم وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هى من جملة ما نزل فى ابى لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم فى اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور وتفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح له ~~ويأتيه~~ فوق الله له من احسن العافية والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ فقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البخترى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انى ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن له الله فى الهجرة فامر عليا عليه السلام فنام فى مضجعه وقال اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا عليه السلام فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفى الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اى مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقاحة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا فى باب البيان خاصة وان



يماسهم واحد فتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وآله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هذا هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرئ الاعمش هو الحق بالرفع على انه مبتدأ غير فصل وهى فى القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت هتلت وقد كثر الامطار فى معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهى الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومى قومك حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون اللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم فى الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم لقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واى شئ فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره واربابه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلى امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة وعبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه

سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدا ومن صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلوتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** ما وجه هذا الكلام **قلت** هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضع المكا والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله في صلوته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة **ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون** قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون** ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين** قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وفي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق

ويبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله تعالى **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ بما تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيل الله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته **واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** ان ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون البعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وآله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ منه

قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر
الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان
نعطي فقيركم ونزوج ايمكم ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة
شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب البراذين وقيل الخمس كله للقرابة
وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم
رسول الله صلى الله عليه وآله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة **فان قلت**
بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا والمعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من
الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم
المتضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم
بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعُبُد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من
المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر
القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم **اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى و**
**الركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من**
**هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم** اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط
الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في
الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء و
الثانية بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاءت القصيا
الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا
يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع
المحل لانه خبر للمبتدا **فان قلت** ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم **قلت**
الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر
لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت
ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيه الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان
العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عن
ثباتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على
بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم
ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم و
قصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر تعالى من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه

واعلا

واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين
في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وآله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا
عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب
على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم
بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وآله و
المسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل
وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام
اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم
ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من
الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف
لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه
**اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله**
**سلم انه عليم بذات الصدور** اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق
بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله تعالى اراهم اياه
في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك
لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية
فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم
في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر
والجزع **واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان**
**مفعولا والى الله ترجع الامور** واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا
نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وليعاينوا ما اخبرهم به
فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور **فان**
**قلت** الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم **قلت** قد قللهم
في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا
وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين وليلا
يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا **فان قلت**
باي طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون
به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين
وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة**

فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها
لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم
لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل
ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في
خطب امير المومنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطايف المعاني
وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم واطيعوا الله و
رسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تنازعوا
قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة
من قرا تذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرا يذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في
نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله شعر
اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وحذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو
ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه واله من فشلهم وذهاب ريحهم ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما تعملون محيط
كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة
ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان
ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كوس المنايا مكان الخمر
وناحت عليهم النوايح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل
التقوى والكابة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما ترائت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني
بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه واله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم
ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرا منهم اي بطل كيده
حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك
بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشيطان معه راية قال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم
من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث
الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا
علموا انه الشيطان وفي الحديث ما روي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول



الرحمة الا ما روي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب
بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كاين لكم اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين
في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام
وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا
وهم ثلثماية وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم غالب يسلط القليل
الضعيف على الكثير القوي ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى الاستقبال
واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالتاء والياء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في
يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني
وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان
يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب على دبره ضربة
واحدة بقوته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة
القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به وقيل
كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف
اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد بما قدمت ايديكم يحتمل
ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي
ذلك العذاب بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين
وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما
بليغ الظلم متفاقمه كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله
قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله
سميع عليم الكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي داوموا فيه اي داوموا
عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله
لم ينبغ له ولم يصح في حكمه ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون
ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها
واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا
عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب
وان الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم
فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين كداب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بايات
ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من
غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون

الذين كفروا فهم لا يؤمنون اى اصرّوا على الكفر ولجّوا فيه فلا يتوقّع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شرّ الدوابّ لان شرّ الناس الكفار وشرّ الكفار المصرّون الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى او حاصلين على استواء فى العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الياء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى انها نزلت فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله وعن عكرمة هى الحصون والرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذى هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز

ان

ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى فى الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر شعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرا ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير فى به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل هم المنافقون وعن السدى هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تانيث نقيضها وهى الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و عن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب وسلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلى فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر فى جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث رسول الله صلى الله عليه وآله من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة فى ادنى شىء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحد وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب فى الله والبغض فى الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا يجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون فى محل الرفع اى كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت فى اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبى صلى الله عليه وآله

ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو ان تمكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت وان تسمية حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا فى هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحركه منه وقرى حرض بالصاد غير معجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه اوحرصه وحرشه وحرّبه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اى بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث حمزة فى ثلثين راكبا فلقى ابا جهل فى ثلثماية راكب قيل ثم ثقل عليهم وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء فلما كثروا بعد نزل التخفيف وقرى ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرى الفعل المسند الى الماية بالتاء والياء فى الموضعين والمراد بالضعف الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك

**فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا يتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والماية الالف وكذلك بين مقاومة الماية المائتين والالف الالفين **ماكان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** وقرى للنبى على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل فى اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابى طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تتقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللين وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم ماية اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروى انهم لما



اخذ الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل احب الى عرض الدنيا حطامها سمى عرضا لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعنى ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل وقرى يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على عمله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة للتقابل يعنى ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته فى اللوح وهو انه لا تعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء فى الاجتهاد لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التى اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب لهم احدا الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهى ولم يتقدم نهى عن ذلك **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم** فكلوا مما غنمتم روى انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم ولم تقدموا على شىء لم يعهد اليكم فيه **فان قلت** ما معنى الفاء **قلت** التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم وكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اى كلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعدها فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم** فى ايديكم فى ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرى من الاسرى فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم فى الدنيا اضعافا او يثيبكم فى الآخرة وفى قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهونى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للعباس افد ابنى اخيك عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرنى به ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى امرك فاما اذا اخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى وروى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ

ماقدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرا الحسن وبيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل

**وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم** وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ماضمنوا من الفداء **ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالكسر والفتح اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير** والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا وقرئ كثير بالثاء **والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم** اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل **والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم** والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القران وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه واله من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

**سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون اية**

**براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين** لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكل بهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه **فان قلت** هلا صدرت باية التسمية كما في ساير السور **قلت** سال عن ذلك ابن عباس عثمان فقال ان رسول الله صلى الله عليه واله اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه واله ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي التوبة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه واله قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المايون وهذا قول ظاهر لانهما معا مايتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما يقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم **فان قلت** لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه واله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه واله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا عليه السلام راكبا العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه واله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان في بعض الطريق هبط جبريل

فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا عليه السلام فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اشى نزل من السماء فقال نعم فسر وانت على الموسم وعلى ينادي بالآى فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا عليه السلام **فان قلت** الاشهر الاربعة ماهى **قلت** عن الزهرى ان براءة نزلت في شوال فهى اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذى القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسئ الذى كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذى الحجة **فان قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد نهانا الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزى الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اى مذلكم **وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برئ من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين** واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء **فان قلت** اى فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس **قلت** لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمى وعن على رضى الله ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتى وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم الحج واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل به معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمى يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذف الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على

المنوى في برئ اى برئ هو او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اى برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه برئ فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابى قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه **فان قلت** مما استثنى قوله الا الذين عاهدتم **قلت** وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر ان الله يحب المتقين يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وآله فانشده **شعر** لاهم انى ناشد محمدا حلف ابينا وابيك الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اى لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضى الله عنهما بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم **فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم** انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التى ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعنى الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبنى المنار به وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر **وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون** احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هى محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى على عليه السلام فقال ان اراد الرجل منا ان يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل ليسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله

يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما
حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطايهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم ان الله يحب المتقين كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد
عند رسول الله صلى الله عليه وآله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهولاء عهد
فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين
عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا
امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني
ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم
بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد
وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال شعر وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب
يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان
والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة و
انشد لحسان شعر لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ
ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت
الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم و
شهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد و
ميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتداء
في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة
ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم
ولا شمايل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم
العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا
يعملون اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم
المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على
حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل ومن
تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم لعلهم ينتهون وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع

ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا و
اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا
عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر و
ذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز
قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع
يمين وقرئ لا ايمان اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت
كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم
على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم
يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن
غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظايم ان يكون المقاتلة سببا في انتهايهم عما هم عليه وهذا من
غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي
بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس
بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج
الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين الا تقاتلون
دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها
في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه
وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وآله جاءهم اولا
بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم
فما يمنعكم من ان تقابلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم
بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب
حقيق بان لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان
تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه
كقوله ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
والله عليم حكيم لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم
ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طايفة
من المومنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله يشكون اليه فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه
المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحة نبوته ويتوب الله
على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس

منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخل التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله و لم يتخذوا وليجة اى بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وانتصاحه متوقع كاين وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القايل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ** ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا ان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي عم يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قال نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اى انما يستقيم عمارة هؤلاء وان تكون معتدا بها والعمارة يتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر من الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وآله يأتي في آخر الزمان ناس من امتي

ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما يأكل البهيمة الحشيش قال عليه السلام قال الله ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المساجد الفه الله وقال صلى الله عليه وآله اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه **فان قلت** هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله **قلت** لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما من صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة **فان قلت** كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم داير بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا عليه السلام قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وآله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ**

**وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم
فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا
وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت
اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن
موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وآله لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله وقرئ عشيراتكم
وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن
عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانما تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين
من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال
والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه
اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ
فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال: وكم من موطن لولاي طحت كما هوى
باجرامه من قلة النيق منهوي: وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة
وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين
على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن
الوقت كمقتل الحسين عليه السلام على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر
وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين ولو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم
لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار
اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح
مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر
العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله
عليه وآله وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل ابو بكر وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا
شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا
عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفين بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق
على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس
وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا
واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيل بلق فنظر رسول الله صلى الله
عليه وآله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا

ورب الكعبة قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت
ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال
كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا
تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانما ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم **ثُمَّ
أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** سكينته رحمته التي سكنوا بها
وثبتوا وآمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس
منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على الاسلام وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة
آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا
اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه
فقال ان هؤلاء جاؤونا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن
كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ** النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس
او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة
في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب
على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون
جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد وكبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا
ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر
على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي عليه السلام حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد
عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون
من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد
الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن
تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة

أي فقرًا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة و
جرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان
في قلوبهم الخوف قال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم و
قرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في
دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه
نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب و
تحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل
وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله تعالى فلان يدين
بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها
من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي
عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد و
واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد قاهرة
مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على
الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ
بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط بها خراج
الارض اختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي
العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وآله صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان
من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا
يؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط
من الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون درهما ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي
تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن **وقالت اليهود عزير ابن الله و
قالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم
الله انى يؤفكون** عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته
وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ
احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن
كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وآله سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس
ابن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى
عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها عن قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبرئيل عليه السلام
فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية
في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل
على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير و
الثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم
بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق
شبهة في انتفاء الولد يضاهؤن لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم
الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اليهود
والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله
وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون
بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ
قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون**
اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله الله كما يطاع الارباب في اوامرهم
ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم
انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه
ويحلون ما حرم فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال الفضيل بن عياض ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت
لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك اوله العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما
امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا
اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم **يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم
نوره ولو كره الكافرون** مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله بالتكذيب بحال من
يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه
بنفخه ويطمسه **هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**
ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا
كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله و
يابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره **يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار و
الرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**
معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال

يوكل بها فمى سبب للاكل ومنه قوله يا كلين كل ليلة اكافا يريد علقا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا
ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرايع والذين يكنزون يجوزان يكون اشارة الى الكثير
من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن
الانفاق فى سبيل الله ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود و
النصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة آية الكنز وقيل هى ثابتة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكوة و
عن النبى صلى الله عليه وآله ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان
ظاهرا وعن عمر ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذى اخذت واحفر له تحت فراش امراتك قال اليس
بكنز قال ما ادى زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته
فهو الذى ذكر الله وان كان على ظهر الارض **فان قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله
صلى الله عليه وآله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له فاى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة
صالحة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان **قلت** كان هذا قبل ان
يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدى عنه ما اوجب
عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون
فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء
مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شىء حد وما روى عن على عليه السلام اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز
كلام فى الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ
لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا و
قيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فانى وقيار بها لغريب
وقيار كذلك **فان قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما
الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما
**فان قلت** ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد **قلت**
معناه ان النار تحمى عليها اى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت**
فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت** لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت
النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت
رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء **قلت**
لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم
وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل الطيبات يتضلعون
منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم
وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم

كانوا



كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون
على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اى كنزتموه لتنتفع به
نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ
لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرى تكنزون بضم النون اى وبال المال الذى كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين
إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ
حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا
فى كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل فى اللوح اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة و
ذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج الى
ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابى بكر قبلها فى
ذى القعدة ذلك الدين القيم يعنى ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب
قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه او اخيه
لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدث النسىء فغيروا فلا تظلموا فيهن فى الحرم انفسكم اى لا تجعلوا
حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت
وعن عطاء الخراسانى احلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم
حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما فى ساير الشهور
كافة حال من الفاعل والمفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ
فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا
حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ النسىء تاخير حرمة الشهر الى شهر
آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه
ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر
وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى
هو احد الواجبين وربما زادوا فى عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال
تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعنى من غير زيادة زادوها والضمير فى يحلونه ويحرمونه للنسىء اى اذا
احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل وروى انه حدث ذلك فى كنانة لانهم
كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى مطاعا فى الجاهلية وكان يقوم على جمل
فى الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسىء زيادة فى الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد
كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله تعالى

وقرأ الزهري ليوطّوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه اذا اخّره يقال نسأه نسأً ونساءً ونسيئاً كقولك مسّه
مسّاً ومساساً ومسيساً وقرئ بهنّ جميعاً وقرئ النسيّ بوزن الندىّ والنسْي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء و
النسء فان قلت ما معنى قوله فيحلّوا ما حرّم الله قلت معناه فيحلّوا بمواطأة العدّة وحدها من غير
تخصيص ما حرّم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زيّن لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا
اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زَيّن لهم سوءَ اعمالهم على البناء للفاعل
وهو الله تعالى **يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل** اثّاقلتم تثا
قلتم وبه قرأ الاعمش اى تباطأتم وتقاعستم وضمّن معنى الميل والاخلاد فعدّي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا
وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتّبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم
ودياركم وقرئ أثّاقلتم على الاستفهام الذى معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف
الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دلّ عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون
اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائماً وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطايف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقّة وكثرة العدوّ فشقّ عليهم وقيل ما خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعدّ الناس
تمام العدّة من الآخرة بدل الآخرة لقوله لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة **الا تنفروا
يعذبكم عذاباً اليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كل شيء قدير**
الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم
ويستبدل بهم قوماً آخرين خيراً منهم واطوع وانه غنيّ عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئاً
وقيل الضمير للرسول اى ولا تضرّوه لانّ الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد كاين لا محالة
وقيل يريد بقوله قوماً غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغنٍ عن التخصيص **الا
تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله
جواباً للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا
اقلّ من الواحد فدلّ بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه
اوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده
اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين همّوا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه
ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر روى ان جبرئيل
صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون
واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه
ثلثاً اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله



فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وآله ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يتردّدون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لساير الصحابة سكينته ما ألقي في قلبه من الامنة التي
سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملئكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا
دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ كلمةَ الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل ومبتدأ
وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون ساير الكلم **انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** خفافاً وثقالاً خفافاً
في النفور لنشاطكم له وثقالاً عنه لمشقته عليكم او خفافاً لقلة عيالكم واذيالكم وثقالاً لكثرتها او خفافاً
من السلاح وثقالاً منه او ركباناً ومشاة او شباناً وشيوخاً او مهازيل وسماناً او صحاحاً ومراضاً وعن ابن ام
مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله أعليّ ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج و
عن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت والياً
على حمص فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عمّ
لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً الا انه من يحبه الله
يبتله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل
صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنّي الحرب كثّرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة **لو كان عرضاً قريباً و
سفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون** العرض ما عرض لك من منافع الدنيا فقال الدنيا
عرض حاضر يأكل منه البرّ والفاجر اى لو كان ما دعوا اليه غنماً قريباً سهل المنال وسفراً قاصداً وسطاً مقارباً
الشقّة المسافة الشاطّة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر الشين والعين ومنه قوله يقولون لا تبعدوهم
يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفايح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
اى سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا لخرجنا وقوله لخرجنا سدّ مسدّ جوابي القسم ولو جميعاً والاخبار بما سو
يكون بعد من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدّة او استطاعة
الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيهاً لها بواو الجمع في قوله فتمنّوا الموت يهلكون انفسهم
اما ان يكون بدلاً من سيحلفون او حالاً بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون
عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالاً من قوله لخرجنا اى لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة
بما نحمّلها من المسير في تلك الشقّة وجاء به على لفظ الغايب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو
استطاعوا لخرجوا لكان سديداً يقال حلف بالله ليفعلنّ ولافعلنّ فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية
**عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** عفا الله عنك كناية

عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيآن فعلهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله **لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين** لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وآله ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب **انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر **ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** قرئ عُدَّه بمعنى عُدَّتَه فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عِدَ الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عِدّة بكسر العين بغير اضافة وعُدَّه بالاضافة **فان قلت** كيف موقع حرف الاستدراك **قلت** لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم في القعود **فان قلت** كيف جاز ان يوقع الله في قلوبهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح **قلت** خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة **فان قلت** فلم خطّأ رسول الله صلى الله عليه وآله في الاذن لهم فيما هو مصلحة **قلت** لان اذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وآله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فاذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله تع فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وآله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر **فان قلت** ما معنى قوله مع القاعدين **قلت** هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين** الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولا اوفضوا **فان قلت** كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف **قلت** كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه او لا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون** لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين** ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في التهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها **ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون** ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة لن يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع المصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم **قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون** الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين

من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد من ان يلقى كلنا ما يتربصه لا نتجاوزه قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اى طايعين او كارهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا ام احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم يفعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القايل شعر اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الودي وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا يستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل هو ترك رسول الله صلى الله عليه واله تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طايعين من غير اكراه من رؤسايكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروى انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه واله هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو وما منعهم ان يقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرى ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرى السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه واله كره للمومن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المومن الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طايعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه واله او من رؤسايهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله



انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصايب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجا مكانا يلجاون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات وغيرانا وقرى بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرى مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرا ابي بن كعب متدخلا وقرى لوالوا اليه لالتجاوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرا انس يجمزون فسيل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يلمزك يعيبك في قسم الصدقات ويطعن عليك قيل هم المولفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه واله يقسم غنايم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه واله لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرى يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه واله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنايم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اى وان لم يعطوا منها فاجاوا السخط ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيوتينا رسول الله صلى الله عليه واله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها

تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتدينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة **فان قلت** لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة **قلت** للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان يوضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **فان قلت** كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم **قلت** دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها

**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما سمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه فبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامع قد سمع كلام المبلغ فناتيه ونحن تائبة فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال **فان قلت** لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام **قلت** لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما اباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم **فان قلت** ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب **قلت** هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة



لكم ياذن لكم فحذف لانه قوله اذن خير لكم يدل عليه **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ** المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ** كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يعود اليه ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت فيهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة وكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون **فان قلت** الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون **قلت** معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزا به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته **لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ** لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله تع

**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**

نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون بعضهم من بعض يريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى بالمسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة و نزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا و اولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا من ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده اليه عن تلك المقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مداين قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم

حين كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطا ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعيم وانما تتهنا له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المتقين المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير اقام رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا و اشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر

من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاستحضره فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وآله وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل اراد وان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وآله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار **ومنهم من عاهد الله لئن آتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون** روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها فجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج **فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب** فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله تعالى والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد والم تعلموا بالتاء عن علي عليه السلام سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم** الذين يلمزون محله النصب والرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله

حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه اراد ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم فانه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم **استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين** سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب عليه السلام **شعر** لاصبحن العاص وابن العاصي سبعين الفا عاقدي النواصي **فان قلت** كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين **قلت** لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهار الغاية رحمته ورافته على من بعث اليه كقول ابراهيم ع ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة والرافة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعض على بعض **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون** المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك والذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان ودواعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم **شعر** مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم **فان رجعك الله**

إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلًا قيل فيهم ما قيل ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم الشيطان فلما هم بالصلاة عليه فقال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل فإن قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله لما أخذ أسيرًا ببدر لم يجدوا له قميصًا وكان رجلًا طوالًا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وإجابته إلى مسألته إياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلًا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام وإكرامًا لابنه الرجل الصالح فقد روي أنه قال أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت بي الأعداء وعلمًا بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفًا لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئًا وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتمًا عليه فإن قلت فكيف جازت الصلوة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم فكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما أدري ما هذه الصلوة إلا أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخادع مات صفة لأحد وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن لا محالة إنهم تعليل للنهي ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وقد أعيد قوله ولا تعجبك لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل به وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه



وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد أن آمنوا هي أن المفسرة أولو الطول ذوو الطول والسعة من طال عليه طولًا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدًا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا فإن استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم المعذرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرًا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالًا وإن بنا جهدًا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان وقرأ أبي كذبوا الله بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الأعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم الضعفاء الزمنى والمرضى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين ما على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون قلت حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله أو جاءوكم حصرت صدورهم أي إذا ما أتوك قائلًا لا أجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة

والذين عدموا آلة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل والجار والمجرور انتصب على انه التمييز الا يجدوا لانه لئلا يجدوا ومحله النصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا **فان قلت** رضوا ما موقعه **قلت** هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان سبب استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم **فان قلت** فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما بالهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض **قلت** نعم ويحسن **يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك **سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماويهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم **يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي فحلف ان لا يتخلف عنه ابدا **الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم** الاعراب اهل البدو واشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشيهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وآله ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم بحال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه **ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم** مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء





المثوبة عنده ويتربص بكم دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دايرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم **ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم** قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدقين بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا اخلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه **والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم** والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرئ والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعنه انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو وصفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقراك فقال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وآله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من النعمة الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي ساير المصاحف تحتها بغير من **وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم** وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة

قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من
ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من
مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله
لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال
نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه
اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال
قام رسول الله صلى الله عليه وآله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا
وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم
الى عذاب النار **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم**
**ان الله غفور رحيم** اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم
بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن خزام
وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري
المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين
فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى
اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال
ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن
وعن الكلبي التوبة والاثم **فان قلت** قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به **قلت** كل واحد منهما مخلوط
ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه
وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت
الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم
بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم **فان قلت** كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم **قلت** اذا ذكر
اعترافهم بالذنب وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم** تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره
وتطهرهم بصيغة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي احب ان
يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وجعله لك طهورا وقرئ ان صلوتك
على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم
بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم **الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** قرئ الم يعلموا بالتاء والياء وفيه وجهان احدهما ان يراد

المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت
عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس
الى رسول الله صلى الله عليه وآله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقيل لهؤلاء التائبين
اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم
في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم
فنزلت **فان قلت** فما معنى قوله ويأخذ الصدقات **قلت** هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في
يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار
والذهول عن التوبة **وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم** قرئ
مرجون ومرجاؤن من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم
ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر
رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم
على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم
فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله والله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة
**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل و
ليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون** في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير
واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي اخذه المنافقون على سائر قصصهم روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق وقال
لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت
بجنوده ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وآله بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين
ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا يصلون
مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا لمن حارب الله واعدادا لاجل من حارب الله
ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل كل مسجد بني مباهاة
ورياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك
الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد

قوله مسجد قبا آه قبا ممدود يذكر ويونث وهو موضع بقرب مدينة قوله فحسدتهم اخوتهم اطلقوا الاخوة على ابناء العم

بني على ضرارٍ ورياءٍ وسمعةٍ فانّ اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارًا وعن عطاء لمّا فتح الله الامصار على عمر امر المسلمين
ان يبنوا المساجد وان لا يتّخذوا في مدينة مسجدين يضارّ احدهما صاحبه فان قلت والذين اتّخذوا ما محلّه
من الاعراب قلت محلّه النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتداء خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا
الذين اتّخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتّصل قوله من قبل قلت باتّخذوا اي اتّخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلّف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة
وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلّين لا تقم فيه ابدًا لمسجد اسّس على التقوى من اوّل يوم احقّ ان تقوم
فيه فيه رجال يحبّون ان يتطهّروا والله يحبّ المتطهّرين لمسجد اسّس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسّسه
رسول الله صلّى الله عليه وآله وصلّى فيه ايّام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
وهو اولى لانّ الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله بالمدينة وعن ابي سعيد
الخدري سالت رسول الله صلّى الله عليه وآله عن المسجد الذي اسّس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اوّل يوم من ايّام وجوده فيه رجال يحبّون ان يتطهّروا قيل لمّا نزلت مشى
رسول الله صلّى الله عليه وآله والمهاجرون معه حتّى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت
القوم ثمّ اعادها فقال عمر يا رسول الله انّهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على
البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون وربّ الكعبة فجلس ثمّ قال يا معشر الانصار
انّ الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثمّ نتبع
الاحجار الماء فتلا النبيّ صلّى الله عليه وآله رجال يحبّون ان يتطهّروا وقرئ ان يطّهّروا بالادغام وقيل هو عامّ في التطهّر
من النجاسات كلّها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهّر من الذنوب
بالتوبة وقيل يحبّون ان يتطهّروا بالحمّى المكفّرة لذنوبهم فحمّوا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبّتين قلت محبّتهم للتطهّر انّهم
يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحبّ للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبّة الله ايّاهم انّه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحبّ
بمحبوبه أفمن اسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امّن اسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار
به في نار جهنّم والله لا يهدي القوم الظالمين قرئ اسّس بنيانه واُسّس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول
واُسُس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح وبالكسر جمع اسّ واساس بنيانه على افعال جمع اسّ ايضا واسّ
بنيانه والمعنى أفمن اسّس بنيان دينه على قاعدة قويّة محكمة وهي الحقّ الذي هو تقوى الله ورضوانه خير امّن اسّس بنيانه
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلّها بقاءً وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلّة الثبات
والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانّه جعل مجازا عمّا ينافي التقوى فان قلت فما معنى فانهار
به في نار جهنّم قلت لمّا جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنّم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنّم
الّا انّه رشّح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصوّر انّ المبطل كانّه اسّس بنيانا على شفا جرف من اودية
جهنّم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفّر اصله بالماء
وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدّع الذي اشفى على التهدّم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف
من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انّما هي عينه واصله هور وشوك
وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادلّ على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت

فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث
كتترى فيمن نوّن الحقها بجعفر وفي مصحف ابيّ فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار
فرئي الدخان يخرج منه وروى انّ مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلّم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد
قباء عمر بن الخطّاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمّهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار
فقال يا امير المؤمنين لا تعجل عليّ فوالله لقد صلّيت بهم والله يعلم انّي لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صلّيت معهم
فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدّقه وامره بالصلوة بقومه
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الّا ان تقطّع قلوبهم والله عليم حكيم ريبة شكًّا
في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانّما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم قال تع ضرارا وكفرا
فلمّا هدمه رسول الله صلّى الله عليه وآله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شكّ ونفاق زائد على شكّهم و
نفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحلّ اثره الّا ان تقطّع قلوبهم قطعا وتفرّق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما
ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكّنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطّع بالياء و
تقطع بالتخفيف وتقطّع بفتح التاء بمعنى تتقطّع وتقطّع قلوبهم على انّ الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه صلى الله
عليه وآله اي الّا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطّعت قلوبهم وعن طلحة
ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كلّ مخاطب وقيل معناه الّا ان يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندما واسفا على
تفريطهم انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بانّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقّا في التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم مثّل الله اثابتهم بالجنّة على بذلهم انفسهم واموالهم
في سبيله بالشروى وتاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا
هو رزقها وروى انّ الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربّك ولنفسك ما شئت قال
اشترط لربّي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني ممّا تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك
فما لنا قال لكم الجنّة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومرّ برسول الله صلّى الله عليه وآله اعرابيّ وهو يقرؤها فقال كلام
من قال كلام الله تع قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله
تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاوّل للفاعل والثاني للمفعول وعلى
العكس وعدا مصدر مؤكّد اخبر بانّ هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية
والانجيل كما اثبته في القرآن ثمّ قال ومن اوفى بعهده من الله لانّ اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من
الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم اليه فكيف بالغنيّ الذي لا يجوز عليه قبيح قطّ ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن وابلغ منه
التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين
المذكورين ويدلّ عليه قراءة عبد الله وابيّ رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان

يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف اى التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون هم الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوى السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه **ماكان للنبي والذين آمنوا معه ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** قيل قال صلى الله عليه وآله لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة بنت وهب فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزلت بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ماكان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك **وماكان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم** قرا طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اى وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه **فان قلت** كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده **قلت** يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وآله ان ~~فلانا يستغفر لابيه~~ لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي عليه السلام رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابرهيم لابيه **فان قلت** فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه **قلت** معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك **وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يواخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض

محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم** تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم قال **شعر** غداة طفت علماء بكر بن وائل \ عشية قارعنا جذام وحميرا \ اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان قسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم **وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم** الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق ع خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلثة المخلفين بما رحبت برحبها اى مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس

ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لا كابدن الشدايد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وآله ماشيا فقال رسول الله صلعم لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذلك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وآله واستغفر له ومنهم من بقي ولم يلحق برسول الله منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة **ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين** ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على الباساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدايد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على ساير الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك



اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وآله آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وآله لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرا عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء **ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون** ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم يتعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر حين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضراير بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطا العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله تعالى لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد

السيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطايفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من الروم من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا ياخذكم بهما رافة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمومنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قرئ افلا يرون بالياء والتاء يفتنون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويعاينون امره وما ينزل الله عليهم من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قايلين هل يريكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يريكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعا عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم من انفسكم من جنسكم او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتايج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم من التباعد والاستبعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله و فاطمة عليها السلام وعايشة وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمايه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله

رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

## بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك ايات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى شعر وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا اي هذا الكتاب وما جاء به محمد السحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا

والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه **اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون** اليه مرجعكم جميعا اى لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه ووعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه وهو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ نفصل بالنون **ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون** خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر **ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون** لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها لا يزعجهم عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا **ان الذين**

آمنوا



**آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم** يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار **فان قلت** فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور **قلت** الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه **دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين** دعويهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة وانما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد **ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون** اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وينصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم **فان قلت** فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه **قلت** قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم **واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون** لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اى دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما **فان قلت** فما فائدة ذكر هذه الاحوال **قلت** معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود

ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان لجنس من مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كان لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله تعالى بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم مصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وآله اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا بوحي الله وامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت القرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال القرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع واختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا

من قبله افلا تعقلون قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم على لساني وقرا الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم به بالهمزة وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادراته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جمادات لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم ينفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واساف ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبؤوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير

لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب **وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ** ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا آية من الايات التى كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدّون بما انزل عليه من الايات العظام المتكاثرة التى لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة فى الايات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول فكانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم فى التمرد وانهماكهم فى الغى فقل انما الغيب لله اى هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لى ولا لاحد به يعنى ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات **وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ** سلّط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى ايات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وآله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها وهى للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطية من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم **فان قلت** ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا **قلت** بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون فى اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابى هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا ثم اذا انتم بشر تنتشرون **فان قلت** كيف جعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر انما هو بالكون فى الفلك **قلت** لم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجى الرياح العاصفة وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء **فان قلت** ما جواب اذا **قلت** جاءتها **فان قلت** فدعوا بم يتعلق **قلت** بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به **فان قلت** ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة **قلت** المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح **فان قلت** ما وجه قراءة ام الدرداء فى الفلكى بزيادة ياء النسب **قلت** قيل هما زائدتان كما فى الخارجى والاحمرى ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذى لا يجرى الفلك الا فيه والضمير فى جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد فى فعل اخى فعل وفى قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكى يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اى تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم اى اهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول ولان دعوا من جملة القول **فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم**

**مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** يبغون فى الارض يفسدون فيها ويعبثون مترامين فى ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد **فان قلت** ما معنى قوله بغير الحق والبغى لا يكون بحق **قلت** بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ببنى قريظة وقرئ متاع بالنصب **فان قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت** اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذى هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعنى بغى بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة ومعناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان ايتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المامون يتمثل بهذين البيتين **شعر** يا صاحب البغى ان البغى مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله ؛ فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله ⁂ وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اى صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها اى فجعلنا زرعها اى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذى هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تغن بالامس وقول الاعشى **شعر** طويل الثواء طويل التغن والامس مثل فى الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدى ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدى عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهى التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن على عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة و

عن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعماية ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن الشجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان و كسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما يتقدم منه برحمة الانرى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** **فان قلت** ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم **قلت** لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم بالياء من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم **فان قلت** اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون** مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرء وشركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين** ان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم **هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر

ويذوق



ويذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اى نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى يفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اى تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة **قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون** قل من يرزقكم من السماء والارض اى يرزقكم منهما لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال **فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون** ذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء **وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون** كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اى كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اى تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى منه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك وحق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كاين او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون **قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون** **فان قلت** كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة **قلت** قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وآله قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم **قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون** يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه

هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امّن لا يهدّي وقرئ لا يهدّي بفتح الهاء و
كسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين و
قد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يُهدّى من هدّاه وهدّاه للمبالغة ومنه
قولهم تهدّي ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركّب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين
للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من
شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن
يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدّي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وقيل معناه ام من لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه
فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله **وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق**
**شيئا ان الله عليم بما يفعلون** وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان
عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة و
انها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء
وقرئ تفعلون بالتاء **وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه و**
**تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق
الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق
مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى
وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين
ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم **فان قلت** بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين
**قلت** هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب
العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين
متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم **ام يقولون افتراه قل فأتوا**
**بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين** ام يقولون افتراه بل أتقولون اختلقه
على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر على ما
تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي
شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله
من استطعتم من خلقه للاستعانة على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر
على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه **بل كذبوا بما لم**
**يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** بل كذبوا
بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه و
يقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على
التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان

الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه
لا يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب **فان قلت** ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله
**قلت** معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا
وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر
عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك
التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا
الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه
من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه
ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل
ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم**
**بالمفسدين** ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك
فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين **فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء**
**مما تعملون** وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلّهم
فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف **ومنهم من يستمعون**
**اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي**
**العمي ولو كانوا لا يبصرون** ومنهم من يستمعون اليك ومعناه ومنهم ناس يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون
ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو
انضم الى صممهم عدم العقول لهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي
الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على هداية العمي
ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن
واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي
الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله أفأنت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم
الا الله تعالى بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع و
البصر راجحي العقل الا هو وحده **ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون**
ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب
ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة
من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
ما كان سببا فيه **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد**
**خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم

في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا و
ذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون
كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق
بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا
قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم
وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه
معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم **وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم**
**ثم الله شهيد على ما يفعلون** فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك
بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة فان قلت الله شهيد
على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال
ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم
يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم**
**قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق
فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول
وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به
فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم **ويقولون متى هذا**
**الوعد إن كنتم صادقين** متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له **قل لا أملك لنفسي**
**ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**
لا املك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا هو نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود
من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا جاء آجالهم **قل أرأيتم**
**إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد**
**كنتم به تستعجلون** بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم
عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وكذلك نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون
ضحى وهم يلعبون والضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون
منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب
ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب
الشرط قلت تعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال وتعرفوا الخطاء فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطا

فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم
وان يكون أثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد
وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الفاء والواو في قوله افامن اهل
القرى وامن اهل القرى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء
حركتها على اللام **ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون** ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن **ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين** ويستنبئونك
ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا الاعمش آلحق هو وهو
ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او هو
الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب و
هو لاحق بكم لا محالة **ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما**
**رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض**
**ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون** ظلمت صفة
لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت
به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم
بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا
عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا الندامة من سفلتهم الذين
اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه
وفيه تهكم بهم وباخلاصهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره
وليس هنالك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك
كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو قادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره
والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة**
**من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب
جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة
ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**
اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا

بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما روى وعنه لتاخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وهي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء وعن ابي بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام
ورحمته ما وعد عليه قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله
اذن لكم ام على الله تفترون ارايتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بارايتم في
معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال و
هذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
الله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون
ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى
بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام
وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز وغير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن
لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم
القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يوم القيمة منصوب بالظن
وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان
والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه اي ظن ظنوا
يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن وكأن قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل
ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا
اليه وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا
عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا
في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وما تكون في شأن ما نافية
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله والشأن الامر واصله الهمزة بمعنى القصد من شأنت شأنه
اذا قصدت قصده والضمير في منه للبيان لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه
بل هو معظم شأنه او للتنزيل كانه قال وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار
قبل الذكر تفخيم له او لله تعالى ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر
وما بعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع
والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من
مثقال ذرة او على لفظ مثقال فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا
يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة
سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان
ان يتقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل

بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل من اولياء الله فقال
فقال الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل
هم المتحابون في الله وعن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر
من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به
المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وآله هي الرؤيا الصالحة يراها
المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر
الحسن وعن ابي ذر رحمه الله قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال
تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة
اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤن
منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل
القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك قولهم
ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تهديدهم و
تكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وساير ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استيناف
بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا
لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا
من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يريدون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن
ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية
ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من

اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا من صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك
النظر ومعنى وما يتبعون شركاء اى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان
شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون و
يقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واى
شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون
من دون شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل
ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وقرأ على ابن ابي طالب رضي الله عنه
تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين تدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركين الا الظن ولا يتبعون
ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق ان يوحدوه
بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا
يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر **قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه**
**هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما**
**لا تعلمون** سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من
يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض
فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ الولد احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء
حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم فيما يقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين
فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم **قل ان الذين يفترون على الله الكذب**
**لا يفلحون** يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه **متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم**
**العذاب بما كانوا يكفرون** متاع في الدنيا اى افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون رياستهم
في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وآله بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده **واتل عليهم نبأ نوح اذ**
**قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم و**
**شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون** كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل
ومنه قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان
ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين
عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر
وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ
الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام
كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة

ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم **فان قلت** كيف اسناد الاجماع الى الشركاء **قلت** على وجه التهكم كقوله قل
ادعوا شركاءكم ثم كيدوني **فان قلت** ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة **قلت**
اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم
في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه
سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم
المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اى غما وهما والغم والغمة
كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله
عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن من يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا
عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه
كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا ينظرون
ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي
اصحروا به الي وابرزوه لي **فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون**
**من المسلمين** فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني
لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اى ما
نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين
شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة
لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه
وانما ذلك لعنادهم وتمرد لا غير **فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين**
**كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة
المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن مثله و
تسلية له **ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل**
**كذلك نطبع على قلوب المعتدين** من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم
ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعويهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع
المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به **ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا**
**وكانوا قوما مجرمين** من بعدهم من بعد الرسل باياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر
ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام فلذلك
استكبروا عنها واجترؤوا على ردها **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى**

اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان تحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون من جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قال موسى حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك جبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدا والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر وقرا عبد الله ما جئتم به سحر وقرا ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امراته وخازنه وامراة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملئهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر ولانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له

سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله تعالى قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونهم وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثني اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم الزينة ما يتزين به من لباس وحلي وفرش واثاث وغير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهيته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال وكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي اانك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قرئ دعواتكما قيل كان موسى

يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن فى وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة فى الزام الحجة فقد لبث نوح فى قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اى لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله فى تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام انى اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذى فى بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر كما قال كما جوز السكى فى الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التى هى صلة الايمان وانه بالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات فى ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية فى حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين الآن اتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعنى حين اوشك ان يغرق وقيل قال بعد ان غرق فى نفسه والذى يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه فى فيه فللغضب لله على الكافر فى وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان يدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احديهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق فى البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ننجيك بالتخفيف والتشديد نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلى البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك فى موضع الحال اى فى الحال التى لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شىء ولم يتغير او عريانا لستا الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدى كرب شعر اعاذل شكتى بدنى وسيفى وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعنى ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان فى انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وروى انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بنى اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس

عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اى لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظيم ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة فى امرك ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا فى دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وآله واختلاف بنى اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم فى صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تع الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وآله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك مع قوله فى الكفرة وانهم لفى شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفى شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت فى شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله تعالى قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب عندهم فى التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ويبالغ فى ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة فى الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسئل علماء اهل الكتاب يعنى انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك والغرض وصف الاحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اى فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريق التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك فيه ولا اسئل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب به رسول الله صلى الله عليه وآله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم فى شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفى اى فما كنت فى شك فسئل يعنى لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة

احياء الموتى وقرى فسيل الذين يقرؤن الكتب ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل آية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح واخبر به
الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدور ومراد تعالى الله عن ذلك
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى اهلكنا
تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ
المخنقة فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه فى وقت الاختيار وقرا ابى وعبد الله فهلا كانت
الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما
آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة فى معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس
وانتصابه على اصل الاستثناء وقرى بالرفع على البدل روى عن الجرمي والكسائى روى ان يونس بعث
الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح
وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك
فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم
وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين النساء و
الصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان و
التوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان
ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقد خرجوا الى شيخ من
علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا
انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم
منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم
جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ولو شاء ربك مشية القسر والالجاء لآمن من
فى الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا
ترى الى قوله أفانت تكره الناس يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم
حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان فى المكره من هو وما هو الا هو
وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير
مستطاع للبشر وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
وما كان لنفس يعنى من النفوس التى علم انها تؤمن الا باذن الله اى بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون
وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه
سببه وقرى الرجز بالزاء ونجعل بالنون قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون ماذا فى السموات والارض من الآيات والعبر وما تغنى الآيات والنذر

والرسل المنذرون والانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرى
وما يغنى بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا
انى معكم من المنتظرين ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجى رسلنا و
الذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ثم ننجى رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا
مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن
آمن معهم كذلك ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعنى حق ذلك
علينا حقا وقرى ننجى بالتشديد قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم
فى شك من دينى وصحته وسداده فهذا دينى فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف
لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو انى لا اعبد الحجارة التى تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد
الله الذى يتوفاكم وانما وصفه بالتوفى ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شىء وامرت
ان اكون من المؤمنين يعنى ان الله امرنى بذلك بما ركب فى من العقل وبما اوحى الى فى كتابه وقيل معناه ان كنتم فى
شك من دينى ومما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا فى امرى واقطعوا عنى
اطماعكم واعلموا انى لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا
اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذى
هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر وان
اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال
لان ان لا تخلو من ان تكون التى للعبارة والتى تكون مع الفعل فى تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان
الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ
الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان يوصل ان
بالامر والنهى وشبه ذلك بقولهم انت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه فى معنى المصدر
والامر والنهى دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا و
حنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك
اذا من الظالمين فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا
فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل
من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اتبع النهى
عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تضر ولا تنفع ان الله هو الضار النافع الذى ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه
الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من
فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادنى الله
بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قلت لم ذكر المس فى احدهما والارادة فى الثانى

قوله فهذا دينى فاسمعوه الخ اشار الى ان الشرط والجزاء بظاهرهما ليس بينهما ربط بان ما هو قيد يدل على انه لا مدخل للشك هناك لان من يعبد الله الموصوف ينفع ولا يضر دل على ان دينه هو الدين واما على الوجه الثانى فحاصله ان كنتم فى شك

قوله تم قوله من الحذف غير المطرد اى الحذف بعد فعل الامر خاصة يحتمل

نسب معلومة لا انه تعالى قدر عدم ايمانهم فلم يؤمنوا لان وقوع خلاف مقدر الله محال كما يقول

قوله قل انظروا ماذا الآية قيل اى ما تنزل الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون ما كانوا عليه من الكفر

قوله وما تغنى الآيات والنذر الآية فاعتبر فى النذر ما كونه مصدرا او صفة مشبهة

قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وآله الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقا معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان شعر الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد قال جرير شعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفوائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص وجعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما يقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل كتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او ان يكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وآله اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تع فضرب الرقاب والضمير في منه لله تع اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه شيء وقرئ فان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف عنه ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تع ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وآله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ يثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس ليثنوني وقرئ تثنون تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل عليهم واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته

وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق افعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طريق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا و اعمال المومنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المومنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه واله ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ايت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين بابين القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليئوس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين امنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه واله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون

منه فحرك الله منه وهيجه على اداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه واله كان افسح الناس صدرا ومثاله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي شعر بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس بادٍ شحوبها ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمومنين لان رسول الله صلى الله عليه واله والمومنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم

اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوفّ اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوفّ بالياء على ان الفعل لله تعالى وتوفّ اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية اي وباطلا ما وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون افمن كان على بينة معناه أمن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان يكون دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد فمن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل عليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وآله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ في مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في

الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعّف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم كانوا له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بقي اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا جرم فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت قيل التاء فيه بدل من الثاء مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالسميع والبصير وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل واراد وانه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل

كقوله الا بن هجر فيما احاسنكم اخلاقا وقرئ بادئ الرأي بالهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على
الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه اراد
ان اتباعهم لك انما هو شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب
الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى
اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب
احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء
بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من
الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين
فيما تدعونه **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم
لها كارهون** أرأيتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة
من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة **فان قلت**
فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا **قلت** الوجه ان يقدر فعميت بعد
البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم
**فان قلت** فما حقيقته **قلت** حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي
غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد **فان قلت** فما معنى قراءة ابي
**قلت** المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله
أنلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه
في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم
ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي
سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا
في ضرورة الشعر **ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم
ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون** والضمير في قوله لا اسألكم عليه مالا راجع الى قوله اني لكم نذير مبين
الا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل **فان قلت** ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم **قلت**
معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما
اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادئ الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق
عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية
او انهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم
اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم **ويا قوم من ينصرني من
الله إن طردتهم أفلا تذكرون** من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا
به انفة من ان يكونوا معهم على سواء **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك
ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين** اعلم الغيب

معطوف

معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله
فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى
الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا
ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة
لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى
به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من
الصادقين** قد جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر وطاب
فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل **قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين** انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان
بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا
**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون فان قلت**
ما وجه ترادف هذين الشرطين **قلت** قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا
الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني
**فان قلت** فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم **قلت** اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه
ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا
ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي **أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي
إجرامي وأنا بريء مما تجرمون** فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم ونحو جرم
واجرام قفل واقفال وتنصره الجمع ان فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي
افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما
تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن
من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي
لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها
فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال (شعر) ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم **واصنع الفلك
بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا
وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين
عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك
فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف
القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود **ويصنع
الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون**

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في البرية بهما ابعد موضع من الماء و
في وقت عز الماء فيه عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم
يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اى نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في
الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم في استجهالكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه
فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر
وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقايق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها
ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو
ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء و
عن الحسن كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا
رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم
ينفض التراب من راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة
فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت
ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للناس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم من يأتيه في محل النصب بتعلمون
اى فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى اذا جاء امرنا وفار التنور
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما
آمن معه الا قليل حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت
غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اى وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى
بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت انت بين امرين اما ان يجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سوال
السايل ويجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني و
احمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه
القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه
وامرأته الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها
بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد
ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها





اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت
المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يكون مكانا للاجراء والارساء وانتصابهما بما في
بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة
من مبتداء وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال
بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام
عليكما والمراد بالله اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرسيها بفتح الميم من
جرى ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل
مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا
عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرسيها بذكر الله او بامره وقدرته ويحتمل
ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجا وزنا بهم سكرا علينا فلا يكون كلاما
برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل
اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم
لولا مغفرته بذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح
ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فان قلت بم اتصل قوله
وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها وهي تجري بهم
اى تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها
وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما
بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت
كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني
من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي عليه السلام ابنها والضمير لامرأته
وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه
ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني
من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه
من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى الله وجهان احدهما ان
يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة
عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اى قال يا ابناه
والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن
مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء و
الالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء
قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

الا من رحم الا الراحم وهو الله تع او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اى الا مكان من رحم الله من المومنين وكان لهم غفورا رحيما فى قوله ان ربى لغفور رحيم وذلك انه لما جعل عاصما من الماء وقال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه وسوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرى الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير المخلوقات وهو قوله ويا سماء ثم امرهما بما يومر اهل التمييز والعقل من قوله ابلعى ماءك واقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضى الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجى اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك فى افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر الهايل غيره ولا ان تستوى السفينة على متن الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت استفصح علم البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى واقلعى وذلك وان كان لا تخلى الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودى شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروى انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروى ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تع ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده فى تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابنى من اهلى اى بعض اهلى لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه والوفاء به وقد وعدتنى ان تنجى اهلى فما بال ولدى وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبروا استعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل

قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك فى دينك ومعتقدك من الاباعد فى المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقوله فانما هى اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اى ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفى التى تستبقى معها لفظ المنفى واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه انه ابوك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرى عمل غير صالح اى عمل عملا غير صالح وقرى فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعنى فلا تلتمس منى ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله فى وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لم يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجى اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا قلت ان الله تع قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان فى جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق فى انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه قال رب انى اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين ان اسئلك من ان اطلب منك فى المستقبل ما لا علم لى بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لى ما فرط منى من ذلك وترحمنى بالتوبة على اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وقرى يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرى وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اى على امم ناشئة ممن معك وهى الامم الى اخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشاون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت

تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اى تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائى اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة فى الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما يقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهو عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى افلا تعقلون ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شىء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شىء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدر كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شىء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين فى كل ناحية وقيل اراد القوة فى المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال انى رجل ذو مال ولا يولد لى فعلمنى شيئا لعل الله يرزقنى ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعماية مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عنى وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح لامثالنا ان يصدقوا امثالك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اى خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذى بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا

وهم عادا علام الكفر والشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم مع على عشر مما كانوا عليه فى ايام جاهليته من المواددة ومالك الاكرام من الالحاد الى الآن ينبض وضى من الزندقة اراد ان يطلع راسه قد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا فى حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين جازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا ينشبون فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الى ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على انى لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على انى لا افعله فان قلت هلا قيل انى اشهد الله واشهدكم قلت لان شهادة الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشدة معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على انى لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اى انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدونى جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار فانى لا ابالى منكم ومن كيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم على وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلنى وتذهب بعقلى ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم من كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم يريد انه على الحق والعدل فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفى قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تولوا يعذرنى ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شىء حفيظ اى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث

عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية النجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق لهم
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي و من معاوية بن ابي سفيان اخذ في احياء الارض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل شعر
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ❊ ولا يكون له في الارض آثار
وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني

غير تخسير قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم ويسمى البلد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير مكذوب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناه من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم و قرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد شعر
مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت ❊ كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك ولكن منكر ومستنكر وانكر قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط

وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه سينزل بهولاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله شعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب **قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** الالف في يا ويلتا مبدلة عن ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن **فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب** الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة **فان قلت** اين جواب لما **قلت** هو محذوف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما يرد المضارع الى معنى الماضي كما يرد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم انا مهلكوا اهل هذه القرية قال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه **يا إبراهيم**



**أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود** يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك **ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب** كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى تشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده **وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد** يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان تجعل حالا عن قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء بناتي بدلا ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثار هن عليهم ولا تخزوني ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد اخزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة **قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد** وجواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي بكم قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى

لو قويت عليكم بنفسي او آوي الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته وكذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد **قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب** انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب **قلت** استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين **فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد** جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضها في اثر بعض متتابعة مسومة معلمة للعذاب وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط** اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاط به العدو **فان قلت** وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام

وصف اليوم بها **قلت** بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع على المعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين** **فان قلت** النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا **قلت** نهوا اولا عن عين القبيح الذي هو كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض **بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين** بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا **فان قلت** بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان **قلت** لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح **وما انا عليكم بحفيظ** وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت **قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد** كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزؤ والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلواته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان تامرك به آمر هذيان وسوسة الشيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة وان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به **قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه**

توكلت واليه انيب ورزقني من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وماله لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسئله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلوا فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي الاصلاح المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال: جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا: ومنه قوله تعالى ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفهموه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول وجعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا

مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير يسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يابا الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولاهم احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي ما تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت الكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون على مكانتكم لا يخلو المكانة من ان يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه وايّنا هو كاذب وان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي صلى الله عليه المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فجاة كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرا السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي

جائت على الاصل اعتبارًا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى فى معنى الموت وقيل معناه بعدًا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ** بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذى لا ياتى الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وفعلا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذى فيه رشد اى وما فى امره رشد انما هو غى صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين فى امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ** تقدم قومه اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله تقدم قومه تفسيرًا لذلك وايضاحًا اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين **فان قلت** هلا قيل يقدم قومه فيوردهم النار ولم جىء بلفظ الماضى **قلت** لان الماضى يدل على امر موجود مقطوع به كانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود والمورود الذى ورده شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده **وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ** واتبعوا فى هذه فى هذه الدنيا لعنة اى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة بئس الرفد المرفود اى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ** ذلك مبتدا من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبا بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اى بعضها باق وبعضها عاف الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد **فان قلت** ما محل هذه الجملة **قلت** هى مستانفة لا محل لها **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ** وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله يدعون يعبدون وهى حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه فى الخسران **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** وكذلك محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرا كذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرى اذ اخذ القرى وهى ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ** ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم فى الآخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك

اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس **فان قلت** لاى فائدة اوثر اسم المفعول على فعله **قلت** لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادًا مضروبًا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوما شهدناه سليما وعامرا اى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قوله لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال فى محفل من نواصى الناس مشهود **فان قلت** ما منعك ان تجعل اليوم مشهودًا فى نفسه دون ان تجعله مشهودًا فيه كما قال الله تع فمن شهد منكم الشهر فليصمه **قلت** الغرض وصف ذلك اليوم بالتهويل والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودًا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودًا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهد وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر ينتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيمًا حاضرًا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا به فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر **وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ** الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التاجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرى وما يؤخره بالياء **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** قرى يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل **فان قلت** فاعل ياتى ما هو **قلت** الله تع كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة او ياتى ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرا وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم لقوله تع ان تاتيهم الساعة **فان قلت** بم انتصب الظرف **قلت** اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف فى قوله الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم ياتى **فان قلت** فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشىء بنفسه **قلت** المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن **فان قلت** كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم ياتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون **قلت** ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون عن انفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس والشقى الذى وجبت له النار لاساءته والسعيد الذى وجبت له الجنة لاحسانه **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** قراءة العامة

بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ **شعر**

بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج

ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد **فان قلت** فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء **قلت** هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا الحديث عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون **فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص** لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم **فان قلت** كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى **قلت** يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب** فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا **وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما تعملون خبير** وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه يعني كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون **فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير** فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فيجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق عليه السلام فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون** قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من دعا للظالم بالبقاء فقد احبّ ان يعصى الله في ارضه ولقد سُئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في بريّة هل يُسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسّكم النار اى فتمسّكم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثمّ لا تنصرون ثمّ لا ينصركم هو لانّه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم **فان قلت** فما معنى ثمّ **قلت** معناه الاستبعاد لانّ النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرٰى لِلذَّاكِرِيْنَ وَاصْبِرْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ** طرفي النهار غدوة وعشيّة وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قرّبه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشيّة الظهر والعصر لانّ ما بعد الزوال عشيّ وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانّهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوّله وآخره تنصب هذا كلّه على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمّتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسر في بسرة والزلف بضمّتين نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما انّ القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقّها على هذا التفسير ان يعطف على الصلوة اى اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات يتقرّب بها الى الله تعالى في بعض الليل انّ الحسنات يذهبن السيّئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث انّ الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني انّ الحسنات يذهبن السيّئات بان يكنّ لطفا في تركها كقوله انّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزيّة الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها انّ في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمّها وقبّلها فقالت له اتّق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربّي فلمّا صلّى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانّها كفارة لما عملت وروى انّه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثمّ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصّة ام للناس عامّة فقال بل للناس عامّة وروى انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضّأ وضوءا حسنا وصلّ ركعتين انّ الحسنات يذهبن السيّئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتّعظين ثمّ كرّ الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصيّة ومزيّة وتنبيه على مكانة الصبر ومحلّه كانّه قال وعليك بما هو اهمّ ممّا ذكّرت به واحقّ بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عمّا نهيت عنه فلا يتمّ شيء منه الّا به فانّ الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوة والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ اُولُوْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْاَرْضِ اِلَّا قَلِيْلًا مِمَّنْ اَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَا اُتْرِفُوْا فِيْهِ وَكَانُوْا مُجْرِمِيْنَ** فلولا كان من القرون فهلّا كان وقد حكوا عن الخليل كلّ لولا في القرآن معناه هلّا الّا التي في الصافّات وما صحّت منه هذه الحكاية ففي غير الصافّات لولا ان تداركه نعمة من ربّه ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبّتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقيّة اولو فضل وخير وسمّي الفضل والجودة بقيّة لانّ الرجل يستبقي ممّا يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقيّة القوم اى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال



بقايا ويجوز ان يكون البقيّة بمعنى البقوى كالتقيّة بمعنى التقوى اى فهلّا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقيّة بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وآله والبقيّة المرّة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانّهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الّا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممّن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممّن انجينا حقّها ان تكون للبيان لا للتبعيض لانّ النجاة انّما هي للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء **فان قلت** هل لوقوع هذا الاستثناء متّصلا وجه يحمل عليه **قلت** ان جعلته متّصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانّه يكون تحضيضا لاولي البقيّة على النهي عن الفساد الّا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلّا قرأ قومك القرآن الّا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضّضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانّه قيل ما كان من القرون اولو بقيّة الّا قليلا كان استثناء متّصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتّبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اى لم يهتمّوا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا همّهم بالشهوات واتّبعوا ما عرفوا فيه التنعّم والترفّه من حبّ الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنيّ ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واُتبع الذين ظلموا يعني واُتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انّهم اتّبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قويّ لتقدّم الانجاء كانّه قيل الّا قليلا ممّن انجينا منهم وهلك السائر **فان قلت** علام عطف قوله واتّبع الذين ظلموا **قلت** ان كان معناه واتّبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لانّ المعنى الّا قليلا ممّن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتّبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتّبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانّه قيل انجينا القليل وقد اتّبع الذين ظلموا جزاءهم **فان قلت** فقوله وكانوا مجرمين **قلت** على اترفوا اى اتّبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لانّ تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتّبعوا اى اتّبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانّهم قوم مجرمون **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ وَّاَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَ** كان بمعنى صحّ واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته من الظلم وايذانا بانّ اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انّه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحقّ فيما بينهم ولا يضمّون الى شركهم فسادا آخر **وَلَوْ شَاۤءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ اُمَّةً وَّاحِدَةً وَّلَا يَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِيْنَ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَاَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِيْنَ** ولو شاء ربّك لجعل الناس امّة واحدة يعني لاضطرّهم الى ان يكونوا اهل امّة واحدة اى ملّة واحدة وهي ملّة الاسلام كقوله انّ هذه امّتكم امّة واحدة وهذا الكلام يتضمّن نفي الاضطرار وانّه لم يضطرّهم الى الاتّفاق على دين الحقّ ولكنّه مكّنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحقّ وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الّا من رحم ربّك الّا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتّفقوا على دين الله الحقّ غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك

اشارة الى ما دلّ عليه الكلام الاوّل وتضمّنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الّذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحقّ بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمّت كلمة ربّك وهى قوله للملائكة لاملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلًّا نقصّ عليك من أنباء الرّسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك فى هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين** وكلًّا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانّه قيل وكلّ نبأ نقصّ عليك ومن انباء الرّسل بيان لكلّ وما نثبّت به فؤادك بدل من كلًّا ويجوز ان يكون المعنى وكلّ اقتصاص نقصّ عليك على معنى وكلّ نوع من انواع الاقتصاص نقصّ عليك يعنى على الاساليب المختلفة وما نثبّت به مفعول نقصّ ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لانّ تكاثر الادلّة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك فى هذه الحقّ اى فى هذه السّورة او فى هذه الانباء المقتصّة فيها ما هو حقّ وموعظة وذكرى **وقل للّذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انّا عاملون** وقل للّذين لا يؤمنون من اهل مكّة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم الّتى انتم عليها انّا عاملون **وانتظروا انّا منتظرون** وانتظروا بنا الدّوائر انّا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتصّ الله من النّقم النّازلة باشباهكم **ولله غيب السّموات والارض واليه يرجع الامر كلّه فاعبده وتوكّل عليه وما ربّك بغافل عمّا تعملون** ولله غيب السّموات والارض لا يخفى عليه خافية ممّا يجرى فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كلّه فلا بدّ ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكّل عليه فانّه كافيك وكافلك وما ربّك بغافل عمّا يعملون وقرئ تعملون بالتّاء اى انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلّى الله عليه وآله من قرا سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح ومن كذّب به وبهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السّعداء

**سورة يوسف عليه السّلام مكّيّة وهى مائة واحدى عشر آية**

**بسم الله الرّحمن الرّحيم الر تلك آيات الكتاب المبين** تلك اشارة الى آيات السّورة والكتاب المبين السّورة اى تلك الآيات الّتى انزلت اليك فى هذه السّورة آيات السّورة الظّاهر امرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم او الّتى تبيّن لمن تدبّرها انّها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة الّتى لا تشتبه على العرب معانيها للنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت اليهود عنه من قصّة يوسف فقد روى انّ علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمّدا لم انتقل آل يعقوب من الشّام الى مصر وعن قصّة يوسف **انّا انزلناه قرآنا عربيّا لعلّكم تعقلون** انزلناه انزلنا هذا الكتاب الّذى فيه قصّة يوسف فى حال كونه قرآنا عربيّا وسمّى بعض القرآن قرآنا لانّ القرآن اسم جنس يقع على كلّه وبعضه لعلّكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميّا لقالوا لولا فصّلت آياته **نحن نقصّ عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص يقال قصّ الحديث يقصّه قصصا كقولك شلّه يشلّه شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنّفض والحسب ونحوه النّبا والخبر فى معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصّيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقصّ عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اى بايحائنا اليك هذه السّورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لانّ قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغنى عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقصّ كانّه قيل نحن نقصّ عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انّه اقتصّ على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى انّ هذا الحديث مقتصّ فى كتب الاوّلين وفى كتب التّواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان اريد

بالقصص



بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقصّ عليك احسن ما يقصّ من الاحاديث وانّما كان احسنه لما يتضمّن من العبر والنّكت والحكم والعجائب الّتى ليست فى غيرها والظّاهر انّه احسن ما يقصّ فى بابه كما يقال فى الرّجل هو اعلم النّاس وافضلهم يراد فى فنّه **فان قلت** ممّ اشتقاق القصص **قلت** من قصّ اثره اذا اتّبعه لانّ الّذى يقصّ الحديث يتّبع ما يحفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانّه يتلو اى يتّبع ما يحفظ منه آية بعد آية وان كنت ان مخفّفة من الثّقيلة واللّام هى الّتى تفرق بينها وبين النّافية والضّمير فى قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وانّ الشّأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قطّ ولا طرق سمعك طرف منه **اذ قال يوسف لابيه يا ابت انّى رأيت احد عشر كوكبا والشّمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لانّ الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قصّ وقته فقد قصّ او باضمار اذكر يوسف اسم عبرانى وقيل عربىّ وليس بصحيح لانّه لو كان عربيّا لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التّعريف **فان قلت** فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السّين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربىّ لانّه على وزن المضارع المبنىّ للفاعل او المفعول من آسف وانّما منع الصّرف للتّعريف ووزن الفعل **قلت** لا لانّ القراءة المشهورة قامت بالشّهادة على انّ الكلمة اعجميّة فلا تكون عربيّة تارة واعجميّة اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللّغات الثّلث ولا يقال هو عربىّ لانّه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثّلث **فان قلت** ما هذه التّاء **قلت** تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدّليل على انّها تاء تأنيث قلبها هاء فى الوقف **فان قلت** كيف جاز الحاق تاء التّأنيث بالمذكّر **قلت** كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة **فان قلت** فلم ساغ تعويض تاء التّأنيث من ياء الاضافة **قلت** لانّ التّأنيث والاضافة يتناسبان فى انّ كلّ واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم فى آخره **فان قلت** فما هذه الكسرة **قلت** هى الكسرة الّتى كانت قبل الياء فى قولك يا ابى قد زحلقت الى التّاء لاقتضاء تاء التّأنيث ان يكون ما قبلها مفتوحا **فان قلت** فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة الّتى اقتضتها التّاء وتبقى التّاء ساكنة **قلت** امتنع ذلك فيها لانّها اسم والاسماء حقّها التّحريك لاصالتها فى الاعراب وانّما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرّك تخفيفا لانّها حرف لين وامّا التّاء فحرف صحيح نحو كاف الضّمير فالزم تحريكها **فان قلت** يشبه الجمع بين التّاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوّض منه لانّها فى حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابى فلا يجوز يا ابت **قلت** الياء والكسرة قبلها شيئان والتّاء عوض من احد الشّيئين وهو الياء والكسرة غير متعوّض لها فلا جمع بين العوض والمعوّض منه الّا اذا جمع بين التّاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التّاء ولم يعدّ ذلك جمعا بين العوض والمعوّض منه فالكسرة ابعد من ذلك **فان قلت** فقد دلّت الكسرة فى يا غلام على الاضافة لانّها قرينة الياء فان دلّت على مثل ذلك فى يا ابت فالتّاء المعوّضة لغو وجودها كعدمها **قلت** بل حالها مع التّاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابى **فان قلت** فما وجه من قرأ بفتح التّاء وضمّها **قلت** امّا من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى يا غلام ويجوز ان يقال حرّكها بحركة الياء المعوّض منها فى قولك يا ابى وامّا من ضمّ فقد رأى اسما فى آخره تاء تأنيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنّثة بالتّاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ انّى رأيت بتحريك الياء

واحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لئلا يلتقي الساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس **فان قلت** ما اسماء تلك الكواكب **قلت** روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل جبرئيل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفيلق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها اسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة ان الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون **فان قلت** لم اخر الشمس والقمر **قلت** اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبرئيل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر **فان قلت** ما معنى تكرار رأيت **قلت** ليس بتكرار وانما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين **فان قلت** فلم اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم ساجدين **قلت** لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة **قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين** عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف عليه السلام يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رُيّاك ورِيّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لا يقوى الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك **فان قلت** هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني **قلت** ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله **وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم** وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل

في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى تمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان سجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة آباء وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها **لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين** في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل اساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف **اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين** ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبةً بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما يقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين**

اقتلوا يوسف هذا من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم طبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل
شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها
واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل عليه بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم
يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اى من بعد كفايته بالقتل والتغريب ويرجع الضمير الى مصدر اقتلوا
او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او يصلح دنياكم وينتظم
اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق
**قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين**
قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذى قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابت الجب وهى
غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل **شعر** ان انا يوما غيبتنى غيابتى فسيروا بسيرى في العشيرة والاهل
اراد غيابة حفرته التى يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدرى غيبة الجب والجب البئر
لم تطو لان الارض تجب جيبا لا غير يلتقطه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ
تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت
بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأى **قالوا يا ابانا ما لك
لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون** ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير
اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد
منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة واراد بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه و
عادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه **ارسله معنا غدا نرتع و
نلعب وانا له لحافظون** نرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع
من ارتعى يرتعى وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب
بالرفع على الابتداء **فان قلت** كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب **قلت** كان لعبهم الاستباق والانتضال
ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته
**قال انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون** ليحزننى اللام لام
الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سبب المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما
ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا
عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف
فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفى امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف
وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا
لخاسرون** القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب
للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم

من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اى هالكون ضعفا
وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم
نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها **فان قلت** قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا
عن احدهما دون الآخر **قلت** هو الذى كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبؤا به **فلما
ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا
فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع
الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل
بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من
الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث
منهم بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد
الاماء فقال يهوذا اما اعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به وانما نزعوه
ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر
فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى الصخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه فظن
انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان
ابرهيم صلوات الله عليه حين القى في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه
فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه
فالبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن
كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحى اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول
اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك
انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه
ليخبرنى هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه
في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا اليه
على انا آنسناه بالوحى وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس
له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على
تصغير عشى يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا رواه ابن جنى عشى بضم العين والقصر وقال
عشوا من البكاء وروى ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبى يا ابا امية اما تراها تبكى قال قد جاء
اخوة يوسف وهم يبكون وهم ظلمة ولا ينبغى لاحد ان يقضى الا بما امر ان يقضى به من السنة المرضية وروى

انه لما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك و
المعنى نتسابق في العدو وفي الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا
عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا
**وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان**
**على ما تصفون** بدم كذب اي ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب
هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين
ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عايشة كدب بالدال الغير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من
الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلا ولطخوه
بدمها وزل عنهم ان يمزقوه روي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يمزق عليه قميصه قيل كان في قميص يوسف ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه
فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره **فان قلت** على قميصه ما محله **قلت** محله النصب على
الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كذب كما تقول جاء على جماله باحمال **فان قلت** هل يجوز ان يكون حالا
مقدمة **قلت** لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم
انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم
وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او
فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا
شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما
كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان
فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال
ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه **وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه**
**قال يا بشراي هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون** وجاءت سيارة رفقة يسيرون من
قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان
الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا
رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشراي نادى
البشرى كانه يقول تعالى فهذا فهذا من اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره
يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل
السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء
الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل
فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنى من اصحابه صاح



بذلك يبشرهم به واسروه الضمير لوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا
لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة
ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او
والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع **وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه**
**من الزاهدين** وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم
معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها و
قيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي
اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن
ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه
آبق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة
الزاهدين لان الصلة لا يتقدم على الموصول الا ترى لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل
في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه **وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او**
**نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره**
**ولكن اكثر الناس لا يعلمون** الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزاين مصر والملك
يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب
فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره
ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة
وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه عزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل كانوا ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه
قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي
والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى يكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل
كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوايك عنده وهل يراعي حق نزولك
به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها
نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته واما نته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما
لا يولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى فقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي
انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف
منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر

وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا
ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي على
امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيد الله ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين قيل في الاشد ثماني عشرة سنة
وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه
وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله
آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
انه لا يفلح الظالمون المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة
عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء
اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من
صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كأنه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان
الشأن والحديث ربي سيدي وما لكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه
في اهله سوء الخلافة واخونه فيه انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم
ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد
ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد
همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان
رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني
خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان تكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت
الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك
الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب
اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان
استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده
المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل
ومشافهته كأنه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت
الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت
به ويبتدئ بقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا
محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط

وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف
بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت لم جعلت جواب لولا متعلقا بهم بها وحده ولم تجعله متعلقا بجملة قوله
ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا بين اثنين
معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله تعالى قد جاء بالهمين على سبيل
التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى فكان اغفاله الغاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته
وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء
شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها
وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي
مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها
فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له
اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر
كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب عليها وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في
ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف
استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو
والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو
وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله
عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا
فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح
حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها
ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل
ابرهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله
اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى
بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده
ثلث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير
انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة و
اشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك
فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه
اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم
لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة

ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية
ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها**
**لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم** واستبقا
وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا ابتدرا
منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج **فان قلت** كيف وحد الباب وقد جمع فى
قوله وغلقت الابواب **قلت** اراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص فقد روى كعب انه لما
هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته
من خلفه فانقد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو
قطفير تقول المراة لبعلها سيدى وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيده على
الحقيقة وقيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك
الهيئة المريبة وهى مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها بين غرضيها وهما تبرئة ساحتها
عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى ان يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاتها
طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون استفهامية
بمعنى اى شئ جزاؤه الا السجن كما يقول من فى الدار الا زيد **فان قلت** كيف لم تصرح فى قولها بذكر يوسف وانه اراد
بها سوءا **قلت** قصدت العموم وان كل من اراد باهلك فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من
تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسوط **قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان**
**قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من**
**الصادقين** ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى
ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون
اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما
يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان فى الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة
له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى **فان قلت** لم سمى قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة **قلت** لما ادى مؤدى
الشهادة فى ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمى شهادة **فان قلت** الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة
**قلت** لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه **فان قلت** ان دل قد قميصه
من دبر على انها كاذبة وانها هى التى تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه
كان تابعها **قلت** من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهى دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثانى
ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر فى مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من
قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابى اسحق انه قرأ
من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين **فان قلت**
كيف جاز الجمع بين ان الذى هو للاستقبال وبين كان **قلت** لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت

الى فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك **فلما راى قميصه قد من دبر**
**قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم** فلما راى يعنى قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان
قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها فى يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما
استعظم كيد النساء لانه وان كان فى الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن فى ذلك نيقة ورفق و
بذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات فى العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق
وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا و
قال للنساء ان كيدكن عظيم **يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين** يوسف
حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر و
اكتمه ولا تحدث به واستغفرى انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ
اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما
وروى انه كان قليل الغيرة **وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها**
**حبا انا لنريها فى ضلال مبين** وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقى وامراة الخباز
وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقى
كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها فى المدينة فى مصر امراة العزيز يريدن
قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاى وفتاتى اى غلامى وجاريتى شغفها خرق حبه شغاف
قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة **شعر**
وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه
بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالى وحبا نصب على التمييز فى ضلال فى خطاء وبعد عن طريق الصواب **فلما**
**سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت**
**اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك**
**كريم** بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب
مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن
قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة
وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن
فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر فى ايديهن
ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات فى ايديهن الخناجر
توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك
نهى ان ياكل الرجل متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا لتعالج بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعمنا على
سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكا يتكئ عليه قال جميل **شعر** فظللنا بنعمة واتكانا وشربنا
الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين
وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح

ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد شعر فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت
اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل
وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه
وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكئ يتكا اذا اتكا اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف
على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج
بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار
في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل
كان يشبه بادم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة
اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حال الصغر الى حال الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله
شعر خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق قطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع
اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال حاشا
ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة
الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه
قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرئ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين و
قراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخيرة وقرا الاعمش حش لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين
على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله فان قلت
فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرف الا ترى الى قولهم جلست
من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله
من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه
محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله تعالى ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها
ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة فيهما كذلك كما ركز
في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل
الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما
عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا
بشر بالرفع وهي في قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى
اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر
لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونا من الصاغرين قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن
به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد
الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
في الافتتان الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع الشديد والتحفظ البليغ كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة

منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا
مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره
راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان يجعل
ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف
والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة قال رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين وقرئ السجن بالفتح على المصدر
وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن
والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة
على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه واثر عنده نظرا
في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا
تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر
لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع العليم وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف
السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين بدا
لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله
من بعد ما راوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار
به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء
على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان
يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال
من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا
تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها
تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه
رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني
عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين
يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما
سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما راينا ان كانت
لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة

كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك
ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت
وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه
بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها
بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا انا باصل حبلة عليها ثلاث
عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهش منها **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله **قلت** الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم
الاشارة في نحو كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك **قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني
ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحاق
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا
يشكرون** لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب
وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه
كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة
على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا
ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته
لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله
اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد
باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة
وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم
والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه
السجن بعد ما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء و
ذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما
في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معاشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله
فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد
نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار**

يا صاحبي

يا صاحبي السجن يريد يا صاحبيّ في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق
فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام
ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول
رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة
أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أان يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما
هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا
مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام **ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين
القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء
سميتموها يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان
من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت
الذي دلت عليه البراهين **يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير
من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان** اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه
اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول وروي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما
القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم
تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما **فان قلت** ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين
فما وجه التوحيد **قلت** المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله فظنا ان ما رايا في معنى ما نزل بهما فكانهما
كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه
من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما **وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين** ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق
الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله
يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين
وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين **فان قلت** كيف
يقدر الشيطان على الانساء **قلت** يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن
قلبه ذكره فاما الانساء على الابتداء فلا يقدر عليه الا الله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها **فان قلت** ما وجه اضافة
الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول **قلت** قد لابسه في قولك فانساه الشيطان
ذكر ربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة يكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه
فحذف المضاف الذي هو الاخبار **فان قلت** لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد

قوله انهما صحبا الصدق ان الراغب الصاحب الملازم انسانا كان او حيوانا مكانا كان او زمانا ولا فرق

في عون أخيه المسلم ومن فرّج عن مؤمن كربة فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لغاثه فلما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ لما فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الاية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكور قلت لا وذلك ان لفظ الآخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا أيها الملأ كأنه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا

بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب شعر رأيت رؤياي ثم عبرتها ❊ وكنت للاحلام عبارا قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وماله الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي شعر ثم بعد الفلاح والملك والامة ❊ وارتهم هناك القبور اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يا يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه بكلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ يأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبأون ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالتاء والياء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون

كانّه قيل فيه يغاث النّاس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضًا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان امّا ان يضمّن اعصرت معنى مطرت فيعدّى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجارّ و اوصل الفعل تاوّل البقرات السمان والسّنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثمّ بشّرهم بعد الفراغ من تاويل الرّؤيا بانّ العام الثّامن يجى مباركًا خصيبًا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى و عن قتادة زاده الله علم سنة **فان قلت** معلوم انّ السّنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والّا لم يوصف بالانتهاء فلم قلت انّ علم ذلك من جهة الوحى **قلت** ذلك معلوم علمًا مطلقًا لا مفصّلًا وقوله فيه يغاث النّاس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الّا بالوحى **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** انّما تأنّى وتثبّت فى اجابة الملك وقدّم سؤال النّسوة ليظهر براءة ساحته عمّا قرف به وسجن فيه لئلّا يتسلّق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلّمًا الى حطّ منزلته لديه ولئلّا يقولوا ما خلّد فى السّجن سبع سنين الّا لامر عظيم وجرم كبير حقّ به ان يسجن ويعذّب ويستكفّ شرّه وفيه دليل على انّ الاجتهاد فى نفى التّهم واجب وجوب اتّقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السّلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التّهم ومنه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للمارّين به وهو فى معتكفه عنده بعض نسائه هى فلانة اتّقاء للتّهمة وعن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسّمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتّى اشترط ان يخرجونى ولقد عجبت منه حين اتاه الرّسول فقال ارجع الى ربّك ولو كنت مكانه ولبثت فى السّجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليمًا ذا اناة وانّما قال سل الملك عن شأن النّسوة ولم يقل سله ان يفتّش عن شأنهنّ لانّ السّؤال ممّا يهيج الانسان ويحرّكه للبحث عمّا سئل عنه فاراد ان يورد عليه السّؤال ليجدّ فى التّفتيش عن حقيقة القصّة وفصّ الحديث حتّى يتبيّن له براءته بيانًا مكشوفًا يتميّز فيه الحقّ من الباطل وقرئ النّسوة بضمّ النّون ومن كرمه وحسن ادبه انّه لم يذكر سيّدته مع ما صنعت به وتسبّبت فيه من السّجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطّعات ايديهنّ انّ ربّى بكيدهنّ عليم اراد انّه كيد عظيم لا يعلمه الّا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انّهنّ كدنه وانّه برئ ممّا قرف به او اراد الوعيد لهنّ اى هو عليم بكيدهنّ فيجازيهنّ عليه **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ما خطبكنّ ما شأنكنّ اذ راودتنّ يوسف هل وجدتنّ منه ميلًا اليكنّ قلن حاش لله تعجّبًا من عفّته وذهابه بنفسه عن شىء من الرّيبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحقّ اى ثبت واستقرّ وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال شعر

فحصحص فى صمّ الصّفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثمّ صمّما

ولا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة والنّزاهة واعترافهنّ على انفسهنّ بانّه لم يتعلّق بشىء ممّا قرف به لانّهنّ خصومه واذا اعترف الخصم بانّ صاحبه على الحقّ وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشويّة نحن قد بقى لنا مقال ولا بدّ لنا ان ندقّ فى فروة من ثبتت نزاهته **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ذلك من كلام يوسف اى ذلك التّثبّت والتّشمّر لظهور البراءة ليعلم العزيز انّى لم اخنه بظهر الغيب فى حرمته ومحلّ بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفىّ عن عينه او وهو غائب عنّى خفىّ عن عينى ويجوز ان يكون ظرفًا اى بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السّبعة المغلقة وليعلم انّ الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدّده وكانّه تعريض بامرأته فى خيانتها امانة زوجها وبه فى خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدًا لامانته وانّه لو كان خائنًا لما هدى الله كيده ولا سدّده **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ثمّ اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلّا يكون لها مزكّيًا وبحالها فى الامانة معجبًا ومفتخرًا كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله انا سيّد ولد آدم ولا فخر وليبيّن انّ ما فيه من الامانة ليس به وحده وانّما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرّئ نفسى من الزّلل وما اشهد لها بالبراءة الكلّيّة ولا ازكّيها ولا يخلو امّا ان يريد فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهمّ الّذى هو ميل النّفس عن طريق الشّهوة البشريّة لا عن القصد والعزم وامّا ان يريد عموم الاحوال انّ النّفس لامّارة بالسّوء اراد الجنس اى انّ هذا الجنس يأمر بالسّوء ويحمل عليه بما فيه من الشّهوات الّا ما رحم ربّى الّا البعض الّذى رحمه ربّى بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم ربّى فى معنى الزّمان اى الّا وقت رحمة ربّى يعنى انّها امّارة بالسّوء فى كلّ وقت واوان الّا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعًا اى ولكنّ رحمة ربّى هى الّتى تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الّا رحمة منّا وقيل معناه ذلك ليعلم انّى لم اخنه لانّ المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اى ذلك الّذى قلت ليعلم يوسف انّى لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصّحيح والصّدق فيما سئلت عنه وما ابرّئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانّى قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءًا الّا ان يسجن واودعته السّجن تريد الاعتذار ممّا كان منها انّ كلّ نفس لامّارة بالسّوء الّا ما رحم ربّى الّا نفسًا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف انّ ربّى غفور رحيم استغفرت ربّها واسترحمته ممّا ارتكبت **فان قلت** كيف صحّ ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك **قلت** كفى بالمعنى دليلًا قائدًا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قال الملأ من قوم فرعون انّ هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثمّ قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره وذهب الى انّ ذلك ليعلم متّصل بقوله فاسأله ما بال النّسوة اللّاتى قطّعن ايديهنّ ولقد لفّقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا انّ يوسف حين قال انّى لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكّة سراويلك يا يوسف و ذلك لتمادّيهم على بهت الله ورسوله **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ** يقال استخلصه واستخصّه اذا جعله خالصًا لنفسه وخاصًّا به فلمّا كلّمه وشاهد منه ما لا يحتسب قال ايّها الصّدّيق انّك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كلّ شىء روى انّ الرّسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السّجن ودعا لاهله وقال اللّهمّ اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعمّ عليهم الاخبار فهم اعلم النّاس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السّجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثمّ اغتسل وتنظّف من درن السّجن ولبس ثيابًا جددًا فلمّا دخل على الملك قال اللّهمّ انّى اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه ثمّ سلّم عليه ودعا له بالعبرانيّة فقال ما هذا اللّسان قال لسان ابائى وكان الملك يتكلّم بسبعين لسانًا فكلّمه بها فاجابه بكلّها فتعجّب منه فقال ايّها الصّدّيق انّى احبّ ان اسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهنّ واحوالهنّ ومكان خروجهنّ ووصف السّنبلات وما كان منها على الهيئة الّتى رآها الملك لا يخرم منها حرفًا وقال له من حقّك ان تجمع الطّعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النّواحى ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** اجعلنى على خزائن الارض

ولني خزاين ارضك انى حفيظ عليم امين احفظ ماتستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبى صلى الله عليه رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جاير وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر والفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه فى كل ما راى فكان فى حكم التابع له والمطيع وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف فى الارض ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا فى اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرى بالنون والياء اى كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكه وسلطانه روى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى انه قال اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبه الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شىء منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الراى رايك قال فانى اشهد الله واشهدك انى اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطايانا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم فى الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفين بن عيينة المومن يثاب على حسناته فى الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق فتلا هذه الاية وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التى بلغها من السلطان والملك عن حاله التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير فى عنقه طوق من ذهب وعلى راسه

تاج

تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينه وبينهم مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوايج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى باخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوفى الكيل وانا خير المنزلين ولما جهزهم بجهازهم اى اصلحهم بعدتهم وهى عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرى بجهازهم بكسر الجيم قال ائتونى باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روى انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبرونى من انتم وما شانكم فانى انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة فقال فاين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال من يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذى تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا فى يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا فى حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتونى به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهى قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون سنراود عنه اباه سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون لفتيته وقرى لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان فى اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتونى به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما يحتاج اليه وقرى يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين هل آمنكم يريد انكم قلتم فى يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه فى اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمننى من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم حافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرى حافظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير وقرى ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد

مانبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيّد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انّا قدمنا
على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئاً وراء ما فعل بنا
من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة
يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك
بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردّت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها
على انّ معنى بضاعتنا ردّت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما نصيبه بما
شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائداً على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي
التي تستصلح بها احوالنا ونوسّع ذات يدنا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على
حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسّرت البغي بالطلب فاذا فسّرته بالكذب والتزيّد في القول كانت الجملة
الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردّت الينا بياناً لصدقهم وانتفاء التزيّد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت
اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاماً مبتدأ القول
وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا
اقصّر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الّا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا
نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بياناً لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن
واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم ويكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي
ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسّر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام
يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** لن ارسله
معكم منافٍ لحالي وقد رايت منكم ما رايت ارسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله
اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقاً منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله
في ذلك فهو اذن منه لتاتنّني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنّني به الّا ان يحاط بكم الّا ان تغلبوا فلم تطيقوا
الاتيان به او الّا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول
له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنّني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الّا للاحاطة بكم اي
لا تمتنعون منه لعلة من العلل الّا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعمّ العامّ في المفعول له
والاستثناء من اعمّ العامّ لا يكون الّا في النفي وحده فلا بدّ من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول
بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لمّا فعلت والّا فعلت تريد ما اطلب منك الّا الفعل على ما نقول من طلب الموثق و
اعطائه وكيل رقيب مطّلع **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**
وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشهرهم اهل مصر بالقربة
عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار
بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك و



قربهم وفضّلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور
فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرقة في الكرّة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت
وهل لاصابة العين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصاناً فيه
وخللاً من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحاناً لعباده ليتميّز المحققين من اهل الحشو فيقول المحقق
هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدّتهم الّا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي
صلى الله عليه وآله انه كان يعوّذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامّات من كل هامّة ومن كل
عين لامّة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءاً لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم
من التفرّق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الّا لله **وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ثم قال ولمّا دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرّقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرّقين
شيئاً قط حيث اصابهم ما ساءهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله
وتضاعف المصيبة على ابيهم الّا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها شفقته عليهم
واظهارها بما قاله لهم ووصّاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر
**وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** آوى اليه
اخاه ضمّ اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون
ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيّاً لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيداً فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله
وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين بيتاً منكم وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمّه اليه ويشمّ
رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له
اتحبّ ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف
وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله
قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرّف اليه وعن وهب انما قال له
انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا
لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمّه ولا سبيل الى ذلك الّا ان انسبك الى
ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادسّ صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيّأ
لي ردّك بعد تسريحك معهم قال افعل **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك
ثم جعلت صاعاً يكال به وقيل كانت الدوابّ تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلاً يشبه المكوك
وقيل المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم قيل كانت من فضة مموّهة بالذهب وقيل
كانت من ذهب وقيل كانت مرصّعة بالجواهر ثم اذّن مؤذّن ثم نادى منادٍ يقال اذنه اعلمه واذّن
اكثر الاعلام ومنه المؤذّن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم

فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجى وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى
لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله
اركبى وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية فى رحل
اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرا ابو عبد الرحمن السلمى
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم
وقرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير
كفيل اؤديه الى من جاء به واراد به وقر بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
فى الارض وما كنا سارقين تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما
ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا
يتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط
بالسرقة وهى منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين فما جزاؤه الضمير للصواع اى فما جزاء سرقته ان كنتم
كاذبين فى جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين
قالوا جزاؤه من وجد فى رحله اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق
سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اى فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق
زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه
مبتدا والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو فوضع
الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من و
الثانى الى الاخ ثم يقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويجوز ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اى المسئول عنه
جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتى فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء
اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات
من نشاء وفوق كل ذى علم عليم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم
الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا
والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهى
لغة وقرا سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث
على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به
من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعنى علمناه اياه واوحينا
به اليه ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق
ان يغرم مثلى ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اى ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع
درجات من نشاء كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذى علم عليم فوقه
ارفع درجة منه فى علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله تعالى فان قلت ما اذن الله فيه يجب

ان يكون حسنا فمن اى وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله
فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى
مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم
وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين فى
قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح و
منافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم هى اختى
لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه
الحيلة التى لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح
لما ذكرناه قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال
انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اخ له اراد به يوسف روى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس
اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال
لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذى لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع
هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ
فى صباه صنما لجده ابى امه فكسره فالقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من
ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان فى المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم منطقة
يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد
وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على
يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت
انه لى سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير وتفسيره
انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة
كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التى هى قوله انتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا لان قوله
قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفى قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام
ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم
بما تصفون يعلم انه لم يصح لى ولا لاخى سرقة وليس الامر كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا
شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين استعطفوه باذكارهم اياه حق
ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان
ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ بدله على وجه الاسترهان
او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا
تغيرها قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون معاذ الله هو
كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو اخذنا غيره
كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرنى واوحى الى باخذ بنيامين

واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمّة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى باخذه كنت ظالماً وعاملاً على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذاً من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاءٌ لانّ المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا **فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجيًّا قال كبيرهم ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله ومن قبل ما فرّطتم فى يوسف فلن أبرح الأرض حتّى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين** استيأسوا ايئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مرّ فى استعصم والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقرّبناه نجيًّا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجىّ كما قيل واذهم نجوى تنزيلاً للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجىّ كما قيل هم صديق لانّه بزنة المصادر وجمع انجية قال انى اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيًّا ذوى نجوى او فوجًا نجيًّا اى مناجيًا لمناجاة بعضهم بعضًا واحسن منه انهم تمحّضوا تناجيًا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجدّ واهتمام كانّهم فى انفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير امرهم على اىّ صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم فى السنّ وهو روبيل وقيل شمعون وقيل كبيرهم فى العقل وهو يهوذا ما فرّطتم فى يوسف فيه وجوه ان يكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصّرتم فى شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان يكون مصدريّة على انّ محلّ المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف او النصب عطفًا على مفعول الم تعلموا وهو انّ اباكم كانّه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقًا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرّطتموه اى قدّمتموه فى حقّ يوسف من الجناية العظيمة ومحلّه الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتّى ياذن لى ابى فى الانصراف اليه او يحكم الله لى بالخروج منها او بالانتصاف ممّن اخذ اخى او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانّه لا يحكم ابدًا الّا بالعدل والحقّ **ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إنّ ابنك سرق وما شهدنا إلّا بما علمنا وما كنّا للغيب حافظين** قرئ سُرِّق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الّا بما علمنا من سرقته وتيقّنّاه لانّ الصواع استخرج من وعائه ولا شئ ابين من هذا وما كنّا للغيب حافظين وما علمنا انّه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انّك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سُرِّق فمعناه وما شهدنا الّا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنّا للغيب حافظين اسرق بالصحّة ام دُسّ الصاع فى رحله ولم يشعر **واسأل القرية الّتى كنّا فيها والعير الّتى أقبلنا فيها وإنّا لصادقون** القرية التى كنّا فيها هى مصر اى ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصّة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قومًا من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء **قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل** معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سوّلت لكم انفسكم امرًا فصبر جميل اردتموه والّا فما ادرى ذلك الرجل انّ السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم **عسى الله أن يأتينى بهم جميعًا إنّه هو العليم الحكيم** بهم جميعًا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انّه هو العليم بحالى فى الحزن

والاسف الحكيم الذى لم يبتلنى بذلك الّا لحكمة ومصلحة **وتولّى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم** وتولّى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشدّ الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتى الاسف ويوسف ممّا يقع مطبوعًا غير متعمّل فيملح ويبدع ونحوه اثّاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انّهم يحسنون صنعًا من سبا بنبأ وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لم يعط امّة من الامم انّا لله وانّا اليه راجعون عند المصيبة الّا امّة محمّد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانّما قال يا اسفى **فان قلت** كيف تاسّف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشدّ على النفس واظهر اثرًا **قلت** هو دليل على تمادى اسفه على يوسف وانّه لم يقع فائت عنده موقعه وانّ الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضًّا عنده طريًّا ولم تنسنى اوفى المصيبات بعده ولكن نكاء القرح بالقرح اوجع لانّ الرزء فى يوسف كان قاعدة مصيباته التى ترتّب عليها الرزايا فى ولده فكان الاسف عليه اسفًا على من لحق به وابيضّت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكًا ضعيفًا قرئ من الحزن ومن الحَزَن الحزن كان سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكانّه حدث من الحزن قيل ما جفّت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عامًا وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله انّه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ **فان قلت** كيف جاز على نبىّ الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ **قلت** الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتّى لا يخرج الى ما لا يحسن وقد بكى رسول الله صلّى الله عليه وآله على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الربّ وانّا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانّما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانّما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انّه بكى على ولد او غيره فقيل له فى ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارًا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شدّه على ملئه والكظم مخرج النفس يقال اخذ باكظامه **قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتّى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين** تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفى لانّه لا يلتبس بالاثبات لانّه لو كان اثباتًا لم يكن بدّ من اللام والنون ونحوه **شعر** فقلت يمين الله ابرح قاعدًا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبّه كانّه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس **شعر** فما فتئت خيل تثوب وتدّعى ويلحق منها لاحق وتقطّع حرضًا مشفيًا على الهلاك مرضًا واحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث لانّه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوها دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعًا وقرأ الحسن حرضًا بضمّتين ونحوه فى الصفات رجل جنب وغرب **قال إنّما أشكو بثّى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون** البثّ اصعب الهمّ الذى لا يصبر صاحبه عليه فيبثّه الى الناس اى ينشره ومنه باثّه امره وابثّه اياه ومعنى انّما اشكو انّى لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انّما اشكو الى ربّى داعيًا له وملتجئًا اليه فخلّونى وشكايتى وهذا معنى توليه عنهم

قوله ولم تنسنى اوفى المصيبات آه لهشام اخى ذى الرمّة ... تعزّيت عن اوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع ... ولم تنسنى اوفى المصيبات بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح اوجع

اي فتولى عنهم الى الله والشكاية وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وقيل انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا للمشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا توخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمهم صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي او ارحمني قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل

دخل في نوبة الخير الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب الذين آمنوا مبتدا وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها والسلام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرا مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على ساير الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة محمد قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم النبيين لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرا عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لساير الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم يياس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع فتجيب لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضده ما فسر به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعلى الاول وتشققها عن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد قيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا فيه معنيان احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو القادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجيهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم يياس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل الياس بمعنى العلم لتضمنه اياه لان الآيس عن الشيء عالم بانه لا يكون

كما استعمل الرجاء فى معنى الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحى **شعر**
اقول لهم بالشعب اذ ييسروننى الم تياسوا انى ابن فارس زهدم * ويدل عليه ان عليا عليه السلام وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى
السنات وهذا ونحوه مما لا يصدق فى كتاب الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى
مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الامام وكان متقلبا فى ايدى اولئك الاعلام المحتاطين فى دين الله المهيمن
عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذى اليه المرجع والقاعدة التى عليها البنا
هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بامنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين
آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل
قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد** بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم مما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصايب فى انفسهم واولادهم
واموالهم او تحل القارعة قريبا فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى
ياتى وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب
قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتى وعد الله وهو فتح مكة و
كان الله قد وعده ذلك **ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب** الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان فى خفض وامن كالبهيمة يملى لها فى المرعى وهذا
وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله استهزاء به وتسلية له **افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم فى الارض ام بظاهر من القول بل
زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد** افمن هو قائم احتجاج
عليهم فى اشراكهم بالله يعنى افالله الذى هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره
ويعد لكل جزاء كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا او يعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن
هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذى يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اى جعلتم
له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لى من زيد ام
هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم بما فى السموات والارض فاذا
لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم والمراد نفى ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم
فى السموات ولا فى الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه
العجيبة التى ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف
من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصد
قرئ بالحركات الثلث وقرا ابن ابى اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدى
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته **لهم عذاب فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة**

**اشق وما لهم من الله من واق** لهم عذاب فى الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وساير المحن
ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه
او ما لهم من جهته واق من رحمته **مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم و
ظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار** مثل الجنة صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقال غيره الخبر تجرى من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب
عنا بما نشاهد وقرا على عليه السلام امثال الجنة على الجمع اى صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها
دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس **والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من
ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب** والذين آتيناهم الكتاب يريد
من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران و
ثلثون بارض الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعنى ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفى نجران واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون
ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلعم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع **فان قلت** كيف اتصل قوله قل
انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به بانكارهم له قلت انكارهم لعبادة الله وتوحيده فانظر وامأ اذا تنكرون مع ادعائكم وجوب
عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا
نافع فى رواية ابى خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون فى موضع الحال على
معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعى وانتم تقولون مثل
ذلك فلا معنى لانكاركم **وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك
من الله من ولى ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان
لرسول ان ياتى باية الا باذن الله لكل اجل كتاب** وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله
وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال
كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن
تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر و
اهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين والتصلب فيه و
ان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه من شدة الشكيمة بمكان وكانوا يعيبونه
بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان
الرسل قبله بشرا مثله ذوى ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بآيات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرايع مصالح
تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اى يفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم **يمحو الله
ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب** يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة فى
اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل

كما استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي **شعر**

اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا عليه السلام وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى
السنات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى
مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمن
عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا
هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين
آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ
قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم مما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في انفسهم واولادهم
واموالهم او تحل القارعة قريبا فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى
يأتي وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب
قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة و
كان الله قد وعده ذلك **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ** الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملأ لها في المرعى وهذا
وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الايات على رسول الله استهزاء به وتسلية له **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ
بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ
زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** افمن هو قائم احتجاج
عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره
ويعد لكل جزاء كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا او يعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن
هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركا قل سموهم اي جعلتم
له شركا فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام
هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركا لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا
لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركا ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل انسمونهم شركا بظاهر من القول من ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه
العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف
من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصد
قرئ بالحركات الثلث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته **لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ**

كما استعمل الرجا في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمّن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي **شعر**
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني • الم تيأسوا انّي ابن فارس زهدم • ويدلّ عليه انّ عليًّا عليه السلام وابن عبّاس
وجماعة من الصّحابة والتّابعين قرأوا افلم يتبيّن وهو تفسير افلم ييأس وقيل انّما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي
السّينات وهذا ونحوه ممّا لا يصدّق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى
مثل هذا حتّى يبقى ثابتا بين دفّتي الامام وكان متقلّبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين
عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البنا
هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلّق ان لو يشاء الله بآمنوا على او لم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين
آمنوا بان لو يشاء الله لهدى النّاس جميعا ولهداهم **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ
قريبا من دارهم حتّى يأتي وعد الله انّ الله لا يخلف الميعاد** بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم بما يحلّ الله بهم في كلّ وقت من صنوف البلايا والمصائب في انفسهم واولادهم
واموالهم او تحلّ القارعة قريبا فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدّى اليهم شرورها حتّى
يأتي وعد الله وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال الكفّار مكّة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب
قارعة لانّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان لا يزال يبعث السّرايا فتغير حول مكّة وتختطف منهم وتصيب
من مواشيهم او تحلّ انت يا محمّد قريبا من دارهم بجيشك كما حلّ بالحديبية حتّى يأتي وعد الله وهو فتح مكّة و
كان الله قد وعده ذلك **ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثمّ اخذتهم فكيف كان
عقاب** الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزّمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا
وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له **افمن هو قائم على كلّ نفس
بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم ام تنبّئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل
زيّن للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السّبيل ومن يضلل الله فما له من هاد** افمن هو قائم احتجاج
عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كلّ نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشرّه
ويعدّ لكلّ جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدّر ما يقع خبر المبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن
هو بهذه الصّفة لم يوحّدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحقّ العبادة وحده شركاء قل سمّوهم اي جعلتم
له شركاء فسمّوهم له من هم ونبّئوه باسمائهم ثمّ قال ام تنبّئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام
هو اقلّ من ان يعرف ومعناه بل اتنبّئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السّموات والارض فاذا
لم يعلمهم علم انّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبّئون الله بما لا يعلم
في السّموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة
كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الّا اسماء سمّيتموها وهذا الاحتجاج واساليبه
العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انّه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف
من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدّوا
قرئ بالحركات الثّلث وقرأ ابن ابي اسحق وصدٌّ بالتّنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انّه لا يهتدي
فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته **لهم عذاب في الحيوة الدّنيا ولعذاب الآخرة**

ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلايق ويثبت بعضا من الاناسي
وساير الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب
وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه وقرئ ويثبت **وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب** واما نرينك وكيف ما دارت الاحوال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او
توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم **اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**
اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار
الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم
آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر فلا
يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ
ننقّصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه
بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة
بعد عذاب الدنيا **فان قلت** ما محل قوله لا معقب لحكمه **قلت** هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا
حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا **وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم
ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار** وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر
بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم
ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون
والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي
سيخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب** كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده
علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله تعالى والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله
والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة
من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي من لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ
ومن عنده علم الكتاب **فان قلت** بم ارتفع علم الكتاب **قلت** في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم
بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل
الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي
لم تقع عنده فيها صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر
حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله **سورة
ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم**



**الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز
الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد** كتاب هو كتاب يعني
السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله
وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على
وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه
جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع
على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب
نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من
ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل **فان قلت** ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل
**قلت** لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك
ثبورا **الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
اولئك في ضلال بعيد** الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا
صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب
الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون
احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا
واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير
التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا
بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان
يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في
ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل **فان قلت** فما معنى وصف الضلال بالبعيد **قلت** هو من
الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده
ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا **وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم** الا بلسان
ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه
قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته **فان قلت** لم يبعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس
كافة قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم
حجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب ايضا حجة **قلت** لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او
بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد
فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه
وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من انابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة

والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه
وما يتشعب من ذلك من جلايل الفوايد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرايح فيه من القرب والطاعات المفضية
الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها
مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم
امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه
واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد
وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التورية من السماء
بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا
يضل الا من علم انه لا يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق
واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان
ولا يلطف الا باهل اللطف **ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام
الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور** ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه
وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل
المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان
افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر
وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه
فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض
عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم
تنبيها عليهم **واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اذ انجيكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي
انعامه عليكم ذلك الوقت **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب بعليكم **قلت** لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة
اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه وان كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين
الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان
كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال **فان قلت** في سورة البقرة يذبحون
وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق **قلت** الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا
للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس اخر **فان قلت**
كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم **قلت** تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلكم
اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة و
قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو **واذ تاذن ربكم لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان عذابي لشديد**



واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل
ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى
واذ تاذن ربكم فقال لين شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لين
شكرتم اي لين شكرتم يا بني اسرايل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة
ولاضاعفن لكم ما اتيتكم ولين كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي **وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد** وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرايل والناس كلهم فانما
ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد
بكثرة انعمه وان لم يحمده الحامدون **الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب** والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتداء وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس
بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب
وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم
انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها
في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي
جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع و
الايات في افواههم ويجعلوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بادغام النون
مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر **قالت رسلهم
افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين** افي الله شك ادخلت همزة الانكار على
الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي و
قال **شعر** دعوت لما نابني مسورا • فلبى فلبي يدي مسور **فان قلت** ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم **قلت** ما علمته
جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه
الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم و
بين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه الله وبين مقداره
يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل

لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين
بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا **قالت
لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا
باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون** ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها
فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها
على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق
بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كأنهم
قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله ومالنا الا نتوكل على الله
ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله
الذي يجب عليه سلوكه في الدين **فان قلت** كيف كرر الامر بالتوكل **قلت** الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون
معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** لنخرجنكم او لتعودن في ملتنا ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم
واما عودكم حالفين على ذلك **فان قلت** كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها **قلت** معاذ الله ولكن العود بمعنى
الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا يكادون يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني
ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين
حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم و
نحوه قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم
وعن النبي صلى الله عليه وآله من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه
عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون
فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم
وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق
لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام
وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين **واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد** واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا
الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال
لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم

وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح
باستفتاحه **ومن ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ** من ورائه من بين يديه قال **شعر** عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب ، وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها
او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف **فان قلت** علام عطف ويسقى **قلت** على محذوف تقديره من ورائه
جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت **فان قلت** ما وجه قوله من ماء صديد **قلت** صديد عطف بيان لما قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه
بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب
ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان
كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل
من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ
اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد
ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله
عليه وآله فلم يسقوا فذكر الله تعالى ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو
صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل واممهم **مثل الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال
البعيد** هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي
فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون
المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم وهذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول ويكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف
جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف
بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وعقر الابل للاضياف وفداء الاسارى
واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من
معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء
اي لا يرون اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن
طريق الحق والصواب **الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد**
بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي
هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام
الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده **وما ذلك على الله بعزيز** وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين
عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون
من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال و

خطايهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه
ويرجى ثوابه فى دار الجزاء وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا
من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وبرزوا لله
ويبرزون يوم القيمة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما اخبر به تعالى لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عليه شىء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون
عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا
يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفو ابواو قبل الهمزة قلت كتب
على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا
سادتهم وكبراؤهم وهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع
على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اى فرق بين من فى قوله من
عذاب الله وبينه فى من شىء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو
عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شىء هو بعض عذاب الله اى بعض بعض عذاب الله
فان قلت فما معنى قوله لو هدينا الله لهديناكم قلت الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما
كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى
الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولون
فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء ويجوز ان
يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم اى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو يان علينا الجزع
والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل
قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة
فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط
من النجاة فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا
كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف
ويقال حاص عنه وجاص بمعنى واحد وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم
بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم لما قضى الامر لما قطع الامر وفرغ منه
وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار روى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا فى الاشقياء
من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم ما وعدكم ووعدتكم خلاف
ذلك فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصى والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا

دعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى وتزيينى وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلومونى
ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بى واطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار
الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة
لقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت
لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام الا ترى الى قوله
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفى قوله وما كان لى عليكم من سلطان وهو
مثل قول الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم من سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى
بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة واستشهدوا لها
ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا فى قالت له ما انت بالمرضى وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة
فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف
فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة
بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر
المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما فى بما اشركتمونى مصدرية ومن قبل متعلق باشركتمونى يعنى كفرت اليوم باشراككم
اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره
له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اى كفرت من قبل
حين ابيت السجود لآدم بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان
اى جعلنى له شريكا ونحو ما هذه ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان
يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله تعالى ويحتمل ان يكون
من جملة قول ابليس وانما حكى الله تعالى ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد
لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا فى انفسهم ذلك المقام الذى يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا
ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلومونى بالياء على طريقة الالتفات كقوله اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وادخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم
فيها سلام وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخلهم انا وهذا دليل
على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اى ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله فان قلت فبم
يتعلق فى القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه فى هذه القراءة ان يتعلق
قوله باذن ربهم بما بعده اى تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن
ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون قرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ ومن يتق وفيه ضعف
ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب
الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اى ضرب كلمة
طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة اصلها ثابت يعنى

في الارض ضارب بعروقها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان
في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من قولك مررت برجل قائم ابوه لان
المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار و
التوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين
والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني
ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وآله ان اقولها وانا اصغر القوم
وروى فمنعني مكان عمر فاستحييت فقال لي عمر يا بني لو قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا
انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء
تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم
يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على
كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل و
الكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث
اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض
غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الحق ابلج والباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما
تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم
القيمة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله
ما يشاء القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به
في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم
بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم
ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما
اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا
يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان
مشيئته تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية
بينهم وبين شأنهم عند زللهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها
وبئس القرار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا وكانهم غيروا الشكر
الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر

وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل
النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وآله فكفروا نعمة الله بدل ما
لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل
لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر هم
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة
العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت
الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان
الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم
في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم
امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد
الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال المقول محذوف لان جواب قل
يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا
بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا
الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية
بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع
به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه
ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات
ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا
خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة التي انما ينفقون فيها اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتيكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الانسان لظلوم كفار الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات
ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره
بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه
نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز
ان يكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان

الحال لا تحصوها الا بحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار
في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا**
**البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام** هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ وظالم و
اجاب فيه دعوة خليله ابرهيم عليه السلام آمنا ذا امن **فان قلت** اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل
هذا البلد آمنا **قلت** قد سال في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة
كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات
جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا
وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد
احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت
حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا
يقال دار بالبيت **رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم** انهن
اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي
هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم
واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه
ومن عصاني فيما دون الشرك **ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا**
**الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل
ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد
فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما
لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها
او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك
وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين
اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من
الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه
فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب
مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول
بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان
يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون من نحوهم وقرئ افدة وفيه
وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع

اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه و
اهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا
ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم
ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي
يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم
واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم
ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم **ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في**
**الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء** النداء
المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا
من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا
ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى
ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع
توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من
الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى
بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى
تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله تعالى تصديقا لابرهيم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم
يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله
على الكبر بمعنى مع كقوله شعر اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث يؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير
وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد
روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة
وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة
على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي
لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته **فان قلت**
الله يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه **قلت** هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده
وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن **فان قلت** ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء **قلت** اضافة
الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا
ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان تكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل
دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله **رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل**
**دعائي ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب

فاجعلني وانما بعّض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي
اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابيّ ولابويّ وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني
اباه وقرأ الحسن بن علي ولولديّ يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع
ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وهما كافران قلت هو
من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله
الا قول ابرهيم لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح
من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم
قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب
قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما
بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه
وعن ابن عباس انه كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار**
**فان قلت** يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا
تحسبن الله غافلا **قلت** ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه
لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا
بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم
معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز
ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا
فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من
هول ما ترى **مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء** مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل
الاهطاع ان يقبل ببصره على المرئي ويديم النظر اليه لا يطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع
اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم
نظرهم فينظروا الى انفسهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا
لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير ع من الظلمان جؤجؤه هواء ع لان النعام
مثل في الجبن والحمق وقال حسان ع فانت مجوف نخب هواء ع وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية
منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم **وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا**
**الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال** يوم
يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد
وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون

يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه
وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا
شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال
والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا**
**لكم الامثال** يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون
الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل
سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا
وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا
وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم**
**لتزول منه الجبال** وقد مكروا مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون
مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا
الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية
ثباتا وتمكنا وينصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي عليه السلام وعمر وان كاد مكرهم **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**
**ان الله عزيز ذو انتقام** مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي **فان قلت** هلا
قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول **قلت** قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان
الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليعلم انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله
الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم
شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه **يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا**
**لله الواحد القهار** يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه
الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك
بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة
خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا
يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد **شعر** وما الناس بالناس الذين عهدتم
ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها

ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة و عن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحايف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة **وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد** مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق **سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار** القطران فيه ثلث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر تسمى الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القميص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين والنارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثم فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونساله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر ان والقطر النحاس او الصفر المذاب والانى المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة ثم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى **ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب** اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت وكل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب** هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه بقوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد كل من لم يعبد

**سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم**

**الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين** تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الجامع للكمال والغرابة في البيان **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى يكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل **ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون** ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلاقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانه لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرا اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين **وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون** ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستاخرون محذوف عنه لانه معلوم **وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون** وقرا الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثير في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر **لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين** لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها **ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين** قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وآله لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم

انه هو المنزل على القطع والثبات وانه هو الذي بعث به جبرئيل الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه **فان قلت** فحين قوله انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون **قلت** قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر وغير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس **ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون** في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعناه ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين** يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم **ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون** قرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم سلما يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون الى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار **ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين** من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين **والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون** موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها **وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين** معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمزة على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم وتدخل فيهم الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم** ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور **وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون** لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس واسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظم قدرته واظهار لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم الى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وآله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت **وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم** هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعله على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم** الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال كانه اي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان **واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين** واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وابى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى **قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين**

حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك أن لا يكون مع الساجدين بمعنى أي غرض لك في إبائك السجود وأي داع لك

إليه **قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون** اللام في لأسجد لتأكيد النفي ومعناه

لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر **قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**

**قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم** رجيم شيطان من الذين

يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة

الإبعاد منها والضمير في منها راجع إلى الجنة أو إلى السماء أو إلى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حد اللعنة إما لأنه أبعد غاية

يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والأرض في التأبيد وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعنة

في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون

ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم

الذي فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف **قال رب بما أغويتني**

**لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين** بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن والمعنى أقسم

بإغوائك إياي لأزينن لهم ومعنى إغوائه إياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك إلى غيه وما

الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك والله

تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتني لأزينن قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا أنه أقسم الآن

أحدهما إقسام بصفته والثاني إقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون

المعنى بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس

إليهم ما يكون سبب هلاكهم في الأرض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه وأراد أني أقدر

على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر أو أراد لأجعلن مكان

التزيين عندهم الأرض ولأوقعن تزييني فيها أي لأزيننها في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها

على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي **إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم**

**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل

فيهم ولا يقبلون منه أي هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم

لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل **وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم**

**جزء مقسوم** لموعدهم الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث

للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس أن جهنم لمن ادعى الربوبية

ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ

جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف

عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجري الوصل مجرى الوقف **إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين**

المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها

الصلوات وغيرها ادخلوها على إرادة القول وقرأ الحسن أدخلوها بسلام سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة

**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين** الغل

الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل أي إن كان لأحدهم في الدنيا على أخ غل نزع الله ذلك في قلوبهم

وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الأعور كنت جالسا

عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي عليه السلام مرحبا بك يا ابن أخي أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله

فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه

الآية لا أم لك وقيل معنى ذلك طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التحاب

والتوادد وإخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك عن مجاهد تدور بهم الأسرة حيث ما داروا فيكونون

في جميع أحوالهم متقابلين **نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ونبئهم عن ضيف**

**إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون** لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه نبئ عبادي

تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا

ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب

الأليم سلام أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لأنهم دخلوا

بغير وقت وبغير إذن **قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم** وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه

وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله نبشرك بفتح النون والتخفيف إنا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي

عن الوجل أراد وأنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل **قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك**

**بالحق فلا تكن من القانطين** يعني أبشرتموني مع مس الكبر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر

فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور

في العادة فبأي شيء تبشرونني يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذه بشارة بغير شيء ويجوز أن لا يكون

صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة

وقوله بشرناك بالحق يحتمل أن يكون الباء فيه صلة أي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هي حق و

هو قول الله ووعده فإنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون

وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشرونني وتبشرون بإدغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط

يقنط **قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** قرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون أراد ومن يقنط من

رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك

قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها الله **قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم**

**مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين** **فإن قلت** قوله تعالى إلا آل لوط

استثناء منقطع أو متصل **قلت** لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف

لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط

وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **فإن قلت** فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين **قلت** نعم وذلك

أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا

ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر والسهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما

مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء

وينجوا هولاء فلان يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول **فان قلت** فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين **قلت** اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابرهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم **فان قلت** فقوله الا امرأته مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء **قلت** استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما واما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل **فان قلت** لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصايص افعال القلوب **قلت** لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم **فان قلت** فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله **قلت** لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك لاهم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف **فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** منكرون اي ينكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله بهم فيمترون فيه وتكذبونك **فاتيناك بالحق وانا لصادقون** بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم **فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين** وقرئ فاسر باهلك بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل **فان قلت** ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات **قلت** قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال **شعر** تلفت نحو الحي حتى وجدتني ۞ وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هولاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هولاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هولاء ودابرهم آخرهم يعني يستاصلون

عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد **وجاء اهل المدينة يستبشرون** اهل المدينة اهل السدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة **قال ان هولاء ضيفي فلا تفضحون** لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسئ الى ضيفه او جاره فقد اسئ اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم **واتقوا الله ولا تخزون** ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروني من الخزاية وهي الحياء **قالوا اولم ننهك عن العالمين** عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان صلى الله عليه يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط **قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين** هولاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولادنبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هولاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم **لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون** لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وبسكراتهم **فاخذتهم الصيحة مشرقين** الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس **فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين** من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين من المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها للقرى قوم لوط **وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمومنين** وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين **وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين** اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يوتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يوتم به **ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين** اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون لابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وآله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وآله راحلته فاسرع حتى خلفها **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين** آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم وتتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه **فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا**

بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا
بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية
وان الله ينتقم فيها لك من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما
بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان
يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا وان ربك هو الخلاق العليم ان ربك هو الخلاق الذى خلقك وخلقهم
وهو العليم بحالك وبحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم وهو يحكم بينكم وان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد
علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفى مصحف ابى وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير
لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم سبعا سبع
آيات وهى الفاتحة او سبع سور وهى الطول واختلف فى السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما فى حكم سورة ولذلك لم
يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يوسف وقيل هى آل حم او سبع صحايف وهى الاسباع والمثانى من التثنية وهى
التكرير لان الفاتحة مما يكرر قراءتها فى الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او
مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك و
لما فيها من الثناء كانها تثنى على الله تعالى بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان واما للتبعيض اذا اردت بالسبع
الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله كلها مثانى لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ
المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشئ على نفسه قلت
اذا عنى بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى
الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثانى
والقرآن العظيم اى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء والتثنية والعظم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما
متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى
التى كل نعمة وان عظمت فهى اليها حقيرة ضئيلة وهى القرآن العظيم فعليك ان تستغنى به ولا تمدن عينيك
الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا
افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها
فى سبيل الله تعالى فقال لهم الله تعالى لقد اوتيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعنى لا تتمن اموالهم
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين
وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم انى انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله
نازل بكم كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اى انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا
القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه
الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزءون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى ويجوز

ان يراد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى
اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثانى ان يتعلق بقوله وقل انى انا النذير المبين
اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة
الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اى انذر
المعضين الذين يجزءون القرآن الى شعر وسحر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة
ايام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بالآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن
وايل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام
بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى
دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة
من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هى فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
نقصانها على الاول واو وعلى الثانى هاء فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون لنسألنهم عبارة عن الوعيد
وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن ابى العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح
بها من الصديع وهو الفجر والصدع فى الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به
من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اى بامرك مصدر من
المبنى للمفعول انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عن عروة بن الزبير فى
المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
بن وايل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عينى الاسود بن المطلب
فعمى واشار الى انف حارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل
ينطح راسه بالشجرة ويضرب بالشوك حتى مات ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله
هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ودم على عبادة ربك
حتى ياتيك اليقين اى الموت اى ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبى صلعم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين
بمحمد صلى الله عليه وسلم

## سورة النحل مكية غير ثلث آيات فى آخرها وتسمى سورة النعم وهى مائة

وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون** كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعيد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الآتى الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه باليا والتا سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية **فان قلت** كيف اتصل هذا باستعجالهم **قلت** لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون باليا والتا **ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون** ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة بمعنى تتنزل بالروح من امره بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا الناس بان الامر كذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولى لا اله الا انا فاتقون **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون** ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وساير حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلايقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثانى فاذا هو خصيم لربه منكر لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وصفا للانسان بالافراط فى الوقاحة والجهل والتمادى من كفران النعمة وقيل نزلت فى ابى بن خلف الجمحى حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم **والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون** الانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هى نسلها ودرها وغير ذلك **فان قلت** تقديم الظرف فى قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها **قلت** الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا **فان قلت** لم قدمت الاراحة على التسريح **قلت** لان الجمال فى الاراحة اظهر

اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله يوما لا تجزى **وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم** قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان فى معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد **فان قلت** ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم **قلت** معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه فى الحقيقة **فان قلت** كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه **قلت** طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون** والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره فى الانعام **فان قلت** لم انتصب وزينة **قلت** لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها **فان قلت** فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد **قلت** لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزاين وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يراد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له فى طيه وقد حمل على ما خلق فى الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر ببال احد **وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين** المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى **فان قلت** لم غير اسلوب الكلام فى قوله ومنها جائر **قلت** ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وبما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله برئ منه ولو شاء لهديكم اجمعين قسرا والجاء **هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون** لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وفى حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلاء تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات فى الارض **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** قرئ ننبت بالنون والياء **فان قلت** لم قيل ومن كل الثمرات **قلت** لان كل الثمرات لا تكون الا فى الجنة وانما انبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابى بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر**

والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو
على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد
السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له
بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه
مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر
وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار
العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه
إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر
وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون لحما طريا هو السمك ووصفه
بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه فإن قلت ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل
لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على
الإطلاق أن لا يفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار عليه ومثاله
أن الله سمى الكافر دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث
حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم
ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة وألقى في الأرض رواسي
أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون أن تميد بكم كراهة أن تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به إذا
ركب البحر قيل خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر
الملائكة مم خلقت وأنهارا وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا
وعلامات وبالنجم هم يهتدون وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير
ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو
من النجوم تخفيفا فإن قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه
قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم
وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا أفمن يخلق كمن لا
يخلق أفلا تذكرون فإن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم قلت فيه أوجه أحدها
أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله على أثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من
أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل
وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء
لصح أن يعبدوا فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى فقد جعلوا

غير الله مثل الله وغير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله
مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم
ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم لا تحصوها لا تضبطوا
عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن وراءها
ما لا ينحصر ولا ينعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من أعمالكم وهو وعيد
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان
يبعثون والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول
نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم
مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء
غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين أي لا
يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم
على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم
بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن
من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة
فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء
تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم تعالى ووجه ثالث وهو أن يراد بالذين يدعون
الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات لا بد لهم من الموت غير أحياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم
لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنه إله وحده لا شريك
له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم
مستكبرون عنها وعن الإقرار بها لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين
لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد إنه لا يحب المستكبرين يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد
يعني المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير
الأولين ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير
الأولين ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو
فيمن رفع فإن قلت هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير الأولين قلت هو على السخرية كقوله إن رسولكم وهو
كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليحملوا أوزارهم كاملة يوم
القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ليحملوا أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا للناس
وصدا عن رسول الله فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال

شركان هذا يضله وهذا ايضا وعد على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل عن ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال ولهذا وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون القواعد اساطين البناء التى تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا او نحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه مكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرى فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة شركاى على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المومنين فى شانهم ومعناهم وقرى تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المومنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم وتشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين قرى تتوفاهم بالياء والتاء وقرى الذين توفاهم بادغام التاء فى التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال فى شى وروى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وآله فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم

ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المومن على الموت جاءه ملك الموت فقال له السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة تاتيهم الملائكة قرى بالياء والتاء يعنى ان ياتيهم لقبض الارواح او امر ربك العذاب المستاصل او القيمة كذلك اى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فاصابهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن سيات ما عملوا جزاء سيات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شى نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شى كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق فان الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولقد امد ابطال قدر السوء ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتى منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وآله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعالى من العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرى لا يهدى اى لا تقدر انت ولا احد على هداية من خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة ابى فان الله لا هادى لمن يضل ولمن اضل وهى معاضدة لمن قرا لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقرى يضل بالفتح وقرا النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغية واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريكهم ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم ووعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شى لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة

لسين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن ويكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله عليه السلام وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نار الاطاعه فكيف في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهولاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون الذين صبروا على هم الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب لكل مومن فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط واما برجالا صفة لها اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بنوحي اي نوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا افامن الذين مكروا السيئات

ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وآله او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال ابو كبير الهذلي تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قرئ اولم تروا وتتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان من جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص

فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياى فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ فى الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجى ما قبله على لفظ المتكلم وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون وما بكم من نعمة واى شىء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى شعر

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرى تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب فى قوله وما بكم من نعمة من الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرى فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد فى معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون لما لا يعلمون اى لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير فى لا يعلمون للآلهة اى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا فى انعامهم وزروعهم ام لا فكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك فى زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجى ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدا الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون يتوارى من القوم يستخفى منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه فى التراب ام يئده وقرى ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرى على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها



من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابى هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه به اما تستحيى من ذلك الموقف وقرا هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرى الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرى مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم فهو وليهم اليوم حكاية للحال الماضية التى كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها اى فهو وليهم فى الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركى قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى فهو ولى امثالهم اليوم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذى انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذى اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ذكر سيبويه الانعام فى باب ما لا ينصرف فى الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال فى الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال فى جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم فى قوله شعر

فى كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه فى معنى الجمع وقرى نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم

من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثاً واوسطه لبناً واعلاه دماً والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغاً سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيّغاً بالتشديد وسيْغاً بالتخفيف كهيّن وهيْن فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوباً والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالاً من قوله لبناً مقدماً عليه فيتعلق بمحذوف اي كائناً من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبناً من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجساً لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً **ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ان في ذلك لآية لقوم يعقلون** فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكراً بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد في قولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفاً مكرراً قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكراً وسكراً نحو رشد رشداً ورشداً قال شعر وجاءونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شاخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكراً اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقاً حسناً كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن **واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون** الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علماً بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى ان اتخذي هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتاً بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت

وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها **ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون** من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلاً من اجوافك ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللاً جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وآله ان رجلاً جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع التاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم **والله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ان الله عليم قدير** الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالاً من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئاً وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون** اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعاً فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق فان ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالياء والتاء **والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً**

وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون

من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اى يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيه فقيل الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اى خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اى جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام مسكينا على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اى لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم اموات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم

الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اى ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اوجه الى سعدا وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير ولله غيب السموات والارض اى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اى هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اى هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين تكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امهات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون الم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اى يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن

به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف وسرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اى تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب وتسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر هو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون يعرفون نعمة الله التي عددها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وآله كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا انهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عقابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن لسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم نبعث في كل امة شهيدا

عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف يكون القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع الصحابة والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح الرجل ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كل تفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما ينكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون عهد الله في البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اى بعد توثيقها باسم الله اكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم كانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اى مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اى انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من

من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسئلون عنه **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله عن ذلك بقوله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام **فان قلت** لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق الحق بعد ان ثبت عليه فكيف باقدام كثيرة **من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون** **فان قلت** من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه **فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله واذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله **فان قلت** لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ **انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته **انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون** انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير

يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه **واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين** تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم اما تعبدات ويجوز ان يكون يتعبد عبادة كل وقت بما اراد واما مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس **قلت** فيه ان القرآن ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب اقتضاء الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين** ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة يقال لحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا لحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون بتعريف اللسان **فان قلت** الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها **قلت** لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله **ان الذين لا يؤمنون**

بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اى هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اى اولئك هم الكاذبون على الحقيقة اى الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب واولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اى طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ الذى هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذى هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوز ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روى ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ فى قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين فى الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اى الامرين افضل فعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان فى ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للدين والاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد فقال رسول الله قال فما تقول فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعقاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر و

قرئ فتنوا على البناء للفاعل اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشياعه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير شعر غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله شعر ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون وهم ظالمون فى حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ ولباس الخوف والجوع فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء فى قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه ولا تقولوا لما تصف

السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من
البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك
الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا
حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام ولكم ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا
ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لحجة ولا بينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى
وصف السنتكم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم
فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرى الكذب بالجر صفة لما المصدرية
كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرى الكذب جمع
كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني
واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
منفعة قليلة وعقابها عظيم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا
من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم بجهالة في موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة ان ابرهيم كان امة
قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير
كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى
مأموم اى يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول
فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان
امة قانتا لله فقلت له غلطت انما هو ابرهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله ورسوله
وكان معاذ كذلك وعن عمر انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته
ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ
امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو
ذلك المعنى اى كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام
غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه اجتبيه وهديه الى
صراط مستقيم شاكرا لانعمه روى انه كان لا يتغذى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج
من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني
وابتلاكم اجتبيه اختصه واصطفاه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة
وانه في الآخرة لمن الصالحين حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل
الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم لمن الصالحين من اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة

ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه
وآله واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم صلوات الله عليه من الكرامة واجل ما اولي من
النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين
ساير النعوت التي اثنى الله عليه بها انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا
في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب
القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين
ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف
فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين تارة ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما
للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت
الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله
لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن
الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل
السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرى انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق
المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن
اى ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من
الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة
ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل فكانك تضرب منه في حديد بارد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه
وقرى وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد
بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي
عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون
اى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد
او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه
صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله

وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك
الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اى على الكافرين او على المومنين وما
فعل بهم الكافرون ولا تك فى ضيق وقرى ولا تكن فى ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم و
الضيق تخفيف الضيق اى فى امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ان الله مع الذين اتقوا اى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصى وولى
الذين هم محسنون فى اعمالهم وعن هرم ابن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية فى المال ولا مال
لى واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم
عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

## سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله
لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر
متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان بمعنى تسبيحا ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل
على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على
الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل
مدة الاسراء وانه اسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه
قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل كقوله ومن
الليل فتهجد به نافلة يعنى الامر بالقيام فى بعض الليل واختلف فى المكان الذى اسرى منه فقيل هو المسجد
الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانى بنت ابى طالب والمراد
بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى انه كان
نائما فى بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانى وقال مثل لى
النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانى بثوبه فقال مالك قالت اخشى ان يكذبك
قومك ان اخبرتهم قال وان كذبونى فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث
الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بنى كعب بن لوى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا
وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد
فجلى له البيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن
عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر هذه والله العير
قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء
فى تلك الليلة وكان العروج به من البيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى فى السماء من العجائب وانه

لقى الانبياء صلوات الله عليهم وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة
وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف فى انه كان فى اليقظة ام فى المنام فعن عائشة انها قالت والله ما فقد
جسد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان فى المنام رؤيا
رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد
بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية و
الاشجار والاثمار وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه
على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال
محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا الا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ الا تتخذوا بالتاء على
النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى
تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير
وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه انه فسرها بولد
الولد ذكرهم الله النعمة فى انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال
الحمد لله الذى اطعمنى ولو شاء اجاعنى واذا شرب قال الحمد لله الذى سقانى ولو شاء اظمأنى واذا اكتسى قال الحمد لله الذى
كسانى ولو شاء اعرانى واذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء احفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى اخرج
عنى اذاه فى عافية ولو شاء حبسه وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا
آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملايمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دونى وكيلا و
لا تشركوا بى لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله
آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به
فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بنى اسرائيل فى
الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا
مقضيا اى مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون فى الارض لا محالة ويعلون اى يتعظمون ويبغون فى الكتاب فى التورية
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال و
اقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا
عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليهما السلام
فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا
مفعولا عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر و
عن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف
جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله

تعالى اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف
بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم
وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوّسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان
وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو
قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم
والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها
فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي عليه السلام ما احسنت الى احد
ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم فحذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى او للوعد او
للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي عليه السلام لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في وليدخلوا على
هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا
عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا عسى ربكم ان
يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله
عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله فهم يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا
محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة وايتما قدرت
لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ
ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن
تقي او كافر شقي وانما احدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون
قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر
بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا اي ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان
الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى
سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت له من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب
فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة
وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني
بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو



لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبحر والبر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر
فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء
يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد
عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا
من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا
البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانما تتقصف
اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم وقرئ
بالنون والتاء التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان
على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير
امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما
فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في تفسير قوله ولقد كرمنا بني آدم وجعلنا لهم اصابع
يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم
تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم
عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم
ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان
لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه
في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن
اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بجميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا
اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كان جبريل
غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه
بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا قرئ ندعو بالنون والياء ويدعى كل اناس على البناء للمفعول
وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون علامة
الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة
بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل
بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام
جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام
واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته
فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت

لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن إذا اطلعوا على ما
في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام
منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن
تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم
أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه
ولا يظلمون فتيلا ولا ينقص من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى
فهو في الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته
لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد
جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه
بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه
واقعة في الطرف معرضة للإمالة وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره
وإذا لاتخذوك خليلا روي أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وآله لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن
تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك
العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني به وجاؤوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب
ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه فقال أسعرتم قلب
نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروي أن قريشا قالوا له اجعل
لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فا
عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني
ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم
ينزل عليه وإذا لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا
نصيرا ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم
وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين إذن لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة لأذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فإن قلت كيف حقيقة
هذا الكلام قلت أصله لأذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو
عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا
في النار بمعنى مضاعفا فكأن أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف

وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو
قيل لأذقناك أليم الحيوة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب
الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد
الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على
أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان
الله عليهم نسبة المجبرة القبائح إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة
لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي
جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما
نزلت كان يقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا
لا يلبثون خلفك إلا قليلا وإن كادوا وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم
من الأرض من أرض مكة وإذا لا يلبثون خلفك لا يبقون بعد إخراجك إلا زمنا قليلا فإن الله مهلكهم وكان كما قال
فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه
وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود
وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه وقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر
إبراهيم فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت
رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله على أميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع
إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ
لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على إعمال إذن فإن قلت ما وجه القراءتين قلت أما الشائعة فقد عطف فيها
الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي
إذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال شعر عفت الديار خلافهم فكأنما بسط
الشواطب بينهن حصيرا أي بعدهم سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا
سنة من قد أرسلنا يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر
المؤكد أي سن الله ذلك سنة أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان
مشهودا دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت
الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر فإن كان الدلوك الزوال فالآية
جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء
وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والأصم
في زعمهما أن القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار يصعد هؤلاء وينزل هؤلاء فهو في آخر ديوان
الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة
ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب
ولذلك كانت الفجر أطول قراءة ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا

ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسئل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله هو المقام الذى اشفع لامتى وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وقرئ المصدر مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلنى فادخل مدخل صدق اى ادخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيآت واخرجنى منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرنى على من خالفنى وملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل مكة عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال عليه السلام انى رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كان حول البيت ثلثماية وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فاوحى الله الى البيت انى ساحدث لك نوبة جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى اوكارها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتى صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة فى عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحى اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه

اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت فى كل وقت وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اى كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبى صلى الله عليه وآله من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اى نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا قل كل احد يعمل على شاكلته اى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى اسد مذهبا وطريقة ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استاثر بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى اعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن امر ربى اى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى اوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية فيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل فى جنب علم الله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدرى ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم ان لا يغفل عن هاتين

المنّتين والقيام بشكرهما وهما منّة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنّته عليه في بقاء المحفوظ و
عن ابن مسعود انّ اوّل ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلّينّ قوم ولا دين
لهم وانّ هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في
مصاحفنا نعلّمه ابناءنا ويعلّمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف
وينزع ما في القلوب **قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**
**ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطّئة لجاز ان يكون جواباً
للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لانّ الشرط وقع ماضياً اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت و
من زعمهم انّ القرآن قديم مع اعترافهم بانّه معجز وانّما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على
خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم
فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تع بالعجز لانّه لا يوصف بالقدرة
على المحال الّا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فانّ رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق **ولقد صرّفنا**
**للناس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى اكثر الناس الّا كفوراً** ولقد صرّفنا رددنا وكرّرنا من
كلّ مثل من كلّ معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود **فان قلت** كيف جاز فأبى اكثر الناس الّا كفوراً
ولم يجز ضربت الّا زيداً **قلت** لانّ ابى متأوّل بالنفي كانّه قيل فلم يرضوا الّا كفوراً **وقالوا لن نؤمن لك**
**حتّى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتفجّر الانهار خلالها**
**تفجيراً** لمّا اعجاز القرآن وانضمّت اليه المعجزات الاخر والبيّنات ولزمتهم الحجّة وغلبوا اخذوا يتعلّلون
باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحيّر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك تفجّر وحتّى تفجر وقرئ تفجر
بالتخفيف من الارض يعني ارض مكّة ينبوعاً عيناً غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عبّ الماء **او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلاً**
كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفاً بسكون السين جمع كسفة كسدرة
وسدر وبفتحها قبيلاً كفيلاً بما تقول شاهداً بصحّته والمعنى او تأتي بالله قبيلاً وبالملائكة قبيلاً كقوله شعر
رماني بامرٍ كنت منه ووالدي بريّاً ومن جول الطويّ رماني وانّي وقيّار بها لغريب او مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر
ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربّنا او جماعة حالاً من الملائكة **او تكون لك بيت من زخرف**
**او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيّك حتّى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربّي**
**هل كنت الّا بشراً رسولاً** من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في
السلّم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيّك ولن نؤمن لاجل رقيّك حتّى تنزّل علينا كتاباً من السماء فيه تصديقك
عن ابن عبّاس قال عبد الله بن ابي اميّة لن نؤمن لك حتّى تتّخذ الى السماء سلّماً ثمّ ترقى فيه وانا انظر اليك حتّى
تأتيها ثمّ تأتي معك بصكّ منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انّك كما تقول وما كانوا يقصدون
بهذه الاقتراحات الّا العناد واللجاج ولو جاءتهم كلّ آية لقالوا هذا سحر كما قال تع ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس
ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلّوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات

وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرهم سبيل قل سبحان ربّي وقرئ قال سبحان ربّي اي قال الرسول
وسبحان ربّي تعجّب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الّا رسولاً كسائر الرسل بشراً مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم
الّا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات اليّ انّما هو الى الله فما بالكم تتخيّرونها عليّ **وما منع الناس ان يؤمنوا**
**اذ جاءهم الهدى الّا ان قالوا ابعث الله بشراً رسولاً قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنّين**
**لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً** ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى
الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله الّا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان
يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لانّ قضيّة حكمته ان لا يرسل ملك الوحي
الّا الى امثاله او الى الانبياء ثمّ قرّر ذلك بانّه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى
السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنّين ساكنين في الارض قارّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يعلّمهم
الخير ويهديهم الى المراشد فامّا الانس فما هم بهذه المثابة انّما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوّة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم و
ارشادهم **فان قلت** هل يجوز ان يكون بشراً وملكاً منصوبين على الحال من رسولاً **قلت** وجه حسن والمعنى له اجوب **ومن**
**يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم**
**عمياً وبكماً وصمّاً مأويهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بانّهم كفروا بآياتنا وقالوا**
**ائذا كنّا عظاماً ورفاتاً ائنّا لمبعوثون خلقاً جديداً** ومن يهدي الله ومن يوفّقه ويلطف به فهو المهتدي فانّه
لا يلطف الّا بمن عرف انّ اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصاراً على وجوههم كقوله يوم يسحبون
في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم كيف يمشون على وجوههم قال انّ الذي امشاهم على اقدامهم قادر
على ان يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحقّ ويتصامّون عن استماعه فهم في
الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقرّ اعينهم ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في
الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواسّ من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في مواضع آخر انّهم يقرؤن ويتكلّمون
كلّما خبت كلّما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها وسكن لهبها بدّلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانّهم لمّا كذّبوا بالاعادة
بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلّط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثمّ يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك
في تحسيرهم على تكذيبهم بالبعث ولانّه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دلّ على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنّا لمبعوثون
خلقاً جديداً **اولم يروا انّ الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم**
**اجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون الّا كفوراً فان قلت** علام عطف قوله وجعل لهم اجلاً **قلت** على قوله اولم يروا لانّ
المعنى قد علموا بدليل العقل انّ من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانّهم
ليسوا باشدّ خلقاً منهنّ كما قال ءانتم اشدّ خلقاً ام السماء بناها وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه وهو الموت والقيمة فأبوا مع
وضوح الدليل الّا جحوداً **قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربّي اذاً لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان**
**قتوراً** لو حقّها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بدّ من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك
اضماراً على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتّصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتّصل به من اللفظ
فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فامّا ما يقتضيه علم البيان فهو انّ
انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وانّ الناس هم المختصّون بالشحّ المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني

وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا و
الخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل
مكة الذين اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل
يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل
بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل و
الضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه الله على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج
يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن
صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى عليه السلام ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي
سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسئل بني اسرائيل فقلنا له
سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل وسلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همزة وهي
لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا
وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ
جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على
الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء
الآيات الا الله تعالى بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا و
قرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض
ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة و
هي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع صحة علمك بامري
اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا
اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد ان
يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم
منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده لبني
اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا
جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه و
بالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير
او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما

ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا فرقناه
لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا
نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأ مشددا وقال لم ينزل في يومين ولا في ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة
يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب
الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وانه لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه
وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين
قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وآله وانزال
القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلوب و
رطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا
وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة
بايمان العلماء على الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط
على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء
ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت
معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف
الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا عن ابن عباس
رضي الله عنهما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب
قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى
الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى
واو للتخيير فمعنى ادعوا الله وادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في اياما عوض
من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير
في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما
ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما
منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف
المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى
ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر
كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ و

الوثنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلاً وعمر ان يخفض قليلاً وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ولي من الذل ناصر ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا افصح غلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وهو قوله ولم يجعل له وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه الاعوجاج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتشديد فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرار الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدث

قوله فما تقول في هذا السؤال وجوابه اشارة الى ما ذهب اليه الزجاج في تفسيره وما اورد ابو علي في الاعقال قال الزجاج الامد الغاية وهو منصوب

به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشويرا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط على آثارهم حسرات ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله انا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت شعر وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا من لدنك رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد وان كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي تضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا الاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به

قوله فى طلوعها آه اى لا فى النصف الاول من اليوم ولا فى الثانى ٥ قوله كرب الغار آه الكرب الغم الذى يأخذ بالنفس ٥ م والله اعلم بالصواب

ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر فى قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم قلت الله تعالى لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط فى السوم وفى غيره هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد فى الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم به نبى فى عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى او حذفها وقرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم اى لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة شعر الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم فى فجوة منه وهم فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تعالى يحجبها عنهم وقيل فى متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا فى الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله

وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل واحد والايقاظ جمع يقظ كانكاد ونكد وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة فى يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق عليه السلام وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد شعر بارض فضاء لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر اى يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك فقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبنى على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروى انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم فى يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا فى شئ آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف فى الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما فى اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله ويقول ان ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اى اى اهلها فحذف الاهل كما فى قوله واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف

والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة لاحتى لا تغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدًا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارًا منه بهم لانه سبب فيه **انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذًا ابدًا** الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذًا ابدًا ان دخلتم في دينهم **وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدًا** وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقولون تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانًا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنًا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدًا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانًا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم على القتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحًا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزًا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدًا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله تعالى رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم احدًا** سيقولون الضمير لمن خاض



السوء وذلك مما لا يكون فان النهي فيما نحن فيه على اطلاقه غير مسلم والتخصيص بما يتعلق بالوحي على معنى لا تقولن فيما يتعلق بالوحي اني اخبركم به الا ان يشاء الله

في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارًا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيًا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريًا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبرئيل عليه السلام وعن علي عليه السلام هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير **فان قلت** لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين **قلت** فيه وجهان ان يدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعًا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجمًا بالغيب رميًا بالخبر الخفي واتيانًا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنًا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم **فان قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين **قلت** هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت مستقر وهي الواو التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجمًا بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقولون اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرًا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدًا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئًا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم **ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدًا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدًا** ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدًا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشية الله وهو في موضع الحال اي الا ملتبسًا بمشية الله

قايلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهى تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود
لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذى القرنين فسالوه فقال ايتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطى عليه الوحى
حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اى مشية ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت
كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد
يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثنى على مقدار
حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف
ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان
افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضى عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك
به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى
نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتينى من البينات والحجج على انى نبى صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا
من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربى ان يهدينى لشئ اخر بدل
هذا المنسى اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها **ولبثوا في
كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع
ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا** ولبثوا في كهفهم ثلث ماية سنين يريد لبثهم فيه احياء
مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم
بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم
رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث ماية وقرئ ثلثماية سنين بالاضافة على وضع
الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابى ثلث ماية سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه
ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفى فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء
بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين
والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر
ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولى من متولى لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا
تشرك بالتاء والجزم على النهى **واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه
ملتحدا** كانوا يقولون له ايت بقران غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحى اليك من القران ولا تسمع لما يهذون به
من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اى لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده ولذا
بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك **واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا** قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولاء الموالى الذين كان

ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك
الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس
الجبان تطلع بالغداة والعشى داىبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة
اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم
يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءنى القوم عدا زيدا وانما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك
نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اى غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم
عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى
الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى ولا تضموها اليها
اكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله ع
فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يزدرى بفقراء المؤمنين
وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا
قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته
كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله
توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا
وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل **وقل الحق من
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى
جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجىء بلفظ
الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم
من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل
دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من
جواهر الارض وقيل دردى الزيت يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبى صلى الله عليه وسلم
هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكا من المرفق و
هذا المشاكلة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله انى ارقت فبت الليل مرتفقا كان
عينى فيها الصاب مذبوح **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك
لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من
سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا** اولئك خبر ان و
انا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم
فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا
وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك
السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس

وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا** واضرب لهم مثلا رجلين اى ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين فى بنى اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة الصافات فى قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخى اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا فى الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم انى اشترى منك دارا فى الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم انى جعلت صداقا لها الحور فتصدق به ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل الاخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلعم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقوله غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجارى فيهما والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وفى قراءة عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اى انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة وغيرهما اى كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعنى انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا** يعنى قطروس اخذ بيد اخيه المسلم يطوف به فى الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه **فان قلت** لم افرد الجنة بعد التثنية **قلت** معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعنى انه لا نصيب له فى الجنة التى وعد المؤمنون فما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك فى بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر فى عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه **وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا** ولئن رددت الى ربى اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن فى الآخرة خيرا من جنته فى الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه

واستيهاله

---



واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لى عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اى منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية **قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا** خلقك من تراب اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب فى خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه فى البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا **لكنا هو الله ربى ولا اشرك بربى احدا** لكنا هو الله اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القايل شعر وترمينني بالطرف اى انت مذنب ﴿ وتقلينني لكن اياك لا اقلى اى لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربى والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقراءة ابن عامر باثبات الف انا فى الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من الهمزة وغيره لا يثبتها الا فى الوقف وعن ابى عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربى بسكون النون وطرح انا وقرا ابى بن كعب لكن انا على الاصل وفى قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربى **فان قلت** هو استدراك لماذا **قلت** لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكنى مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر **ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا** ما شاء الله يجوز ان يكون موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اى شىء شاء الله كان ونظيرها فى حذف الجواب لو فى قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا والمعنى ان ترنى افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهى الصاعقة صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر **واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا** واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل فى كل اهلاك ومنه قوله الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية

عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى
الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اى انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعنى ان
كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر
موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون
**ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا** وقرئ ولم تكن بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى
دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة **فان قلت** ما معنى قوله ينصرونه من دون الله **قلت** معناه يقدرون
على نصرته من دون الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذله
وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله **هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا** الولاية
بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اى في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله
وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان
والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله
ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعنى انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن
وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا اى لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اى في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع
والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة
فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
**واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه
الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا** فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا
وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض
ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة و
قرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء
مقتدرا **المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا**
الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل
هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا
اى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة **ويوم
نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا** قرئ تسير من سيرت وتسير من
سيرنا وتسير من سارت اى تسير في الجو او تذهب بها بان تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء
للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء فقال
غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل **وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا**

**كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا** شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا
مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو
عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة
لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى **فان قلت** لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى **قلت**
للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك
موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا** الكتاب للجنس وهو صحيفة الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها
خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعنى لا يترك شيئا من
المعاصي الا احصاه اى احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز
ان يريدوا ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن
عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان اذا
قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف
عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقاب المستحق او يعذبه بغير جرم
كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو
بئس للظالمين بدلا** كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا
قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه لانه
لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس
كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع الشبهة
في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم انه ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره ربه به من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا
كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه
وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته **ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
يعنى انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية
بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله
ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما
لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله و
المعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي عليه السلام متخذا المضلين بالتنوين على الاصل و
قرأ الحسن عضدا بسكون العين ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا

بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذ اقواه واعانه **ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا** يقول بالنون والياء واضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا** اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين **وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا** ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا **وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا** ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة فيكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزوا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك **ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا** بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه **وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا** فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا **وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا** الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه

**وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا** وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة ومكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقتا ومصدرا **واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا** لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم **فان قلت** لا ابرح ان كان لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر **قلت** هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل

فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروى انهما اكلا منها و
قيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه
مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر **فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من**
**سفرنا هذا نصبا** فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع
ان يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي الى موسى النصب
والجوع حين جاوزا الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء
الصخرة **فان قلت** كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي ناهضا من اجلها ولكونه معجزتين
ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها
في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلم الحوت
**قلت** قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضرى بمشاهدة
امثاله عند موسى من العجايب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام **قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة**
**فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا** ارايت بمعنى اخبرني
**فان قلت** ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى
الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه
اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله
سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب وقال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها ولما رأى
من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب
موسى وليس بذاك **قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا** ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي
كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما
الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**
رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب **قال له موسى هل اتبعك**
**على ان تعلمن مما علمت رشدا** رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني **فان قلت**
اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشى لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم
اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين **قلت** لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه
ان يأخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب
موسى وان موسى هو موسى بن ميشى قال كذب عدو الله **قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم**
**تحط به خبرا** نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في
ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار و
خبرا تمييز اي لم تحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر **قال ستجدني ان شاء الله**

**صابرا ولا اعصي لك امرا** ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي لا محل
عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلم لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليهما السلم
عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح
عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس
العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم **قال**
**فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا** قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك
لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع **فانطلقا حتى اذا**
**ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا** فانطلقا على ساحل البحر يطلبان
السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا
الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل
موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع
جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا ادا امرا **قال الم اقل انك لن تستطيع**
**معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا** بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته
او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم
انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم
هذه اختي وعندي سقيم او اراد النسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء و
ترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين **فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية**
**بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا** فقتله قيل كان قتله فتل
عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين **فان قلت** لم قيل حتى اذا
ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء **قلت** جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله
من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت **فان قلت** فلم خولف بينهما **قلت** لان خرق السفينة لم يعقبه
الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده
لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس ان
نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان
ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين والمنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد
وهذا لا سبيل الى تداركه **فان قلت** ما معنى زيادة لك **قلت** زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم
بقلة الصبر عند الكرة الثانية **قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني**
**عذرا** بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني

على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تُصحِبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من
لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدُني بتخفيف النون ولَدْني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضُد عضْد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي
موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب **فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا**
**ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه**
**اجرا** اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما وقرئ يُضيفوهما يقال
ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيّفه
انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وآله كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك
قال الراعي **شعر** في مهمهٍ قلقت بها هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال **شعر** يريد الرمح صدر ابي براء
ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول
عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد
والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن
الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكى الي بعبرة وتحمحم ان يك ظني صادقا وهو صادقي
ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله
ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه
منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز و
انقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة و
قرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب
بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل
نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد
لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من
الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو اتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به
الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس في الاخذ
في شيء **قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فان قلت** هذا
اشارة الى ماذا **قلت** قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه الصلوة والسلام ان سألتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا
اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا
فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به **اما السفينة**
**فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل**

سفينة

**سفينة غصبا** لمساكين وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن
ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى **فان**
**قلت** قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه **قلت**
النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان
بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة **واما الغلام فكان ابواه مؤمنين**
**فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا** وقرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشأن فخشينا
ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى اعلمه
بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى
فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة امره فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا
كقوله لاهب لك **فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما** وقرئ يبدّلهما بالتشديد
والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما
**واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان**
**ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك**
**وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا** قيل اسما الغلامين اصرم و
صريم والغلام المقتول اسمه الحيسن واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح
من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن
قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تع والذين يكنزون الآية
وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد عليهما السلام كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي عليهما السلام انه قال لبعض الخوارج
في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله
انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما
رأيت عن امري عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله **ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا**
**عليكم منه ذكرا** ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان
وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه
العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحفظه الظلمة
من ورائه وقيل كان نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا

ما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملايكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس ملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله وقيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقا وغربا وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم والفارس وروي الروم والترك وعنه كان صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسايلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين **انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمية ووجد عندها قوما** من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع سببا وقرئ حمية من حميت البير اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه فقلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمية وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس حمية فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المومنين ثم الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحماء اسود ولا تنافي بين الحمية والحامية فجايز ان يكون العين جامعة للوصفين جميعا **قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا** كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين الاسر والقتل وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى وقرئ جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعل الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين **حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا**

وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هولاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فتنضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض **كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا** كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل يطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم **حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا** بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما جر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة **قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم **قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما** ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع **آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا** قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء

وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما
ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ان رجلا اخبره به
فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمراء قال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبل لانهما
يتصادفان اى يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة قال آتوني
افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا والقطر النحاس المذاب لانه يقطر
وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني اي جيئوني
فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرا
بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه و
انملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء و
كان وعد ربي حقا هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقتدار والتمكين
من تسويته فاذا جا وعد ربي يعني فاذا دنا مجي يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل السد دكا اى مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك منبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اى ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز
ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروى ياتون البحر
فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تع نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا وعرضنا جهنم
وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها
ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء
كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا
اعتدنا جهنم للكافرين نزلا عبادي من دوني هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقرا ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي عليه السلام افحسب الذين كفروا اى افكافيهم
ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل
في العمل كقولك اقايم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما
يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي عليه السلام
كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي عليه السلام ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء
وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا نقيم لهم وزنا





فتزدري بهم ولا يكون عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيآت
من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اى هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم
الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم
بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول
يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واما نيهم
وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اى نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد
الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا المداد اسم ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى
لو كتبت كلمات الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان ينفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر
مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن
ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء
وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فمن كان يرجو
لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه
والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت
في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما
شورك فيه وروى انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى
به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله
صلى الله عليه وآله من قرا سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن
قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه
قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلالأ الى مكة حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نورا يتلالأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله
هو الموفق والمستعان وعليه التكلان

**سورة مريم وهي ثمان او تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم**

**كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا** كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء قراه حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن ذكّر رحمة ربك اى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عم فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون **قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا** وقرئ وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنايه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل اليه بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته **واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا** كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقرا ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين خفّت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي وتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اخترعه منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة **يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا** يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري اويرث على تصغير وارث وقال أُغيلم صُغيّر وعن علي عم وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبيا لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة

وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عم من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عم **يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا** لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت ابن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا **قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا** اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين لفين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب فيه فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا **قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ابتداء قال ربك اي ونصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله تعالى هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا وقرا الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك **قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا** اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن **فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا** اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا** اي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر

العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه **وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا** حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة والطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا** سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة لانها اوحش المواطن **واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا** اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبر العفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اردت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين **قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا** اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك وهي حكاية لقوله تعالى **قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا** جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر **قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا** ولنجعله

للتعليل معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين **فحملته فانتبذت به مكانا قصيا** عن ابن عباس فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه ان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها **فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** اجاء منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت المكان وآتانيه فلان قرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في صحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف للجلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارسلها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها والجاها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف

اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا تعاب
به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال
الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي
نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع
كالمغيرة والمنخر فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا من تحتها هو جبريل عم قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة
عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة
فصاح بها لا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة
الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وآله عن السري فقال
هو الجدول قال لبيد شعر فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو
والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى
بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان
الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة
من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط
فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء
وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على
حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذلك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا
عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري
والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي
وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقري وقري بالكسر لغة نجد
فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم
انسيا ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتاخ
بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل
صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن صوم الصمت لانه نسخ في
امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات
الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن
السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وقيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل
سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا الفري البديع وهو من فري الجلد هرون

كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وآله
انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من
اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها
به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون
الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا ابو عمرو بن ابي الجا اليتمي ما كان اباك امرا سوء
وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله
فكلمها عيسى في الطريق فقال ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون
تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا صلوات
الله عليهما وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع
فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وكلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى
بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه
خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر وهو ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف
عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله
رد القول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنباه
طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما
كنت عن رسول الله صلى الله عليه وآله نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا قرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة
وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا والسلام علي قيل ادخل لام التعريف
لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل وكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن
الثلثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائهما من
اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس واذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله
والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة
لنحو هذا من التعريض ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون قرا عاصم وابن عامر قول الحق
بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله
الحق والقول والقول والقال في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر
او بدل او خبر مبتداء محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله و
قول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما
سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله تع وان يكون بمعنى

الثبات والصدق وبعضه قول الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك ويتمارون ويتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرا علي ابن ابي طالب عم تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان يكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستار وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكائية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان يشهد عليهم الملئكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لا يوصف الله تع بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جديرتان بتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهدد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم او قع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد من الضلال المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عنه فقال حين كان يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحق وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا جميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تع بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان

او صديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله تع هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه ولا يا ابتا لكون الالف بدلا عن الواو والساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن متنصحا في ذلك بنصيحة ربه تعالى حدثنا ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اوحى الله الى ابرهيم عم انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة قدسي وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تع ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان يكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس وشعور فلا يسمع يا عابده ذكرك وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عم لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا فاما في ما لا يسمع وما لم ياتك فيجوز ان يكون موصولة وموصوفة

والمفعول فى لا يسمع ولا يبصر منسى غير منوى كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون
فى موضع المصدر اى شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثانى ان يكون مفعولا به من
قولهم اغن عنى وجهك قد جاء فى فيه تجدد العلم عنده لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه
بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات قال اراغب انت عن آلهتى يا ابرهيم لئن
لم تنته لارجمنك واهجرني مليا اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل
يا ابت بيا بنى وقدم الخبر على المبتداء فى قوله اراغب انت عن آلهتى لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه
ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغى ان يرغب عنها احد وفى هذا سلوان وثلج لرسول
صلى الله عليه وآله عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلسانى يريد الشتم والذم
منه الرجيم المرمى باللعن او لاقتلنك من رجم الزانى او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمى بالرجام مليا
زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عنى والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان
ملى بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرنى مليا قلت على معطوف عليه محذوف
يدل عليه لارجمنك اى فاحذرنى واهجرنى لان لارجمنك تهديد وتقريع قال سلام عليك ساستغفر
لك ربى انه كان بى حفيا سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغى الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال
هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز له ان يستغفر
للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهى الشرعية على الكفار
والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما
استغفر له بقوله واغفر لابى انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن به واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذى منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما
القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية
العقل والذى يدل على صحة قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
او مستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا آزر اى ما قال واغفر
لابى الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم ان يخفى البليغ فى الين
والالطاف حفى به وتحفى به واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى ان لا اكون بدعاء
ربى شقيا اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله
عليه وآله الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذى حكاه
الله فى سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم فى قوله عسى الا اكون بدعاء ربى شقيا مع التواضع لله فى
كلمة عسى وما فيه من هضم النفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا من رحمتنا هى النبوة عن الحسن وعن الكلبى
المال والولد وتكون عامة فى كل خير دينى ودنياوى اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد

باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية قال انى اتتنى لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم
وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم
وقال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته
فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اثنى عليه واعلى ذكره واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا
المخلص بالكسر الذى اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذى اخلصه الله
الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى ينبئ عن الله تعالى وان لم يكن معه كتاب كيوشع وناديناه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الايمن من اليمين اى من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور
او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابى العالية قربه حتى سمع
صرير القلم الذى كتبت به التورية ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا من رحمتنا من اجل رحمتنا له و
ترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما فى قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون
عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته
كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ذكر اسمعيل
عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا فى غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم والاواه
والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره فى مكان فانتظره
سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وكان
يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا كان يبدا باهله فى الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم
قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم و
اهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الدينى اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة و
غيرهم لان امم النبيين فى عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب
والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط فى ذلك واذكر فى الكتاب ادريس انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا قيل سمى ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو
غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه
من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمى وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز
ان يكون معنى ادريس فى تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوى مشتقا من الدرس المكان العلى
شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم و
الحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء
الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شئ اعلى من الجنة وعن النابغة
الجعدى انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وآله الشعر الذى آخره شعر بلغنا السماء مجدنا وسناءنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك
الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل

بلغ

وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تع في اخر السورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبر الاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرا آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي عم في قوله واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال شعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا قرئ تدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا تظلمون البتة اي شيا من الظلم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العلم لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غايبة عنهم غير حاضرة او هم غايبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به وقيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها

لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اللغو فضول الكلام وما لا طايل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب ولا يسمعون فيها الا قولا سلاما يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الكلام لولا ما فيه من فايدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي عادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نورث وقرئ نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال الموروث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقويهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وما نتنزل حكاية قول جبرئيل عليه الصلوة والسلام حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وآله روى انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبرئيل قال له النبي عم ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الآية وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به وياذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما

احتباس الوحى فلم يكن عن ترك الله لك و توديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اى وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف فى اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وماكان ربك نسيا ناسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وآله فحين عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج وما يتنزل الا على الحكاية عن جبرئيل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف فى النسي مثله فى البغى رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اى هو رب السموات والارض فاعبده كقوله وقايلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وماكان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدى اصطبر بعلى التى هى صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضيق عن القاعدات من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اى لم يسم شئ بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسى كلهم وكلهم غير قايلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق شعر فسيف بنى عبس وقد ضربوا به نبا بيدى ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى بنى عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قايم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطى معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة فى يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما فى اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا فى ذلك اى ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشاة

الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التى تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشاتان لا يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر فى مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا فى نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفى حرف ابى يتذكر من قبل من قبل الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا فى اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وآله تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض فى قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو فى والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع وهو بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسى على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء فى الحشر كما عزلوا عنهم فى الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم فى المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التى نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فيزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التى كانوا عليها فى الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة فى مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثى اهلها على الركب لما فى ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر التى كانوا لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا فى الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا المراد بالشيعة وهى فعلة كفرقة وفية الطايفة التى شاعت اى تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغى والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم فى النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلى من بين ساير الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب وقوله وليحملن اثقالهم وقرا طلحة ايهم اشد بالنصب وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او تتعلقان بافعل اى عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ

حتما مقضيا وان منكم التفات الى الانسان تعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير
التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن
ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى رواية عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك
فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي
خامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها و
واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط
ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد و
ان تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وآله
الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار
خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا
على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**
قرئ ننجي وننجي وينجي على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي
الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود
وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء من ثم اي هناك وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان
المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين **واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا** بينات مرتلات
او يبين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون
حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك
ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع و
الندي المجلس ومجمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل
ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون و
يتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم
احسن اثاثا ورئيا** كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم
لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية
الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي **شعر**
تقادم العهد من ام الوليد بنا ✽ دهرا وصار اثاث البيت خرثيا ✽ قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة
فعل بمعنى مفعول من رأيت وريئا على القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو
النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف الهمزة

والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى
احسن من هؤلاء **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له
في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال
له يوم القيمة او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وكقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومن كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حيوته **حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا** في هذه الآية وجهان احدهما ان يكون متصلة بالآية التي هي رابعتها
والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي
والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا
وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان
لاصق بهم لعلم الله بان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم
الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله للمؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها **فان
قلت** حتى هذه ما هي **قلت** هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا رأوا ما يوعدون
فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس
الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا** يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر
تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين
هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس
لهذا الامر مرد وهل يرد بكاي زندا **فان قلت** كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخرهم ثوابا حتى تجعل ثواب الصالحات
خيرا منه **قلت** كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله ✽ شجعاء جرتها الذميل تلوكه ✽
اصلا اذا راح المطي غراثا ✽ وقوله ع تحية بينهم ضرب وجيع ✽ ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم
الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار **فان قلت** فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه
**قلت** هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده **افرايت الذي
كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا** لما كانت مشاهدة الاشياء
ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة
معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع
الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى اعلاه وطلع الثنية قال جرير ✽ لاقيت مطلع الجبال وعورا ✽ ويقولون مر
مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى
الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين

الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وِلدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وايل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ **كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا** كلا ردع وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تع ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله ع اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر فجرد هيهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن ابي طالب عم ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله تع نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه **ونرثه ما يقول ويأتينا فردا** ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله تع هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله تع ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قايل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نوته ما تمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين ياتي ثم يتفاوتون بعد ذلك **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا** اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا** كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراي والاعتقاد كلا ولقايل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تع واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تع ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل

والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم يعني اي من اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله صلى الله عليه وآله وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها **الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا** الاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الآيات التي ذكر فيها عتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون الا ساعة من نهار وعن ابن عباس انه كان اذا قراها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد **يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا** نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف واذكر يوم نحشر ويجوز ان يكون منصوبا بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي عليه السلام ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال شعر ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون **لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا** الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل وعلى الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وآله قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان لا تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين

لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها وتعضده مواضع فى التنزيل وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا قرئ إدًّا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإدّ والأدّ العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم علىّ إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدًّا ان دعوا للرحمن ولدًا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدًا تكاد قراءة الكسائى ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا ابن مسعود ينصدعن اى تهد هدًّا او مهدودة او مفعول له اى لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة فى الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله تع يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تفوه بها لولا حلمى ووقارى وانى لا اعجل بالعقوبة كما قال الله تع ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثانى ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر فى المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفى قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا فى ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه كقوله على حالة لو ان فى القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اى هدًّا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدًّا اى هدها دعاء الولد للرحمن وفى اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعى بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين فاختصر على احدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ما فى قوله صلى الله عليه وآله من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا ابنى نهشل لا ندعى لاب اى لا ننتسب اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اى ما يتاتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال فى استحالتها واما التبنى فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم تعالى جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب فى قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعنى حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا فى الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثانى اشراك الذين زعموهم لله اولادا فى عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو ياتى الرحمن اى يأوى اليه ويلتجى الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعى لنفسه

---

ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون فى ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شئ من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا قرا جناح بن حبيش ودًّا بالكسر والمعنى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف فى قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المومنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الله الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عم يا على قل اللهم اجعل لى عهدا واجعل لى فى صدور المومنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعنى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صم اذا احب الله عبدا يقول الله تعالى يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة فى الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدًّا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اى بلغتك وهو اللسان العربى المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون فى كل لديد اى فى كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرا حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفى ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعى لله فى الدنيا وبعدد من لم يدع الله سورة طه مكية وهى مائة وثلثون واربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبى صلى الله عليه وآله كان تقوم فى تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت فى يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطرى الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طه فى لغة عك فى معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا فى يا هذا كانهم فى لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا فى يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وان الصنعة ظاهرة لا يخفى فى البيت المستشهد به ان السفاهة طاها فى خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلثة فى الفواتح اعنى التى قدمتها فى اول الكاشف عن حقائق التنزيل هى التى يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسماء للسورة احتمل ان يكون خبرا عنها وهى فى موضع المبتداء والقرآن اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهى قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تاسفك

مستقيين اى الخالقية والمالكية ٥ طب قوله وان كان اشرح آه اى استوى على الوسع ٥٥

عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجئ فى معنى التعب ومنه المثل اتعب من
رائض مهر واشقى من رائض مهر اى ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط فى
اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان اباجهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقى لانك تركت دين ابائك فاريد
رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب فى درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها وروى انه عليه السلام والصلوة صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبرئيل ابق على نفسك فان لها
عليك حقا اى ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة
وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شرائط
الانتصاب على المفعولية والثانى جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط فان قلت اما يجوز ان يقول ما
انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة فى واختار موسى قومه
واما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التى هى اصول وقوانين لغيرها فان قلت
هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا
فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا القرآن اليك لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام
ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى
هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤل امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر
ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى فى نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة
اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشئ لا يعلل بنفسه وان نصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه
الا تذكرة انزلناه تذكرة وان نصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اى انزله الله تذكرة لمن يخشى
تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتداء محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء
الحسنى تفخيم وتعظيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه
فيقع له صلة له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت فما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت
غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما تعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت
مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات
العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبرئيل والملائكة النازلين
معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها الرحمن على العرش
استوى قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن
واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التى هى على العرش استوى ما محلها اذا جررت
الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهى خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك و
ان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا ولما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية
عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته
فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان
مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم تبسط

قوله او اذا وجد الهداة آه قال الطيبى يريد انه اطلق الهدى واريد الهداة اطلاقا للازم على الملزوم ووضعا للمعنى موضع العامل به قيل لو كان

يده قط بالنوال او لم يكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله تعالى
وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل بل يداه مبسوطتان اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير
بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام له ما فى السموات وما فى
الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ما تحت الثرى ما تحت سبع
الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة اى يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك وما اسررته فى نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان
اخفى فعل يعنى انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس
بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك
فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد
ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها
الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذى فضلت به اسماؤه
فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى
الحسن وهل اتيك حديث موسى قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر
على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا
لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اى حين رأى نارا
كان كيت وكيت ومفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية
مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت
ليلة جمعة امكثوا اقيموا فى مكانكم الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به
الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا
متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر
فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة
فى راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما تقتبس فيه من شعفة او نحوها هدى اى قوما
يهدوننى الطريق او ينفعوننى بهداهم فى ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة
الدينية فى جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او ذا وجد الهداة فقد وجد الهدى
ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت
بزيد انه لصوق بمكان تقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا
كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها نودى يا موسى
انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى قرأ ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى
بانى انا ربك وكسر الباقون اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير
الضمير فى انى انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال
من المتكلم فقال الله تعالى انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه

مظلمة
مكانكم
لا يستيقن
به

كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست واسمعه بجميع اعضائى وروى انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس فى نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريفا لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادى طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد كرة **وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى** اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكرى لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا واللام فى مثل قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تع يا ليتنى قدمت لحيوتى وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له تقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اى لذكر صلوتى او لان الذكر والنسيان من الله تعالى فى الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله للذكرى اى اكاد اخفيها فلا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذى غرهم منه اى فى مصحف ابى اكاد اخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسى فكيف اظهركم عليها وعن ابى الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهاره كقوله اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس شعر فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** اى لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة **فان قلت** العبارة لنهى من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث وامره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود **قلت** فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى ان صد الكافر مسبب عن رخاوة

الرجل فى الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا اريتك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه وكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع فى صدك عما انت عليه يعنى ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفى هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله **وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكؤا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى** تلك اسم موصول صلته بيمينك تلك بيمينك كقوله وهذا بعلى شيخا فى انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله ليريه عظم ما يخترعه تعالى فى الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هى فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هى تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد قرأ ابن ابى اسحق عصى على لغة هذيل ومثله يا بشرى ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن عصاى بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخى وعن ابن ابى اسحاق بسكون الياء اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة هش الورق خبطه اى اخبطه على رؤس غنمى تأكله وعن لقمن بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطايف كثير السدر وفى قراءة النخعى اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين اى انحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم وذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذى فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد تعالى ان يعدد المرافق الكثيرة التى علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد فى اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام **قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى** السعى المشى بسرعة وخفة حركة **فان قلت** كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان **قلت** اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفى ذلك وجهان احدهما

على الثالثة فالكبرى هي المفعول الثاني ومن على نحو قولك الافضل من بني تميم عندي جاز ان تكون للتبعيض وللابتداء واما للبيان فلا

انما كانت وقت انقلابها حية صفراء دقيقة ثم يتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى لما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير ع وعادك ان تلاقيها عداء ٤ فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قيل لكل ناحيتين جناحان لجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت لي في قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة





فينعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسن بن علي رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم منه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا الوزر من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا لقولهم عشير ونديم وجليس وقعيد وخليل وصديق فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهو هرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرا وجميعا اشدد واشركه في الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به ازري خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين وبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه الضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف

والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون
الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشية الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم كانه
الوصول به الى الساحل والقاؤه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر
ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روى انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وخصصته و
قيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت
فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها واحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ
على ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا ان
يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة مني لا يخلو اما ان يتعلق
بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة
اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك
روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربي و
تحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني
انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه
او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع
بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني العامل في اذ تمشي القيت ولتصنع ويجوز ان يكون بدلا
من اذ اوحينا **فان قلت** كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان **قلت** كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد
طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها
يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة
فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه
وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا
من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان
ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور
وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال
سعيد بن جبير ابن عباس عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة
يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه
في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب انه لبث
عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك و
استنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار
من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تفترا
ولا تزلا منكما على ذكري حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين
ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على ساير العبادات و

وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله اوحى الى هرون وهو بمصر ان
تلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى** قرئ لينا بالتخفيف
والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز
العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين
موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل
كنياه وهو من اهل ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما و
باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه و
جدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى
ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة **قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى** فرط
سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة و
يبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من
شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين
حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قوم فرعون وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول
بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته و
عتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة **قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى**
معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما
فجاز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجاز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان
الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو **فأتياه فقولا انا رسولا ربك
فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد
اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى** كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال
الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك بآية
من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها
التي هي المجيء بالآية انما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال
قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بها ان كنت من
الصادقين او لو جئتك بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة
النار والعذاب على المكذبين **قال فمن ربكما يا موسى** خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل
في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه على دعارته ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه
لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد
يبين **قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى** خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون

اليه ويرتفقون بما وتابيهما اى اعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة كما اعطى العين الهيئة واليد والرجل واللسان كل واحد منهما مطابقا لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة زوجين والرجل والمراة فلم يزاوج منهما شئ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اى كل شئ خلقه الله لم يخله من عطايره وانعامه ثم هدى اى عرف كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله دره هذا الجواب ما احضره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ساله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقى منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا السؤال سؤال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشئ اذا اخطاته فى مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول فى سوالف القرون وتمادى كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وبالجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوزان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اى لا يضل كما تضل ولا ينسى كما تنسى يا مدعى الربوبية بالجهل والوقاحة الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى الذى جعل مرفوع صفة لربى او خبر مبتداء محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا قراءة اهل الكوفة اى مهدها مهدا او يتمهدونها فهى لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبى سلك من قوله تعالى ما سلككم فى سقر سلكناه نسلكه فى قلوب المجرمين اى حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شئ على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمى به النابت كما سمى بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعنى انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته تعالى ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى اى قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير فى فاخرجنا المعنى واخرجنا اصناف النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقوله كلوا الاية كناية عن اباحة الانتفاع بها اطلاقا اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عم منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة

معا واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه واله تمسحوا بالارض فانها بكم برة ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى اريناه بصرناه او عرفناه صحتها وتيقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفى قوله اياتنا كلها وجهان احدهما ان تحذى بهذا التعريف الاضافى حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعنى انها كانت لا تعطى الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التى هى تسع ايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثانى ان يكون موسى قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبى صادق ولا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو الموعد فى قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان تجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا فى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرئ يوم الزينة بالنصب فبقى ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتداء بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم وقرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم

منونًا وغير منونٍ ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوٍ
لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان اجرى الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا
فرعون وان تحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى تخاطب بها الملوك او
خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل تحشر لفرعون ومحل ان تحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى المجمع الغاص لتقوى رغبة
من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم فى كل بدو وحضر ويشيع فى
جميع اهل الوبر والمدر **فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب وقد خاب من افترى** لا تفتروا على الله كذبا اى لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز
والاسحات لغة اهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق ع الا مسحتا او مجلف فى بيت لا تزال الركب تصطك فى
تسوية اعرابه **فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم المثلى** عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان
كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا
اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس
عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على
قولك ان زيد لمنطلق واللام هى الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقرئ ابى ان ذان الا ساحران وقرا
ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران
هى لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التى آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب
وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب
به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل اهل طريقتكم المثلى و
هم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم
يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه **فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من
استعلى** فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اى ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا
يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب فى صدور الرائين وروى انهم كانوا سبعين
الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابى عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون
فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ايتوا مصلى من
المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعنى وقد فاز من غلب **قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون
اول من القى** ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او
الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة
من انفسهم وكان الله تع الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب
حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق
على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين

**قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى** يقال فى اذا هذه اذا المفاجاة و
التحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت فى بعض المواضع بان يكون
ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تع فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا
موسى ع وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى وقرئ
عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلى ودلى وقسى وقسى وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصى
وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبنى زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصى مخيلة سعيها
سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه تخيل وتخيل على ان الله تع هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك **فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
انك انت الاعلى** ايجاس الخوف اضمار شىء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك
لطبع الجبلة البشرية انه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك
انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتاكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل **والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح
الساحر حيث اتى فالقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى** وقوله ما فى يمينك ولم يقل
عصاك جائز ان يكون تصغيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك
فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اى لا تحتفل بهذه الاجرام
الكبيرة الكثيرة فان فى يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شىء وانزره عندها فالقه يتلقفها
باذن الله تع ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اى القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف
صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تع تلقف ما يافكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما
موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذى سحر او ذوى سحر او هم لتوغلهم فى سحرهم كانهم السحر
بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **فان قلت**
لم وحد ساحرا ولم يجمع **قلت** لان القصد فى هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل
ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس **فان قلت** فلم نكر اولا وعرف ثانيا **قلت**
انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره فى نفسه كقول العجاج ع فى سعى دنيا طالما قد مدت وفى حديث
عمر لا فى امر دنيا ولا فى امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحرى وفى سعى دنيوى وامر دنيوى
واخروى حينئذ لقولهم حيث سير واية سلك وانما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم
وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروى انهم
لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلهما وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله فى سجودهم منازلهم
التى يصيرون اليها فى الجنة **قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم
السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن اينا
اشد عذابا وابقى** لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة فى صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم
امرنى كبيرى وقال لى كبيرى لذى يريدون معلمهم واستاذهم فى القرآن وفى كل شىء قرئ لاقطعن ولاصلبن

بالتخفيف والقطع من خلاف أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا
يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو
لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا
فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل
أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله
كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بأنواع
العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قالوا
لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم
وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه
مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي أن السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من
القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه
تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فأبى فرعون إلا أن يعارضوه إنه من يأت ربه مجرما فإن
له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات
عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تزكى تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس
قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية ولقد أوحينا إلى
موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من
قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم
والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس
من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف الواحد تأكيدا كقوله ومعا جياعا جعله
لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ أبو حيوة دركا بالسكون
والدرك والدرك اسمان من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى إذا قرئ لا تخف
ثلاثة أوجه أن يستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة
عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا
وأن يكون مثل قوله كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون
قومه وما هدى ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا
يعلم كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم إما الله تعالى أو ما غشاهم
أو فرعون لأنه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
يا بني إسرائيل خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله



عليه وآله من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الأول أي قلنا يا بني إسرائيل وحذف القول كثير في القرآن
وقرئ أنجيتكم إلى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الأيمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في
نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى عم من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الألواح وإنما عدى المواعدة
إليهم لأنها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما أفاض
عليهم من سائر نعمه وأرزاقه طغيانهم أن يتعدوا حدود الله فيها بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها
وأن ينفقوها في المعاصي وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا في إنفاقها وأن يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ
فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى
حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوبته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك وأصله
يسقط من جبل فيهلك قالت ع هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت أمه أو سقط سقوطا
لا نهوض بعده وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور
وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين
المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير
نفسه لأنها أعلى منها وأفضل وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى
وما أعجلك أي شيء عجل بك عنهم على سبيل الإنكار وكان قد مضى مع النقباء إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم
شوقا إلى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب إلى رضى الله وزل عنه أنه ما وقت أفعاله إلا
نظرا إلى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه
وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم أولاء على أثري وعن أبي عمرو ويعقوب إثري بالكسر وعن
عيسى بن عمر أثري بالضم وعنه أيضا أولى بالقصر والأثر أفصح من الإثر وأما الأثر فمسموع في فرند السيف مدون
في الأصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الأثر غريب فإن قلت ما أعجلك سؤال عن سبب العجلة وكان الذي
ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق إلى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثري
كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين أحدهما إنكار العجلة في نفسها والثاني
السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما
أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني إلا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من
سبقته إلا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت
إليك رب لترضى ولقائل أن يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فأذهله ذلك عن الجواب المنطبق
المرتب في حدود الكلام قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا
أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا فإن
قلت في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان
أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه إنا قد فتنا قومك قلت قد أخبر
الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته وافترص السامري غيبته فعزم على إضلالهم
غب انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وقرئ وأضلهم السامري أي وهو أشدهم ضلالا

لا تر ضلّ وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم
في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الغضب الشديد ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في موت
الفجاة رحمة للمومنين واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت بعد ما استوفى الاربعين
ذا القعدة وعشر ذي الحجة قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدهم الله تعالى ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن
من ذلك واجمل حكى لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد
مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له
خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى وعدوه ان تقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا
موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا السامري وكيده اي حملنا احمالا
من حلي القبط استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا في حكم المستامنين في دار
الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي او
قدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حُمّلنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا
وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا
صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل
فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يوثر الله روح القدس بهذه الكرامة الخاصة
كما اثر غيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء
عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع فان قلت فلم خلق الله العجل من
الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق
ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري
على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري
اي ترك ماكان عليه من الايمان الظاهر يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى
انها الناصبة للافعال ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني و
اطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم
اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون
عليه السلام بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت
امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي قال فما خطبك يا سامري لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي





وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لا تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او مالك لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح
اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله على نبينا وعليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب
في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما راوا
من الآيات العظام ان القى الواح التورية لما غلب على ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية
وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر
وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي
برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك
والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال
بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب
فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت
لما لم تفطنوا له قرا الحسن قُبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض و
اطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد
بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء لجميع الفم والقاف بمقدمه وقرا ابن مسعود
من اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب الى
الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشانا فقبض
القبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله
لم يعرف انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق
ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش
من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن
فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة
وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض
ينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ
لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى شعر اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى و
اخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله تعالى كما مر في لاهب
لك ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه
ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه
انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب
عليه السلام لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار
سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما

قرا طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش الكريم وسع كل شئ علما وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهان
وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل واما علما فانتصابه على التمييز وهو فى المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية
الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل فى المعنى كما يقول فى خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل
ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه
يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا الكاف فى كذلك منصوب المحل وهذا
موعد من الله تعالى لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من
ساير اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى
دينه بصيرة ويتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم وفيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد
هلك يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرى يحمل جمع خالدين
على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير فى اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تع
ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اى فى ذلك الوزر او فى احتماله ساء فى حكم بئس والضمير
الذى فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا
وزرهم كما حذف فى قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذى هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا
اى وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام فى لهم ما هى وبم يتعلق قلت هى للبيان كما فى هيت لك فان قلت
ما انكرت ان يكون فى ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شئ بعينه غير مبهم فان قلت
فلا يكن ساء الذى حكمه حكم بئس ولكن ساء الذى منه قوله تع سيئت وجوه الذين بمعنى اهم واحزن قلت
كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزنا الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة
هذه اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم
الا عشرا اسند النفخ الى الآمر فيمن قرا ننفخ بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التى هم
بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرى ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ
ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرى
فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى انه
القرن وقيل فى الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شئ من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم
زرق العيون ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثانى ان المراد العمى
لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم
فى الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر
لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء
ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد
يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح الله قول من يكون

اشد تقالا منهم فى قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحو قوله تع قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله تع ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم
البعث ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اى فيذر مقارها ومراكزها
او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج
والعوج فقالوا العوج بالكسر فى المعانى والعوج بالفتح فى الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج عنها على ابلغ ما
يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة
واتفقتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت راى المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسى فنفى الله
تعالى ذلك العوج الذى دق ولطف على الادراك اللهم الا بالقياس الذى يعرفه صاحب التقدير و
الهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر
الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الا
صوات للرحمن فلا تسمع الا همسا اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال فى قوله يومئذ اى يوم اذ نسفت و
يجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعى الى المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس
يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من
غير انحراف متبعين لصوته او خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفى
ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اى لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا من يصلح ان يكون
مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة
من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضى له لاجله اى اذن للشافع ورضى قوله لاجله
ونحو هذه اللام فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما اى يعلم ما تقدمهم من
الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم
القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اى ذليلة خاشعة وقيل وجوه العتاة
وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد
وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق
اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوا
يخسرون اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرى فلا يخف على النهى وكذلك انزلناه

قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وكذلك عطف على
كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا هذه الايات المضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة
مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي وفعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على
الطاعة والعبادة وقرئ نحدث ونحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في
فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه و
قل رب زدني علما فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما تصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده
ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن
وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك
ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل
به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منزلا مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن
للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي
فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز
اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم
قسما لقد امرنا اباهم آدم ع ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من
قبل وجودهم ومن قبل ان يتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد
كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز
ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس
حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي
اي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل
والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم الا ابليس ابى اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته
اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده
حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق
عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى معهم عبادتهم
فلما امروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية
اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان
وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة قلت عمل على
حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة
لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك

ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها
ولا تضحى فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد
اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر
الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب
براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ وانك
بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق و
الواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن
كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري و
الكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية
كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ و
الضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فوسوس
اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فان قلت كيف عدي وسوس
تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب و
وقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر
والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي شعر وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله شعر
اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف
الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي و
ملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي ع وابن عباس الا ان تكونا ملكين بالكسر فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ و
انشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر
وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي
يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما و
قيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس لا شبهة
في ان آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون
رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق و
بهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما تعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف
بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كاملة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب
الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا
بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل
وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنى وبقى وهم بنو طيء تفسير خبيث
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه

اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله تعالى واذا لم تاتهم باية قالوا
لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت
نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى لما كان آدم
وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشاوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم
فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة
وعن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى
عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الضنك
مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل
على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة
والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض
يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته
وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو
الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا
لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر
اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينك وكذلك
نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين
المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر
على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا افلم يهد
لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى فاعل لم يهد الجملة بعده
يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا
عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان
قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزاما واجل مسمى الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط

لزومه

لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف
النهار لعلك ترضى بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد
بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس
يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها و
تعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لهما بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب
وهدو الرجل والخلو بالرب قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال امن هو قانت آناء
الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد و
اشق وللبدن اتعب وانصب وكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل
صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع و
انما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه الامن من الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجي الامرين
في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل
للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به نفسك ويسر قلبك
وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد
يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولو العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل
صالحا وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف و
لما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطبائع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه
قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب
غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز
ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت
علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى
اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي
زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة
وقرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون
وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في
الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك

هو ما ادّخر له من ثواب الآخرة الذي هو منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لانّ اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لانّ الله لا ينسب الى نفسه الا ما حلّ وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدّنّ عينيك **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** وأمر اهلك بالصلوة اي وأقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتمّ بامر الرزق والمعيشة فانّ رزقك مكفيّ من عندنا ونحن رازقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرّغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرا ولا تمدّنّ عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلّوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية **وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى** اقترحوا على عادتهم في التعنّت آية على النبوة فقيل لهم اولم تأتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل انّ القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى** ذكّر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل وقرئ نُذَلّ ونُخزى على لفظ ما لم يسمّ فاعله **قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى** كلّ اي كل واحد منا ومنكم متربّص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء والسوءى والسوى تصغير السوء وقرئ فتمتّعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

**سورة الانبياء عليهم السلام مكية وهي مائة واثنا عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم**

**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** هذه اللام لا تخلو من ان يكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك أزف للحيّ رحيلهم الاصل أزف رحيل الحيّ ثم أزف للحيّ الرحيل ثم أزف للحيّ رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنّى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق **فان قلت** كيف وصف بالاقتراب وقد عدّت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام **قلت** هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وانّ يوما عند ربك كالف سنة مما تعدّون ولانّ كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقّبه



قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال صلى الله عليه واله بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولّت الدنيا حذّاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس انّ المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه وللدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبّهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا وسدّوا اسماعهم ونفروا وقرّر اعراضهم عن تنبيه المنبّه وايقاظ الموقظ بان الله يجدّد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرّر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجدّ الجدّ الا لعبا وتلهّيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدثٌ بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ لاهيةٌ بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم **فان قلت** النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسرّوا النجوى **قلت** معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسرّوا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسرّوا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره اسرّوا النجوى قدّم عليه والمعنى وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسرّوا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر وكذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر **فان قلت** لم اسرّوا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه **قلت** كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طيّ سرّهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسرّوا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدّعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا **قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** **فان قلت** هلّا قيل يعلم السرّ لقوله واسرّوا النجوى **قلت** القول عام يشمل السرّ والجهر فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السرّ كما ان قوله يعلم السرّ آكد من ان يقول يعلم سرّهم ثم بيّن ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية **فان قلت** فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السرّ في السموات والارض **قلت** ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالتوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتنّ الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على انّ اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدّم

ههنا انهم اسرّوا النجوى فكانه اراد ان يقول انّ ربّي يعلم ما اسرّوه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثمّ قصد وصف ذاته بان انزله الذى يعلم السرّ فى السموات والارض فهو كقوله علّام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرّة فى وقرئ قال ربّى حكاية لقول الله صلى الله عليه وسلم لهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاوّلون اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثمّ الى انه كلام مفترى من عنده ثمّ الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحيّر رجّاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم فى درج الفساد وانّ قولهم الثانى افسد من الاوّل والثالث افسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث صحّة التشبيه فى قوله كما ارسل الاوّلون من حيث انه فى معنى كما اتى الاوّلون بالآيات لانّ ارسال الرسل متضمّن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمّد وبين قولك اتى محمّد بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلمّا جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلّموهم انّ رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانّما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ولتسمعنّ من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير طاعمين ووحّد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوى ضرب من الاجساد وهذا ردّ لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام فان قلت نعم قد ردّ انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا ردّ من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلّا كان ملكا لا يطعم ويخلد امّا معتقدين انّ الملائكة لا يموتون او مسمّين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتدّ خلودا ثمّ صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل فى الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقنى سنّ بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن فى بقائهم مصلحة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانّه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التى كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لانّ القصم افظع الكسر وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لانّ المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور وهى وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفى الحديث كفّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله اليهم نبيّا فقتلوه فسلّط الله عليهم بختنصّر كما سلّطه على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى انه لمّا اخذتهم السيوف ونادى منادٍ من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعلّ ابن عباس ذكر حضورا بانها احدى القرى التى ارادها الله بهذه الآية فلمّا احسّوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنّا ظالمين فلمّا علموا شدّة عذابنا وبطشتنا علم حسّ ومشاهدة لم يشكّوا

فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابّة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابّهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لمّا ادركتهم مقدّمة العذاب ويجوز ان يشبّهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابّهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثمّ من المؤمنين او يجعلون خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله ربّ العزّة ويسمعه ملائكته لينفعهم فى دينهم او يلهمهم ذلك فيحدّثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهى الترفه لعلكم تسئلون تهكّم بهم وتوبيخ اى ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عمّا جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتّبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتى ونذر كعادة المنعمين المخدّمين او يسألكم الناس فى انديتكم المعاون فى نوازل الخطوب ويستشيرونكم فى المهمّات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافد عليكم والطمّاع ويستمطرون سحائب اكفّكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم امّا لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكّما وتوبيخا الى توبيخ فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعويهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعويهم ان الحمد لله ربّ العالمين فان قلت لم سمّيت دعوى قلت لانّ المولول كانه يدعو الويل فيقول له تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما وخبرا وكذلك دعويهم الحصيد الزرع المحصود اى جعلناهم مثل الحصيد شبّههم به فى استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اى مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذى كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا له خبرين فلمّا دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لانّ معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اى وما سوّينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلايق مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما يسوّى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير زخارفهم للّهو واللعب وانّما سوّيناها للفوايد الدينيّة والحكم الربّانيّة لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلّق لهم بها من المنافع التى لا تعدّ والمرافق التى لا تحصى لو اردنا ان نتّخذ لهوا لاتّخذناه من لدنّا ان كنّا فاعلين ثمّ بيّن انّ السبب فى ترك اتّخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالى هو انّ الحكمة صارفة عنه والّا فانا قادر على اتّخاذه ان كنت فاعلا لانى على كلّ شئ قدير وقوله لاتّخذناه من لدنّا كقوله رزقا من لدنّا اى من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنّا من الملائكة لا من الانس ردّا لولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون بل اضراب عن اتّخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتّخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجدّ وندحض الباطل بالحقّ واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثمّ قال ولكم الويل

مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم
والحق بالحجاز فأستريحا وقرئ فيدمغه وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون من عنده هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون
لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت الاستحسار
مبالغة في الحسور وكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور قلت في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية
الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم
لا يتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل
والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض هم ينشرون الموتى ولعمري
أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون
ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله تعالى بأنه خالق السموات والأرض
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين
البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم فكيف
يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا قلت الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها
الإنشار لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل شيء والإنشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم و
التوبيخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار
على الإبداء والإعادة ونحو قوله من الأرض قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها
إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك
حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم
منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لا إثبات السماء مكانا لله تعالى ويجوز أن يراد آلهة من جنس
الأرض لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم
قلت النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم وقرأ
الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما
يصفون وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لأن
لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله ولا يلتفت منكم أحد إلا
امرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير
الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا والثاني أن
لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله فان قلت لم وجب الأمران قلت لعلمنا أن الرعية تفسد
بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد
الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهو ظاهر وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها
تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون لما كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في ملكهم عن أفعالهم وعما يوردون

ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك
الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله
مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبيح وهم يسألون أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون
فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم
واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله بأن له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي
فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي
عنه متوعد عليه فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته وذكر للذين قبلي يريد أمم الأنبياء
وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو
الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي من
معي ومن قبلي على الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد
وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كأنه قيل بل عندهم ما هو
أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك
ورد هذا الإنكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل
هو الحق لا الباطل ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما يقول هذا عند الله الحق لا الباطل وما أرسلنا
من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة
لما سبقها من آي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بأمره يعملون نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد و
العبودية تنافي الولادة إلا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات
ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقوله
فأنيب اللام مناب الإضافة أي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما أن قولهم تابع لقوله
فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم
عليه فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا
إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم إنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون
أي متوقعون من أمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله
أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعال
السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل
الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع

والاقمار وبعضهم يوهم انه من باب التغليب حتى تشمل سائر السيارة وجعل التكاثر لتكاثر المطالع وجها آخر ثم قوله كل يوم وليلة متعلق بالطوالع

امر الشرك وتعظيم شان التوحيد اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون قرئ لم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما فى معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صلح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اى كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما وكانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها وقيل فتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل فى المضمر نحو ما فعل فى المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد فى القرآن الذي هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثانى ان تلاصق الارض والسما وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد واثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا النحو من فى قوله صلى الله عليه وآله ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثانى والظرف لغو وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون اى كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما يزاد لذلك فى نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع فان قلت فى الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما فى قوله تع لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله ع لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثانى بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان تقع على الارض وتتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة عن آياتها اى عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وساير النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واى جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم تذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظم شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة فى الدلالة على الجنس اى هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى كلهم فى فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعهما وهو السبب فى جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه



السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وكانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد بشرا فى الدنيا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هولاء وفى معناه قول القائل شعر فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلاء وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تع سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون ولا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة فى موضع الحال اى يتخذونك هزوا وهم على حال هى اصل الهزؤ والسخرية وهى الكفر بالله خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل تنبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان من عجل لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اى حين

لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم اى لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون يقال للمغلوب فى المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب برهم الكافر وقرا الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد والحين فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث فى هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه فى معنى النار وهى التى وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه فى معنى الساعة او الى البغتة وقيل فى القراءة الاولى الضمير للساعة والظاهر انها للنار على ما يقتضيه سياق الآية وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظارهم وامهاله وتفسيح وقت التذكير عليهم اى لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون سلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الاستهزاء به بان له فى الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون من الرحمن من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطر ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اعرض عن ذلك بما فى ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اى فائدة فى قوله نأتى الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدى المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قل انما انذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالياء والتاء اى لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسد اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ولئن مسهم من هذا الذى ينذرون به ادنى شئ لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفى المس والنفحة ثلث مبالغات لان النفح فى معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها فى انفسها قسط او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام فى ليوم القيمة مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة شعر

ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع

وقيل لاهل يوم القيمة اى لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثانى انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم افاق فقال يا الهى من ذا الذى يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة فان قلت كيف يوزن الاعمال وانما هى اعراض قلت فيه قولان احدهما يوزن صحائف الاعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهى مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها من الثواب وفى حرف ابى جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اى آتيناهما الفرقان وهو التورية وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه فى نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه فى دينهم ومصالحهم او الشرف الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له رشدا له شأن من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك فى خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغابن ليحقر آلهتهم ويصغر شانهم مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التى هى على قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شئ وجادون فى نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين انتم من التاكيد الذى لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو فى حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح

... وهذا بيّن مكشوف وحاصل الوجه الثاني انّ الاسناد مجازي

والملاعبة لا على طريق الجدّ فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جدّ وحقّ ام لعب وهزل قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ الضمير في فطرهنّ للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما يصحّح الدعوى بالشهادة كانّه قال وانا ابيّن ذلك وابرهن عليه كما تبيّن الدعاوي بالبينات لانّي لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ قرا معاذ بن جبل بالله وقرئ تولّوا بمعنى تتولّوا ويقوّيها قوله فتولّوا عنه مدبرين فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت انّ الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وانّ التاء فيها زيادة معنى وهو التعجّب كانّه تعجّب من تسهّل الكيد على يده وتأتّيه لانّ ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذّره ولعمري انّ مثله صعب متعذّر في كلّ زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوّه واستكباره وقوّة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنّى عقد شيء تيسّرا فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ روي انّ آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفّة وثمّ صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلّها بفاس في يده حتى لم يبق الّا الكبير علّق الفاس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرّا عن قومه وروى سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذّ وهو القطع وقرئ بالفتح والكسر وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذّة وانّما استبقى الكبير لانّه غلب في ظنّه انّهم لا يرجعون الّا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبّه لآلهتهم فيبكّتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلّهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حلّ المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنّه بهم لما جرّب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انّهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وانّ قياس حال من يسجد له ويؤهّله للعبادة ان يرجع اليه في حلّ المشكلات فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فايّ فائدة دينيّة في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبيّن انّه عاجز لا ينفع ولا يضرّ وظهر انّهم في عبادته على جهل عظيم قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ اي انّ من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة امّا لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام وامّا لانّهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وايّ فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الّا انّ الاوّل وهو يذكرهم لا بدّ منه لسمع لانّك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا ممّا سمع وامّا الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل خبر مبتدا محذوف او منادى والصحيح انّه فاعل يقال لانّ المراد الاسم لا المسمّى قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ على اعين الناس في محلّ الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكّن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكّنه منه لعلّهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله او يحضرون عقوبتنا له قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ

روي انّ الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الّا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه انّ قصد ابرهيم صلوات الله على نبيّنا وعليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانّما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجّة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخطّ رشيق وانت شهير بحسن الخطّ أانت كتبت هذا وصاحبك امّيّ لا يحسن الخطّ ولا يقدر الّا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامّيّ او المخرمش لانّ اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفّة مرتّبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشدّ لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانّه هو الذي تسبّب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانّه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فانّ من حقّ من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشدّ منه ويحكى انّه قال فعله كبيرهم هذا غضبا ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع فعلّه كبيرهم يعني فلعلّه اي فلعلّ الفاعل كبيرهم فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ فلمّا القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انّه لمن الظالمين ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثمّ انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وانّ هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارّة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا ممّا بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الّا ما هو حجّة عليهم وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمّي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قراءة رضوان بن عبد المعبود قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ افّ صوت اذا صوّت به علم انّ صاحبه متضجّر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحقّ وزهوق الباطل فتافّف بهم واللام لبيان المتافّف به اي لكم ولآلهتكم هذا التافّف قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ اجمعوا رايهم لمّا غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجّة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحقّ ولم يبق له مفزع الّا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلّى الله عليه وآله حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انّهم حين همّوا باحراقه حبسوه ثمّ بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى انّ كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعنّ حطبا لابرهيم ثمّ اشعلوا نارا عظيمة كاد الطير تحترق في الجوّ من وهجها ثمّ وضعوه في المنجنيق مقيّدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احترقت منه الّا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال امّا اليك فلا قال فسل ربّك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عبّاس انّما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطلّ

عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملايكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح
اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار
لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين
اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم
في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار
في طاوعتها فعل الله وارادته كامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك
كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم
يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي
طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء
قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم
ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وارادوا ان يكيدوه فمكروا به فكانوا
الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين نجيناهما من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء
والشجر والثمر والخصب وطيب العيش للغني والفقير وعن سفين انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه
الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين
ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين النافلة
ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سوال وجعلناهم ايمة يهدون
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين يهدون بامرنا فيه ان
من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول
ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل فعل الخيرات اصله ان يفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة ولوطا آتيناه حكما وعلما حكمة
وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه
الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب
العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين من قبل من قبل هولاء
المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه
والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى و
قرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم



عليه ليحكمن فقال اري ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء
يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت
احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء
اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت اما وجه حكومة داود فلان
الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او
يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان
انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب
الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه
يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه
في شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل وبالنهار الا ان يكون مع البهيمة سايق او قايد و
الشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا
حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال
يسبحن والطير اما معطوف على الجبال او مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها
اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه
وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة
حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين
على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من
باسكم فهل انتم شاكرون اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفايح فاول
من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون
لله عز والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود وللبوس ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض
التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف
على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها
رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين
الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية و
معجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء
كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين
اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المداين والقصور واختراع
الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا
او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
اي ناداه باني مسني الضر وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء

وبالضم الضر في النفس من مرض او هزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السوال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المومنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السوال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن ابرهيم عليهما السلام وقد استنباه الله عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهايم وخمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولدة ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لودعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة **وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد والنون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم فظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرا ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فما اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرا هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى وكانت حالة ممثلة بحال من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المومن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمومنين في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي صلى الله عليه وآله ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالظلم **فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ننجي وننجي وننجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المومنين فاسكن الياء واسنده الى مصدره ونصب المومنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف **وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين** سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقه من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدايم في القلب وقيل متواضعين وسيل الاعمش فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرا الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطي راسه **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين** احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيايه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى الثاني مبتدا والخطاب للناس كافة **وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون** والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظم ما ارتكب هولاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هولاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون** الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطايه اذا قيل لله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي و مثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضايع ومثاب عليه صاحبه **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا او ينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا

ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية
المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك
والقراءة على الفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول حتى اذا فتحت ياجوج و
ماجوج وهم من كل حدب ينسلون فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هي قلت
هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي تحكى بعدها الكلام و
الكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدهما كما حذف
المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس
عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين
يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون
بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا
جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا واقترب
الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين
هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسيره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون
يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ما تعبدون
من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي
ان النبي عليه السلام دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له
النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية
فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله
اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وآله بل هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم
قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من
العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا
لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في
قرن واحد جاز ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافر الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب
المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد
متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون الحسنى
الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا
قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة



في اول خلق او وهو اول خلق وليس فيه ان الموصول خاص بالسماء على هذا الوجه وعلى الاول عام فليس المعنى عليه ولا اللفظ

فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم
الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل
النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله وعن الحسن الانصراف الى النار
وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي يستقبلهم الملائكة مهنئين على
ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء
على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار
للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات
اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله
صلى الله عليه وآله والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي تفسيره نعيده والكاف
مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت
وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم
فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته
ارادة تفصيلهم رجلا رجلا وكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه
آخر وهو ان تنتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق
ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان
قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون عن الشعبي زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من
الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وآله ان في هذا لبلاغا
لقوم عابدين اشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظة البالغة والبلاغ الكفاية
وما تبلغ به البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ارسل رسول الله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين لانه جاء بما
يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اوتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا
غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها
نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان
عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستئصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون
انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية
لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة
على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان
الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية

يصحّ ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى انّ الذى يوحى الىّ فيكون ما موصولة **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ** آذن منقول من اذن اذا علم ولكنّه كثر استعماله فى الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلّزة **شعر** آذنتنا ببينها اسماء والمعنى انّى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كالرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحسّ منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهّر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اى مستوين فى الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلّهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بدّ من ان يلحقكم بذلك الذلّة والصغار وان كنت لا ادرى متى تكون ذلك لانّ الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعّان فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ** وما ادرى لعلّ تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتّع لكم الى حين ليكون ذلك حجّة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة **قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وربّ احكم على الاكتفاء بالكسرة وربّ احكم على الضمّ وربّى احكم على افعل التفضيل وربّى احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذّبوا ببدر ومعنى بالحقّ لا تحابهم وشدّد عليهم لما هو حقّهم كما قال اشدد وطاتك على مضر قرئ يصفون بالياء والتاء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيّب امالهم ونصر رسول الله صلّى الله عليه وآله والمؤمنين وخذلهم **قال** رسول الله صلّى الله عليه وآله من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلّم عليه كلّ نبىّ ذكر اسمه فى القرآن

**سورة الحجّ مكّيّة غير ستّ آيات وهى هذان خصمان الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم**

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** الزلزلة شدّة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارّها ومراكزها ولا يخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانّها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن انّما تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها امر بنى آدم بالتقوى ثمّ علّل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوّروها بعقولهم حتّى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربّهم من التردّى بلباس التقوى الذى لا يؤمنهم من تلك الافزاع الّا ان يتردّوا به وروى انّ هاتين الآيتين نزلتا ليلا فى غزوة بنى المصطلق فقرأهما رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلمّا اصبحوا لم يحطّوا السروج عن الدوابّ ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكّر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كلّ مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كلّ مرضعة اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة

والمعنى وسع كلّ شيطان سجّل عليه بانّه هو الذى لحق بعض الناس وليّا وبانّه متّصل من لحقه وليّا فلا وكانّه توطية للثانى

**فان قلت** لم قيل مرضعة دون مرضع **قلت** المرضعة التى هى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبىّ والمرضع التى شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به فقيل مرضعة ليدلّ على انّ ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عمّا ارضعت عن ارضاعها او عن الذى ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام وقرئ وترى بالضمّ من اريتك قائما او رأيتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانّثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى فى جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضمّ وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وطيّر تمييزهم وردّهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب **فان قلت** لم قيل اوّلا ترون ثمّ قيل ترى على الافراد **قلت** لانّ الرؤية اوّلا علّقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهى معلّقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بدّ ان يجعل كلّ واحد منهم رائيا لسائرهم **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** قيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاوّلين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا وهى عامّة فى كلّ من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعضّ فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحقّ والباطل ويتّبع فى ذلك خطوات كلّ شيطان عات علم من حاله وظهر وتبيّن انّه من جعله وليّا له لم تثمر له ولايته الّا الاضلال عن طريق الجنّة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشويّة المتلقّبين بالامامة فى دين الله الّا داخلين تحت كلّ هذا وهم اوّليائهم بل هم اشدّ الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحقّ حيث دوّنوا الضلال تدوينا ولقّنوه اشياعهم تلقينا وكانّهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال **شعر** ويا ربّ مقفوّ الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستوى نهج ولو قرأوا فى اللوح ما خطّ فيه من بيان اعوجاج فى طريقته عجوا اللّهمّ ثبّتنا على المعتقد الصحيح الذى رضيته لملائكتك فى سمواتك وانبيائك فى ارضك وادخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** والكتبة عليه مثل اى كانّما كتب اضلال من يتولّاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله وقرئ انّه فانّه بالفتح والكسر فمن فتح فلانّ الاوّل فاعل كتب والثانى عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانّما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت انّ الله هو الغنىّ الحميد او على تقدير قيل او على انّ كتب فيه معنى القول **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد فى الجلب والطرد كانّه قيل ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا فى بدو خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلّقة المسوّاة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سوّاه وملّسه من قولهم صخرة خلقاء

اذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك
فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من
حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم
من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود
الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط
به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ثم نخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر و
عن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان
يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخره ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ
اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين
هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا و
يبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على
الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم
يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك كأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع و
قرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته
ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه
حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث
اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول
فلان فما تلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو والعمر بسكون الميم هامدة ميتة يابسة وهذه
دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت
تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه **ذلك بان الله هو الحق**
**وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث**
**من في القبور** اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف
الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود
وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان
يفي بما وعد **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** عن ابن عباس انه
ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد
بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل ظانا
ومخمنا لا بأحد هذه الثلثة **ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة**
**عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد** وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير
الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل

للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها **فان قلت** ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان
ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال **قلت** لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه
ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما
اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل
الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين **ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان**
**اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** على حرف على طرف من
الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على
طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان
احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا
من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وآله فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال
فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احديهما ذهاب
ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب
على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف **يدعو**
**من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى**
**ولبئس العشير** استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله **فان**
**قلت** الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض **قلت** اذا حصل المعنى ذهب هذا
الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد بجهله وضلاله انه سينتفع
به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله
النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه
قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس
المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين **ان الله يدخل الذين**
**آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن**
**ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده**
**ما يغيظ** هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه
واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده
في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر و
ليتصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع
نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل
الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد
بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم

وخفتهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا **وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد** اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يومنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد** الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المومنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم **الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء** سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه **فان قلت** فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة **قلت** لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هولاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين **هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم** الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هولاء خصمان او اختصما جاز يراد المومنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما

تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها **يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد** يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها **كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق** وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكونان الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير** يحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولي كادل فيمن جر ولول ولوليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد** وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة **ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم** يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانئ وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاوره اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قرا حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل والنهار ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك **واذ بوانا**

لإبرهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذكر
حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديمة
وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة
من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار
ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق واذن ناد فيهم وقرا ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم
بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله و
رجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في
معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فكلوا منها واطعموا البائس الفقير نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في
غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها
لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا
او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين
قوله ليذكروا اسم الله وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك
الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة
مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة
لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال
التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال
فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس
الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
بالبيت العتيق قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة
التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرون من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف
الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق
القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله
وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط
عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به

ومن

ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك
خبر مبتدا محذوف اى الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض
في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك
الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم
الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اى فالتعظيم خير له
ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى
الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى ان الله قد احل
لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان
البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته و
احمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم
الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك
زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور
كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا
وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان
تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل
العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم
لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار
وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه
ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وآله انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل
الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك
لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها
مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال
من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله
بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي
الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر
التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلهما تختطفه وقرئ الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله
فانها من تقوى القلوب تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام
حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن
الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله

ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وآله
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق
بلحومها وجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان
يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب
لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في ساير الاعضاء **لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم**
**محلها الى البيت العتيق** الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت
فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله
بالمنافع الدينية قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع
محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة و
المراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك
بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى
البيت العتيق يأباه **ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة**
**الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين** شرع الله لكل امة ان ينسكوا له
اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك
وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا
اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتون المتواضعون
الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا **الذين**
**اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم**
**ينفقون** وقرا الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلوة
على الاصل **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف**
**فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم**
**تشكرون** البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وآله الحق
البقرة بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في
الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تلك الاية وقرا الحسن
والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب
والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما
لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف
انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس
دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر الله ان يقول عند
النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن

وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل
احدى يديها فيقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من
حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب
وقوعها على الارض من وجب الحايط وجوبا اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها
وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السايل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته
قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر
المعترض بالسؤال وقرا الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضي
يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا ياخذونها
منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوايمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن
باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة **لن ينال الله**
**لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم و**
**بشر المحسنين** اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم و
الدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في
حل ما قرب منه وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقرب
وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا
الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كررت تذكير النعمة بالتسخير ثم
قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام با
ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته **ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان اثيم**
**كفور** خص المومنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين
يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما
يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم**
**لقدير** اذن ويقاتلون قرآ على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف الماذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان مشركو
مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وآله بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف
وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على
نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه على الذين آمنوا موذن بمثل هذه العدة
ايضا **الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض**
**لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره**
**ان الله لقوي عزيز** ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان

يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله ودفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجدا ولغلب المشركون في امة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه **الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور** هو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما سيكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الله وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة خلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر الامع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وآله وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم **وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير** يقول لرسوله صلى الله عليه وآله تسلية له لست باوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة **فان قلت** لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى **قلت** لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شئ آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا **فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد** كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط والخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان مائلة مائل فهي مشرفة على السقوف الساقطة **فان قلت** ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية **قلت** الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروى ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها



زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم **افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجئ مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب **فان قلت** اي فائدة في ذكر الصدور **قلت** الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون** انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله تع لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء **وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير** ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي **فان قلت** لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو **قلت** الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة **قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم** يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيي وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم **فان قلت** كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده **قلت** الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا **وما ارسلنا**

من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الانبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة وتنبه عليه وقيل نبهه عليه جبرئيل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وإيقانا والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في أمنيتك إرادة امتحان من حولهم والله تعالى له أن يمتحن من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليله ... تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة أي هم الشفعاء لا الأصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته أي يثبتها ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وإن الظالمين يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أنه الحق من ربك أي ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة وإن الله لهادي الذين آمنوا أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المجمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا يلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الضمير في مرية منه للقرآن أو للرسول اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم تلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك أنه يوم القيمة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا

بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين فإن قلت التنوين في يومئذ عن أي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل منهم تفضلا منه وإحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا فأنزل الله هاتين الآيتين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فإن قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله تع على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تع فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لعفو غفور أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير ذلك أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار والنهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فإن قلت ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقرئ تدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وأن ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت الإلهية وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد قرئ مخضرة أي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومعشبة فإن قلت هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما يقول أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فإن قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لأعطى عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه

فيه وان رفعته فانت مثبت للشك وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شئ خبير بمصالح الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ما في الارض من البهايم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من ساير المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيته وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وآله اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفين الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وآله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن ايات الله ولا يكونن من المشركين ولا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الاية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا

قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرايعة الملقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزايمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور ثم ذكر انه تعالى دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون للذكر شان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على ساير الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت لرسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون

قرن السجود بالركوع فدلّ ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم المسلمين وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي عليه السلام انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اى في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجدّ عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص وبالكفارات والديات والارش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وآله هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسّع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وآله فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم وتشهد للقول الاول قراءة أبيّ بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس ان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولمّا تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكيها فيكون وقوعه جواب قسم والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث وعلى الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو كان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الذين هم في صلوتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشيء من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض

وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم للزكوة فاعلون الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون على ازواجهم في موضع الحال اى الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اى واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت على معنى ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل كانه قال والذين هم لفروجهم غير حافظين الا على ازواجهم فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اى متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم والذين هم على صلواتهم يحافظون وقرئ على صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا

وآخراً **قلت** هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولاً بالخشوع في صلوتهم وآخراً بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدّوها في اوقاتها ويقيموا اركانها وتوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتمّ به اوصافها و ايضاً فقد وحّدت اولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اىّ صلوة كانت وجمعت آخراً ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوة الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل **اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** اى اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسمّوا ورّاثاً دون من عداهم ثمّ ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مرّ في سورة مريم انّث الفردوس على تاويل الجنّة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي انّ الله تع بنى جنّة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرّى وغرس فيها من جيّد الفاكهة وجيّد الريحان **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشاناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين** السلالة الخلاصة لانها تسلّ من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين **فان قلت** ما الفرق بين من ومن **قلت** الاوّل للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان **فان قلت** ما معنى جعلنا الانسان نطفة **قلت** معناه انه خلق جوهر الانسان اوّلاً طيناً ثمّ جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقرّ والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقرّ فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكّنت بحيث هي واحرزت قرئ عظماً فكسونا العظم وعظاماً فكسونا العظام وعظماً فكسونا العظام وعظاماً فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لانّ الانسان ذو عظام كثيرة خلقاً آخر اي خلقاً مبايناً للخلق الاوّل مباينة ما ابعدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وكان ابكم وسميعاً وكان اصمّ وبصيراً وكان اكمه واودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من اعضائه وكلّ جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا يبلغ بشرح الشارح وقد احتجّ به ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يردّ الفرخ لانّه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اى احسن المقدّرين تقديراً فترك ذكر المميّز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله تع اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر انّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا بلغ قوله خلقاً آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي انّ عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمّد نبيّاً يوحى اليه فانا نبيّ يوحى اليّ فلحق بمكّة كافراً ثمّ اسلم يوم الفتح **ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون** قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميّت والمائت انّ الميّت كالحيّ صفة ثابتة وامّا المائت فيدلّ على الحدوث يقول زيد مائت الآن ومائت غداً كقولك يموت ونحوهما ضيّق وضائق في قوله تع وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضاً على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع **فان قلت** فاذن لا حيوة الّا حيوة الانشاء وحيوة البعث **قلت** ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة

وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثة ممّا ذكرت عندك وطويت ذكر ثالثة لم يكن دليلاً على انّ الثالث ليس عندك وايضاً فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطويّ ذكرها من جنس الاعادة **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلق غافلين** الطرائق السموات لانّه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكلّ شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملئكة ومتقلّباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات والارض كانّه قال خلقناها فوقكم وما كنّا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقكم بقدرتنا او اراد به الناس وانّه انّما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلاً عنهم وعمّا يصلحهم **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكنّاه في الارض وانّا على ذهاب به لقادرون** بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرّة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكنّاه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتاً في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنّة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزّها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانّه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن ياتيكم فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيّدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر **فانشانا لكم به جنّات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** خصّ هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بانّ ثمرهما جامع بين امرين انّه فاكهة يتفكّه بها وطعام يؤكل رطباً ويابساً رطباً وعنباً وتمراً وزبيباً والزيتون بانّ دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعاً ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلّها ومن تجارة يتربّح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصّل رزقه كانّه قال وهذه الجنّات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيّشون وشجرة عطف على جنّات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي وممّا انشئ شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو امّا ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون وامّا ان يكون اسماً للجبل مركّباً من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لانّ الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرا الاعمش سيناء على القصر بالدهن في موضع الحال اى تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما انّ انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتّى اذا انبت البقل والثاني انّ مفعوله محذوف اى تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضمّ التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابيّ تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرا الاعمش وصبغاً وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هو اوّل شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله

تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ** قرئ تسقيكم بالتاء مفتوحة اى تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اى يتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما يتعلق بما لا يوكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زايدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة **شعر**

سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ** ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عم او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اى ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشميرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اى به جن يخبلونه حتى حين اى احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه **قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ** في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي وانصرني بدل ما كذبوني كما يقول هذا بذاك اى بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ** باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالية ووحينا اى نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطاير روي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح عم واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اى اعلاه وعن علي عليه السلام فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الو

والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتايدة من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اى من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحو قوله تعالى **فان قلت** لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة **قلت** لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقايهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين **فان قلت** هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم **قلت** لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ** ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر **ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء **فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فان قلت** حق ارسل ان تعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القران بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اى في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا **قلت** لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ فان قلت** ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فاى فرق بينهما **قلت** الذي بغير واو على تقدير سوال سايل قال فماذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اى جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف منه

لدلالة ما قبله عليه ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون اذن وقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم اى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثانى بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل أنكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم او رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم وفى قراءة ابن مسعود أيعدكم اذا متم هيهات هيهات لما توعدون قرئ هيهات بالرفع والفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين والسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع فى قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج فى تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا ثم وضع هى موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التى نفت ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيا اى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتى قرن آخر إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا وما نحن بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين قليل صفة للزمان كقديم وحديث فى قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفى معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق اذا كان عادلا فى قضاياه شبههم فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق والعيدان ومنه قوله فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا فى قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهى من جملة المصادر التى قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعى عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بنى اسرائيل ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون اجلها الوقت الذى حد لهلاكها وكتب ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والياء بدل من الواو كما فى تولج ويتقوا اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فأتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله ﷺ

وتكون



وتكون جميعا للاحدوثة التى هى مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهى ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملإيه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان يراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما وكونها حارسا وشمعة وشجرة مثمرة خضراء ودلوا ورشاء فجعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز ان تراد الآيات انفسها اى هى آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا فى الارض لا يريدون علوا فى الارض ومتطاولين على الناس قاهرين بالبغى والظلم فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين والبشر يكون واحدا وجمعا بشر استويا لبشرين فاما تثنية البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجميع والمذكر والمونث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعنى بنى اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعى الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون موسى الكتاب اى قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرايعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملايهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير فى لعلهم الى آل فرعون وملايه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملايه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين فان قلت لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة فى رايهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهى الارض المرتفعة قيل هى ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابى هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية وعن قتادة ذات ثمار وماء يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض وقد اختلف فى زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين فى ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امرا نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما امسك النفس وحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا

الاعلام عند ابوا عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اى آوينا هما وقلنا لهما هذا اى اعلمناهما ان
الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقنا كما واعملا صالحا اقتداء بالرسل **وان هذه امتكم امة واحدة**
**وانا ربكم فاتقون** قرئ وإنّ بالكسر على الاستئناف وأنّ بمعنى ولأنّ وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة
معها **فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون** قرئ زبرا جمع زبور اى كتبا مختلفة
يعنى جعلوا دينهم اديانا وزبرا مخففة الباء كرسل فى رسل اى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم
فرح بباطله مطمئن النفس معتقدا انه على الحق **فذرهم فى غمرتهم حتى حين** الغمرة الماء الذى يغمر القامة
فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال
كاننى ضارب فى غمرة لعب وعن على عليه السلام فى غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلى رسول الله صلى الله
عليه وآله بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره **ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين**
**نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون** وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله تعالى ويجوز فى يسارع
ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى و
استجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته
ويجوز ان يراد فى جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخيرات من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعنى بل هم اشباه
البهايم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا فى ذلك اهو استدراج ام مسارعة فى الخير فان قلت اين الراجع
من خبر انّ الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله
ان ذلك لمن عزم الامور اى ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس **ان الذين هم من**
**خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون**
**ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون**
يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفى قراءة رسول الله وعايشة ياتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت
قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال يا ابنة الصديق ولكن هو الذى
يصوم ويصلى ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون فى الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان
يراد يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثانى انهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع
بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار
للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات لها سابقون اى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون
اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى
قوله انت لها احمد من بين البشر **ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون**
يعنى ان هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من
الاعمال فغير ضايع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون
منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد واراد ان الله لا يكلف الا الوسع
فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب

فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته **بل قلوبهم فى غمرة من**
**هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب**
**اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون** بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها
من هذا اى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اى لما وصف
به المؤمنون هم لها معتادون ولها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه
هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى
يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجؤار
الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه اى يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع
لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا اى من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة **قد كانت آياتى تتلى عليكم**
**فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون** قالوا الضمير فى به للبيت العتيق او للحرم كانوا
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن
لهم مفخر الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتى الا انه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم
بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا
وعتوا فانتم مستكبرين بسببه او تتعلق الباء بسامرا اى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون
حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله
عليه وآله او تهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون
من اهجر فى منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى و
الهجر بالفتح الهذيان **افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين** القول
القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يات آباءهم
فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته وقوارعه
ان تصيبهم مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يات آباءهم حين خافوا الله فآمنوا
به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه
وآله لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا
اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا فى ان تبعا كان مسلما
وروى ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود عم **ام لم يعرفوا رسولهم فهم**
**له منكرون** ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله فى وسط هاشم وامانته وصدقه وشهامته
وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها ابو طالب فى نكاح خديجة بنت خويلد
كفى برغائها مناديا **ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون** الجنة الجنون
وكانوا يعلمون انه برئ منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم
ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه

الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخلدوا إلى البهت وعوّلوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر فإن قلت قوله وأكثرهم فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب فإن قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه قلت يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس ويخفى إسلام أبي طالب ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد عم وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمرهم بالشرك والمعاصي لما كان إلها ولكان شيطانا ولما قدر على أن يمسك السموات والأرض بذكرهم أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم وفخرهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك خير أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يحتمل أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وإفراطهم فيهما ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم

وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك ومحناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي منهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والإبلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فإن قلت ما وزن استكان قلت استفعل من الكون أي انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فإن قلت هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون قلت لأن المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتّحنا وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون إنما خص السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل وإليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو بل قالوا مثل ما قال الأولون أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة إني وأسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون أي أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهلهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية وقرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية أفلا تتقون أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم بالحق بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون لذهب كل إله بما خلق لانفرد

كل واحد من الالهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك
الاخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا
لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شىء فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو
جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من
المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون عالم الغيب بالجر صفة لله
وبالرفع خبر مبتدأ محذوف قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين
ما والنون مؤكدتان اى ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب فى الدنيا وفى الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم
ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له فى امته نقمة ولم تخبره انى حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو
بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت
يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه و
اخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وآله اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول
الحسن فى قول ابى بكر الصديق وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنهم
بالهمز كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهى ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع
وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم
له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتى هى احسن السيئة
نحن اعلم بما يصفون هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة
والمعنى الصفح عن سيئاتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتى هى احسن وعن ابن عباس هى شهادة ان لا اله الا
الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هى منسوخة
باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروة بما يصفون بما يذكرونه
من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز
الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصى ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشى
ونحو الهمز الاز فى قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه
اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون اى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على
وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار
منهم او على قوله وانهم لكاذبون خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله
شعر الا فارحمونى يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان

والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلى اعمل صالحا فى الايمان الذى تركته والمعنى لعلى آتى بما
تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلى ابنى على اس تريد اؤسس اسا وابنى عليه وقيل فيما تركت
من المال وعن النبى صلى الله عليه وآله اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد
والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة
لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن
ورائهم برزخ والضمير للجماعة اى امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث
وانما هو اقناط كلى لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابى رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة و
نفى الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف الا
بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون بادغام التاء فى السين فان قلت قد تناقض
هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما
قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون و
يتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثانى ان التناكر يكون عند النفخة
الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس فمن ثقلت موازينه فاولئك هم
المفلحون الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الاعمال اى الصالحات التى لها وزن وقدر عند الله من
قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم
خالدون فى جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او
خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون
وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان
كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر فى السوق برأس اخرج من التنور
فغشى عليه ثلثة ايام ولياليهن وروى عن النبى عم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه
وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبنى فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة
التى علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال اخسؤا فيها
ولا تكلمون اخسؤا فيها وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه
ولا تكلمون فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا
الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا
النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون

ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيناد ون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيناد ون الفا ربنا اخرجنا فيجابون ولم تكونوا فيناد ون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيناد ون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها **انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين** في حرف ابى انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه **فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون** السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اى تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة وذكري فتركتموه اى تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي **اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون** وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استيناف اى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم **قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون** قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام اليسر او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسئل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسئل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقى اليه فكره وقيل فسئل الملئكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين **افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون** عبثا حال اى عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اى للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء **فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم** الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد **ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين** لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة المؤمنين بشرته الملئكة بالروح والريحان وما يقر به عينه عند نزول ملك الموت وروى ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

**سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون** سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف اى فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر وكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اى جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اى جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه **فان قلت** اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم **قلت** بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول فاذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عم من اشرك بالله فليس بمحصن **فان قلت** اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن **قلت** الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيفة والعفيف دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله عم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال

قوله وعن عمر بن الخطاب رواه احمد بن حنبل في مسنده والترمذي عن عمر

قوله والهوادة اه الهوادة الصلح والميل

قوله بالروح والريحان اه الروحة والراحة من الاستراحة

لا انت ارحم بهم منى فيومر به الى النار ويوتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيومر به الى النار وعن ابى
هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل
كيف يضرب والرجل يجلد قايما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء
كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الوجه والراس والفرج وفى لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغى ان يتجاوز الالم الى اللحم و
المراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة على ان الجلد حد غير
المحصن فلا تغريب وما احتج به الشافعى على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة و
تغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير
والتاديب من غير وجوب وقول الشافعى فى تغريب الحر واحد وله فى العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب
نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى فى قوله فامسكوهن
فى البيوت وقوله فاذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما
سمى نكالا الطايفة الفرقة التى يمكن ان يكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة وهى صفة غالبة كانها الجماعة الحافة
حول الشى وعن ابن عباس فى تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة
ثلثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة
هى الجماعة التى يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكباير ولهذا قرنها الله بالشرك و
قتل النفس فى قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن
النبى صلى الله عليه وآله يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث فى الدنيا وثلث فى الاخرة فاما اللاتى فى
الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتى فى الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود فى
النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة
وهى الرجم ونهى المومنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطايفة للتشهير فوجب ان تكون طايفة يحصل بها
التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه بالمومنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه
اخجل ويشهد له قول ابن عباس عليه الرحمة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الزانى لا ينكح الا زانية او
مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين الفاسق الخبيث الذى من
شانه الزنا والتقحب لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء واللاتى على خلاف صفته وانما يرغب فى فاسقة خبيثة
من شكله او فى مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون
عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشركين ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته
فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور
موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزوانى والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين فى نكاحهن فاستاذنوا
رسول الله عم فنزلت وعن عايشة ان الرجل اذا زنا بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان
زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمرة شجرة ثم اشتراه وعن النبى عم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح و

واخره

واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما
وردت فى القرآن لم ترد الا فى معنى العقد والثانى فساد المعنى واداؤه الى قولك الزانى لا يزنى الا بزانية والزانية
لا يزنى بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما فى اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى
منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اى فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت
معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفايف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب
فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزانى اولا ثم قدم
عليها ثانيا قلت سيقت تلك الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هى المادة التى منها نشات الجناية لانها لو لم
تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا فى ذلك بدئ بذكرها واما الثانية
فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم
على النهى والمرفوع ايضا فيه معنى النهى ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك ويجوز
ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون
عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان
الله غفور رحيم والقذف يكون بالزنا وبغيره والذى دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيان احدهما
ذكر المحصنات عقيب الزوانى والثانى اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان
والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زانى يا ابن الزانى يا ابن الزانية يا ولد
الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودى يا مجوسى يا فاسق
يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف
يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعين وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ
والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين
او متفرقين قلت الواجب عند ابى حنيفة واصحابه ان يحضروا فى مجلس واحد وان جاؤوا متفرقين كانوا
قذفة وعند الشافعى يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا
منهم قلت يجوز عند ابى حنيفة خلافا للشافعى فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد الزانى الا
انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد
الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل
للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت
يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق
عند ابى حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى
لم يقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعى يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا
تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط
الذى هو الرمى الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد وكانوا مردودى الشهادة عنده فى ابدهم

وهو مدة حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية
حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله
تع فان الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي
بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا
بدلا من هم في قولهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية و
نظمها ان يكون الجمل الثلث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم
وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين **فان قلت** الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فيقبل شهادته بالاجماع
والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا يقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون من
القذف مع الاسلام **قلت** المسلمون لا يعباون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل
فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين
ردعا وكفا عن الحاق الشنار **فان قلت** هل للمقذوف وللامام ان يعفو عن حد القاذف **قلت** لهما ذلك قبل ان
يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف الى ان يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان
يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد
منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال **فان قلت** هل يورث الحد **قلت** عند ابي حنيفة
لا يورث ويورث عند الشافعي لقوله عم الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت
الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال لعايشة **والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين** قاذف امراته اذا
كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا
قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في
قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل
فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا
ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى
يشهد والمراة قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد حتى ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان
لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في
مسجده ولعان المشرك في الكنيسة حيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تع
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا يقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة
واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج



يكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد
ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب
تحريما موبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان اية القذف لما نزلت قراها رسول الله عم على المنبر فقام
عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته
ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجي باربع شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى
اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراك قال شر وجدت على بطن امراتي خولة وهي
بنت عاصم شريك بن سحما فقال هذا والله سوالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله عم فكلم
خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته على
بطنها فنزلت ولاعن بينهما رسول الله صلعم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها امين وقال
القوم امين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا
جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله بشريك فقال صلى الله
عليه واله لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرى ولم تكن بالتاء لان شهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس
التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم
وهي مبتدا محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات بالله وقرى ان لعنة الله وان غضب
الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرى ان غضب الله على فعل الغضب وقرى بنصب الخامستين على معنى و
تشهد الخامسة **فان قلت** لم خصت الملاعنة بان يخمس بغضب الله **قلت** تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور
ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عم لخولة فالرجم
اهون عليك من غضب الله **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم** الفضل التفضل
وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به **ان الذين
جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم
ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** الافك ابلغ ما يكون من الكذب
والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه
والمراد ما افك به على عايشة والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا
وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم وقرى كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله
صلى الله عليه واله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خايض في حديث الافك من
تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى
ان صفوان بن معطل مر بهودجها عليه وهو في ملاء من قومه فقال من هذه قالوا عايشة فقال والله
ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قو
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المومنين وخاصة رسول الله صلعم وابو بكر وعايشة وصفوان بن المعطل

ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه
نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله عم وتسلية له
وتنزيه لام المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه
وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوايد دينية واحكام وآداب لا تخفى على
متاملها **لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين**
بانفسهم اى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصارى
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقال لو كنت بدل صفوان اكنت تظنين بحرمة رسول الله سوءا قالت لا قال ولو كنت
انا بدل عايشة ما خنت رسول الله فعايشة خير منى وصفوان خير منك **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه
ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر **قلت** ليبالغ في التوبيخ بطريقة
الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه ولا مومنة على اختها
قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه ان يبنى الامر فيها على الظن لا على
الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته
كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى قل القائم به والحافظ له وليتك
تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات **لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون** جعل الله التفصلة بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الاربعة وانتفاؤها والذين رموا عايشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله
اى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج
عليهم بما هو ظاهر مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة
من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله **ولولا
فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم** لولا الاولى
للتحضيض وهذه لامتناع الشىء لوجود غيره والمعنى ولولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى
من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم فى الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من
حديث الافك يقال افاض فى الحديث واندفع وهضب وخاض **اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه
ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تع فتلقى آدم من ربه كلمات وقرى على
الاصل تتلقونه وتلقونه بادغام الذال فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القايه بعضهم على بعض و
تلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة وعن سفين سمعت امى تقرا اذ
تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود **فان قلت** ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم
**قلت** معناه ان الشى المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على
السنتكم ويدور فى افواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تع يقولون بافواههم ما ليس فى
قلوبهم اى تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف

ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشىء من سيئاتك حقير فلعله عند الله
نخلة وهو عندك نقير وصفهم الله بارتكاب ثلثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقى الافك بالسنتهم و
ذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت
ولا ناد الا طار فيه والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم **ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** **فان قلت**
كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم **قلت** للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها
وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها **فان قلت** فاى فايدة فى تقديم الظرف حتى اوقع
فاصلا **قلت** الفايدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به
فلما ذكر الوقت اهم وجب التقديم **فان قلت** فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا
**قلت** معناه معنى ينبغى ويصح اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى
بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر **فان قلت** ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح **قلت** الاصل
فى ذلك ان يسبح الله عند روية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او لتنزيه الله
من ان يكون حرمة نبيه فاجرة **فان قلت** كيف جاز ان يكون امراة النبى كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز
ان تكون فاجرة **قلت** لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم
عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات **يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم** اى كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا
من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم فيه تهييج لهم ليتعظوا و
تذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الدلالات على حكمته
بما ينزل عليكم من الشرايع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شىء
فاعل لما يفعله بدواعى الحكمة **ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم
فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون** المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة
ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله بن ابى وحسانا وقعد صفوان
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذى تولى كبره منهم والله يعلم ما فى القلوب من
الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون يعنى انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها **ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم** وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما
حذفه ثمه وفى هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك فى التواب والرؤف والرحيم **يا ايها الذين
آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم**
الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذويب **شعر** ضرائر حرمى تفاحش غارها اى افرط غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس
فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرى خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تع ولولا ان الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التايبين بقبول توبتهم اذا

محصنوها وهو سميع لقولهم عليم بضمايرهم واخلاصهم **ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم** هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل هو من قولهم ما الوت جهدا اذا لم يدخر منه شيا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان ولا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحنا لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح فكان ابن خالة ابي بكر الصديق وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى بردا عيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه واله قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم **ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم** الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دها ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العارفات قال **شعر** ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه واله اكثر اهل الجنة البله **يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين** وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله تع قد غلظ في شيء تغليظه في افك عايشة ولا انزل من الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف عم بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عايشة بهذه الايات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرية بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرية اوليك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظم شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من ايات الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف في نفي التهمة عن حجابه **فان قلت** ان كانت عايشة هي المرادة

فكيف

فكيف قيل المحصنات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله عم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلعم كانت المرادة اولا والثاني انها ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والعفة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدى اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداوه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة المسي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويتجنب محارمه **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اوليك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الناس والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون واوليك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اوليك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبايث يتزوجن الخباث والخباث الخبايث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عايشة لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه واله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملايكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السما ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تع لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستانس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم اادخل قالها ثلثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول الثلث وعن حذيفة ان رجلا استاذن على رسول الله صلى الله عليه واله فقال ااَلِج فقال صلى الله عليه واله لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل

مع امرأته فی لحاف واحد فصدّ الله عن ذلك وعلّم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة
المنسوخة وتركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت فی بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير
استيذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ولكن اين الاذن الواعية وفی قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى
تستاذنوا فاخطأ الكاتب ولا تعوّل على هذه الرواية وفی قراءة ابیّ حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير
لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم
ما ارتكب وفی الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروی ان رجلا قال للنبی صلى الله عليه وآله أأستاذن على امی
قال نعم قال انها ليس لها خادم غيری أأستاذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم
تذكرون ای انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به فی باب الاستيذان فان لم
تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما
تعملون عليم يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم و
يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا
يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا توقف على الاحوال التی يطويها
الناس فی العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف فی ملك غيرك فلا بد من ان يكون
برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا ای لا تلحوا فی اطلاق الاذن ولا تلحوا فی تسهيل الحجاب ولا تقفوا
ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح فی قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوی مروة
مرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهی عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدی اليها من قرع الباب بعنف
والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل فی عادات لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابی عبيد ما قرعت بابا
على عالم قط وكفى بقصة بنی اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تع ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد
ان جزم النهی عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة فی كونه منهيا عنه
مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر فی دار من حريق او هجوم سارق او ظهور
منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنی بالدليل ای الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد
من الريبة او انفع وانمی خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف
جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون استثنی من البيوت التی يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك
نحو الفنادق وهی الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الرجال والسلع والشری والبيع ويروی ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية فی الاستيذان
وانا نختلف فی تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز
يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون من للتبعيض

والمراد



والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان يكون مزيدة وأباه سيبويه فان قلت
كيف دخلت فی غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر
الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواری المستعرضات والاجنبية
ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها فی احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثنی منه
وحظر الجماع الا ما استثنی منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد
كل ما فی القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم
وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى
وحذر فی كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن
او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنی اخوانهن او بنی اخواتهن او نسائهن او ما ملكت
ايمانهن او التابعين غير اولی الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون النساء
مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبی الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت
بصرها راسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث
ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبی صلى الله عليه وآله وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد
ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا قال افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قلت
لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا
يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلی او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم
والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفی منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة
والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة فی الامر بالتصون
والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهی الذراع والساق والعضد
والعنق والراس والصدر والاذن فنهی عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع
بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال فی حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا فی الحظر ثابت القدم فی
الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتفظن فی سترها ويتقين الله فی الكشف عنها فان قلت ما تقول فی القراميل
هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد
الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذی ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر ساير الحلی لانه
لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان
يصف لرقته فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار
الذی تلابسه تلك الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة
الظاهرة الوجه موقع الكحل فی عينيه والخضاب بالوسمة فی حاجبيه وشاربيه والغمرة فی خديه والكف و
القدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا فی الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه

جيوبهن فان المراة لابد لها من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ولابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا يغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا عن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ويخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقرئ عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناؤهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعدما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون



في الدنيا والآخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها ﴿وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال

فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المراة وذلك عند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وآله من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففنى واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وآله التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنتين وقد انتعشت حاله وحسنت فسالته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله

لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما
احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم
بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها
عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب
بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت
بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة
حالا او مؤجلا او منجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا
منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل
عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه
معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق
وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه
لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم
ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا
قدرة على اداء ما يكاتبون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال
لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم
الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا
ان يأخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب لمولاه ما
اخذه لانه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت
له ومنه قوله صلى الله عليه وآله في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على
الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي عليه السلام يحط له الربع وعن ابن عباس
يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم
فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا
عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم
وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له
الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس
النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب
فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت
لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز

الشاذ

الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم فان قلت
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون
ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب عضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من
الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من
الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود جعل
الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا الله نور السموات و
الارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال والله بكل شيء عليم
نظير قوله الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه و
جوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد
معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات و
الارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر في
زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها يوقد هذا
المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته من زيتها مباركة كثيرة المنافع او
لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه وعن النبي صلى الله
عليه وآله عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية
اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان
عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل
تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد
يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان
في مكان متضايق كالمشكوة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر و
القنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده
اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة

الیه یمینا وشمالا ومن لم یتدبر فهو کالاعمی الذی سواء علیه جنح اللیل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن
علی علیه السلام الله نور السموات والارض ای نشر فیها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن
ابی بن کعب من نور من آمن به وقری زجاجة الزجاجة بالفتح والکسر ودری منسوب الی الدر ای ابیض متلألئ
ودری بوزن سکیت یدرأ الظلام بضوئه ودرئ کمریق ودری کالسکینة عن ابی زید وتوقد بمعنی تتوقد
والفعل للزجاجة ویوقد وتوقد بالتخفیف ویوقد بالتشدید ویوقد بحذف التاء لاجتماع حرفین زائدین
وهو غریب ویسبح بالیاء لان التأنیث لیس بحقیقی والضمیر فاصل **فی بیوت اذن الله ان ترفع ویذکر فیها اسمه یسبح له فیها بالغدو والآصال رجال لا تلهیهم تجارة ولا بیع عن ذکر الله واقام الصلوة وایتاء الزکوة یخافون یوما تتقلب فیه القلوب والابصار** فی بیوت یتعلق بما قبله ای کمشکاة فی بعض بیوت الله
وهی المساجد کانه قیل مثل نوره کما تری فی المسجد نور المشکاة التی من صفتها کیت وکیت او بما بعده وهو یسبح ای یسبح
له رجال فی بیوت وفیها تکریر کقولک زید فی الدار جالس فیها او بمحذوف کقوله فی تسع آیات ای سبحوا فی بیوت والمراد
بالاذن الامر ورفعها بناؤها کقوله بناها رفع سمکها فسواها واذ یرفع ابرهیم القواعد من البیت وعن ابن عباس هی
المساجد امر الله ان تبنی او تعظیمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولکن بالتعظیم ویذکر
فیها اسمه اوفق له وهو عام فی کل ذکر وعن ابن عباس وان یتلی فیه کتابه وقری یسبح علی البناء للمفعول ویسند الی احد
الظروف الثلثة اعنی له فیها بالغدو ورجال مرفوع بما دل علیه یسبح وهو یسبح له وتسبح بالتاء وکسر الباء وعن
ابی جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان یسند الی اوقات الغدو والآصال علی زیادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة
والمراد ربها کصید علیه یومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصل وهو العشی والمعنی باوقات الغدو ای بالغدوات
وقری والایصال وهو الدخول فی الاصیل یقال آصل کاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذی یبیع ویشتری
للربح فاما ان یرید لا یشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البیع لانه فی الالهاء ادخل من قبل ان التاجر
اذا اتجهت له بیعة رابحة وهی طلبته الکلیة من صناعته الهته ما لا یلهیه شری شیء یتوقع فیه الربح فی الوقت
الثانی لان هذا یقین وذاک مظنون واما ان یسمی الشری تجارة اطلاقا لاسم الجنس علی النوع کما تقول رزق
فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بیع صالح او شری وقیل التجارة لاهل الجلب تجر فلان فی کذا اذا اجلبه التاء فی
اقامة عوض من العین الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضیفت اقیمت الاضافة مقام حرف التعویض فاسقطت
ونحوه واخلفوک عد الامر الذی وعدوا وتقلب القلوب والابصار اما ان یتقلب وتتغیر فی انفسها و
هو ان یضطرب من الهول والفزع وتشخص کقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب
احوالها وتتغیر فتفقه القلوب بعد ان کانت مطبوعا علیها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان کانت عمیا لا
تبصر **لیجزیهم الله احسن ما عملوا ویزیدهم من فضله والله یرزق من یشاء بغیر حساب**
احسن ما عملوا ای احسن جزاء اعمالهم کقوله للذین احسنوا الحسنی والمعنی یسبحون ویخافون لیجزیهم ثوابهم
مضاعفا ویزیدهم علی الثواب تفضلا وکذلک معنی قوله الحسنی وزیادة المثوبة الحسنی وزیادة علیها من
التفضل وعطاء الله تع اما تفضل واما ثواب واما عوض والله یرزق ما یتفضل به من بغیر حساب فاما الثواب
فله حساب لکونه علی حسب الاستحقاق **والذین کفروا اعمالهم کسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء حتی اذا جاءه لم یجده شیئا ووجد الله عنده فوفیه حسابه ان الله سریع الحساب**

السراب ما یری فی الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهیرة یسرب علی وجه الارض کانه ماء یجری والقیعة بمعنی
القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوی من الارض کجیرة فی جار وقری بقیعات بتاء ممطوطة کدیمات وقیمات فی
دیمة وقیمة وقد جعل بعضهم بقیعاه بتاء مدورة کرجل عزهاة شبه ما یعمله من لا یعتقد الایمان ولا یتبع الحق
من الاعمال الصالحة التی یحسبها تنفعه عند الله وتنجیه من عذابه ثم تخیب فی العاقبة امله ویلقی
خلاف ما قدر بسراب یراه الکافر بالساهرة وقد غلبه عطش یوم القیمة فیحسبه ماء فیاتیه فلا یجد ما
رجاه ویجد الله عنده یاخذونه فیعتلونه الی جهنم فیسقونه الحمیم والغساق وهم الذین قال الله فیهم عاملة
ناصبة وهم یحسبون انهم یحسنون صنعا وقدمنا الی ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقیل نزلت فی
عتبة بن ربیعة بن امیة وقد کان تعبد ولبس المسوح والتمس الدین فی الجاهلیة ثم کفر فی الاسلام
**او کظلمات فی بحر لجی یغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج یده لم یکد یراها ومن لم یجعل الله له نورا فما له من نور** اللجی العمیق الکثیر الماء منسوب
الی اللج وهو معظم ماء البحر وفی اخرج ضمیر الواقع فیه لم یکد یراها مبالغة فی لم یرها ای لم یقرب ان یراها
ومثله قول ذی الرمة **شعر** اذا غیر النأی المحبین لم یکد رسیس الهوی من حب میة یبرح ای لم یقرب
من البراح فما باله یبرح شبه اعمالهم اولا فی فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم یجده من خدعه
من بعید شیئا ولم یکفه خیبة وکدا ان لم یجد شیئا کغیره من السراب حتی وجد عنده الزبانیة تعتله
الی النار ولا تغفل ظماءه الماء وشبهها فی ظلمتها وسوادها لکونها باطلة وفی خلوها عن نور الحق بظلمات
متراکمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم یوله نور توفیقه وعصمته ولطفه فهو فی ظلمة الباطل
لا نور له وهذا الکلام مجراه مجری الکنایات لان الالطاف انما تردف الایمان والعمل الصالح او کونهما مترقبین
الا تری الی قوله والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وقوله ویضل الله الظالمین وقری سحاب ظلمات علی الاضافة
وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوینه وجر ظلمات الا من ظلمات الاولی **الم تر ان الله یسبح له من فی السموات والارض والطیر صافات کل قد علم صلوته وتسبیحه والله علیم بما یفعلون ولله ملک السموات والارض والی الله المصیر** صافات یصففن اجنحتهن فی الهواء والضمیر
فی علم لکل او لله وکذلک فی صلوته وتسبیحه والصلوة الدعاء ولا یبعد ان یلهم الله الطیر دعاءه و
تسبیحه کما الهمها سائر العلوم الدقیقة التی لا یکاد العقلاء یهتدون الیها **الم تر ان الله یزجی سحابا ثم یؤلف بینه ثم یجعله رکاما فتری الودق یخرج من خلاله وینزل من السماء من جبال فیها من برد فیصیب به من یشاء ویصرفه عن من یشاء یکاد سنا برقه یذهب بالابصار یقلب الله اللیل والنهار ان فی ذلک لعبرة لاولی الابصار**
یزجی یسوق ومنه البضاعة المزجاة التی یزجیها کل احد لا یرضاها والسحاب یکون واحدا کالعماء و
جمعا کالرباب ومعنی تالیف الواحد ان یکون قزعا فیضم بعضه الی بعض وجاز بینه وهو واحد لان المعنی
بین اجزائه کما قیل فی قوله بین الدخول فحومل والرکام المتراکم بعضه فوق بعض والودق المطر من
خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل کجبال فی جبل وقری من خلله وینزل بالتشدید ویکاد سنا علی
الادغام وبرقه جمع برقة وهی المقدار من البرق کالغرفة واللقمة وبرقه بضمتین للاتباع کما قیل فی جمع

فُعلة فعلات كظُلمات وسَنا برقه على المدّ المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلوّ والارتفاع من قولك سَنِيّ للمرتفع ويُذهِب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر **فان قلت** متى رأى رسول الله صلى الله عليه وآله تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل الم تر **قلت** علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد **قلت** الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال **فان قلت** ما معنى من جبال فيها من برد **قلت** فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب **والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير** وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم **فان قلت** لم نكر الماء في قوله من ماء **قلت** لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فان قلت** فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي **قلت** قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه **فان قلت** لم جاءت الاجناس الثلثة على هذا الترتيب **قلت** قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **فان قلت** لم سمي الزحف على البطن مشيا **قلت** على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر للبعير مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين **لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين** وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي

منهم

منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تع انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا **واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون** معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله علفته تبنا وفرطه اراد فبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي عليه السلام خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي **وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون** اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه **انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون** عن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول **فان قلت** الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل **قلت** هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون** قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله تع في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة**

معروفة إن الله خبير بما تعملون جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها و ذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين بايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين الذين يطابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل وطاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة الله ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من اسراركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه وتثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه

منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم النار ولبئس المصير وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله وماويهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماويهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم اي عليم باعمالكم ونياتكم ويجازيكم عليها وحكيم لا يامركم بما يامركم الا على وجه الحكمة والصواب امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان السالفة بعد الفراغ عن الالهاب والوعد والوعيد قال بعضهم يحتمل ان يقال انه مما يطاع الله ورسوله فيه وتخصيصه بالذكر لان دخوله في الطاعة باعتبار انه والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم بالخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى

اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى النبي عليه فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرشد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام كبير لها في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله عليه فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل **فان قلت** ما محل ليس عليكم **قلت** اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة **فان قلت** بم ارتفع بعضكم **قلت** بالابتداء وخبره على بعض على معنى طايف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة **وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي فقال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله اذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها **فان قلت** ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ **قلت** قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي عليه السلام انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله

ما زال مذ عقدت يداه ازاره ... فسما فادرك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الانبات وعن عثمان انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم **فان قلت** ما حقيقة التبرج **قلت** تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة



بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر **فان قلت** هلا ذكر الاولاد **قلت** دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى **فان قلت** ما معنى او ما ملكتم مفاتحه **قلت** اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت مماليكه لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه **فان قلت** فما معنى او صديقكم **قلت** معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو وحكي عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله

من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين لان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضاء المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاذن صاحبه في الاكل منه جميعا واشتاتا او مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن ترجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** اراد تع ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المومنين مبتدا مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا ترى كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف وتماسح في حلف وغير ذلك والامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة

اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه **لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وآله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تع وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المومنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول عليه والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر **أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله شعر

فان تمس مهجور الفناء فربما ❊ اقام به بعد الوفود وفود ❊

ونحو قول زهير شعر

اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ❊ ولكنه قد يهلك المال نائله ❊

والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف تخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقي

## سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق من الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر **الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا** الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قيل وقدره كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا** الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا من الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا** قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه **وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا** اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو

احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذف اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افرح ان ارزا الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم **قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما** اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل **وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا** وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث

وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورًا اي غلب على عقله او ذا سحر وهو الرية عنوا انه بشر لا ملك **انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه **تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا** ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله شعر

وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو **بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم **اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا** رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم **واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا** الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم **قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا** الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم **فان قلت** ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا **قلت** هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب

يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سألته الناس والملائكة في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم **ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل** نحشرهم فنقول كلاهما بالنون والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا **فان قلت** كيف يصح استعمال ما في العقلاء **قلت** هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب **فان قلت** ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أاضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل **قلت** ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه **فان قلت** فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال **قلت** فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى أانتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن **قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح

لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء الاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع باير كعايذ وعوذ **فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا** هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القايل شعر قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا وقرئ تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء **فان قلت** هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء **قلت** اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما يقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون اي انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا** الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وآله على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بساير الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة



موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله لنبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض **وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا** اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملئكة فيخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملئكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فان قلت** ما معنى في انفسهم **قلت** معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبر فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القايل شعر وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بوأوها كليب **يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا** يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملئكة يمنعون البشرى ويعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملئكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل وفعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز شعر قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر **فان قلت** فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا **قلت** جاءت هذه الصفة

لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملئكة وهم حونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اسبابهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عينا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء ومنثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موفيا بالاكل ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة **أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا** المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا** وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به **فان قلت** اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات **قلت** معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف الاعمال وروي تتشقق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ وننزل الملئكة وننزل وانزل الملئكة ونزلت الملئكة وانزل الملئكة ونزل الملئكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا** الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ**

اصحاب



**أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا** عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل اتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا عليه السلام بقتله وقيل عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال عقبة يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات فاللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** الرسول محمد صلى الله عليه وآله وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومؤسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل

واساطير الاولين والثانى انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعرق يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا** نزل هنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة فى وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وماله انزل على التفاريق والقايلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول و مماراة بما لا طايل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اى كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان تقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شئ وجزءا عقيب جزء ولو القى عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه واله فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانه فانزل عليه منجما فى عشرين سنة وقيل فى ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السايلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا **فان قلت** ذلك فى كذلك يجب ان يكون اشارة الى شئ تقدمه والذى تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك انزلنا مفرقا **قلت** لان قولهم لولا انزل عليه جملة واحدة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اى اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عايشة فى صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعده لعدها واصله الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ورتل وتشبيه بنور الاقحوان فى تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل فى مدة متباعدة وهى عشرون سنة ولم يفرقه فى مدة متقاربة ولا يأتونك بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل فى البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سوالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او يكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعنى ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها ادخل فى الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة واحدة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب فى فصاحته مع بعد ما بين طرفيه **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا**

**واضل سبيلا** كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفى طريقته قوله قل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمى وعن النبى صلى الله عليه واله يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا** الوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا **فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا** والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اراد اقتصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرى فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما** كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم اغراقهم او قصتهم للظالمين اما ان يعنى بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه **وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا** عطف عادا على هم فى جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحى او لانه اسم الاب الاكبر قيل فى اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله عليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا فى طغيانهم وفى ايذائه فبينا هم حول الرس وهو البير غير المطوية عن ابى عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبى حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهى اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتح وهى تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه فى بير اى دسوه فيها بين ذلك اى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب والمعدود **وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا** ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له **ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا** اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط عليه السلام وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعنى ان قريشا مروا مرارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية التى اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا فى مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة

هذا وسجلوا على انفسهم ترشيح للاستعارة ...

قوله غير المطوية اى غير المبنية قال فى الاساس طوى البناء باللبن و البئر بالحجارة وهى الطوى ...

فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم اولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا** ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذوه هزوا في معنى استهزؤا به والاصل اتخذوه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا الذي زعم وادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله آلهة فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها **فان قلت** لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها **قلت** ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق **فان قلت** ما معنى ذكر الاكثر **قلت** كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا **فان قلت** كيف جعلوا اضل من الانعام **قلت** لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ألم تر الى ربك ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا **فان قلت** ثم في هذين الموضعين كيف موقعها **قلت** موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا يسيرا سهلا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا** شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل **فان قلت** هلا فسرته بالراحة **قلت** النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنياوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر **وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا** قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور اي بطهارة **فان قلت** ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور **قلت** تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن في اداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور **فان قلت** فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه **قلت** قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ ونسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا

الاناسيّ جمع انسيّ او انسان ونحوه ظرابيّ فى ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف
ياء افاعيل كقولك اناعم فى اناعيم فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن
بان الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت لما كان سقى الاناسى
من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة
وارادهم عليها ان يوثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما رباهم
ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا
يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسى وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى
انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان
عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقى السماء واعقابهم
وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض
بلاد هولاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الاناسى قلت
لان حيوة الاناسى بحياة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا
بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا﴾ يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى هذا القرآن وفى ساير الكتب والصحف التى انزلت
على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى
اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات
المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم
ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام
لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هيهنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى كانه قال
لنحيى به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسى وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب
المطر الى الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان هى والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان
يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلايل وامارات عليها لم يكفر ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا
فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ يقول لرسول الله صلى الله عليه ولو شئنا لخففنا
عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك
وفضلناك على ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد
بهذا تهييجه وتهييج المومنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذى يدل عليه ولا تطع والمراد
ان الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك
بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير فى به الى
ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذير لوجبت
على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك



وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ سمى الماءين الكثيرين بحرين
والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين
وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفى كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر
ممزوج وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير
عمد مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا
فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هى الكلمة التى تقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى هيهنا واقعة على سبيل
المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اى لا يبغى احدهما
على صاحبه بالممازجة فهو يتعوذ منه وهى من احسن الاستعارات واشهدها فى البلاغة ﴿وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ اراد فقسم البشر قسمين ذوى نسب
اى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن ونحوه
قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعين ذكرا وانثى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ
ظَهِيرًا﴾ الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان
على ربه بالعداوة والشرك روى انها نزلت فى ابى جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور
دين الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا
من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا يلتفت اليه وهذا نحو قوله اوليك لا خلاق لهم فى
الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثنائه
عن الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ
هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب
وسماه باسمه فافاد فايدتين احديهما قلع شبهة الطمع فى الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان
حفظك لمالك ثوابا فانى اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد
بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث
اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة
وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة فى سبيل الله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ
كَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ امره بان يثق به ويسند امره اليه فى استكفاء شرورهم مع التمسك
بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحى الذى لا يموت
حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتوكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قراها
فقال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شىء آمنوا ام كفروا

وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى للملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنا عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بداعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسئل والباء في به صلة سئل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء يريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن



والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف في النهار كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته عمله من الذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله شعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت

مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى اخزن
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من
كلام الله وحكاية لقولهم **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** قرئ يقتروا
بكسر التاء وضمها ويقتّروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف و
الاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى الله عليه
وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما
في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه
شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام
حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر
فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه
يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وآله كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة
ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر
عوراتهم ويكنهم من الحر والقر قال عمر كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين
الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما
بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني
بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف
خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير
قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا** حرم الله اي
حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام
عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل
والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية
ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات
الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال **شعر** جزى الله ابن عروة حيث امسى
عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام
لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحال وكذلك

يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات
يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم **فان قلت** ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات **قلت**
اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب
عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى
وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي
ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا
للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين
ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم
الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع **والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو
مروا كراما** يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة
الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم
تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه
لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله
عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو
كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم
عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا
وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه **والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا** لم يخروا
عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء
والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها
سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على
من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما
فيها كالمنافقين واشباههم **والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
واجعلنا للمتقين اماما** قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم
ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من
ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سالوا ان
يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس
ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد
واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين
يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة **فان قلت** من في قوله من ازواجنا

ماهي قلت يحتمل ان يكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا و ذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اى انت اسد وان يكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلا تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين لان دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ ويلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق اثاما التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاوليك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واى عبء يعبؤ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ على كما تقول ما اكترثت له اى ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تاويل ما يعبأ بكم ربي اى وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مومنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة و التكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مومن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين

طسم بتفخيم الالف واماليتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالنون وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يومنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل لو انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظلل اعناقهم فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس روساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الروس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اى ما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهي الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره و صار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو القرآن وسياتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضي ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اى من كونه مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه و ضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح

والحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال لايات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مودى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جملة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه تعالى ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فايدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون باليا وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ ويضيق ولا ينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زايدة على ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل قد بقيت منها بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخي هرون هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن

معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورايه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سامع وسميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الروية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه البرم ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فان قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الكني اليها وخير الرسو ل اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول

معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتبة ونحو ذلك ومعنى
هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى
انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال
ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك
لانه معلوم ولا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية
عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة
وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسرة وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب
من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمة من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما
جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز
ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه
او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض
الصغاير فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت
عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين
كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك وقرئ
والاهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي من الجا
وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسر والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال
يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد
للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون
ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة
عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من سنخه وابى ان يسمى
نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم
هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا
وعبدان فان قلت اذن جزاء وجواب معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون
وفعلت فعلتك فيه معنى انك جزيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت
عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت
قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما
محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت
الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى
تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي

هذا الجواب لا يلايم قوله وانا من الضالين لانه يدل على انه اعترف بانه فعل ذلك جاهلا او ناسيا

قوله وانا من الضالين رد لقوله وانت من الكافرين وليس من تتمة قوله فعلتها اذن فتامل والله

لان عبدت

لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم **قال فرعون وما رب العالمين قال رب**
**السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم**
**الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم**
**تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين** لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه
رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان
يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة
ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما
ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو
الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال
فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعايه الالهية فلما
اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز
به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا
الوجه خير **فان قلت** كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع **قلت** اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر
ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين **فان قلت** ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين من فرعون وملائه
الايقان **قلت** معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او
ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله **فان قلت** ومن كان حوله **قلت** اشراف
قومه قيل كانوا خمسماية رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة **فان قلت** ذكر السموات والارض وما بينهما قد
استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر ابائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب **قلت** قد عم اولا ثم خصص
من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين
من الدلايل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص
المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة
وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة
على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة **فان قلت** كيف قال
اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون **قلت** لاين اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء
الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون **فان قلت** الم يكن لاسجننك اخصر من
لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه **قلت** اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا
ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة
العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد **قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت**
**به ان كنت من الصادقين** الواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل
بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق
في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون

قوله قال له عند دخوله نظم مختل لسبق المقاولة واجيب بانه اراد

العالمين والقصة واحدة والمجلس واحد فحمله المصنف على ان الثاني ما اداه البواب من لسانه عليه السلام

لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوّزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك ائت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزوّرة بالشعوذة والسحر وروى انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا **ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين** دليل على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روى ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسدّ الافق **قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون فان قلت** ما العامل في حوله **قلت** هو منصوب نصبين نصب على اللفظ ونصب المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحيّر فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زلّ عنه ذكر دعوى الالهية وحطّ عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحسّ به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان هذا الساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحّل اذا الزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير **قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين** قرئ ارجئه وارجه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخّره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا الساحر بقولهم بكل سحّار فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقّته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقّت به اي حدّد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام **وقيل للناس هل انتم مجتمعون** هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد ربّ اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به **لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين** لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين** وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذن قارّة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به القربة عنده

وزلفى



وزلفى **قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون** اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف **فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين** ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم سمّي تلك الاشياء افكا مبالغة روى انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن تغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبّر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا **فان قلت** فاعل الالقاء ما هو لو صرّح به **قلت** هو الله تعالى بما خوّلهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدّر فاعلا لان القوا بمعنى خرّوا وسقطوا **قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون** رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدّعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى **قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين** فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم **قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون** الضر والضير والضور واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل لانه لا بدّ لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدلّ بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك **واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون** قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم و روى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله اوحى

الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى سآمر الملائكة
ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادى حتى تنتهى
الى البحر فياتيك امرى فارسل فرعون فى اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون فى جمع
وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون فى الف الف
حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين
ان هؤلاء محكى بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذى بلى وتقطع قطعا
ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة
الذى هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى
انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكن يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ
والحذر واستعمال الحزم فى الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل
المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة
فالحذر اليقظ والحاذر الذى يجدد حذره وقيل المودى فى السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه
والحادر السمين القوى قال شعر احب الصبى السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم
اقوياء اشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى اجسامهم **فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم** وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله والمقام المكان يريد
المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال **كذلك واورثناها بنى اسرائيل
فاتبعوهم مشرقين** كذلك يحتمل ثلثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والجر
على انه وصف لمقام اى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى الامر
كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت
**فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين** سيهدينى
طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من
ادرك الشىء اذا تتابع ففنى ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم فى الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفى
معناه بيت الحماسة شعر ابعد بنى امى الذين تتابعوا ارجى الحيوة ام من الموت اجزع والمعنى انا نتتابع
فى الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد **فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم** الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد
فى السماء **وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين** وازلفنا
ثم حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اى قربناهم من بنى اسرائيل وادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو
منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اى ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا
وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم فى البحر على خلاف ما جعله لبنى
اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول
لبنى اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤ

آل فرعون وكان بين يدى موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدرى موسى
ما يصنع فاوحى الله موسى اليه ان اضرب بعصاك البحر وضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى ان يوشع
قال يا كليم الله اين امرت قد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا
وروى ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شىء والمكون لكل شىء والكائن بعد كل شىء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وهو كر
من وراء مصر يقال له اساف **ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم**
ان فى ذلك لآية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها الكثير ولا آمن بالله وبنو
اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله
جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه **واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه و
قومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين** كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم
عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شىء كما تقول للتاجر ما مالك
وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب
فكان القياس ان تقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب
ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم
نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس فى
بلادك فيقول البس البرد الاتحمى فاجر ذيله بين جوارى الحى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل **قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون** لا بد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف
معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم اى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك و
جاء مضارعا مع ايقاعه فى اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الحال الماضية التى تدعونها فيها
وقولوا هل سمعوا او اسمعوا وهذا ابلغ فى التبكيت **قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم
ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين** لما اجابوه بجواب المقلد
لآبائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهى عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم
والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام
الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان
المغرى على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لى تصويرا للمسئلة فى نفسه على
معنى انى فكرت فى امرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله
منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم
الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال
فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل فى باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح
لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعى ان رجلا واجهه بشىء فقال لو كنت بحيث
انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون فى الحجر فقال ما هو بيتى ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان فى معنى

الواحدة والجماعة قال شعر وقوم على ذوى ميرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبّهها بالصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا ربّ العالمين استثناء منقطع كانّه قال لكن ربّ العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثمّ يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فهو يهدين يريد انّه حين اتمّ خلقه و نفخ فيه الروح عقّب ذلك هدايته المتّصلة التى لا تنقطع الى كلّ ما يصلحه ويعينه والا فمن هداه الى ان يغتذى بالدم فى البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانّما قال مرضت دون امرضنى لانّ كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثمّ قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياى والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لانّ الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هى قوله انّى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هى اختى وما هى الا معاريض كلام و تخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهى تقع مكفّرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له قلت الجواب ما سبق الى انّ استغفار الانبياء تواضع منهم لربّهم وهضم لانفسهم ويدلّ عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم فى اجتناب المعاصى والحذر منها وطلب المغفرة ممّا يفرط منهم فان قلت لم علّق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانّما يغفر فى الدنيا قلت لانّ اثرها يتبيّن يومئذ وهو الآن خفىّ لا يعلم ربّ هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنّة النعيم واغفر لابى انّه كان من الضالّين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الّا من اتى الله بقلب سليم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحقّ وقيل النبوّة لانّ النبىّ ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفّقه لعمل ينتظم به فى جملتهم او يجمع بينه وبينهم فى الجنّة ولقد اجابه حيث قال وانّه فى الآخرة لمن الصالحين والا من الخزى وهو الهوان او من الخزاية وهى الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم ممّا علموا انّه مغفور وفى يبعثون ضمير العباد لانّه معلوم او ضمير الضالّين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعنى ولا تخزنى يوم يبعث الضالّون وابى فيهم الّا من اتى الله الّا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم تحيّة بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الّا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين فى معنى الغنى كانّه قيل يوم لا ينفع غنى الّا غنى من اتى الله بقلب سليم لانّ غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما انّ غناه فى دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بدّ لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هى من جنس المال والبنين حتّى يؤول المعنى الى انّ المال والبنين لا ينفعان وانّما ينفع سلامة القلب ولو لم تقدّر المضاف لم يتحصّل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اى لا ينفع مال ولا بنون الّا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه فى طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلّمهم الشرائع ويجوز على هذا الّا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصى وممّا اكرم الله به خليله ونبّه على جلالة محلّه فى الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض

باصابته فيه ثمّ جعله صفة له فى قوله وانّ من شيعته لابرهيم اذ جاء ربّه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذى سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتّب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اوّلا عمّا يعبدون سؤال مقرّر لا مستفهم ثمّ انحى على آلهتهم فابطل امرها بانّها لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان تكون حجّة ثمّ صوّر المسئلة فى نفسه دونهم حتّى تخلّص منها الى ذكر الله تعالى فعظّم شانه وعدّد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ثمّ اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوّابين ثمّ وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الحسرة والندم على ما كانوا فيه من الضلال وتمنّى الكرّة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنّة للمتّقين وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون الجنّة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانّهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسّرون على انّهم المسوقون اليها قال الله وازلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد قال فلمّا رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فيجمع عليهم الغموم كلّها والحسرات فيجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غمّا فى كلّ لحظة ويوبّخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانّهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اى الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برّزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكبّ جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كانّه اذا القى فى جهنّم ينكبّ مرّة بعد مرّة حتّى يستقرّ فى قعرها اللهمّ اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنّا لفى ضلال مبين اذ نسوّيكم بربّ العالمين وما اضلّنا الّا المجرمون وجنود ابليس شياطينه اى متّبعوه من عصاة الانس والجنّ ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتّى يصحّ التقاول والتخاصم ويجوز ان يجرى ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلّوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربّنا انّا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلّونا السبيلا وعن السدّى الاوّلون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانّه اوّل من سنّ القتل وانواع المعاصى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فما لنا من شافعين كما نرى للمؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيّين ولا صديق كما نرى لهم من اصدقاء لانّه لا يتصادق فى الآخرة الّا المؤمنون وامّا اهل النار فبينهم التعادى والتباغض قال الله تع الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الّا المتّقين او فما لنا من شافعين ولا صديق من حميم من الذين كنّا نعدّهم شفعاء واصدقاء لانّهم كانوا يعتقدون فى اصنامهم انّهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انّهم وقعوا فى مهلكة علموا انّ الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفى ما يتعلّق بهم من النفع لانّ ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذى يهمّه ما يهمّك او من الحامّة بمعنى الخاصّة وهو الصديق الخاصّ فان قلت لم جمع الشافع ووحّد الصديق قلت لكثرة الشفعاء فى العادة وقلّة الصديق الا ترى انّ الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يكن له باكثرهم معرفة وامّا الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمّه ما يهمّك فاعزّ من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انّه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع

فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة و ذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبرد اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة شعر
لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
اني لكم رسول امين كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وآله في قريش فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون واطيعوني في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سرائرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا

ايضا فاتقوا الله واطيعوني في نصحي لكم ... الى ما ينفعكم دينا ودنيا ...

قوله صانع ... الرعاع لا احداث الطغام ...

قوله ان يتغابى آه يتجاهل ويتغافل قال في النهاية الغبي القليل الفطنة ...

سكره والحذر من كفران نعمته ○ قوله هم الغاغة آه الغاغة الرعاع والسفلة والحاكة جمع الحايك والاساكفة جمع الاسكاف ...



بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وقرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال ابن علس في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب ولا تتثبتون متفكرين في العواقب فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون في ما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن

قوله يقال شحنها آه الضمير للمدينة او القرية يقال شحنت البلد بالخيل ملأته كما قال عامر بن الطفيل ...

قوله بوزن كناز آه الكناز الناقة المكتنزة اللحم ومثله ناقة كناز ...

تم قوله وابل هجان آه ...

والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل
فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شي كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم
ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت
فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات
غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل
فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل فانفعه
لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت
من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب
ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين وقرا الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرى فرهين وفارهين والفراهة الكيس و
النشاط ومنه خيل فرهة فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
استعير الامتثال الامر وارتسامه وطاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامرون ومنه قولهم
لك علي امرة مطاعة ومنه قوله تع واطيعوا امري فان قلت ما فايدة قوله ولا يصلحون قلت فايدته ان فسادهم فساد
مصمت ليس معه شي من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين
ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرية
وانه بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي
والقوت وقرى بالضم روى انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل
صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء
ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم
لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم
بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم
ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقر حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون ترضين
فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين
ان تعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا
ندم التائبين ولكن في وقت غير التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال تع وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل
كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم اتاتون الذكران من العالمين اراد
بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم
كان الاناث قد اعوزتكم او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه

الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم
عادون من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة
ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسايهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز
فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك او بل انتم
قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون
من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه
وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم من القالين ومن القالين ابلغ من ان تقول اني لعملكم
قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة
مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد والكبد وفي
هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى يقرب كراهة المعاصي
من الكراهة الجبلية رب نجني واهلي مما يعملون مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية
العصمة فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فان قلت فما معنى
قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها
راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة
فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم
في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
وقيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار
فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا
من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف
وهو مطرهم كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قرئ اصحاب الايكة بالهمزة
وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه
خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف
قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولا على
هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في ساير القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف
وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في ساير
المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة
اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفاء
ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزايد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن

وان لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا ادخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفة قطعة والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء قال ربي اعلم بما تعملون ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلوب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح

الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلوات الله عليهم وسلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزله على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج منها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد شعر

فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه اذا هي عردت اقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي

لا يحسن العربية فضلاً عن ان يقدر على نظم مثله فقرئ عليهم هكذا فصيحا معجزاً متحدّىً به لكفروا به
كما كفروا ولتمحّلوا لجحودهم عذراً ولسمّوه سحراً ثم قال كذلك سلكناه اى مثل هذا السلك سلكناه فى قلوبهم و
هكذا مكّنّاه وقرّرناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف
ما فعل بهم وصنع وعلى اى وجه دبّر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيّروا عمّا هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزّلنا
عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين **فان قلت** كيف اسند السلك بصفة التكذيب
الى ذاته **قلت** اراد به الدلالة على تمكّنه مكذّبا فى قلوبهم اشدّ التمكّن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه
وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريد تمكّن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه
اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به **فان قلت** ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه فى
قلوب المجرمين **قلت** موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذّبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع ما يقرّر هذا
المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اى سلكناه فيها غير مؤمن
به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعنى الساعة وبغتة بالتحريك وفى حرف ابىّ ويروه بغتة **فان قلت** ما معنى التعقيب
فى قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا **قلت** ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه فى الوجود وانما
المعنى ترتّبها فى الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم
مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون فمقتك
الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر
على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع فى هذا الاسلوب
فيحلّ موقعه **أفبعذابنا يستعجلون** افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب
من هو معرّض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل
ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبّخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه
آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتّعون باعمار
طوال فى سلامة وامن فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون اشراً وبطراً واستهزاءً واتكالاً على الامل الطويل
**أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون** ثم قال هب ان الامر
كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم
وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنّى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف **وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون** منذرون
رسل ينذرونهم **ذكرى وما كنا ظالمين** ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكّر متقاربان فكانه قيل
مذكّرون تذكرة واما لانها حال من الضمير فى منذرون اى ينذرونهم ذوى تذكرة واما لانها مفعول له على معنى
انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة
اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون
ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين
اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا

الوجه عليه المعوّل **فان قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم **قلت** الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما
فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم **وما تنزّلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع
لمعزولون** كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزّل عليه من جنس ما يتنزّل به الشياطين على الكهنة فكذّبوا
بان ذلك مما لا يتسهّل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل
السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخيّر بين ان يجرى الاعراب على النون
وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيّرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين و
فلسطين وفلسطون وحقّه ان يشتقّه من الشيطوطة وهى الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ
فى قراءته الشياطون ظن انها النون التى على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتجّ بقول العجاج ورؤبة فهلّا
جاز ان يحتجّ بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه **فلا تدع
مع الله الها آخر فتكون من المعذبين** قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرّك منه لازدياد
الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل فان كنت فى شك مما
انزلنا اليك **وانذر عشيرتك الاقربين** فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه
ويبدأ فى ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدّم انذارهم على انذار غيرهم كما روى انه عليه
السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قدمى هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثانى
ان يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم فى الانذار والتخويف وروى
انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذاً فخذاً فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف
يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا املك لكم من الله شيئا سلونى من مالى ما شئتم وروى انه جمع بنى
عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العسّ على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا
وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا انفسكم من النار
فانى لا اغنى عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد
اشترين انفسكن من النار فانى لا اغنى عنكن شيئا **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان
عصوك فقل انى برىء مما تعملون** الطائر اذا اراد ان ينحطّ للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان
ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا فى التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك فى رفعه اجدلا ينهاه عن التكبّر بعد التواضع **فان قلت** المتّبعون للرسول
هم المؤمنون والمؤمنون هم المتّبعون للرسول فما قوله لمن اتبعك من المؤمنين **قلت** فيه وجهان ان تسمّيهم
قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدّقين بالسنتهم وهم صنفان صنف
صدّق واتّبع رسول الله عليه الصلوة والسلام فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان
يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم يعنى انذر قومك فان اتّبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك ولم يتّبعوك فتبرّأ
منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره **وتوكّل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلّبك فى**

فى الساجدين انه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض
الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو
معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد المتوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل
به عن نفسه بمعصية الله تعالى وفى مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان
فى العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذى يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم
اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
فى تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله
وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من
دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة
وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سئل ابا حنيفة هل
تجد الصلوة فى الجماعة فى القران فقال لا يحضرنى فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت و
تقلبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره
فيمن يصلى خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم
وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع
واكثرهم كاذبون كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشيا
كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب
ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون
الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون
المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى
اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من
مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له
صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل
على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من
فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت
يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون فى محل النصب على الحال اى تنزل ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل افاك
لانه فى معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستانف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت
فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين
يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك
فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين

وما تنزلت

وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق
بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المجئ بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان
المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفى صدره
اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم الغاوون
والشعراء مبتدا ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه
من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح
ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون و
قيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن
عبد مناف وابو عزة الجمحى ومن ثقيف امية بن ابى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه و
يجتمع اليهم الاعراب من قومهم يسمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة
انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الم تر انهم فى كل واد يهيمون
ذكر الوادى والهيوم فيه تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق و
مجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البرئ ويفسقوا
التقى وانهم يقولون ما لا يفعلون وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله شعر
فبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد
درا الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون استثنى الشعراء المؤمنين الصا
الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله
والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة
وصلحاء الامة وما لا باس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان
هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تع لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من
غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تع فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن
عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال له ان صدرى ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول
فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده
لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شئ اهيب منه و
اهول ولا انكأ لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ
وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اى منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر حين عهد اليه وكان
السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير

من ان تأمن فتنقطع الخوف وقرأ ابن عباس اى منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من
عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين
عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب ع قال رسول الله صلى الله عليه
وآله من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح
وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليهما **سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية وقيل
اربع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم** طس تلك آيات القرآن
وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته
انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعا
من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها و
التعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله
تع في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما يعطف
احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق
لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك واي كتاب
مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف
والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب
وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم هدى وبشرى للمؤمنين هدى وبشرى في محل النصب والرفع
فالنصب على الحال اى هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلثة اوجه على
هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اى جمعت آيات وانها هدى وبشرى و
المعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله تع فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت
يحتمل ان يكون من جملة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون
ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية
وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان
والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان
اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تع مجاز وله
طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق
الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم
وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك

اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني
ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه
بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن
والعمه التردد والتحير كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط
فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في
الآخرة هم الاخسرون سوء العذاب الاسر والقتل يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم
لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وانك لتلقى القرآن
من لدن حكيم عليم لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه
الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ
قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام ويجوز ان
ينتصب بعليم وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب
على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به من حال
الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر
تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء
بسين التسويف قلت عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو
قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة
بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين
جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها
وسبحان الله رب العالمين ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت
هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان قلت لا لانه لا بد من قد
فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان
النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تع نودي من شاطئ
الوادي الايمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار و
بوركت البقعة وبورك من فيها ومن حواليها حدوث امر ديني وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات
عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف
بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر
انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام
بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث
الانبياء صلوات الله ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك

عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضى امر عظيم ينتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين
تنبيها على ان الكاين من جلايل الامور وعظايم الشؤون يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الهاء في انه
يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى
ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان
يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة
وتدبير والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني
لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم فان قلت
علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما
تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله يا موسى
اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرا الحسن جان على لغة
من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شابة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين لم يعقب لم يرجع يقال عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعبه لظنه ان ذلك لامر
اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو
الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس
وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من
موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء
حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا وادخل يدك في
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين في تسع آيات
كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام فقال
منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات
وعدادهن ولقايل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتامليها لانهم لابسوها وكانوا
بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار
فرعون وملائه كقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي
غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصاير فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرا علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو
مجبنة ومبخلة ومجزرة اي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان
بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا
بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفايدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم والاستيقان ابلغ من

الايقان

الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات الله بينة
واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه ولقد آتينا داود و
سليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين علما طايفة من العلم
او علما سنيا غزيرا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر
قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم او شيء من مواجبه فاضمر
ذلك ثم عطف عليه التحميد فكانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة
وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على
كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم
من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم
درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف و
المنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما
اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه
مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وورث منه النبوة والملك دون
ساير بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس
تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير و
غير ذلك مما اوتيه من عظايم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد و
قد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من
الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى
انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم
قال يقول اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا و
صاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى
فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال
يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحداء
يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول
اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل
احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثاره ومثله قوله واوتيت
من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا
واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون

يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التى كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه واظهار ابهته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح فى عين عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفين حتى تمر عليه الكتايب **وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون** روى ان معسكره كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس ويرفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم احد بشئ الا القته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتى آل داود يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة **حتى اذا اتوا على وادى النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** قيل هو واد بالشام كثير النمل **فان قلت** لم عدى اتوا بعلى **قلت** يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثانى ان يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادى لانهم ما دامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلونى عما شئتم فكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهى وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ ولا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى اولى العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم **فان قلت** لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذى جوز ان يكون بدلا منه انه فى معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا اريتك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه قوله عجبت من نفسى ومن اشفاقها **فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وان اعمل صالحا ترضيه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه يعنى انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه



فالغرض المبالغة فى وصف ما وجد منه من الضحك النبوى والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرئ ابن السميفع ضحكا **فان قلت** ما اضحكه من قولها **قلت** شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم فى باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعنى انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذى هو مثل فى الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعنى اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى واكفه وارتبطه لا ينفلت عنى حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك وروى ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم فى الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين واجعلنى من اهل الجنة **وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتينى بسلطان مبين** ام هى المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالى لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم الى السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسنا اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة فيجئ الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا هو موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك واقدرك على الا رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او لياتينى بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه **فان قلت** من اين حل له تعذيب الهدهد **قلت** يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله

الا بالتاديب والسياسة فجاز ان يباح له ما يستصلح به وقرى ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة و
العذر فان قلت قد حلف على احد ثلثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على
فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتى بسلطان حتى يقول او ليأتينى بسلطان قلت لما نظم الثلثة باو فى الحكم
الذى هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعنى ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح
وان لم يكن كان احدهما وليس فى هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بانه
سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتينى بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث غير بعيد فمكث
قرى بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على
اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى
قدرة الله تع فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين احطت بادغام الطاء فى التاء باطباق
وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة
والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على ان فى ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم
يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء واعظم
بها فتنة والاحاطة بالشئ علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة
ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه احد اعلم منه سبأ قرى بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء و
عن ابن كثير فى رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدى سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله
اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحى او الاب الاكبر صرف قال شعر من سبأ الحاضرين مارب اذ يبنون
من دون سيله العرما وقال شعر الواردون وتيم فى ذرى سبأ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة
مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ
الخبر الذى له شان وقوله من سبإ بنبإ من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التى
تتعلق باللفظ بشرط ان يجئ مطبوعا او بصنعة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا
زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح
لما فى النبإ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شئ ولها
عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون
وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن
كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس و
الضمير فى تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل
فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا وكان سمكه ثمانين وقيل ثلثين فى ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا
بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب
مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان عليه السلم قلت يجوز ان يستصغر حالها الى
حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون

لبعض امراء الاطراف شئ لا يكون للملك الذى يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله
ولها عرش عظيم ويبتدئ وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع
فى عظيمة وهى مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شئ مع قول سليمان واوتينا من كل شئ كانه سوى
بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى
ما اوتى من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت
من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة
بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب قلت لعل الله تع اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى
مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له و
انكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله تع ذلك كما الهمه وغيره من الطيور
وساير الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه
بكتاب الحيوان خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد اراد فصدهم
عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا
ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمى يا
دارمى على البلى وفى حرف عبد الله وهى قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون
بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفى قراءة ابى الا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما
تعلنون وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه تعالى من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف
والخبا على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا
الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبى ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة
وقرئ يخفون ويعلنون بالتاء والياء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل هو كلام رب العزة وفى
اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى
السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذى الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة
او فن من العلم فى روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت اسجدة
التلاوة واجبة فى القراءتين جميعا ام فى احديهما قلت هى واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح
لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعى على ان
سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا فى سجدة ص فهى عند ابى حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعى سجدة شكر وفى
سجدتى سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت
هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا يا اسجدوا وان شاء وقف
على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله
فى الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات
والارض وقرئ العظيم بالرفع قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين سننظر من النظر الذى هو التأمل و
التصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا

لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به **اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون** تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قولهم يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة **فان قلت** لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع **قلت** لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك **قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم** كريم حسن مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال صلى الله عليه وآله وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم **انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين** هو استيناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان تريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة وان في الا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين **قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون** الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف **قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين** ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا تامرين نتبع رايك **قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وارتهم الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت

الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية لمصانعة بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما كان معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما فيه وقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف **فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون** وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤوا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية **فان قلت** ما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء **قلت** اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله **فان قلت** فما وجه الاضطراب **قلت** لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم

على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اى لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير فى منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا فى اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين آتى به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم الذى عنده علم الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما يقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل وآتيك فى الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل والطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف فى نحو قوله شعر وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شئ فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجئ به كما تقول لصاحبك افعل كذا فى لحظة وفى رده طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة ومن شكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفى كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذى قاله سليمان عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة

ابناء



ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رات تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمان وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذى سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت فى جوابها وطبقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التى تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها وسبقناها الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا فى الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير ساقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحدة والممرد المملس وروى ان سليمان امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك اشد وافظع فقالوا له ان فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره عنه وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هى السبب فى اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير

اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان
يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا
هم فريقان يختصمون** وقرئ ان اعبدوا الله بالضم على اتباع النون البا، فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد
بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل
الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** السيئة العقوبة والحسنة التوبة **فان قلت** ما معنى استعجالهم بالسيئة
قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى **قلت** كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها
صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن
عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها
لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه **قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون**
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشأم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير
لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اى قدر الله
الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشأم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اى تشأمنا وكانوا قد قحطوا قال
طائركم عند الله اى سببكم الذي يجئ منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز
ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومثله قوله طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في
عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشأم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم
الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة **وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون** المدينة
الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط
من الثلثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم
ابن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف
وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شأنهم الافساد البحت الذي
لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن
لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون** تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اى قالوا
متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ ليبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح
فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر
انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك و
مهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان **فان قلت** كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا
بالخبر على خلاف المخبر عنه **قلت** كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا
ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع
على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله
ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب **ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين.**



مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل
الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن
نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث
الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل
بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله
الملائكة ملأ دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استيناف ومن قرأ بالفتح
رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان
اى كان عاقبة مكرهم الدمار **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون
وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** خاوية حال عمل فيها ما دل عليه ذلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع
على خبر المبتدأ المحذوف **ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون** واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه
واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اى تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها و
ان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم
بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم
العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر
بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله **شعر** وبح باسم من
ما تاتي وذرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
**فان قلت** فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء **قلت** اراد تفعلون
فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي
كانوا عليها **فان قلت** تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ
بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون **قلت** اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى و
ارسخ اصلا من الغيبة **فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون** وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء **فانجيناه واهله الا امرأته
قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين** قدرناها قدرنا كونها من الغابرين
كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى آلله خير اما يشركون** امر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين
على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من
عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار
بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث
العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد

وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك
من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء
واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من
اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من
هو خالق كل شيء ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله
ولا يوثر عاقل شيا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما
آثروه وانهم لم يوثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز
وينبذ لهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزايد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو
مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي آثار
رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالتاء والياء وعن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم **ام من خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه
مع الله بل هم قوم يعدلون** **فان قلت** ما الفرق بين ام وام في اما يشركون وامن خلق **قلت** تلك متصلة لان
المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله آلله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض
خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل
بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون **فان قلت** اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة
الى التكلم عن ذاته في قوله فانبتنا **قلت** تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدايق المختلفة
الاصناف والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا
ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال
من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطية رايهم والحديقة البستان عليه حايط من الاحداق
وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدايق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر
يبتهج به االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ االها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين
وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد **امن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون**
امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا
**امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض االه مع الله قليلا ما تذكرون**
الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي
احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي
الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر **فان قلت** قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر
يدعو فلا يجاب **قلت** الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة
واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض

وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها
قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف
وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي **امن يهديكم في ظلمات البر و
البحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته االه مع الله تعالى الله عما يشركون** يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات
في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر **امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء و
الارض االه مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** **فان قلت** كيف قيل لهم امن يبدؤ الخلق ثم يعيده
وهم منكرون للاعادة **قلت** قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء
الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه **قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون** **فان قلت** لم رفع اسم الله والله يتعالى عمن في السموات والارض **قلت**
جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا
اخوانه **فان قلت** ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي **قلت** دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى
مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني
ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها
عن الانيس **فان قلت** هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى
ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم **قلت** يابى ذلك ان كونه في السموات والارض
مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في
السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته
الا ترى كيف قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عايشة من زعم
انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم
اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا تصرف
وقرئ ايان بكسر الهمزة **بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون** قرئ بل
ادرك بل ادارك بل ادّرك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آدرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى أأدرك ام تدارك ام ادرك
فهذه ثنتا عشرة قراءة وادّارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم في الآخرة
انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كاينة
لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون
يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله
ناس منهم **فان قلت** ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم
ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسبابه

العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرا بل آدرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن قرا بلى ادرك وبلى آدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا بلى آدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شان الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلبا للتمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وهو ان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا تفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض ومن حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم فان قلت قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ لم يلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله خطيئاتهم اغرقوا وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدره من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق

قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظيرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله تعالى واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي بحكمه الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصره وان مثله لا يخذل فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلائم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت

قوله ويجوز ان يراد في امر مضيق يعني ضيق ههنا مطلق يجوز ...

لاستفهامه فيه او بتركه على اطلاقه فيحمل على العموم فالامر بمعنى الشان والحال

قوله يعني دنونا من عمير الى آخره اي دنونا منهم زاد ...

الهزم وقوله والمنية تعنق اي تسرع خلفهم مبالغة حسنة في عدم نجاتهم

الرادفين للمردوفين بمنزلة المنايا قوله يعني من العنق

هو توكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم و
ما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة
اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته
اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له واذا وقع
القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون سمي معنى القول
ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها
وحين لا ينفع التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن
ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع
آدم عليه السلام وروي لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس
ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله يعني مسجد الحرام وروي انها ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتمكن ثم تخرج بالبادية ثم تتمكن دهرا طويلا فبينا
الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون تعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي
تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ لهم صرخة تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن
في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او فتترك
وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب
بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان
انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم
من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح
كما فسر لتحرقنه بقراءة علي صلى الله عليه وسلم لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس
على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي
تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف يقول باياتنا قلت
قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت
ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف
الجار اي تكلمهم بان ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون فهم
يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه

قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب وبيل على الصفة كانه قيل صنع الله ذلك صنعا وهذا الوجه مما ذكره المصنف لكن يحتاج في تقريره الى بيان

كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة
سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
كقوله من الاوثان حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول
عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة
العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها
فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه اما
ذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها
او التكذيب ومثاله ان يقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي اماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدي به وتجعله اصل
كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها
الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا الاكل وانه لا يقدر ان تدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من
خلاف ذلك واراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك
يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل
كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بايات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله
ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف
لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع
وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به
والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق
مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه وداخرين فالجمع
على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز
ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء
انه خبير بما يفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة
فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير
كما يسير السحاب الريح فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما تمر السحاب وهكذا الاجرام
العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا يكاد يتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش شعر بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله الذي

اتقن كل شيء يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرايه لها على قضايا
الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر
الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما
افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته
والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد
ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل
لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة
كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع **فان قلت** ما الفرق
بين الفزعين **قلت** الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان
المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان
وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب **فان قلت** فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه **قلت** يحتمل معنيين من فزع واحد
وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من الرعب والتهيب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي
ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار من يعدي بالجار ونفسه
كقوله افأمنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك بالله يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله
تعالى فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات
وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول **انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء**
**وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين**
**وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون** امر رسوله بان يقول امرت ان اخص
الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة
او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه
واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه
الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا
على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها
بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها
ولا ينفر صيدها واللاجي اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة
الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي
شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن
اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة
اهتدايه راجعة اليه ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وانما انا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة
النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك
حين لا ينفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو



كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات
وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

## سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

**بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون** من نبأ موسى وفرعون مفعول
نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع
هؤلاء دون غيرهم **ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي**
**نساءهم انه كان من المفسدين** ان فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كان قايلا قال وكيف كان نبأهما
فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد
ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى **شعر** وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله
ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرايل والقبط والطايفة المستضعفة بنو اسرايل
وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرايل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون
فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكاين وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة
لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل فعل لا طايل تحته صدق الكاهن
او كذب **ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين** **فان قلت** علام عطف
قوله ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد **قلت** هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها
نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف
اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم **فان قلت** كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيا كان و
لم يتوقف الى وقت آخر **قلت** لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة
لاستضعافهم ايمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قادة يقتدى بهم في الخيرات
وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم
**ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** مكن له اذا جعل له مكانا
يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا
ينبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان و
جنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم **واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا**
**خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين** اليم البحر قيل هو نيل
**فان قلت** ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر **قلت** اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا
صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض العيون
المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف **فان قلت** ما الفرق بين الخوف والحزن **قلت**
الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها

ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملاها فنُفيت عنهما جميعا ومُلئت غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من
المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض
القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض
هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون
ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته
في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من
التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها
فالقيته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** اللام في ليكون
هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة
لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته
شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب
وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا
وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء او خاطئين الصواب الى الخطاء **وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون** روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم
يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه
وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها
ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم
عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون
لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع
على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من
قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان يجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان
اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن
ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه
نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك **فان قلت** وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها **قلت** ذو حالها
آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على
خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى
خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم **واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تع وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان **شعر**
الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فيكون لهم قلوب يعقلون

بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ فرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى و
المراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من
المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون
عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت به لولا انا طامنّا قلبها وسكنّا
قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين من الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ
موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما يهمز واو وجوه **وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون** قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ
عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون
بانها اخته وكان اسمها مريم **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون**
التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا وكان
لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي
او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت
وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله
شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله
وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها و
يتمكن **فان قلت** كيف حل لها ان تأخذ الاجر على رضاع ولدها **قلت** ما كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي
كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا
يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤاد ام موسى فارغا وروي انها
حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت
قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه
ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي
ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن **ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين**
واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما
ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين سنة العلم التورية والحكم السنة وحكمة الانبياء
سنتهم قال الله تع واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة العلماء والحكام وسمتهم قبل
البعث وكان لا يعمل فعلا يستجهل فيه **ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي**

الفناء مربط الخيل وموقف الخدم

الفرغ بالفاء المكسورة والعين

فغفر له إنه هو الغفور الرحيم المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين
وقيل وقت القايلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم
فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته فمن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو
السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع
باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقراء ابن مسعود فلكزه باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي
اسرائيل ان يقتل ما لم يؤمر قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف
تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت
علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير
سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة
الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله
وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني
من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة
اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى
به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع
قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له
موسى انك لغوي مبين يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان
سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وقرئ
يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي
يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله
ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم
فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا
جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر
صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب
قال رب نجني من القوم الظالمين يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق ولما توجه تلقاء مدين قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين
بن ابرهيم ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن
عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق
الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين

وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي
من خير فقير ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بيرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه
وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان
المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما
وحقيقته ما مخطوبكما من الزيادة فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك فقال شأنت شأنه اي قصدت
قصده وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس
كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا تقله الا
سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق
بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء
حتى سقى لهما وقيل كانت بيرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل
الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما
مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه
رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة
ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز
فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى في
قوله انه رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي
حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا
السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي
الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما
السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنته بسقي الماشية قلت الامر في
نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه
خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اني لاي شيء انزلت
الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وقيل ذكر ذلك وان خضرة البقل
تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة
من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضي بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة
فجاءته احديهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها
روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا

فقال لاحدهما اذهبي فادعيه فتبعهما موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته قال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول المراة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها انه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ من المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيرا وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا احتفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين روي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او تسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد والدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة و

يجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعد المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي وكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ذلك مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر واقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل في ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات

فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجر التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ذلك ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير **شعر** باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قيس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها **فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين** من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف **فان قلت** ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب **قلت** فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب **فان قلت** قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما **قلت** المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراها جناح

ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان **فان قلت** لم سميت الحجة برهانا **قلت** لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها **قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون** يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل **شعر** وردئي كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردءا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء **فان قلت** تصديق اخيه ما الفائدة فيه **قلت** ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون وقراءة من قرا ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني **قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون** العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديد سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة باياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لان الصلة لا تتقدم على الموصول ولو تاخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم **فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين** سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريدون ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها **وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون** يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى

وعدة حسن العقبي يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافرون لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت **فان قلت** العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر **قلت** قد وضع الله الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتاج تحريف الفجار وقرا ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ تكون بالتاء والياء **وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين** روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا وذلك فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان اله غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته اله غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في علّيته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة ابينت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم وبذلك امر كان في نفسه بتلك الصفة وانعجب ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فظنت لهم ظنوا بالنفي مدمجة ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان

يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين مناديا باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر وعن عمر انه حين سافر الى الشام ورأى القصور بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى **واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون** الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح **فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين** فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله والقينا فيها رواسي وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته **فان قلت** ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار **قلت** معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته **فان قلت** واي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة **قلت** ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون** بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانه لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر **وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم**

قوله ابنا جنسهم اه فالضمير راجع الى الناس الذين له لا لتاتى اليناق ويجوز اضمار المثل ... نتضمنه فى هذا المقام لهذه المعانى الجمة والفاتى فلما جاءهم على اسلوب فقد جاءكم بشير ونذير ٥ ٣

من نذير لعلهم يتذكرون الغربي المكان الواقع فى شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى صلوات الله عليه من الطور وكتب الله له فى الالواح والامر المقضى الى موسى الوحى الذى اوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذى اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه او على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى فى ميقاته وكتبه التورية له فى الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اى وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرآن الذى انت فيهم العمر اى امد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهد الموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله فى احتصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اى مقيما فى اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اى هى رحمة ما اتاهم من نذير فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسماية وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها فى حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصى هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا بما ارسلنا اليهم يعنى ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب للارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهى انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب فى قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدى وتقديم الايدى وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعنى ابناء جنسهم



ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة فى زمن موسى بما اوتى موسى وعن الحسن قد كان للعرب اصل فى ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا فى موسى وهرون ساحران تظاهرا اى تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة فى وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل فى هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولى ان اعلقته باوتى فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا فى موسى ومحمد ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة فى الآية وبينه فى قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدى بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام ويحذف الدعاء اذا عدى الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع فى دينه الا الهوى بغير هدى من الله اى مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدى اى لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم عابث وقوله بغير هدى فى موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قرئ وصلنا بالتخفيف والتشديد والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وعبرا ومواعظ ونصايح اراده ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه فى اثر بعض كقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة انا احدهم وقيل فى اربعين من مسلمى اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت اى فرق بين الاستينافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثانى بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا فى الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبل نزوله ووجوده مسلمين كاينين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغى الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك

يتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم
لا يعلمون لا تهدي من احببت لا تقدر على ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك و
غيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير
مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرب بالطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين
لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك
قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله
قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة
ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت عينك بها عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة
الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت قريش وقيل ان القايل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن
نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا
فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم
يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق
تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام
فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف او للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل
الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه يجلب ويجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك
يجنى الى فيه ويجنى الى الخانة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن
اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك
ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده
فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق
ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصيصها بالاضافة كما ينتصب
عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم
الا قليلا وكنا نحن الوارثين هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم
بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصبت معيشتها
اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف
الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل
البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما
او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين
لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تتخلف الآثار عن اصحابها حينا
ويدركها الفناء فتتبع وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي
القرى الا واهلها ظالمون وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها

وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله و
قضائه سابق ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء
وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا
الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم
حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص
بقوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على
ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة
اياما قلايل وهي مدة الحيوة المتقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دايم سرمدي
وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة
اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والكافر يتمتع والمنافق يتزين افمن وعدناه وعدا
حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين هذه الآية
تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي
احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا
من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وابي جهل وقيل في علي عليه السلام وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة
فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما
عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة
وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي
هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخي في الوقت وقرئ ثم هو بسكون الهاء
كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد
لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق
عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم
يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي
ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة
الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا
بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا وهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا

لا قسرًا او الجاءً فلا فرق اذن بين غيّنا وغيّهم وان كان تسويلنا داعيًا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلّة العقل وما بعث اليهم من الرّسل وانزل اليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزّواجر وناهيك بذلك صارفًا عن الكفر وداعيًا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشّيطان انّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الّا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله تعالى قدّم هذا المعنى اوّل شئ حيث قال لابليس انّ عبادى ليس لك عليهم سلطان الّا من اتّبعك من الغاوين تبرّأنا اليك منهم وممّا اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتًا للحقّ لا بقوّة منّا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايّانا يعبدون انّما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقرّرتين لمعنى الجملة الاولى لو انّهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انّهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه او تمنّوا لو كانوا مهتدين اذ تحيّروا عند رؤيته وسدّوا فلا يهتدون طريقًا حكى اوّلًا ما يوبّخهم به من اتّخاذهم له شركاء ثمّ ما يقوله الشّياطين او ائمّتهم عند توبيخهم لانّهم اذا وبّخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بانّ الشّياطين هم الّذين استغووهم وزيّنوا لهم عبادتهم ثمّ ما يشبه الشّماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثمّ ما يبكّتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرّسل وازاحة العلل **فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون** فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعًا لا يهتدى اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضًا كما يتساءل النّاس في المشكلات لانّهم يتساوون جميعًا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعمّيت والمراد بالنّبإ الخبر عمّا اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السّؤال ويفوّضون الامر الى علم الله وذلك قوله تع يوم يجمع الله الرّسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انّك انت علّام الغيوب فما ظنّك بالضّلّال من اممهم **فامّا من تاب وآمن وعمل صالحًا فعسى ان يكون من المفلحين** فامّا من تاب من المشركين من الشّرك وجمع بين الايمان والعمل الصّالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجّى التّائب وطمعه كانّه قال فليطمع ان يفلح **وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون** الخيرة من التّخيّر كالطّيرة من التّطيّر تستعمل بمعنى المصدر وهو التّخيّر وبمعنى المتخيّر كقولهم محمّد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لانّ معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى انّ الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السّبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرّسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الّذي لهم فيه الخيرة اى يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار **فان قلت** فاين راجع من الصّلة الى الموصول اذا جعلت موصولة **قلت** اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله انّ ذلك لمن عزم الامور لانّه مفهوم سبحان الله اى الله برئ من اشراكهم وممّا يحملهم عليه من مكابرة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار **وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون** ما تكنّ صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلّا اختير عليه غيره في النّبوّة **وهو الله لا اله الّا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون** وهو الله وهو المستأثر بالالهيّة المختصّ بها ولا اله الّا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الّا هي **فان قلت** الحمد في الدّنيا

ظاهر فما الحمد في الآخرة **قلت** هو قولهم الحمد لله الّذى اذهب عنّا الحزن الحمد لله الّذى صدقنا وعده وقيل الحمد لله ربّ العالمين والتّحميد هناك على وجه اللّذّة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التّسبيح والتّقديس وله الحكم القضاء بين عباده **قل ارأيتم ان جعل الله عليكم اللّيل سرمدًا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النّهار سرمدًا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم اللّيل والنّهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون** ارأيتم وقرئ اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسىّ ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسّرمد الدّائم المتّصل من السّرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدّلاص **فان قلت** هلّا قيل بنهار تتصرّفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه **قلت** ذكر الضّياء وهو ضوء الشّمس لانّ المنافع الّتى تتعلّق به متكاثرة ليس التّصرّف في المعاش وحده والظّلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمّ قرن بالضّياء افلا تسمعون لانّ السّمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن باللّيل افلا تبصرون لانّ غيرك يبصر من منفعة الظّلام ما تبصره انت من السّكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين اللّيل والنّهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو اللّيل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النّهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللّفّ **ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الّذين كنتم تزعمون** في تكرير التّوبيخ باتّخاذ الشّركاء ايذان بان لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شئ ادخل في مرضاته من توحيده اللّهمّ فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في النّاجين من وعيدك **ونزعنا من كلّ امّة شهيدًا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا انّ الحقّ لله وضلّ عنهم ما كانوا يفترون** ونزعنا واخرجنا من كلّ امّة شهيدًا وهو نبيّهم لانّ انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامّة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشّرك ومخالفة الرّسول فعلموا حينئذ انّ الحقّ لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضلّ عنهم وغاب عنهم غيبة الشّئ الضّائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب **انّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما انّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوّة اذ قال له قومه لا تفرح انّ الله لا يحبّ الفرحين** قارون اسم اعجمىّ مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتّعريف ولو كان فاعولًا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انّه آمن به وقيل كان اسرائيليًّا ابن عمّ لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمّى المنوّر لحسن صورته وكان اقرأ بنى اسرائيل للتّورية ولكنّه نافق كما نافق السّامرىّ وقال اذا كانت النّبوّة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فمالى وروى انّه لمّا جاوز بهم موسى البحر وصارت الرّسالة والحبورة لهرون يقرّب القربان ويكون رأسًا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدّقك حتّى تأتي بآية فامر رؤساء بنى اسرائيل ان يجئ كلّ واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبّة الّتى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيّهم باللّيل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتزّ ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللّوز فقال قارون ما هو بأعجب ممّا تصنع من السّحر فبغى عليهم من البغى وهو الظّلم قيل ملّكه فرعون على بنى اسرائيل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذّخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثّياب شبرًا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتّى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستّون بغلا لكلّ خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين

يكفى الكوفة مفتاح وقد بولغ فى ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوّ والعصبة واولى القوّة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء و
وجهه ان يفسّر المفاتح بالخزاين ويعطيها حكم ما اضيف اليه للملابسة والاتّصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحلّ اذ منصوب
بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم وقول القايل ع ولست بمفراح اذا الدهر سرّني وذلك انّه لا يفرح بالدنيا الّا من رضى بها و
اطمأنّ وامّا من قلبه الى الآخرة ويعلم انّه مفارق ما فيه عن قريب لم يحدّثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القايل شعر
اشدّ الغمّ عندي فى سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالا **وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن
كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض انّ الله لا يحبّ المفسدين** وابتغ فيما اتاك الله من الغنى و
الثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس نصيبك
وهو ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك
والفساد فى الارض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل انّ القايل موسى صلوات الله عليه وقرئ وابتغ **قال انّما اوتيته على
علم عندي اولم يعلم انّ الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشدّ منه قوّة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون** على علم اى على استحقاق واستيجاب لما فىّ من العلم الذي فضّلت به النّاس وذلك انّه كان اعلم بنى اسرائيل بالتورية
وقيل هو علم الكيميا عن سعيد بن المسيّب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيميا فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنّا
ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى ما عنده فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم
الله موسى علم الكيميا فعلّمه موسى اخته فعلّمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل
عندى معناه فى ظنّى كما تقول الامر عندي كذا كانّه قال انّما اوتيته على علم كقوله ثمّ اذا خوّلناه نعمة منّا قال انّما اوتيته
على علم ثمّ زاد عندي اى هو فى ظنّى ورايى هكذا يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بانّ الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه
واغنى لانّه قد قراءه فى التورية واخبر به موسى وسمعه من حفّاظ التواريخ والايّام كانّه قيل اولم يعلم فى جملة ما عنده
من العلم هذا حتّى لا يغترّ بكثرة ماله وقوّته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانّه لمّا قال اوتيته على علم عندى فتنفّج بالعلم
وتعظّم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادّعاه وراى نفسه به مستوجبة لكلّ نعمة ولم يعلم هذا العلم النّافع
حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا **فان قلت** ما وجه اتّصال قوله ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون بما قبله **قلت** لمّا ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل
التهديد له والله مطّلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله
بما تعملون عليم وما اشبه ذلك **فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى
قارون انّه لذو حظّ عظيم** فى زينته قال الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان و
عليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيّه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثماية غلام و
عن يساره ثلثماية جارية بيض عليهنّ الحلىّ والديباج وقيل فى تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اوّل يوم رؤى
فيه المعصفر كان المتمنّون قوما مسلمين وانّما تمنّوه على سبيل الرغبة فى اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة
تمنّوه ليتقرّبوا به الى الله وينفقوه فى سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفّارا الغابط هو الذى يتمنّى مثل نعمة صاحبه من غير
ان تزول عنه والحاسد هو الذى يتمنّى ان يكون له نعمة صاحبه دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون
ومن الحسد قوله ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضرّ الغبط فقال لا الّا كما يضرّ
العضاة الخبط والحظّ الجدّ وهو البخت والدولة وصفوه بانّه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان ذو حظّ وحظيظ ومحظوظ



وما الدنيا الّا احاظ وجدود **وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقّيها الّا الصابرون**
ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثمّ استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا اباً لك واصله الدعاء على الرجل
بالاقراف فى الحثّ على الفعل والرجع فى ولا يلقّيها للكلمة التى تكلّم بها العلماء او للثواب فى معنى المثوبة او الجنّة او للسيرة و
الطريقة وهى الايمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير **فخسفنا به
وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** كان قارون
يؤذى نبىّ الله موسى عليه السلام كلّ وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كلّ الف دينار على
دينار وعن كلّ الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحّت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال انّ موسى ارادكم على كلّ شئ
وهو يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغىّ حتى ترميه بنفسها فيرفضه
بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوّة ذهبا وقيل حكمها فلمّا كان يوم عيد قام موسى
فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون
وان كنت انت قال وان كنت انا قال فانّ بنى اسرائيل يزعمون انّك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذى فلق
البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على ان اقذفك بنفسى فخرّ موسى ساجدا
وقال يا ربّ ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانّها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل انّ الله
بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثمّ قال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثمّ قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثمّ قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون و
اصحابه يتضرّعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدّة غضبه ثمّ قال خذيهم فانطبقت عليهم
واوحى الله الى موسى ما افظّك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزّتى وجلالى لو ايّاى دعوا مرّة واحدة لوجدونى قريبا
مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انّما دعا موسى على قارون ليستبدّ بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره
وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوّه فانتصر اى منعه منه فامتنع
**واصبح الذين تمنّوا مكانه بالامس يقولون ويكانّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا
ان منّ الله علينا لخسف بنا ويكانّه لا يفلح الكافرون** قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك و
لكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وى مفصولة عن كانّ وهى كلمة تنبّه على
الخطاء وتندّم ومعناه انّ القوم قد تنبّهوا على خطائهم فى تمنّيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون وتندّموا ثمّ قالوا كانّه
لا يفلح الكافرون اى ما اشبه الحال بانّ الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال وى كان
من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضرّ وحكى الفرّاء انّ اعرابيّة قالت لزوجها اين ابنك فقال وى كانّه وراء
البيت وعند الكوفيّين انّ ويك بمعنى ويلك وانّ المعنى الم تعلم انّه لا يفلح الكافرون ويجوز ان يكون الكاف كاف الخطاب
مضمومة الى وى كقوله ويك عنتر اقدم وانّه بمعنى لانّه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانّه لا يفلح الكافرون
كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن النّاس من يقف على وى ويبتدى كانّه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا
منّ الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوّا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتّقين** تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت
بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلّق الموعد بترك العلوّ والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين

ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقرون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي عليه السلام والفضيل وعمر من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لانه في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعماية وهو معنى قوله فله خير منها ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابرهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا الكلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك لا تصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك فادع الى ربك ولا تكونن من المشركين وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال ناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان لقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا موصول باحسب وبلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي عليه السلام والزهري فليعلمن من الاعلام اي فليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن

لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة العسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ومن جاهد نفسه في منعها ما تامره به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ونجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله تع يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ونجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح شعر وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تع ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيآن احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما واحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت له امه وهي حمنة بنت ابي سفين

بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وآله ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تع حكاية عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وكما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما يكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المامن فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون

الشيء في قلوبهم نية الخلف **وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون**

وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا اي يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسئلن سوال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون** كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعماية سنة **فان قلت** هلا قيل تسعماية وخمسين سنة **قلت** ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زايل مع مجيئه لذلك وكانه قيل تسعماية سنة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفايدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره **فان قلت** فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام **قلت** لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل ونحوهما قال العجاج وغم طوفان الظلام الاثابا **فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين** اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في جعلناها للسفينة او للحادثة والقصة **وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابرهيم النخعي وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم وان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم **انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون**

وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك **فان قلت** لم نكر الرزق ثم عرفه **قلت** لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على النعمة **وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين** وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في ساير الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه

وسلم وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها **فان قلت** اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله **قلت** قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب **فان قلت** فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض **قلت** هي حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وآله كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن **فان قلت** فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم عليه السلام والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا ترى انك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله **قلت** ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان يكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم ساير الآيات الواطية عقبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه **اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة ان الله على كل شيء قدير** قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ وبدا وقوله ثم يعيده ليس معطوفا على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه **فان قلت** هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو **قلت** هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا **[illegible]** ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشاة الاخرى على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشاة والنشاءة كالرافة والرآفة **فان قلت** ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدا الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الآخرة **قلت** الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة الاولى هو الذي ينشئ النشاة الاخرى فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون** يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون **وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون وقيل ولا من في السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا يعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة وقصور او لا يعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء **والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم** بآيات الله بدلائله

على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيدا اي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا فاما الكافرون فلا يخطر بباله رجاء ولا
خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس عن الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك
اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله
ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا **فما كان جواب قومه الا ان**
**قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** قرئ جواب قومه بالنصب و
الرفع قالوا قال بعضهم لبعض وقاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع
في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم صلوات الله عليه في النار وذلك لذهاب حرها **وقال انما اتخذتم من دون**
**الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماويكم النار و**
**ما لكم من ناصرين** قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب
تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف
المضاف واتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تع ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب
الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان
مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح و
هو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة
الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي وتلاعن العبدة والاصنام كقوله تع ويكونون عليهم
ضدا **فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم** كان لوط ابن اخت ابرهيم عليهما السلام
وهو اول من امن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران
ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو
ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني
الا بما هو مصلحتي **ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا**
**وانه في الاخرة لمن الصالحين** اجره الثناء الحسن والصلوة عليه اخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل
الملل كلهم يتولونه **فان قلت** ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحاق وعقبه **قلت** قد دل عليه في قوله
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره **فان قلت** ما المراد بالكتاب **قلت** قصد به جنس
الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والانجيل والزبور والقران **ولوطا**
**اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال شهوة و**
**تقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت**
**من الصادقين** ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم
بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان
احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم

قالوا لم ينزل ذكرى على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام
بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ
الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس
رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار من
الاقبية والسباب والفحش في المزاح وعن عايشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم
بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس
نادٍ الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب **قال رب**
**انصرني على القوم المفسدين** كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها و
لانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها لمن بعدهم وقال الله تع الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان تشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه
**ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين** بالبشرى هي
البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى على الاستقبال والقرية
سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم
عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم **قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته**
**كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن**
**انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين** ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال
في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض ابرهيم عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار
الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال
قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال
قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه
بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة الكراهة وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين
لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم
من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع
عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما
لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة **انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما**
**كانوا يفسقون** الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب
وقرئ منزلون مخففا ومشددا **ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون** منها من القرية اية بينة هي اثار منازلهم
الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يتعلق بتركنا او ببينة
**والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين** وارجوا و
افعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب وامروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر
الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف **فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين**

والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فما اذا نظر ثم فاخذتهم الرجفة تدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا وكانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصفة فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم تجعل ما تدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار

عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يأمره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيآت يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين ينهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر وكان اولى لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر وكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين ظلموا آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذن لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب

قوله ليستقل بالتعليل اي ليرفعه ويكون حاملا له قال

فالهم لم يومنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يومنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يومنوا به وهو غير امي فان قلت ما فايدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء وبه حفاظه وهما من خصايص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف ساير الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرا الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون قرئ آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه مثل ناقة صالح ومايدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول انزل علي كذا آية دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يومنون ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن ساير الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي يدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يومنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقول حسان ع فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وآله ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وهي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم ولانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة

بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون معنى الآية ان المومن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وادرنا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب من رزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغايب واياك عضتك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذايقة الموت ثم الينا ترجعون لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذايقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذايق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المومنين والى الغرف اما اجراوه مجرى لننزلنهم ولنبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل وتشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرا يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة وكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت ام لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس يخبا الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمايركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يوفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خلق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل

شئ عليم قدر الرزق وقتر بمعنى اذا ضيقه وقدره جعلا لواحد فان قلت الذى رجع اليه الضمير فى قوله و يقدر له هو من يشا فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشا لان من يشا مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شئ عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون استحمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم بهذه وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهى لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هى لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها وكانها فى ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحيوة وهى ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يوثروا الحيوة الدنيا عليها فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين فى صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر وفى تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون واللام فى ليكفروا محتملة ان يكون لام كى وكذلك فى وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله فى انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى الغاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يؤدى الى ضرر عظيم فتبالغ فى نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والامر بالشئ مريد له وانت شاهد بانه سترد بالكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة راى الناصح وفساد رايك اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون

وتيناهبون واهل مكة قارون امنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذى هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التى لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفى قوله لما جاءه تسفيه لهم يعنى لم يتلعثموا فى تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون فى الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستانون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم فى جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفى فرجع الى معنى التقرير وفيها وجهان احدهما الا يثوون فى جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثانى الم يصح عندهم ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا فى حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابى سليمن الدارانى والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم سبلنا الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا فسبحان الله وهى ستون اية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين القراءة الكثيرة المشهورة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا فى ادنى ارض العرب منهم وهى اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى فى ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرى فى ادانى الارض والبضع ما بين الثلث الى العشر عن الاصمعى وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده فى الخطر ومادده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى بن خلف من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القران من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله وقرى غلبهم بسكون اللام والغلب

مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف
الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف
باختلاف القرائتين فهي في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالهما محرم عليكم اخراجهم
لن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن
مذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار
وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا
وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبلٍ و
من بعدٍ على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم
على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت
بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض
الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد
الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله
لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه
اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الآخرة غافلون ذمهم الله تع بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امور الدين وذلك لانهم كانوا اصحاب تجارات
ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل
من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا
فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا
ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة
يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية
يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وايه كانت
فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم
ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون
الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر
كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف ومعناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول
وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقهما باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة
ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة
ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم



غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه
تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة
به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب
اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا
وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي
دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها
جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا
سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة
واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم
لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم
قوة اي من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان
هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث
عملوا ما اوجب تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن
وقرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا
في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الآخرة
وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة
التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا
الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا فان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام
الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا
بشركائهم كافرين من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها
او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب
السوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين
هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب

كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا يهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله جميع وجوه المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه واله انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية تتغنين باصوات لم يسمع الخلايق مثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فيقع في تلك الاشجار فيحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ** لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلوتا المغرب والعشاء الآخرة وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه **فان قلت** لم ذهب الحسن الى ان هذه الآية مدنية **قلت** لانه كان يقول فرضت الصلوة بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عايشة فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه صلى الله عليه واله من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه الحي من الميت الطاير من البيضة والميت من الحي البيضة من الطاير واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ** خلقكم من تراب لانه خلق اصلكم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء



ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف تعالى بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطاء في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالاذان الواعية **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القايل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له **فان قلت** من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك **قلت** فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤن فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ** ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القايل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت بر ابن الطود ام هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي **فان قلت** بم تعلق من الارض أبالفعل ام بالمصدر **قلت** هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل **فان قلت** ما الفرق بين اذا واذا **قلت** الاولى

علي السواء والاولى انه تفسير لقوله تخافونهم كخيفتكم وهو هنا للتاكيد يعني التسوية على سبيل المبالغة وقيل هو حال من ضمير سواء وتقريره المصنف يرجح الاول والله اعلم

للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها وله من في السموات والارض كل له قانتون قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزل اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه وان تعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم دعوة كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به وكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التاتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قوله لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله هو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركائكم قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل



نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين الذين ظلموا اي اشركوا كقوله ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المأمور او من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبالياء يتمتعوا وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان يكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها

قوله مساوقا من قولهم هو يساوقه ويقاوده يعني انه لا يتخلف احدهما

يعني قوله لخلق الله بدل ان معنى فطرة الله الخلق

وان تصبهم سيئة اى بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون** حق ذى القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما واحتج ابو حنيفة بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم **فان قلت** كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جىء بالفاء **قلت** لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ويقصدون جهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة **وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون** هذه الآية فى معنى قوله تعالى يمحق الله الربوا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربا ليربو فى اموالهم ليزيد ويزكو فى اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اى صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذوى القوة واليسار وقرى بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدى له ليعوضه اكثر مما وهب واهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذى ليس بحرام ان يستدعى بهبته او يهدى به اكثر مما وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرى وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرى لتربوا اى لتزيدوا فى اموالهم كقوله ويربى الصدقات اى يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملئكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفائدة **الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون** الله مبتدا وخبره الذى خلقكم اى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شىء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداداله من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذى خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين** الفساد فى البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شىء وقلة المنافع فى الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا



اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الامصار البحار وقرى فى البر والبحور بما كسبت ايدى الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد فى البر بقتل ابن آدم اخاه وفى البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصى بكسب الناس ذلك **فان قلت** ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون **قلت** اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم فى الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها فى الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثانى فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصى فى الارض لاجل ذلك وقرى لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصى لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصى يكون سببا لذلك **فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون** القيم البليغ الاستقامة الذى لا يتاتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتى فيكون المعنى من قبل ان ياتى من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجىء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون اى يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين** فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اى يسوون لانفسهم ما يسوبه لنفسه الذى يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه فى مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذى الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه ليجزى متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هى الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس **ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** الرياح هى الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض فى ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجرى الفلك فى البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها **فان قلت** بم تعلق وليذيقكم **قلت** فيه وجهان ان تكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم

ولیکون كذا وكذا ارسلناها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان نصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرا ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار رحمة الله النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله تع بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان يكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روي ابن عمر قال قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداءكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة



والهرم وقيل من ضعف من النطف لقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة واراد لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار لهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نتخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون لا ينفع قرئ بالتاء والياء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تع لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم باية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدا قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به

ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعًا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ
بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحاق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المومنين
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين
السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم
الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قايله فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعًا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون هدى و
رحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا
محذوف المحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره
قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد والذين
يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القايمين بهذه الثلث لفضل اعتداده بها ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين اللهو كل باطل الهى عن
الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول
الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر
الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشًا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث
رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد
يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة
والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا بيع المغنيات ولا شراهن ولا التجارة فيهن
ولا اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا
فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب
فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى
ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث و
من غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما ياكل
البهيمة الحشيش ويجوز ان يكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو
اللهو منه وقوله يشتري اما من الشرى على ما روي عن النضر بن الحرث من شرى كتب الاعاجم او من شرى القيان واما
من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل
على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان
النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة
بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول
كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل اي من اضل كان

ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن
قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تع فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري
او ليضل والضمير للسبيل لانها مونثة كقوله تع وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذا تتلى
عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ولى مستكبرا زاما لا
يعبا بها ولا يرفع لها راسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر
فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية
من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافيين والاصل في كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران
مصدران موكدان الاول موكد لنفسه والثاني موكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله
جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد وموكدهما جميعا
قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس
من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما يوجبه الحكمة والعدل خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم
ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما يقول لصاحبك انا بلا
سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد
اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين
من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين
من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى
استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد
آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد
هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود
عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي
اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا
بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود
من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا
وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من
بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى
معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود
وهو يسرد الدرع وقد لين الله تع له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال

نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروى ان مولاه يذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه **ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون** اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروى انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروى انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر **فان قلت** هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان **قلت** هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك **فان قلت** فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر **قلت** لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم بعد ذلك قال اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازى والد فعاله **فان قلت** ما معنى توقيت الفصال بالعامين **قلت** المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي على ان مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته فهو رضاع محرم **يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير** قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل وكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمان قال له ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين تكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا **يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور** واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي من مفروضاتها ومقطوعاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور** تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني او دنياوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا **واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير** واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وآله سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد

في مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه
الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء للكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج
الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت و
الترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر
صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه
الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات
الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى
واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الخاء والغين والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر و
في سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة
لانه اما حيوان او غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا
ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان
قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير
محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة
كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي
الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة و
عن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة
المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك
ويروى في دعاء موسى صلوات الله على نبينا وعليه الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان
ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان
اياهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة
الامور قرأ علي بن ابي طالب عليه السلام ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد
عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا
له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه
فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه
بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه ومن كفر
فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور قرئ يحزنك ويحزنك من حزن
واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله
تعالى دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم
قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم

التعذيب

التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة
والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون
له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا لم يتنبهوا لله ما في السموات
والارض ان الله هو الغني الحميد ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم قرئ و
البحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا
بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود
وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء فان قلت كان مقتضى الكلام
ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل
البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى و
لو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت
كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جئنا فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله و
قد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف و
يجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت
اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه
وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا
يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة
وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وآله الست تتلو فيما انزل عليك انا قد
اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته و
حكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها
اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا تتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة
والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير
يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم
الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل
ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته
بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت

كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملايم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه **ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير** ذلك الذي وصف من عجايب قدرته وحكمته التي تعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الاهيته وان من دونه باطل الالاهية وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان او ذلك الذي وحي اليك من هذه الايات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به **الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور** قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لاية لكل مؤمن **واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور** يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال **شعر**

وانك لو رأيت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر

**يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** لا يجزي لا يقضي عنه شيا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزي لا يغني يقال اجزات عنك مجزا فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسياتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل جد جده واريد زينة الدنيا لانها غرور **فان قلت** قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه **قلت** الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان تنفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيا فلذلك جي به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم يقبل شفاعته فضلا ان تشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير** روي ان رجلا



من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي وقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرسيها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة ام فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس اين يموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان دوام نظري اليه كان تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شي اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له الى معرفتهما سبيل كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر **سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون** **بسم الله الرحمن الرحيم** **الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون** الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتريه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقدير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسيلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير

كلامه وتمشيته **فان قلت** كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اقطع من الريب وهو قولهم افتراه **قلت** معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر آباءهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم **فان قلت** فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة **قلت** اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة **الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون فان قلت** ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع **قلت** هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير **يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون** الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان يبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ تعدون بالتاء والياء **ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين** احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين** سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل **ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون** وسواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك

عن الروح الآية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو بمعرفته **وقالوا ءاذا ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون** وقالوا قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرا علي عليه السلام وابن عباس بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض **فان قلت** بم انتصب الظرف في اذا ضللنا **قلت** بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تع الله يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء كقولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها **ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون** ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوا حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله تع بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك وكنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الى الدنيا **ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** لآتينا كل نفس هديها فحقت على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل

على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم ونسيان بسبب اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة **انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله تع وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبايح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون** يتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها **فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون** ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله تع ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله تعالى وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا يعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاوليك واخفاه من جميع خلايقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تع اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت **افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون** كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين آمنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تع ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال تع ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فماويهم النار اي ملجاؤهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأويهم النار اي النار لهم مكان الجنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم **ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون** العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الآخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تع اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول **فان قلت** من اين

صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا اذا يقين العذاب الاكبر **قلت** ارادة الله يتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد الله شيا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها بقسر والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واشجع منك جنانا واحد منك سنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي عليه السلام اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي عليهما السلام انه قال للوليد كيف تشتم عليا عليه السلام وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك كافرا فاسقا **ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون** ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها **فان قلت** هلا قيل انا منه منتقمون **قلت** لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحوه قوله من لقائه وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء ويوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضاء والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل **ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل **اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون** الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال

ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون يعني اهل مكة يمرون
في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشّون بالتشديد أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء
واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها ارض
اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء يأكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء وَيَقُولُونَ
مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ الفتح
النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا و
بينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة
وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت
قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم
على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني
بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره
بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا
يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم
كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظَرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او انتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته
لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب
قلت ثلثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من
القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض
جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك
نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه
في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذاك ليعلم الناس انه رسول الله وتلقين
لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين الاخبار والنداء الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار
كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي اتق الله واثبت على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا

---

تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء
الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر الى
المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم
جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب
وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وكان معهم عبد الله بن ابي وعتب
بن بشير والجد بن قيس فقالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك
فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة
ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو
المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطاء والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل
شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا واتبع ما يوحى
اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما تصلح به
اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر
مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ
أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ
لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ
وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
ما جعل الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله تعالى كما لم ير في حكمته
ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير
محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا
شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح
الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل
الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا
يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا
وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فانزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم
فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم
يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول
وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذبه الله قوله

وقولهم وضربه مثلاً في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سهـا في صلوة فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اى فايدة في ذكر الجوف قلت الفايدة فيه كالفايدة في قوله القلوب التى في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاى بياء مكسورة ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت على كظهر امى ونحوه في العبارة عن اللفظ اى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقاً عند اهل الجاهلية وكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحنث منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن والا فآلى في اصله الذى هو بمعنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت على كظهر امى قلت ارادوا ان يقولوا انت على حرام كبطن امى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرماً عندهم محظوراً وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم تقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولداً فماله جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقى واتقياء وشقى واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمى وسمى قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظى ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابنى لا غير من غير ان يواطيه اعتقاد لصحته وكونه حقاً والله تعالى لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدى الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذى يهدى السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم اباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخى وهذا مولاى ويا اخى ويا مولاى يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفاً على ما اخطاتم ويجوز ان يكون مرتفعاً على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهى ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهى او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد على طريق العموم كقوله صلى الله عليه وسلم ما اخشى عليكم الخطاء ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتى الخطاء والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطاء التبنى وعمده فان قلت فاذا وجد التبنى فما حكمه

قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سناً من المتبنى ثبت نسبه منه وان كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكن يعتق عند ابى حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبنى وان كان عبده عتق وكان الله غفوراً رحيماً العفو عن الخطاء وعن العمد اذا تاب العامد النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اولياءكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً النبى اولى بالمؤمنين في كل شىء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما يدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمى بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه اراف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تع بالمؤمنين روف رحيم وعن النبى صلى الله عليه وآله ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا وان ترك ديناً او ضياعاً فالى وفي قراءة ابن مسعود النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبى فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبى صلى الله عليه وآله ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تع ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عايشة لسنا امهات النساء تعنى انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن ساير الاحكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما تتالف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بياناً لاولى الارحام اى الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضاً من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبى الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعاً وتفسير الكتاب ما مر آنفاً والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسئل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذاباً اليماً واذكر حين اخذنا من النبيين جميعاً ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصاً ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى

لى آخره اى صاحت الملئكة بالتكبير ٤٥ قوله فاحضرتهم الى آخره اى جعلتهم حضرين مولين بالبرد والله اعلم

وانما فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة عند تواقف الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مومنين وليسال المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله **فان قلت** لم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله على نوح فمن بعده **قلت** هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هولاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدم زمانه **فان قلت** فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره **قلت** مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله تعالى انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة وكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير **فان قلت** فماذا اراد بالميثاق الغليظ **قلت** اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا **فان قلت** علام عطف قوله واعد للكافرين **قلت** على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسال الصادقين فكانه قال فاثاب المومنين واعد للكافرين **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا** اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملئكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملئكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وآله باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج بثلثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر يعملون قرئ بالتاء والياء **اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا** من فوقكم من اعلى الوادي ومن قبل المشرق بنو غطفان ومن

الكسائي بحذفها فيهن في الوصل خاصة والباقون باثباتها في الحالين رطبت قوله اضطراب القلب

اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرية من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاء زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج **واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا** الا غرورا قيل قائله معتب حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور **واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا** طائفة منهم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل قالوا لهم ارجعوا الى الكفر واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار **ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا** ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله والمومنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملاوهم هولا ورعبا وهولاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم للكفر وتهالكهم على حزبه **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا**

عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به **قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا يمتعون الا قليلا** لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب **قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع **قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا** المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم الا اتيانا قليلا لا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا **اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا** اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شئ عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف **يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا** يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى

المدينة

المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدا على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بديا بوزن عدي ويسألون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك ويتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما** كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ومن ينتظر الشهادة ولقد ثبت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب **ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان**

عفورا رحيما جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى واستينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وروي ان جبرئيل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي فيها انهزم الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كان ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين و روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فروي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك الا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال



اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي عليه اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة خيرها رسول الله صلى الله عليه وآله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي عليه السلام اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن كان في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما ساير المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة منكن للبيان لا للتبعيض يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفضل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفضل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب وكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وقرئ يأت بالتاء والياء ومبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين ويضعف على البناء للمفعول ونضاعف عنه وقرئت بالتاء والياء ونضعف بالياء والنون ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما وقرئ تقنت وتعمل بالياء والتاء ونؤتها بالنون والياء والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله

والتقوى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي
في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى و
اقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر
والمونث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله
قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة منهم واحدة تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين
ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول ولا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات
والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع
بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل فلا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع
كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث
او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن
وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل
والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه
ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل
بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ويجوز ان يكون
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان
المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا
بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات
من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات
يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة
ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء
او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة
ان الله كان لطيفا خبيرا ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب
الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا
خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا
اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين

والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما روي ان ازواج النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل
السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه لله والمومن
المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته
وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي
اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم
فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او
لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه
وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان
الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين
قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط
العطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات اعد الله لهم وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم
الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا خطب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله
فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا
وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول
من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت واخوها وقالا انما اردنا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المومنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله
او لان قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل من حقهم
ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني
من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مومن ومومنة فرجع الضمير
على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا للذي انعم الله عليه بالاسلام
الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب
في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت

تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لرسول الله انى اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك عنها شئ فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت فى صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري فقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار **فان قلت** ماذا اراد بقوله واتق الله **قلت** اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج **فان قلت** ما الذى اخفى فى نفسه **قلت** تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الآية **فان قلت** فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فانى اريد نكاحها **قلت** كان الذى اراد منه تعالى ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب فى الامور والتجاوب فى الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن ابى سرح واعتراض عثمان بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عينى الى عينك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد **فان قلت** كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبى التصريح بشئ الا والشئ فى نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وما له لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتى فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا فى بيوت رسول الله يبقون مرتكزين فى مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلبه اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس

زيد لم يكن من التعلق بها فى شئ بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شئ حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله تعالى من المصلحة العامة فى قوله لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحرى ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدي به المومنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا **فان قلت** الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله احق ما هى **قلت** واو الحال اى تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت عليهم الصلوة والسلام زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد عليهما السلام اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ما قراتها على ابى الا كذلك ولا قراها الحسن بن على على ابيه الا كذلك ولا قراها على بن ابى طالب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعنى وكان امر الله الذى يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلعم زينب ومن نفى الحرج عن المومنين فى اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين فى تحريمهن عليهم بعد انقطاع علايق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امره **ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا** فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لقوله ما كان على النبى من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاير والسراري وكانت لداود مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة فى الذين خلوا فى الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون وعلى اعنى الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله **ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما** ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من

حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم
ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في ساير الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين
ليسوا باولاده حقيقة وكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم
النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابرهيم حين توفي
لو عاش لكان نبيا **فان قلت** اما كان ابا للطاهر والطيب والقسم وابرهيم **قلت** قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من
رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله
لا رجالهم **فان قلت** اما كان ابا للحسن والحسين عليهما السلام **قلت** بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا
من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن و
الحسين عليهما الصلوة والسلام قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله
بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من
عرفتموه اي يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين **فان قلت** كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان **قلت** معنى قوله آخر الانبياء انه لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلعم مصليا الى قبلته كانه بعض امته **يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا** اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس و
التمجيد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى
البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبرئيل و
ميكائيل من بين الملئكة ليبين فضله على ساير الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات
والافعال وتبريته من القبايح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر
من ارجاس المآثم على ساير اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار
بالفضايل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من
جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر
والعشاءين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد **هو الذي يصلي عليكم وملئكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و
كان بالمؤمنين رحيما** لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا
عليه وترؤفا كعايد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف
ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف **فان قلت** قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم و
يترأف فما تصنع بقوله وملئكته وما معنى صلوتهم **قلت** هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك
الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك
وعليه قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى



هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزلت قوله ان الله وملئكته
يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت **تحيتهم يوم يلقونه سلام
واعد لهم اجرا كريما** تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقايه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله
تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم ساير انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت
والملئكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملئكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة
كما قال والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة **يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم **فان قلت** وكيف كان شاهدا وقت الارسال
وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادايها **قلت** هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صايدا
به غدا اي مقدرا به الصيد غدا **فان قلت** قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء فما فايدة قوله
باذنه **قلت** لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك و
الجاهلية الى التوحيد والشرايع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع
الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا
عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى
به وامد الله بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا
يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلثة تضني رسول يبطئ وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء
وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير وتاليا سراجا منيرا ويجوز على
هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك **وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** الفضل ما يتفضل
به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم
للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على ساير الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم
ما فضلوهم به **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذيهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا**
ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ان تؤذيهم
بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس
هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقايل ان يقول وصفه الله بخمسة
اوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم
يكونون شهداء على ساير الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض
عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذيهم في الحاضر والاذى
لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله
لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من انارة الله برهانا

على جميع خلقه كان جديرًا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا
النكاح الوطي وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب
فى اقتراف الاثم ونحوه فى علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال فى سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع
اسنمته ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطي من باب التصريح به ومن اداب القرآن
الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذى نطقت
به الآية يستوى فيه المؤمنات والكتابيات قلت فى اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير
لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف
واحد عدوة الله ووليه فالتى فى سورة المائدة تعليم ماهو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب
وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم فى قوله ثم طلقتموهن قلت
فائدته نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهى قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد
عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة فى حباله الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل
يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابى حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اى تعتدون فيها كقوله و
يوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما فى قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتع اواجب ام مندوب اليه
قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابى حنيفة الا لها وحدها دون سائر
المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على
الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت
اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى
ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت
ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما اجورهن مهورهن لان المهر
اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها فى العقد فان قلت لم قال اللاتى آتيت اجورهن
ومما افاء الله عليك واللاتى هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى
واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثرة وذلك ان تسمية المهر فى العقد
اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل
بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم
غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل
واطيب مما تشترى من شق الجلب والسبى على ضربين سبى طيبة وسبى خبثة فسبى الطيبة ما سبى من اهل الحرب
واما من كان له عهد فالمسبى منهم سبى خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فىء الله لا يطلق

الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتى هاجرن مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرابته غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانى بنت ابى طالب خطبنى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من
الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك
نكرها واختلف فى اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون
مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها
وقرا ابن مسعود بغير أن فان قلت ما معنى الشرط الثانى مع الاول قلت هو تقييد له شرط فى الاحلال هبتها
نفسها وفى الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللنا ها لك ان وهبت لك
نفسها للنبى ان اراد النبى ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واثره ومجيئه على لفظ النبى للدلالة على
ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكرير تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها
والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامته سواء فى الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعى لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله
عليه وآله بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك فى اللفظ يحتاج الى دليل وقال
ابو الحسن الكرخى ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتى آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازى لا يصح
لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة لك مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة
الله اى خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالخارج
والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت فى اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت
ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهى جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة
لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج
والاماء وعلى اى حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق فى دينك حيث
اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفى دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا
لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اى ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة
نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع من الحرج اذا تاب رحيما
بالتوسعة على عباده ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا
جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما
فى قلوبكم وكان الله عليما حكيما روى ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة
النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وآله هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن

يا رسول الله افوض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى ان عايشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وبغير همز تؤخر وتؤوي تضم بمعنى تترك مضاجعة من يشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب امراة لم يكن ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروى انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عايشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروى انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسايك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضاء رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيد لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا لا تحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل ففي قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية من في من ازواج لتاكيد النفي وفايدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرايب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عايشة من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المومنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال

فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى الطعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرا غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام اني كقولك قلاه قلى ومنه قوله تعالى من حميم آن اي بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عايشة حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في سالتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسالوهن المتاع قيل ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة

شديدة وكان يذكره كثيرا ويودّ ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكنّ ما رأتكنّ عين وقال يا رسول الله
يدخل عليك البرّ والفاجر فلو امرت امّهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انّه مرّ عليهنّ وهنّ مع النساء في
المسجد فقال لئن احتجبتنّ فانّ لكنّ على النساء فضلا كما انّ لزوجكنّ على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطّاب
انّك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الّا يسيرا حتّى نزلت وقيل انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله
وسلّم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة فكره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر انّ بعضهم قال أننهى ان نكلّم بنات عمّنا الّا من وراء الحجاب لئن مات محمّد لاتزوّجنّ
فلانة فاعلم الله انّ ذلك محرّم وما كان لكم وما صحّ لكم ابدا رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمّي نكاحهنّ
بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيّا وميّتا واعلامه بذلك ممّا طيّب به نفسه
وسرّ قلبه واستغزر شكره فانّ نحو هذا ممّا يحدّث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من يفرط غيرته
على حرمته حتّى يتمنّى لها الموت لئلّا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انّه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا
واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفّس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه ممّا ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتّى
قتلها تصوّرا لما عسى يتّفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء انّ الزوج الثاني في هدم الثلاث
يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمّا يلاحظ ذلك **إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإنّ الله
كان بكلّ شيء عليما** ان تبدوا شيئا من نكاحهنّ على السنتكم او تخفوه في صدوركم فانّ الله يعلم ذلك فيعاقبكم به و
انّما جاء به على اثر ذلك عامّا لكلّ باد وخاف ليدخل تحته نكاحهنّ وغيره ولانّه على هذه الطريقة اهول واجزل
**لا جناح عليهنّ في آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ ولا أبناء أخواتهنّ ولا نسائهنّ
ولا ما ملكت أيمانهنّ واتّقين الله إنّ الله كان على كلّ شيء شهيدا** روي انّه لمّا نزلت آية
الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلّمهنّ من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهنّ اي لا اثم
عليهنّ في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العمّ والخال لانّهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العمّ ابا قال الله
تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عمّ يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانّهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما
غير محارم ثمّ نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدلّ على فضل تشديد فقيل واتّقين الله فيما امرتنّ
به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتنّ واحفظن حدودها واسلكن
طريقة التقوى في حفظها وليكن عملكنّ في الحجب احسن ممّا كان وانتنّ غير محجّبات ليفضل سرّكنّ علنكنّ
انّ الله كان على كلّ شيء من السرّ والعلن فظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا تتفاوت في علمه الاحوال **إنّ الله و
ملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما** قرئ وملائكته بالرفع عطفا
على محلّ انّ واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيّين ووجهه عند البصريّين ان يحذف الخبر لدلالة يصلّون عليه صلّوا عليه
وسلّموا اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحّم عليه الله ويسلّم **فان قلت** الصلوة على رسول الله
واجبة او مندوب اليها **قلت** بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلّما جرى ذكره وفي الحديث من
ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النار فابعده الله ويروى انّه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى انّ الله وملائكته
يصلّون على النبيّ فقال صلّى الله عليه وسلّم هذا من العلم المكنون ولولا انّكم سألتموني عنه ما اخبرتكم بها انّ الله
وكّل بي ملكين ولا اذكر عند عبد مسلم فيصلّي الّا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا

لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كلّ مجلس مرّة وان يكرّر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس و
كذلك في كلّ دعاء في اوّله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرّة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط الصلوة عليه عند كلّ ذكر لما ورد من الاخبار **فان قلت** فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في
جوازها ام لا **قلت** ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة
بالتشهّد وهو السلام عليك ايّها النبيّ واما الشافعي فقد جعلها شرطا **فان قلت** فما تقول في الصلوة على غيره
**قلت** القياس جواز الصلوة على كلّ مؤمن لقوله هو الذي يصلّي عليكم وقوله وصلّ عليهم انّ صلوتك
سكن لهم وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم اللهمّ صلّ على آل ابي اوفى ولكنّ للعلماء تفصيلا في ذلك
وهو انّها ان كانت على سبيل التبع كقوله صلّى الله على النبيّ وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره
من اهل البيت فمكروه بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لانّ ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
ولانّه يؤدّي الى الاتّهام بالرفض وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا تقفنّ مواقف التهم **إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة و
أعدّ لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا وإثما مبينا** يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبّر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه
ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوّة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبونه به رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانّما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء
صحيحة في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لئلّا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة
والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة
وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه
وصفاته وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما حكى عن ربّه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني واذاني
ولم ينبغ له ان يؤذيني فامّا شتمه ايّاي فقوله انّي اتّخذت ولدا ولمّا اذاه فقوله انّ الله لا يعيدني بعد
ان بدأني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشجّ وجهه يوم احد وقيل
طعنهم عليه في نكاح صفيّة بنت حيّي واطلق ايذاء الله ورسوله وقيّد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لانّ اذى
الله ورسوله لا يكون الّا غير حقّ ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير
جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليّا عليه السلام ويسمعونه وقيل في
الذين افكوا على عايشة وقيل في زناة كانوا يتّبعون النساء وهنّ كارهات وعن الفضيل لا
يحلّ لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حقّ فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الّا من اهل الذمّة
لما فيه من الروعة عند كرّ الحول **يا أيّها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**
الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على
صدرها وعن ابن عبّاس الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكلّ ما يستتر به

من كساء او غيره وقال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبتها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن **فان قلت** ما معنى من في قوله من جلابيبهن **قلت** هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المرأة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا** الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور لقوله تع فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويتلقطون انفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين **فان قلت** ما موقع لا يجاورونك **قلت** لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك **فان قلت** اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك **قلت** لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا **يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا** كان المشركون يسألون رسول الله صلعم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تع عمى وقتها في التوراة

وفي كل كتاب فامر رسوله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين وقريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب **ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا** السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا** وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب وتقلب اي تقلب نحن وتقلب على ان الله للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها من احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا **وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا** وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف وقرئ كثيرا تكثير الاعداد اللاعنين وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم يعيرون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك **يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها** لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرأها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك **فان قلت** قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف يصح البراءة منه **قلت** المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسدد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية

مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليرادف عليه النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله تعالى انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

شعر

اخوك الذي لا يملك الحس نفسه ... وترفض عند المحفظات الكتائف

اي لا تمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل تبذل ذلك وتسمح به ومنه قولهم ابغض حقا اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض





والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والفلز والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب عليه السلام ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله تعالى ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل علم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه

انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف يكون مصححة
لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله
في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لابد له من ثواب والمسيء لابد له من عقاب وقوله ليجزي متصل
بقوله لتاتينكم تعليلا له وقرئ لتاتينكم بالتاء والياء ووجه من قرا بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او
يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك وقال او ياتي امر ربك وقرئ
عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب
وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع و
النصب وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال
ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا
يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت يابى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه
للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه
لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه الا مسطورا في اللوح **والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب
من رجز اليم** وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب **ويرى الذين اوتوا العلم
الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد** ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولو
العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرا بالرفع جعله
مبتدا والحق خبرا والجملة في موضع المفعول وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم
عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم
من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم
اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد** الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا
صلى الله عليه وسلم يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا
ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك
ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك احق من
الجنون واشد اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في
وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرا زيد
ابن علي عليهما السلام ينبئكم فان قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا
بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت
به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم

لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام بمعنى مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول
جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة
في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت
لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله آلسحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك
اسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى
وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا
كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى
قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت
كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين
به وبامره **افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب** اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض
وانهما حيث ما كانوا واين ما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا
عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول و
بما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة
الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر
على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به قرئ يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون
لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرا الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية **ولقد آتينا
داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير** يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال
او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التاويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه
اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة
لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير
رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير
فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما
الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء
الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد
لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير
نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق
على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول
لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فساله عن عادته فقال نعم الرجل

لولا خصلة فيه فرجع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدرع واعملوا الضمير لداود واهله **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير** وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرا الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرى غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله تع القطر النحاس المذاب من القطران **فان قلت** ماذا اراد بعين القطر **قلت** اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال انى ارانى اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوطة من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور** المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه لا يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **فان قلت** كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او تصور محذوفة الرؤس وروى انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا اكثر اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر

على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزا ساعات الليل والنهار على اهله فلم يكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** قرئ فلما قضي عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهي من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا والمنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنسائته على مفعالة كما يقال في الميضاة مضاءة ومن سأته من طرف عصاه سمي بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وعلم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل لذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلوته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات مدة سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلم فمات قبل ان يتمه فوصى بها الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان يعمي عليهم

موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريذون جاء ليصعد كرسيه فلما دنى ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه ثم كان يبنيه الى ان توفي **لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** قرئ لسبإ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبإ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق تحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال وهم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه بقوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم تكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور** وقرئ وهل يجازى بالنون وهل نجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن يكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازي بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقايل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين** القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه فان قلت ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم واياما عمركم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور** قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد يا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فجعل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين** قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبإ او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين **وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ** وما كان له عليهم من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق بالعلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض**

٤٦٠

وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل للمشركين قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا ينفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما يقال القيام لزيد فاحتمل قوله ولا ينفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا ينفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او ولا ينفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قال يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي قول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرئ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في

متعلقه محذوف نحو للشفيع لاجله والله اعلم ٥ اي كشف عن قلوبهم والجار قوله اذن له من الشافعين قولك اذن لزيد لعمرو والمجرور في محل الرفع قوله بمعنى فزع واليه الاشارة اي شفاعة الشافع المأذون كقولك سير عن البلد هي التي تنفع المشفوع اراد في حاصل المعنى بقوله وقع

ضلال مبين امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا او ضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وامر ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا الكاذب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يريهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطاء العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة القياس اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله وهو العزيز الحكيم كانه قيل اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطاء ثم لا يقتنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطاء الاول الا بالخطاء الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطائين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد

قوله الا ترى الى قوله يعني انهم قيل لهم في تلك الآية التي تلعثم توقف ويقال تلعثم المضارة وهي المخالفة لو تفوهوا بان الله رازقهم مضمونها مضمون هذه فما الرجل اذا امكث في الامر المنازعة والمجادلة ٥ لزمهم ان يقال لهم ذا بعد الحق الا الضلال وثاني ٥ قوله قوله بعد تقدمة

من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرا ميعادٌ يومٌ فابدل منه اليوم فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يومًا قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سائمة واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يومًا واريد يومًا من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا المعنى اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابًا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتًا لا استرشادًا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقًا لمجئ السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرًا عنه ولا تقدمًا عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدم من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعًا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله وان تكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم وما لهم في الآخرة فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اخبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها فآثرتم الضلالة على الهدى واطعتم امر الشهوة دون امر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافًا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادًا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبًا ليلًا ونهارًا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرًا دائبًا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا مر اولًا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستيناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول

فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالًا واولادًا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما مني به من قومه من التكذيب او الكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقامًا واحسن نديًا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكونوا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرًا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتخفيف والتشديد وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحًا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى الزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتًا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدًا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدًا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرًا وقرئ جزاءً الضعفُ على فاولئك لهم الضعف جزاءً وجزاءُ الضعفِ على ان يجازوا الضعف وجزاءُ الضعفُ مرفوعين الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلًا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلًا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان

من خلف فهو خير الرازقين واعلام رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي هولاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتهي لا يجد وواجد لا يشتهي **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملئكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون** هذا الكلام خطاب للملئكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم تعالى كون الملئكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السوال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهو البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار برأتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملئكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون** الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين** الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا **وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير** وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب ولا ببعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرايع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هولاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم تغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هولاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع **فان قلت** ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القايل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله **قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد** فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسئلة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد به البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء **قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب** القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا **قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد** الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثماية وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبع ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك **قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب** وقرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين **فان قلت** اين التقابل بين قوله وانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الى ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي **قلت** هما متقابلان من جهة المعنى لان

النفس كل ما عليها فهو بها اعنى ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقه كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شئ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ و لو ترى جوابه محذوف بمعنى رايت امرا عظيما وحالا هايلة ولو واذ والافعال التى هى فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت فى خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت و الاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا ومن ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت علام عطف قوله واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذا فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة والتناوش والتناول اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول شيئا من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو كما همزت فى اجوه وادور وعن ابى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى اى اخيرا وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم فى رسول الله شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اى يأتيهم به شياطينهم و يلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا ينقاس على دار التكليف وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبهم مذهبهم مريبا اما من اراب اذا اوقعه فى الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون



مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ مكية خمس واربعون آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فاطر السموات مبتديها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملئكة وقرئ جاعل الملئكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونها اولى اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم ينصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد من صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا تعرج عليها والمعنى ان من الملئكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اى لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد فى الخلق ما يشاء اى يزيد فى خلق الاجنحة وفى غيره ما يقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان يكون فى كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة اولعله لغير الطيران فقد مر بى فى بعض الكتب ان صنفا من الملئكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى احب ان تفعل فخرج رسول الله صلعم فى ليلة مقمرة فاتاه جبريل فى صورته فغشى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلعم فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة فى العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة فى الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام فى الاعضاء وقوة فى البطش وحصافة فى العقل وجزالة فى الرأى وجراءة فى القلب وسماحة فى النفس وذلاقة فى اللسان ولباقة فى التكلم وحسن تأت فى مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعنى اى شئ يطلق الله من رحمة اى من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التى لا تحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من اية

رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان اللفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنهما ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشا لم يتب فمردود لان الله تعالى يشا التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاها من بعده من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدا بعد قوله هل من خالق غير الله فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدا وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلثة واما على الوجهين الاخيرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يعني به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتاس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتاس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التاسي فان قلت

ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا يخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير اخبرنا تعالى ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا تعالى بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطا من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل الصالح وتركهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق آمر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليهم حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة يذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر قال جرير شعر مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله تعالى فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت

ليحكى الحال التى يقع فيها اثارة الريح السحاب ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية و هكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا بانى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها ابن عمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلايل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص وادل عليه والكاف فى كذلك فى محل الرفع اى مثل احياء الموات نشور الاموات روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بوادى اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه وقيل يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من دون مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع له فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهى عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرفنا ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعنى ان هذه لا تقبل ولا تصعد السماء فتكتب حيث يكتب الاعمال المقبولة كما قال تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اى يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم والله تعالى فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيآت قلت هذه صفة المصدر او لما فى حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيآت او اصناف المكر السيآت وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداولوا الراى فى احدى ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله تعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعنى ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه فى موضع الحال اى الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا لما هو صاير اليه فان قلت الانسان اما معمر اى طويل العمر او منقوص العمر اى قصيره فاما ان يتعاقب اليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة فى تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر فى عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائى وفيه تاويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب وصورته ان يكتب فى اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله ان الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان فى الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر لو ان عمر دعا الله لاخر فى اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح فى مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب فى اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتى على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة فى كتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اى ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهى اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه فى كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذى يكسر العطش والسائغ المرئ السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين

ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ذلكم مبتداء والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداءة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لا تسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليه واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى

ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها ابا او ولدا او اخا فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت فما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى ليفككك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين من عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اصحابه وكانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما يقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهواله ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ الاعمى والبصير مثل للمؤمن والكافر كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله تعالى والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشير ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما

قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها عن بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن كان على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن

النبي



النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله غفور شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل الكتب ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجى لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارسال في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرايعه من بين المكذبين بها من ساير الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من

غدا بالله ولا يغتر بما رواه عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن
بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره
وتوفيقه **فان قلت** لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق **قلت** للايذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وان المقتصدين
قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة مخصوصة بالسابقين وجنات
عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون
من حليت المراة فهي حالية ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخله للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب
كانه بعض سابق لساير الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى
**وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور** وقرئ الحزن والمراد حزن المؤمنين وهو
ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقينا عذاب السموم وعن ابن عباس
حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم
وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله
يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان
القوم كثيرو الحسنات **الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** المقامة
بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه و
فواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح لغو
موت مائت **فان قلت** ما الفرق بين النصب واللغوب **قلت** النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول
له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من
الكلال والفترة **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من
عذابها كذلك نجزي كل كفور** فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا
له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى
ويجزى كل كفور بالنون **وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** يصطرخون يتصارخون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاغاثة لجهد المستغيث صوته
**فان قلت** هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم
يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه **قلت** فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به و
اما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ
من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر يتمكن فيه المكلف من اصلاح شانه
وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون

سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم
النذر **فان قلت** علام عطف وجاءكم النذير **قلت** على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار
كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير **ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور** انه عليم
بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور
مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر ذو بطن خارجة جارية وقوله اذا قال قدني قال بالله حلفة لتغني عني ذا
انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى
الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة **هو الذي جعلكم خلائف
في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا** يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه
جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد و
الطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع اليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي و
صغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا
في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت من
قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة
كما ان ذلك حكم من قبلكم **قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينات منه بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا** اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما
استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة
في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير
في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضهم وهم
الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات **ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا** ان تزولا
كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث
يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي
والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام
من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك
يهوديته بعد ثم قرا هذه الآية **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا** بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا
رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض

الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الامة التى يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازى لانه هو السبب فى ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق و ابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما قديرا** استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا فى الارض او حال يعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا **فان قلت** ما وجه قوله ومكر السيئ **قلت** اصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اى لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تع انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرات فى التورية من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك فى كتاب الله فقرا الاية وفى امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اى لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته **ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يوخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا** بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ما ترك بنى آدم وغيرهم من ساير الدواب بشوم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت هزلا فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شىء الى اجل مسمى الى يوم القيمة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

## سورة يس وهى ثلث وثمانون آية مكية

**بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم** قرى ياسين بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واملت وعن ابن عباس معناه يا انسان فى لغة طى والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم م الله فى ايمن الله الحكيم ذى الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحى او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به **انك لمن المرسلين على صراط مستقيم** على صراط مستقيم خبر بعد خبر وصلة للمرسلين **فان قلت** اى حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم **قلت** ليس الغرض من ذكره ما ذهبت

اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين فى نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه **تنزيل العزيز الرحيم** وقرى تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على اعنى وبالجر على البدل من القرآن **لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون** قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول الثانى لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا **فان قلت** اى فرق بين تعلقى قوله فهم غافلون على التفسيرين **قلت** هو على الاول متعلق بالنفى اى لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثانى بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل **فان قلت** فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا فى الاى الاخر **قلت** لا مناقضة لان الاى فى نفى انذارهم لا فى نفى انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم **فان قلت** ففى احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به **قلت** اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد **لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون** القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر **انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون** ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين فى انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين السدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر فى آيات الله **فان قلت** ما معنى قوله فهى الى الاذقان **قلت** معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذى يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق **فان قلت** فما قولك فيمن جعل الضمير للايدى وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدى **قلت** الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهى الى الاذقان ولو كان الضمير للايدى لم يكن معنى التسبب فى الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذى يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذى يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج **فان قلت** فقد قرا ابن عباس فى ايديهم وابن مسعود فى ايمانهم فهل يجوز على هاتين القراءتين ان يجعل الضمير للايدى او للايمان **قلت** يابى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرى سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس

فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان يطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرى بالعين المهملة من العشاء وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان اباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال المخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله عينيه **وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم** فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهما مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما تصح هذه المقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما يحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم **إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه وكتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين او سكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اى قدم من اعماله واخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرى ونكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون** واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول **إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون** وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسالهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه وكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت آلهتك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان آلهتنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء الميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام

وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرى بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأنما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه **قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين** انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه يعمل له عملا فان قلت لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني صادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا **قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** تطيرنا تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم **قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون** طائركم معكم وقرى طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وعن الحسن طيركم معكم اي تطيركم وقرى ان ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وأاين بالف بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرى اين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كانوا بحلولهم فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله **وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون** رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا والآخرة **وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت**

بربكم فاسمعون ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف لهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين كما لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به وقرئ ان يردن الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين اي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد به قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بالجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه في ذلك الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماآت هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفر لي من الذنوب ويحتمل ان يكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق فقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملئكة مردفين بثلثة الاف من الملئكة منزلين بخمسة الاف من الملئكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلك مداين لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم

صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبراء الانبياء واولي العزم من الرسل عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور والتي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ان كانت الاصيحة ان كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطاير يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا قال لبيد شعر وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملئكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستيناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما جميع لدينا محضرون قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من المثقلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجمع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استيناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة المنكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون قرئ وفجرنا بالتخفيف

والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والإبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله معنى ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من المتكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل ويترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذاك ويلك ان يجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير **سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون** الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله تع عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله تع من الخلايق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون** سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه من مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا واد جينا **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** لمستقر لها ذلك لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مراى عيوننا وهو المغرب قيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرا ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** وقرئ القمر رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا تتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرفة الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود



سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول اذا قدم دق وانحنا واصفر فشبه به من ثلثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول واكثر **لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان يجعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها **فان قلت** لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق **قلت** لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره **وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون** ذريتهم اولادهم من يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء **وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق **وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين** لا صريخ لهم لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وعن الحسن تغرقهم **واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقايع التي خلت يعني من مثل الوقايع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين وكانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل آية وموعظة **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تع لما كان قادرا على اطعامهم ولم يشا اطعامهم

فعلى احق بذلك نزلت فى مشركى مكة قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا فى ضلال مبين قول الله
او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين **ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم**
**يخصمون** قرئ وهم يخصّمون بادغام التاء فى الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء فى الكسر ويختصمون على الاصل
ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم فى امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم فى متاجرهم
ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون
فى الحجة فى انهم لا يبعثون **فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون** لا يستطيعون توصية ان يوصوا فى شىء
من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة **ونفخ فى الصور فاذا**
**هم من الاجداث الى ربهم ينسلون** قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم
والاجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهى النفخة الثانية **قالوا يا ويلنا من بعثنا**
**من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** قرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه
اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا
على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد
خبر مبتدأ محذوف اى هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وعن مجاهد للكفار
هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس
وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا **فان**
**قلت** اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد
والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة **قلت** تقديرها هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه
المرسلون بمعنى والذى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقنى سن بكره **فان قلت**
من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا **قلت** معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وانبأكم
به الرسل الا انه جىء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا
به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر
ذو الاهوال والافزاع وهو الذى وعده الله فى كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين **ان كانت الا صيحة**
**واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون** الا صيحة واحدة وقرئت منصوبة ومرفوعة **فاليوم لا تظلم نفس**
**شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون** فاليوم لا تظلم نفس
الآية ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل حكاية ما يقال لهم فى ذلك اليوم وفى مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود
وتمكين له فى النفوس وترغيب فى الحرص عليه وعلى ما يثمره فى شغل فى اى شغل وفى شغل لا يوصف وما ظنك بشغل
من سعد بدخول الجنة التى هى دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع
فى تلك الملاذ التى اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة
والتفصى من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطى الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة
ما لقى العصاة من العذاب وعن ابن عباس فى افتضاض الابكار وعنه فى ضرب الاوتار وعن ابن كيسان فى التزاور

وقيل

وقيل فى ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبى هم فى شغل عن اهاليهم من اهل النار
لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم قرئ فى شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون
والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهى المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون
على انه حال والظرف مستقر **هم وازواجهم فى ظلال على الارائك متكئون** هم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون
تأكيدا للضمير فى فى شغل وفى فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم فى ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال
وقرئ فى ظلل والاريكة السرير فى الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين **لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون**
يدعون يفتعلون من الدعاء اى يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد **شعر**
فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت
بمعنى تمنه على وفلان فى خير ما ادعى اى فى خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء اى ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم **سلام**
**قولا من رب رحيم** وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه وعن ابن عباس والملائكة يدخلون
عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر
مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اى عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم
وهو بمعنى السلام فى المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال اى لهم مرادهم خالصا **وامتازوا اليوم ايها المجرمون**
وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال ماز فانماز
وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز
عن بعض **الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين** العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد
الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم
وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعه الكسر الا فى الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج
ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا **وان اعبدونى**
**هذا صراط مستقيم** هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو
التنكير فيه ما فى قول كثير **شعر** لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر منى اننى لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به
لكمال شرائطه فى والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ فى بابه بليغ فى استقامته جامع
لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادى عن سلوكه
كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى يؤدى الى الضلالة والتهلكة كأنه قيل اقل احوال الطريق الذى هو اقوم الطرق ان
يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس بعده هذا
فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه**
**جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد
وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات فى معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفى قراءة على
عليه السلام جيلا واحد الاجيال **اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون**

يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ نختم على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيمة انى لا اجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى
فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم و
قرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان
الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة ﴿ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون﴾ الطمس تعفية شق العين
حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن
معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى على انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا
ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التى ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون
اليه ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء
لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا
الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من
سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ﴿ولو نشاء لمسخناهم على
مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة و
المقام اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخ فعن ابن عباس
لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضى والمضى
كالعتى والعتى والمضى كالصبى ﴿ومن نعمره ننكسه فى الخلق افلا يعقلون﴾ ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فنخلقه على
عكس ما خلقناه من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال
ويرتقى من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه
يتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه
اسفله قال تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من
ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم
خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف
وننكسه وننكسه من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالتاء والياء ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر
وقرآن مبين﴾ كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر وروى ان القايل عقبة بن ابى معيط فقيل وما علمناه
الشعر اى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شئ واين هو عن الشعر والشعر انما هو
كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعانى التى ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن
نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربى كما ان ذاك كذلك وما ينبغى
له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدى للخط ولا
يحسنه ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلعم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى
له فان قلت فقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت قلت
ما هو الا كلام من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك

ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشاآت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة
ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انها شعر واذا فتشت فى كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع فى اوزان البحور
غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين
يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى المحاريب
ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين ﴿لينذر من
كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾ لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه
من كان حيا اى عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب
على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان ﴿اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون﴾ مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه
غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التى لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدى استعارة من عمل من
يعملون بالايدى فهم لها مالكون اى خلقناها لهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها
لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والا ضبطه
وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القايل يصرفه الصبى بكل وجه وتحبسه
على الخسف الجرير ويضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر هذه النعمة و
يسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم ومما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل
الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ﴿ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون﴾ منافع
من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها فى قوله وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا الاية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾ اتخذوا الآلهة طمعا فى ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم
والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر واتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار ﴿فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون﴾ وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا
عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه
صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرأ قارئ انا نعلم
بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل
وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلعم
ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعى وكلاهما تعليل والثانى ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن
بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر
معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تتفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته

كاسفا او قاتلها على ما عظم فيه الخطب ذلك القايل فانه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله تع فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم** قبح الله تع انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ و ادل على تمادى كفر الانسان وافراطه فى جحود النعم وعقوق الايادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى القحة حيث قرره بان عنصره الذى خلقه منه هو اخس شئ وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وبين صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له والصفه بره هو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهى المكابرة التى لا مطمح وراءها وروى ان جماعة من كفار قريش منهم ابى بن خلف الجمحى وابو جهل والعاص بن وايل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم ابى الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده وهو يقول يا محمد اترى الله يحيى هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله تع فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح كما قال تع اومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين **فان قلت** لم سمى قوله من يحيى العظام وهى رميم مثلا **قلت** لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهى انكار قدرة الله تع على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى فاذا قيل من يحيى العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تع بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه فى انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل ومفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة لا تحلها واما اصحاب ابى حنيفة فهى عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس **قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم** وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المنشات والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها **الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون** ثم ذكر من بدايع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفى امثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى انثى فينقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تع من شجر من زقوم فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم **اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسى اقدر وفى معناه قوله تع لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم فى الصغر والقماءة بالاضافة الى

السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعى حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اى فهو كاين موجود لا محالة **فان قلت** ما حقيقة قوله ان يقول له كن فيكون **قلت** هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شئ من المكونات وانه بمنزلة المامور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع **فان قلت** فما وجه القرائتين فى فيكون **قلت** اما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شئ مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما يقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة **فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون** فسبحان تنزيه له مما وصف به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شئ هو مالك كل شئ والمتصرف فيه بمواجب مشيته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شئ ومملكة كل شئ وملك كل شئ والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا اعلم ما روى فى فضايل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان فى القرآن سورة تشفع لقاريها وتغفر لمستمعها الا وهى سورة يس ولله الحمد والمنة

**سورة الصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون**

**بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد** اقسم تعالى بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها فى الصلوة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون او اجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها فى التهجد وساير الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصايح فالتاليات آيات الله والدارسات شرايعه او بنفوس قواد الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن على رضى الله عنه **فان قلت** ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة فى الصفات **قلت** اما ان تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب كانه قال الذى صبح فغنم فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلثة يساق امر الفاء العاطفة فى الصفات **فان قلت** فعلى اى هذه القوانين هى فيما انت بصدده **قلت** ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات فى التفاضل وان ثلثته فهى للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاو

لا يسمعون جوابا عن الاول ويقذفون عن الثاني وهذا اولى من جعلها قصاصا مستدا استطرادا لان السابق مما يحرك للسؤال المذكور والله اعلم ٥ ش

على الملايكة وجعلهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتيبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوايف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتيب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوايف الصافات ذوات الفضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية الله وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال **رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق** رب السموات خبر بعد خبر وخبر مبتدا محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب لا تطلع ولا تغرب في واحد يومين **فان قلت** فماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين **قلت** اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما **انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد** الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان يقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تع ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها **لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب** الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد **فان قلت** لا يسمعون كيف اتصل بما قبله **قلت** لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سايلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها يعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب **فان قلت** هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جيتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القايل الا ايهذا الزاجري احضر الوغا **قلت** كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب **فان قلت** اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه وسمعت الى حديثه **قلت** المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملأ الاعلى الملايكة لانهم يسكنون السموات والجن والانس هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس



قوله وقيل من خلقنا عطف على قوله يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة وليس بملائم لان من خلقنا مطلق محمل على المقيد ولم يبق للام الماضية

هم الكتبة من الملايكة وعنه اشراف الملايكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدايم وصب الامر وصوبا يعني انهم مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دايم غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه **فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب** فاستفتهم الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشدين كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلايقه من الملايكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما يقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملايم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والتاء الشديدة الاضاءة **بل عجبت ويسخرون** بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلايق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه **فان قلت** كيف يجوز العجب على الله تع وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء والله تع لا يجوز عليه الروعة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون** واذا ذكروا ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه

يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها او آباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله شعر زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي يدان فيه اي يجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباؤهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون** اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين وارذالها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة **فان قلت** قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز **قلت** من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقايق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل ع لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف

المحالف

قوله وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها لكي يعلم الناس اني امرؤ اتيت المعيشة من بابها

للحالف احلف لا خرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك **ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم **بل جاء بالحق وصدق المرسلين** بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدق لما بين يديه **انكم لذائقوا العذاب الاليم** وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب **وما تجزون الا ما كنتم تعملون** الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ **الا عباد الله المخلصين** الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع **اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم** فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم **على سرر متقابلين** التقابل اتم للسرور والانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض **يطاف عليهم بكأس من معين** يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس شربت على لذة وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر **بيضاء لذة للشاربين** بيضاء صفة للكاس لذة ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال شعر ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم **لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال شعر لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتها دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده بالذكر **وعندهم قاصرات الطرف عين** قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون **كأنهن بيض مكنون** شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب النساء ويسمونهن بيضات الخدور **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** **فان قلت** علام عطف قوله فاقبل

بعضهم على بعض **قيل** على بطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره **قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين** وقرئ من المصدقين من المصدقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا **أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمدينون** لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه **قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم** قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطّلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوا فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه وكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي **قال تالله ان كدت لتردين** ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين **ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين** نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء او انعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك **أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم** الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم لعلم باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة **لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم** تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك خير نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول ا ثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه

نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم **انا جعلناها فتنة للظالمين** فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا **انها شجرة تخرج في اصل الجحيم** وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها **طلعها كانه رؤس الشياطين** والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وتشبيه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرة يقال لها الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به **فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم** منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر **فان قلت** ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم **قلت** في الاول وجهان احدهما انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد مليّ تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقذهم لالى الجحيم **انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون** تعليل لاستحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبيه بالرعدة **ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين** ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش **ولقد ارسلنا فيهم منذرين** منذرين انبياء حذروهم العواقب **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين** المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين آمنوا منهم واخلصوا الله دينهم واخلصهم الله لدينه على القراءتين **ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم** لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناه الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون **وجعلنا ذريته هم الباقين** هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه

مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وازواجهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج **وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين** وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها **فان قلت** فما معنى قوله في العالمين **قلت** معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملئكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح عم بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه **وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم** من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرايعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة **فان قلت** بم تعلق الظرف **قلت** بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فتناولها كلها **فان قلت** ما معنى المجيء بقلبه ربه **قلت** معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك **اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون** افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين **فما ظنكم برب العالمين** فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره **فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين** في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل **فان قلت** كيف جاز له ان يكذب **قلت** قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابرهيم عليه السلام معراض من الكلام وقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد **شعر** فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء ومات رجل فجأة فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم **فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون** فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم

التي هي في زعمهم آلهة كقوله شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها **فراغ عليهم ضربا باليمين** فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم **فاقبلوا اليه يزفون** يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف ومن ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه **فان قلت** بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها ليتبرك عليه وراوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بآلهتنا ثم لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على اعين الناس **قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون** والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام **فان قلت** كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا **قلت** هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه **فان قلت** فما انكرت ان يكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة **قلت** اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله تع قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن **فان قلت** اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم **قلت** بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما يعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم وارادوا**

بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى
ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما
القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال
إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة
اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما
قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له ساهديك فاجرى كلامه على موعد ربه او
بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء و
الطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني سواء السبيل هب لي من الصالحين هب لي بعض
الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابن
عباس حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية
بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ وقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام
ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حليم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم
وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان
الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله
وحوائجه فان قلت معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ
لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما
بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس
به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ
ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمعنى انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان فيه من رصانة
الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتي في المنام
فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك ويذكر
تاويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل
راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ولدك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح
الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه
من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة
حين بشرته بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى
من الراي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تُرِي اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا تُرى على البناء للمفعول
اي ماذا تريك نفسك من الراي افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل

ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به فان قلت
لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء
الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها
ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج
وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان
ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما ارى يوسف عم سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد
رسول الله صلى الله عليه دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم
صادقين مصدقين لان الحال اما حال يقظة او حال نوم فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة
من انفراد احديهما فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا
اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله و
اسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله
وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة
الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف
على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما
وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه
من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من
الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة
البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه
وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة
لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله استسمنوا ضحاياكم فانها على
الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت
سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله
اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ان يذبحه
قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب
واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى
تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي السلام وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون
اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على
حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة
تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرئيل

معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر قتل ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت** قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل **والحجة** فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بماية من الابل ففداه بماية من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عم يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالاتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بنفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عقلك عنك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحق في قوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشر باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب عليه السلام وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق **والحجة** فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله **فان قلت** قد اوحى الى ابرهيم عليه السلام في المنام ان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح **قلت** قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه **فان قلت** الله تعالى هو المفتدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه **قلت** الفادي هو ابرهيم عم والله تعالى وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفعل الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته **فان قلت** فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل **قلت** قد علم تعالى ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه **فان قلت** فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان **قلت** الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين **فان قلت** لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك **قلت** قد سبقه في هذه

القصة



القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية **وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين** نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين **فان قلت** فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به وجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم يوجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف تجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق **قلت** هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد وان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا **وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين** وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه ونظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد الفاجر البر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه **ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين** من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما **وآتيناهما الكتاب المستبين** الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز ان يكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو **وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين** الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين **وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون** قرئ الياس بكسر الهمزة واليأس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى **اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين** اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب فكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعماية سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة

يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبيون والمهلبون فان قلت فهلا حمل على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما لكم عقول تعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه لما ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا ونحوه مدعي بناء على دعي فلولا انه كان من المسبحين من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله تع في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الى يوم يبعثون للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل فنبذناه بالعراء وهو سقيم والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم

انك لتحب القرع فقال اجل هي شجرة اخي يونس عم وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم فقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرأى العين اي اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث ولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله تع الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحو ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بطريق خلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا على ثلج صدره وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث يقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بكلا قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم

سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاكها عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** وجعلوا بين الله وبين الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة **فان قلت** لم سمى الملائكة جنة **قلت** قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجنة ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين فى انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التى اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك تسوى بينى وبين عبدى واذا ذكره فى غير هذا المقام وقره وكناه والضمير فى انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون فى الملائكة وقد علم الملائكة انهم فى ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة فى التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن فى طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير فى انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين او شركاء فى وجوب الطاعة لما عذبهم **سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين** الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو فى يصفون اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به **فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم** الضمير فى عليه لله تعالى ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها **فان قلت** كيف يفتنونهم على الله **قلت** يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع مثلها فى قولهم كل رجل وضيعته وكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اى فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اى على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صال مثلكم او يكون فى اسلوب قوله فانك والكتاب الى على كدابغة وقد حلم الاديم وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هى ولام التعريف **فان قلت** كيف استقام الجمع مع قوله من هو **قلت** من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة والثانى ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال فى صائل كقولهم شاك فى شائك والثالث ان يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنا الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين **وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون** وما منا احد

الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفى كان من ارمى البشر مقام معلوم مقام فى العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه لنحن الصافون نصف اقدامنا فى الصلوة او اجنحتنا فى الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلوة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من اهل الملل فى صلوتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفره لا لتقدير وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته واجنحتنا مذعنين خاشعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعنى وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلوة ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه **وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون** هم مشركو قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولون موكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم وآخرهم **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون** الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهى كلمات عدة لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليه فى الآخرة كما قال الله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت **فتول عنهم حتى حين** فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وعن السدى الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة **وابصرهم فسوف يبصرون** وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب فى العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفى ذلك تسلية له

وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين مثّل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصحائهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبّروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة غارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحسّ بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزّل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلعم يوم الفتح بمكة على مشرفيها السلام والتحية وعن انس لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه السلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وانما ثنّى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء اشتملت السورة على ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيّض لهم من حسن العاقبة والغرض تعليم المومنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلعم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مومنا بالمرسلين

سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق ص على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلنّ بالنصب وباضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلنّ بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله صاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم

محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك والذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا من قبلهم من قرن كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات حين مناص ولا هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي شعر طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لانه مضاف الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يقف على الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المونثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل وعجبوا ان جاءهم منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا هل كفر اعظم وجهل ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب روي ان اسلام عمر فرح به المومنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلعم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال

عليه الصلوة والسلام ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرًا اى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال صلى الله عليه وآله وسلم قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اى بليغ فى العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكرا كبّارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم و
كرام وكرّام وقوله اجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فى ان معنى الجعل التصيير
فى القول على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا فى قوله لان ذلك فى الفعل محال وانطلق الملأ منهم
ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد الملأ اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابى طالب بعدما
بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم فى دفع امر محمد ان
هذا الامر لشيء يراد اى يريده الله تع ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مردّ له ولا ينفع فيه الا الصبر وان هذا الامر لشيء من
نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اى لان المنطلقين
عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق
الاندفاع فى القول وانهم قالوا امشوا اى اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل
لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك
بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم يمشون ان امشوا ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة فى ملة عيسى عليه السلام التى
هى آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او فى ملة قريش التى ادركنا عليها آباءنا وما سمعنا بهذا كائنا
فى الملة الآخرة على ان يجعل فى الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما فى الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب
ولا الكهان انه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله ان هذا الا اختلاق ما هذا الا اختلاق اى افتعال وكذب أأنزل عليه
الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم
بل هم فى شك من ذكرى من القرآن يقولون فى انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم
فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد
حينئذ يعنى انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز
الوهاب يعنى ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا
بها عن محمد عليه السلام وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها
مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم ثم رشح هذا المعنى فقال
ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى تختص بها رب
العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة
التى يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا فى الاسباب فليصعدوا فى المعارج والطرق التى
يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم
خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله
مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به تهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما فى قول امرئ
القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزؤ وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك



القول العظيم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الاوتاد
اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال شعر والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز
والملك واستقامة الامر كما قال الاسود ولقد غنوا فيها بانعم عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح
المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده
بين اربعة اوتاد فى الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند
المهزوم منهم هم هم ان كل الا كذب الرسل وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا فى الجملة الخبرية على
وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا
واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية اولا و
بالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة
عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اى فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم وما ينظر
هؤلاء الا صيحة واحدة هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم
كالحضور عند الله والصيحة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب و
رضعتى الراضع يعنى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها
نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب القط القسط من الشيء لانه قطعة
من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اى
نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله تع ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله
المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها اصبر على ما يقولون و
اذكر عبدنا داود فان قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على الآخر
قلت كانه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله فى اعينهم بذكر قصة داود وهو انه
نبى من انبياء الله تداولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملئكة وو
بخوه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم و
غمه الواصب ونقش جنايته فى بطن كفه حتى لا يزال مجددا الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او
قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل
اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى
البغى ما لقى ذا الايد ذا القوة فى الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما
ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد واياد كل شيء ما يتقوى به انه
اواب تواب رجاع الى مرضات الله فان قلت ما دلك على ان الايد القوة فى الدين قلت قوله تعالى انه اواب لانه
تعليل لذى الايد انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والاشراق ووقت الاشراق وهو حين
تشرق الشمس اى تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما

تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عم وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتاب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشرق ومنه قوله تع فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى شعر

الى ضوء نار في يفاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن شيئا والطير محشورة وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وعلا لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال الله تع سنشد عضدك باخيك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وفصل الخطاب الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطاء وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب عليه السلام هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر

وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب

كان اهل زمان داود عليه السلام يسئل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمرود وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فاوحى الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت على كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور ان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فلا ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلم ليس الا طلبه الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التأمل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطاء فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا

اجد ما البين منه قوت كنعاج الملاء قال عمر بن ابى ربيعة قلت اذا قلت وزهر تهادى كنعاج الملاء يعسفن رملا التهادى ان عشى بين اثنين متعمدا عليهما

بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتيك نبؤ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التى حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال تع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر فى اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تع هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخى وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بغى بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء فى الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما فى قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين فى صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بما انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتيك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتيك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا فى عهده لا فى عهد داود ولا بالنبا لان النبا الواقع فى عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت بالنبا القصة بنفسها لم يكن ناصبا فبقى ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتيك نبؤ تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره فى الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روى ان الله بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس ان داود عم جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضا ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بنى اسرايل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اى نحن خصمان ولا تشطط اى ولا تجر وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه اخى بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تع وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقتها اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وعزنى غلبنى يقال عزه يعزه قال شعر قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءنى بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبنى خطابا اى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرا ابو حيوة وعزنى بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم فى نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ فى التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عم والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم تستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة فى نحو قوله شعر يا شاة ما قنص لمن حلت له فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا ان الخلطا يأباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم

قوله اضرب اى اضربن وطارقها بدل من الهموم بدل البعض من الكل يقول ادفع طوارق الهموم عن نفسك واضربها عند غشيانها

قلت الملايكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسيلة وفرض لها فصوروها فى انفسهم وكانوا فى صورة الاناسى كما يقول فى تصوير المسايل زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول لم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا فى تصويرها لى اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد فى تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشى رويدا تكاد تنغرق سطا لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك فى القران لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهى الخلطة وقد غلبت فى الماشية والشافعى يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين فى ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعى والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابى حنيفة لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففى اربعين بين خليطين لا شى عنده وفى مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة فيجب على ذى النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعى وعند ابى حنيفة لا شى عليه فان قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء فى ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب فى ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذى عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلى المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان فى اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما فى وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرء القيس وحديث ما على قصره وهل بقى له معنى قط لما كان الظن الغالب يدانى العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انما ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل تثبت ام تزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتنى لهى بالامس افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحنى ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه فى سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتى الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اى مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروى انه بقى ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا

قوله ويمشى رويدا قوله شعر الجملة وفرس غراق كثير الحد فانعرق بالعين المهملة بمعناه اى

الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له فقال له انا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا ماله امرأة الا واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفة ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ويوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز وللزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين لقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل وعبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا واودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا كانهم ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحتلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد



قوله سماه زيد الخير اه وضع موضع الخيل الخير ليحصل منه ما قصد وكل فصل لانه اعم منه لاشتماله عليه وعلى كل فصيل وعليه
قوله ضعيف لانه تحزن بفوات العبادة للاشتغال بها فكيف يعود اليه ٣٥ قوله قلت بمحذوف تقديره قال

قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد انه على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافن الذي في قوله الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما يكون في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودة واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروى ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه داود واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال لقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير حتى توارت بالحجاب والتواري بالحجاب مجاز عن غروب الشمس عن تواري الملك او المخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا للمضمر من جري ذكرها ودليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها يقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كشف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكشف القطع ومنه الكشف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من الانبياء بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق

قوله على البيوت يتكفف اي يبسط الكف او للسط كفه او يطلب كفا من الطعام والله اعلم

وسوف أسد وأسد وقرئ بالساق الكفا بالواحد عن الجمع من الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطايه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان عليه السلام بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزاير وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدون له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف بن برخيا سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تايبا الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسيه وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرايع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه وان كان بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني فان قلت اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان عم ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة وطلب على حسب الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله كما قالت الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه

قوله بنصب بضم النون المشهور بضم النون وسكون الصاد والبواقي سواه طب قوله وقد نكبه قال الجوهري النكبة واحدة نكبات الدهر تقال اصابته نكبة ونكب فلان فهو منكوب

ولا يقوم غيري فيه مقامي سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبايه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعة الله فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم فسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح تجري بامره رخاء رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين بدل عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقيد مردة الشيطان بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القايل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شيت وامسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب وهذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شيت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شيت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني الضر باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غايب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيايه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة به قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله تع في دعايه مع انه فاعله ولا يقدر

عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء وتغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله فى ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى انه كان يعوده ثلثة من المومنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب اى اضرب برجلك الارض وعن قتادة هى ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اى هذا ما تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها **ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب** رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث** وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف فى مرضه ليضربن امراته مائة اذا برا فحلل الله يمينه باهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قد اتى بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب فى يمينه انها ابطات عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوابتين برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدى لى سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت له ذلك فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برا فعرضت له بذلك وقيل سالته ان يقرب للشيطان بعناق **انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب** وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكى اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله تعالى لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال فى مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى ما ملكت يمينى ولم اكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع او عريان فكشف الله عنه **واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى والابصار** ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرا عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهى اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما واله ابيك ابرهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتاتى فيه المباشرة بالايدى او كان العمال جذما لا ايدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولى الايدى والابصار يريد اولى الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يفكرون افكار ذوى الديانات ولا يستبصرون فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم



متمكنين منهما وقرئ اولى الايادى على جمع الجمع وفى قراءة ابن مسعود اولى الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التاييد قلق غير متمكن **انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الاخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شان الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرا بخالصتهم **وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار** المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت او ميت **واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار** واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين فى وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار **هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها بفاكهة كثيرة وشراب** هذا ذكر اى هذا نوع من الذكر وهو القران لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ فى كتبه فهذا باب ثم يشرع فى باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع فى آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدا ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدا محذوف اى هو جنات عدن هى مفتحة لهم **وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب** كان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم وقرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب اى ليوم تجزى كل نفس ما عملت **ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد** هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد لقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم **هذا فليذوقوه حميم وغساق** اى هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياى فارهبون اى ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة فى المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة فى المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة **وآخر من شكله ازواج** ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ

أنكروا أو لا الاستسخار منهم ثم أضرب عنه وأنكروا على أنفسهم أبلغ من ذلك أي دع ذلك أزاغت أبصارنا وكلت أفهامنا حيث خفي علينا مكانهم وأنهم

ولخزاى وعذاب آخر او مذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي
حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير وهذا فوج مقتحم
معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول
فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا
معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له
مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو
عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل
هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا
كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به
وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار والضمير للعذاب او لصليهم فان قلت ما معنى
تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم
ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم
المتقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم
لا جزاؤه فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم
لا يتكلمون بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا
وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمذنبين اخزى
الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزينون لهم للمذنبين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا ربنا
من قدم لنا هذا قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا في النار ضعفا اي مضاعفا في الما ومعناه
ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وعلا
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين ما لنا
لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم كنا نعدهم من الاشرار من الاراذل الذين
لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ
الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب
لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله
ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا
من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم
سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراءهم وتحقيرهم وان
ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا
اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او
الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن
قرأ بغير همزة لان ام تدل عليها فلا يفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في قالوا

لصناديد

لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرئ
بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس فان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم
وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول الاتباع
بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر
ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين وما من اله الا الله واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا ان لا
اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وان الملك
والربوبية في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم
ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه قل هو
نبأ عظيم اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم انتم عنه معرضون لا يعرض عن
مثله الا غافل شديد الغفلة ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملإ
الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم
وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير مبين ومعناه
ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ
ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان
اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس القرآن
وعن الحسن يوم القيمة فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الاعلى وقت اختصامهم
اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين واذ قال بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملإ الاعلى قلت
اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فان قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله
وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن
التقاول بينهم واما ان تقول التقاول بين الله وبينهم وقد جعلتهم من الملإ الاعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك
فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام
التقاول على ما سبق فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون قد قال
لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين اقتصر على الاسم فاذا سويته فاذا اتممت خلقته وعدلته ونفخت فيه من روحي
واحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم سجدوا
جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله
على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه فان قلت كيف استثنى
ابليس من الملائكة وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم
استثناء متصلا وكان من الكافرين اريد وجود كفره عند ذلك الوقت وان لم يكن كافرا قبله لان كان مطلق في جنس الاوقات
الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد

الى يوم الدين ... فينقطع انفراد اللعنة وذكر في سورة ص وجهًا آخر وهو انه ابعد غاية يضربها الناس في التأبيد كقوله ما دامت السموات والارض

قوله بانه من العالين اشاد الى ما فيه من العدول عن الظاهر واصل الكلام استكبرت ام كنت الذي علوت ...

لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فان قلت ما وجه قوله خلقته بيدى قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على ساير الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت به يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدى فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى قلت الوجه الذى استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار وراى للنار فضلًا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فى المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملايكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيمًا لامر ربهم واجلالًا لخطابه كان هو مع انغماسه فيما انغمس فيه جديرًا بان يقتدى بهم ويقتفى اثرهم ويعلم انهم فى السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل فى عبادة الله منهم فى السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى ما منعك من السجود لشىء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدى لا شك فى كونه مخلوقًا امتثالًا لامرى واعظامًا لخطابى كما فعلت الملايكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التى تشبث بها فى تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعنى كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارًا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت امرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه وفيه انى خلقته بيدى فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملايكة بان يسجدوا له لداعى حكمة دعانى اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملايكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفنى عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدى لما خلقت بغير واسطة وقرى بيدى كما قرى بمصرخى وبيدى على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرى استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام يدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اى لو كان مخلوقًا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التى انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنًا واظلم بعد ما كان نورانيًا فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمى بالحجارة على اثره والرجم الرمى بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتى الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم القيمة اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت فان قلت ما الوقت المعلوم الذى اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا

من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين فبعزتك اقسام بعزة الله وهى سلطانه وقهره قرى فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله فى ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله لعمرك اى فالحق قسمى لاملان والحق اقول اى اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اى ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جاير فى المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرى برفع الاول وجره مع نصب الثانى وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو ان يوكد به الضمير فى منهم او الكاف فى منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدًا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم عليه من اجر للقرآن او الوحى وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتمونى قط متصنعًا ولا مدعيًا ما ليس عندى حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحى الى فانا ابلغه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اى ما ياتيكم عند الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا الى ثلث آيات ويسمى سورة الغرف وهى خمس وسبعون آية وقيل اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب قرى بالرفع على انه مبتدا اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثانى انه السورة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصًا له الدين محضًا له الدين من الشرك والريا بالتوحيد وتصفية السر وقرى الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصًا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصًا حالًا من العابد وله الدين مبتدا وخبرًا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص الا الله الدين الخالص اى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شايبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملايكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير فى اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثانى الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهومًا والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا فى موضع الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم

غشيان احدهما مكان الآخر على سبيل الاحاطة من الاطراف فهو على وغشيان ... قوله تلوى الثنايا الى آخر الضمير في تلوى راجع

قوله المراد بمنع الهداية الخ قال صاحب الانتصاف يجب حمل الآية على ظاهرها وان الله خالق الايمان والضلال والله اعلم

وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت يجوز ان يكون في موضع الحال اى قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرا ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفى من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء من يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان تكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن جملة الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء شركاء خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب شعر تلوى الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريح ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة

قوله بتقدير أمن الخ اى على القراءتين لان ام مقدرة بالهمزة وبل ومعنى الاستفهام على القراءتين التشكيك فبعد الخص موحد

قوله الاستفهام المتصل الخ بمعنى ام المتصلة وهى تستدعى ام والهمزة فعلى التخفيف الاستفهام مذكور وتقدير ام للمعادلة

فلم يخلق اى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم من الانعام وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الله ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله واضلاله عن سبيل الله والنتيجة قد يكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ماويهم جهنم امن هو قانت آناء الليل قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب

كونه بيانا مع جواز كونه حالا عن الضمير الراجع الى حسنه فى الخبر اعنى للذين احسنوا لان المعنى على البيان لا على التقييد بالحال
من التعنيف فى اثاف ٥ قوله ان الامر بالاخلاص اه اللام فيها معنى الارادة فزيدت مع فعل الارادة و ما فى معناه تاكيدا ٥ سم

عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت فى الوتر لانه
دعاء المصلى قايما **ساجدا وقايما** ساجدا حال وقرى ساجد وقايم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين **يحذر
الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** وقرى ويحذر عذاب الآخرة
واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم
لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه
اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت فى عمار بن ياسر وابى حذيفة بن المغيرة
المخزومى وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية **انما يتذكر
اولوا الالباب** وقرى انما يذكر بالادغام **قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا فى هذه الدنيا
حسنة** فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة
اى حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية **فان قلت** اذا علق الظرف
باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان يقع صفة لها لتقدمه **قلت** هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم
كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفيا ومعنى **وارض الله واسعة** ان لا عذر للمفرطين فى الاحسان
البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة
وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا
الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا فى بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها وقيل هى ارض الجنة **انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب** الصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم
وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير
مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبى صلى الله
عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون
اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا تنصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب
عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل **قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون
اول المسلمين قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم** قل انى امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل
ان اكون اول المسلمين اى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن اخلص كان سابقا
**فان قلت** كيف عطف امرت على امرت وهما واحد **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شئ
والامر به ليحرز القائم به قصب السبق فى الدين شئ واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين
ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها فى ردف لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من
ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين فى اسطاع عوضا من ترك الاصل الذى هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه
بغير لام فى قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين واعرت ان اكون اول من سلم وفى معناه اوجه
ان اكون اول من اسلم فى زمانى ومن قومى لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم
الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بى فى قولى وفعلى جميعا ولا يكون

من الاول لانه مخصوص باوامرهما لخيرين بين راجح وارجح كالعفو والقصاص اى يتبعون احسن القولين الواردين فى معين
الشيطان وكل راس فى الضلال وكان المصنف لما راه مصدرا فى الاصل منقولا الى العين كثر الاستعمال فى الشيطان حكم با

صفة الملوك الذين تامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى
ان الله امرنى ان اخلص له الدين من الشرك والريا وكل شوب بدليلى العقل والوحى فان عصيت ربى بمخالفة الدليلين استوجبت
عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه **قل الله اعبد مخلصا له دينى فان قلت** ما معنى
التكرير فى قوله قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى **قلت** ليس بتكرير لان الاول
للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثانى اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره
بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره فى الاول فالكلام اولا واقع فى الفعل نفسه
وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله **فاعبدوا ما شئتم من دونه** والمراد بهذا
الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين **قل ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم** قل ان الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم
لوقوعها فى هلكة لا هلكة بعدها **واهليهم يوم القيمة** وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا
انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين
الذين لهم اهل فى الجنة يعنى وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة
فى قوله **الا ذلك هو الخسران المبين** حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا
والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل** ومن تحتهم
اطباق من النار هى ظلل لآخرين **ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون** ذلك العذاب هو الذى يتوعد به
الله عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله ونصيحة
بالغة وقرى يا عبادى **والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر
عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم
اولوا الالباب** الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت
على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان
البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق
على غير الشيطان فالمراد بها ههنا الجمع وقرى الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هى
البشارة بالثواب لقوله تعالى لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة الله عز وعلا يبشرهم بذلك فى وحيه على السنة
رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا
وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا
نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا
الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على
السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون فى مذهبك كما قال القايل ع ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
تريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو
والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم

وعن ابن عبّاس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدّث باحسن ما سمع ويكفّ عمّا سواه ومن الوقفة من يقف على فبشّر عبادى فيبتدى الّذين يستمعون القول يرفعه على الابتداء وخبره اولئك **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ** اصل الكلام أمّن حقّ عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطيّة دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثمّ دخلت الفاء التى فى اوّلها للعطف على محذوف يدلّ عليه الخطاب تقديره اانت مالك امرهم فمن حقّ عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثّانية هى الاولى كرّرت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من فى النّار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو ان يكون الآية جملتين افمن حقّ عليه العذاب فانت تخلّصه افانت تنقذ من فى النّار وانما جاز حذف فانت تخلّصه لانّ افانت تنقذ من فى النّار يدلّ عليه نزّل استحقاقهم العذاب وهم فى الدّنيا منزلة دخولهم النّار حتّى نزّل اجتهاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكدّه نفسه فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النّار وقوله افانت تنقذ يفيد انّ الله تعالى هو الّذى يقدر على الانقاذ من النّار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الدّاخل فى النّار من النّار لا تقدر ان تخلّصه ممّا هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** علالى بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنيّة قلت معناه والله اعلم انّها بنيت بناء المنازل الّتى على الارض وسوّيت تسويتها تجرى من تحتها الانهار كما تجرى من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسّفل **وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** وعد الله مصدر مؤكّد لانّ قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** هو المطر وقيل كلّ ماء فى الارض فهو من السّماء ينزل منها الى الصّخرة ثمّ يقسمه الله **فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ** فسلكه فادخله ونظمه ينابيع فى الارض عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد **ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ** هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من برّ وشعير وسمسم وغيرها **ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا** يهيج يتمّ جفافه عن الاصمعى لانّه اذا تمّ جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب **ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا** فتاتا ودريا **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ** لتذكيرا وتنبيها على انّه لا بدّ من صانع حكيم وانّ ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدّنيا كقوله انّما مثل الحيوة الدّنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدّنيا وقرئ مصفارّا **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ** امّن عرف الله انّه من اهل اللّطف فلطف به حتّى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصّدر قاسى القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلعم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصّدر قال اذا دخل النّور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتّجافى عن دار الغرور والتّأهّب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله امّن هو قانت فى حذف الخبر **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** من ذكر الله من اجل ذكره اى اذا ذكر الله عندهم او آياته اشمأزّوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق بين من وعن فى هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من انّ القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذّكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اى من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتّى ابعده عن العطش **أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** عن ابن مسعود انّ اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ملّوا ملّة فقالوا له حدّثنا فنزلت **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ** وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزّل عليه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وانّه من عنده وانّ مثله لا يجوز ان يصدر الّا عنه وتنبيه على انّه وحى معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق

فى مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه فى الصحّة والاحكام والبناء على الحقّ والصّدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها فى التخيّر والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه فى الاعجاز والتّبكيت ويجوز ان يكون مثانى بيانا لكونه متشابها لانّ القصص المكرّرة لا يكون الّا متشابهة والمثانى جمع مثنّى بمعنى مردّد ومكرّر لما ثنّى من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانّه يثنّى فى التّلاوة فلا يملّ كما جاء فى وصفه لا يتفه ولا يتشانّ ولا يخلق على كثرة الرّدّ ويجوز ان يكون جمع مثنّى مفعل من التّثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثمّ ارجع البصر كرّتين بمعنى كرّة بعد كرّة وكذلك لبّيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انّما صحّ ذلك لانّ الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشّئ هى جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكرّرات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الّا انّك تركت الموصوف الى الصّفة واصله كتابا متشابها فصولا مثانى ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثانى صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت ما فائدة التّثنية والتكرير قلت النّفوس انفر شئ عن حديث الوعظ والنّصيحة فما لم يكرّر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثمّ كانت عادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ان يكرّر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرّات وسبعا ليركزه فى قلوبهم ويغرسه فى صدورهم **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** اقشعرّ الجلد اذا تقبّض تقبّضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الرّاء ليكون رباعيّا ودالّا على معنى زائد يقال اقشعرّ جلده من الخوف ووقف شعره وهو مثل فى شدّة الخوف فيجوز ان يريد به الله تعالى التّمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انّهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعرّ منها جلودهم **ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** ثمّ اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة فان قلت فما وجه تعديته لان بالى قلت ضمّن معنى فعل متعدّ بالى كانّه قيل سكنت او اطمأنّت الى ذكر الله ليّنة غير منقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرّحمة قلت لانّ اصل امره الرّحمة والرّأفة ورحمته هى سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كلّ شئ من صفاته الّا كونه رؤفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اوّلا ثمّ قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية الّتى محلّها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانّه قيل تقشعرّ جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم فى اوّل وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرّأفة والرّحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم **ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ** ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدى به يوفّق به من يشاء يعنى عباده المتّقين حتّى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرّجاء كما قال هدى للمتّقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفسّاق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية والرّجاء هدى الله اى اثر هداه وهو لطفه فسمّاه هدى لانّه حاصل بالهدى يهدى به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعنى من صحب اولياءه وراهم خاشين راجين فكان ذلك مرغّبا لهم فى الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ** ومن لم يؤثّر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره **فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** من مؤثّر فيه بشئ قطّ **أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** يقال اتّقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه ايّاه واتّقاه بيده وتقديره افمن يتّقى بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدّته ومعناه انّ الانسان اذا لقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقى بها وجهه لانّه اعزّ اعضائه عليه والّذى يلقى فى النّار يلقى مغلولة يداه

الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذي كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مامنهم فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا قرآنا عربيا حال موكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج غير ذي عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احديهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد

وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب

لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة واذا عنت حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال الله تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخصت اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المراة والصبي قد يغفلان عن ذلك وهل يستويان مثلا هل يستويان صفة بالنصب على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منكم قوة ويجوز فيمن قرا مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره انك ميت وانهم ميتون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم ميتون

انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمومنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابرهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله تعالى هو ما قدمت اولا الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة فمن اظلم ممن كذب على الله كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجاءه بالتكذيب كما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالحق وصدق به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذلك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم باحسن الذي كانوا يعملون فان قلت ما معنى اضافة الاسوا والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فايذان بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوا لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوا وحسنهم بالاحسن وقرئ اسواء الذي عملوا جمع سوء اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله تعالى اليس الله بكاف عبده ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن

قوله فذلك عزة وغلبة لان العز والغلبة قسمان نصر الاولياء وذل الاعداء وهذه الغلبة من القسم الاخير

الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه مالا يقدر على نفع ولا ضر واليس الله بكاف انبياءه ولقد قالت الهتهم نحو ذلك فكفاهم الله
وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم
في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية
كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما
من قوله ونجزيهم اجرهم **ويخوفونك بالذين من دونه** اراد الاوثان التي اتخذوها الهة من دونه **ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز** بغالب منيع **ذي انتقام** ينتقم من اعدائه وفيه
وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم **ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته** قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف **فان قلت** لم فرض المسئلة
في نفسه دونهم **قلت** لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم
يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة
من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات رحمته **قل حسبي الله** حتى اذا القمهم
الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم **عليه يتوكل المتوكلون** وفيه تهكم ويروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم سالهم فسكتوا فنزلت قل حسبي الله **فان قلت** لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد
قوله ويخوفونك بالذين من دونه **قلت** انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر
وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث
اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها
وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما
للمكان **فان قلت** حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف **قلت** للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله
لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف
توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث
ان الغلبة تتم له بعز عز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له
وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم **انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل** للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا
وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع
نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار
**الله يتوفى الانفس حين موتها** الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة
اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كانها ذاتها قد سلبت **والتي لم تمت في منامها** يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت
في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفيكم بالليل حتى لا يميزون ولا

نقل عن المكان المحسوس الى الحالة التي عليها قوله حق الكلام فاني عامل الخ لو قال الشخص استعارة محسوس لمعقول قوله لمعرة اوثانكم لانه لا معرة للاوثان فكيف فاني عامل على مكانتي لترائي منه انه يكون على حالة واحدة لا تتغير ولا تزداد قوله الا

قوله حتى اذا الهمهم الخ من تتمة الكلام السابق وليس منتهى التعبير قوله قل حسبي الله وكانه

ثمة وفيه وصف لحالهم لعين شدة شكيمتهم في الكفر لدلالته على ان لم يبق الا حكم رب العبادة

كان الموتى كذلك **فيمسك** الانفس **التي قضى عليها الموت** الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية **ويرسل الاخرى** النائمة
**الى اجل مسمى** الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي يكون معها الحيوة والحركة
ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس
الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه
والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة
والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة التي هي تموت وهي التي تنام **ان في ذلك
لايات** على قدرة الله وعلمه **لقوم يتفكرون** يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها الموت على البناء للمفعول **ام اتخذوا** بل اتخذ قريش والهمزة للانكار
**من دون الله** من دون اذنه **شفعاء** حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى
الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له
مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا **قل اولو كانوا** معناه ايشفعون
ولو كانوا **لا يملكون شيئا ولا يعقلون** اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا
عقل لهم **قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض** له ملك السموات والارض تقرير
لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها **ثم اليه ترجعون**
**فان قلت** بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون **قلت** بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه
ترجعون يوم القيمة ولا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة **واذا ذكر الله وحده
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون**
مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه الهتهم اشمازوا اي نفروا وانقبضوا واذا
ذكر الذين من دونه وهم الهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى
هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لالهتهم وقيل اراد استبشارهم
بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الهتهم حين قرا والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه
لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان
يمتلي قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلي غما وغيظا حتى يظهر الانقباض
في اديم وجهه **فان قلت** ما العامل في اذا ذكر **قلت** العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه
فاجاوا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد **قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** فقيل له ادع
الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار
لرسول الله صلعم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله
وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال اه او قد فعلوا وقرا هذه الاية وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم
يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه **ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب**

المفعول وهو الامران ان ف قوله ماعقبه الا عقبه بالتخفيف اى خلفه اى جاء بعده والله اعلم

يوم القيمة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون مالم يكونوا يحتسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو
نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط في حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم
وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفين الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع
محمد المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله مالم احتسبه وبدا لهم
سيآت ما كسبوا اي سيآت اعمالهم التي كسبوها او سيآت كسبهم حين تعرض صحايفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله
ونسوه او اراد بالسيآت انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيآت كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا
خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون التخويل مختص بالتفضل
يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اى على علم مني اني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي
او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو النعمة قلت ذهابا به
الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان
الذي اوتيته على علم بل هي فتنة انكار لها كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اى ابتلاء وامتحان
لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مونثا اعني
فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه لقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت
ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة
عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمازون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مس احدهم
ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يوكد المعترض
بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه
من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدايد دون آلهتهم كانه قيل يا رب لا يحكم
بيني وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذه المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول
لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم بركانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها
واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت
من اى وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا
التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد
كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمه كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان
ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله
قد قالها الذين من قبلهم الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله
على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها
فكأنهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه فاصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا

ذكر غلبته عليه كان ابلغ في الاحد فتحان قوله في الحاشية ظل الظلمة لون بين الغبرة والسواد وقترة السهم فوقه وهو

وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين
ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم ولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا من رحمة الله قرئ بفتح النون وكسرها
ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا
له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا
لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشية الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها
وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا
وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت
في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال
رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات انه هو الغفور الرحيم وانيبوا
الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واسلموا له واخلصوا له العمل وانما
ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه من قبل ان
يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم
ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان
يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى شعر
ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا
ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير يا حسرتا على ما فرطت في
جنب الله وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان
وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري
شعر اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان
الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول
الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت
هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في
ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله
فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله
وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت
لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال

القدم واليد والجنب فغريبة ولم يقل به احد من اهل السنة وانما اثبت القاضي صفات سمعية ورد بها

فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال له
تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذما كان فقال يا
يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل
الله خبره في القران او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي
كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن
من اهل الالطاف فلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا
تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا
الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله
وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن
الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان يقدم على
احدى القرائن الثلث فيفرق بينهن واما ان يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم
بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد
الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها
عما اقتضى الجواب فان قلت كيف يصح ان يقع بلى جوابا لغير منفي قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا
على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز ان يخلق
خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة
ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفية ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وجوههم مسودة جملة
في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب وينجي الله الذين اتقوا
وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة
قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم
بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تع فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان
النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز
بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة
لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين
قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال الله
خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا
بآيات الله اولئك هم الخاسرون له مقاليد السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهو من باب
الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك

حتى يقال لا تنا حقيقة او مجازا لا ان الافراد ليست حقيقة ولا مجاز والا لكانت مهملة ٥ تقريب ٢ قوله بل ان كنت عاقلا فاعبد الله هذا

وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية فان قلت ما للكتاب العربي
المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين
كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق
الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا
بما يليه على ان لكل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم
الخاسرون وقيل سال عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني
عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول و
الآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها
ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده
اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون افغير الله منصوب باعبد وتامروني
اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك او تنصب بما يدل
عليه جملة قوله تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع
الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى الا ترى انك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد
فكذلك افغير الله تامرونني ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرا اعبد
بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني على ادغام النون وحذفها ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن
بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت معناه
اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول
كسانا حلة اي كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب
وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تع ان رسله
لا يشركون ولا يحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف
عنه فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن
في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله
بعد الردة الا ترى الى قوله تع اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض الهتهم
كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول به عوضا منه
وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا
معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق
معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما
عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة

والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل عليه السلم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا القسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا يكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وساير الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اوتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والسعر حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورية ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتاكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعة اي ذات اكلة وذات جرعة يريد انهما لا يفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فذة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا قبضته بالنصب **قلت** جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تع يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايتهم على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون اي ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون** **فان قلت** اخرى ما محلها من الاعراب **قلت** يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرا نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم **واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون** قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيآت وينادي عليه بانه استعارة اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحايف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله **وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى** الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال الراجز حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم **فان قلت** لم اضيف اليوم اليهم **قلت** ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا **ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها** ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال **فبئس مثوى المتكبرين** اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله تع جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها **فان قلت** كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق **قلت** المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها

حال والحال ابدا نكرة ٥ قوله الواحدة فقد آذنت قال الفاء يصلح جوابا للما اذا وقع اخبارا عن امر ما مضى والله اعلم ٥

موصوف بصفتها فما ابعد حوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا فى اكتساب تلك الصفة الآن يهب لنا المولى الكريم توبة نصوحا تنفي انفسنا من درن الذنوب ويميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** الارض عبارة عن المكان الذى اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى انفاقه طولا وعرضا **فان قلت** ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره **قلت** تكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ** حافين محدقين من حوله **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين **فان قلت** الام يرجع الضمير فى قوله بينهم **قلت** يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم فى اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق **فان قلت** قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك **قلت** المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التى هى حقه ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوه وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

**سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل فى الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنيفة وهى خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب والاوب اخوات فى معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل **فان قلت** كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان تكون مثله معارف **قلت** اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا فى تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه فى تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفى كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هى صفات وانما حذفت الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سجادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال فى قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام

بعد ان تابع اذا سال كان المتابع يسرع الى الشيء كالماء السائل والتخصيص بالبشر لان التوبة فى الترقي من صفات الكمال والله اعلم ٥

قوله فان لم يقل الى آخره عطف تفسيرى على قوله منكرة ٥ قوله وجب على من تحقق ذلك الى آخره اشارة الى ان الخطاب

ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يكون هذه النكتة هى الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال **فان قلت** ما بال الواو فى قوله وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسن توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ** سجل على المجادلين فى آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم فى استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد فى سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال **فان قلت** من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم فى عينه ولا يغره اقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة فكانت قريش كذلك يتقلبون فى بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم عداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقوى لا يغرك **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم يعنى انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك **حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ** انهم من اصحاب النار فى محل الرفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار فى الآخرة او فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك

هولاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا** روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم تدخرق العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملايكة فان خلقا من الملايكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تع امر جميع الملايكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على ساير الملايكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملايكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورايهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورايهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين **فان قلت** ما فايدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملايكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون **قلت** فايدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح كذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفايدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغايب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه الى امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تع ويستغفرون لمن في الارض **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما** اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا **فان قلت** تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء **قلت** الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء **فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم** **فان قلت** قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها **ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبايهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم** انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك **وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم** وقهم السيآت اي



العقوبات او جزاء السيآت فحذف المضاف على ان السيآت هي الصغاير والكباير المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة **فان قلت** فما الفايدة في استغفارهم لهم وهم تايبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد **قلت** هذا بمنزلة الشفاعة وفايدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح وهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم **ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون** اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغني بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده **قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين** اثنتين اماتتين واحيايتين او موتتين وحيوتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحيايتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تع وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس **فان قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة **قلت** كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جايزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجايزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجايز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياءات وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احديها غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور ويستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله الا من شاء الله **فاعترفنا بذنوبنا** **فان قلت** كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا **قلت** قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم **فهل الى خروج** اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء **من سبيل** قط ام الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله **ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا** اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى الخروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به **فالحكم لله** حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله **العلي الكبير** دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي تطابق كبرياؤه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا الله من هذا **هو الذي يريكم آياته** من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها **وينزل لكم من السماء رزقا** والرزق المطر لانه سببه **وما يتذكر الا من ينيب** وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين

ظرف كاظمون قدم عليه وهو خبر بعد خبر ٥ قوله جمع الكاظم اي حابسين الكلام والربو وكل ما يخرج من الجوف ٥ س

فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره المشركون ان غاظ ذلك اعداكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم آياته او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهو دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سما فوق سما والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال ومن كان ميتا فاحييناه على من يشاء من عباده لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها تونث او على خطاب الرسول وقرئ لتنذر يوم التلاق على البناء للمفعول يوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شيء فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تع ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم ومعنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين الآزفة القيمة سميت بذلك لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تع فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين

في تقدير يعلم العين الخائنة ويعلم مخفي الصدور ولم يناسب لان في الاول المراد به العين وفي الثاني المعنى

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب والنجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تع وما للظالمين من انصار وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن لا يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع وكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصرون ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجرى مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وقد كان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه فكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه فكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ والفساد في الارض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظّهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون لما سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عدت بالادغام وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى



لواحد فقال له المبرد هلا فارقته فقال كان ابو عبيدة احفى من ان يفقه ويفهم ما اقول له واشار الى ما نقل

سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول لان يقول وهو انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد فان قلت تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر وتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله النبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا انت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر والتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ظاهرين في الارض في ارض مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وَمَا أَهْدِيكُمْ بهذا الرأي إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى لكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر

قوله غير معجزين اي غير سابقين ولا فائتين وهو تفسير مالكم من الله من عاصم والله اعلم بالصواب

احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعّال من رشِد بالكسر كعلّام او من رشَد بالفتح كعبّاد وقيل هو من ارشد كجبّار من اجبر وليس بذاك لان فعّالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو درّاك وسآر وقصّار وجبّار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعوّاج وبتّات غير منظور فيه الى فعل **وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم** مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى من ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دأبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم **فان قلت** بم انتصب مثل الثاني **قلت** بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة **وما الله يريد ظلما للعباد** وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكّر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمّرهم لانهم كانوا ظالمين **ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد** التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يندّ بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب **يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد** يولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارّين عن النار غير معجزين **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات** هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمّر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات **فما زلتم في شك مما جاءكم به** فشككتم فيها ولم تزالوا شاكّين كافرين **حتى اذا هلك** قبض **قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا** حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكّوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال **كذلك يضل الله** اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه **من هو مسرف مرتاب** في دينه **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** الذين يجادلون بدل من من هو مسرف **فان قلت** كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذلك موحد **قلت** لانه لا يريد مسرفا واحدا فكانه قال كل مسرف **فان قلت** فما فاعل كبر **قلت** ضمير من هو مسرف **فان قلت** اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون **قلت** بلى هو جمع في المعنى فاما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع

نقل حركة العين الى الصاد وصد يجوز ان يكون لازما ومتعديا والفعل لفرعون اي صد الناس عن الايمان ويجوز ان يكون

اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى ولها نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وعلا فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا** قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرّح الشيء اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه **فان قلت** ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات **قلت** اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امّل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوّق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني **وكذلك** ومثل ذلك التزيين وذلك الصد **زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل** والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل والله على وجه التسبيب لانه مكّن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله تعالى دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل **وما كيد فرعون الا في تباب** التباب الخسران والهلاك وصدّ مصدرا معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار** قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنّى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذّر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة

فحسنة لانها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء
السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما يشاء
من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء في الثالث دون الثاني قلت
اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم
وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة وهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه
فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابرهيم عليه السلام في نصيحة ابيه
يا ابت واما المجئ بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفصيل له فاعطي الداخل
عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا
ودعا له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال و
اشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل
لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مامع في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته
او بمعنى كسب من قوله تع لا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي كسب ذلك
الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان
لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد
انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا
يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك
فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد
ورشد وعدم وعدم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ليس له دعوة معناه
ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو
العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان
حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء
وغيره وفي الآخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرأ من الدعاء اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة
دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او
سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تع
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان مردنا الى الله وان المسرفين هم
اصحاب النار المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين
غلب شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون ما اقول لكم وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم
بعضا وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد لانهم توعدوه فوقيه الله سيئات ما مكروا
شدايد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون سوء
العذاب ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار يعرضون عليها النار بدل من سوء
العذاب او خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون

الركية الكثيرة الماء والخسف البئر التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجمع الخسف والله اعلم ٥ قوله وقولهم
ان قول الاعشى دعوت خليلي مسحلا ودعوا له جهنام جدعا للهجين المذمم دليل على العجمة قلت مسحل اسم تابعة الاعشى على ما ذكر وجهنام

عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف
اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب
على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان
يعذبوا بجنس آخر من العذاب وتنفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا
ويوم تقوم الساعة فاذا قامت الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب
جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه
انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم
لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى
ذلك حيقا لانه مني بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه
ويجوز ان يهم فرعون لما انذر المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ
ويعذبهم بالنار فحاق بهم مثل ما اضمره وهم به فعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر قال الذين استكبروا
انا كل فيها وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض عن المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت
هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما
تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب لخزنة
جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل
ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم
انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهي بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم
للخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله
فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى اولم
يا تكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله
لها الدعوات قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك
ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين
الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف
يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد في الحيوة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض
الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد
الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد عليه الصلوة والسلام لكونوا شهداء على الناس يوم لا
ينفع الظالمين معذرتهم واليوم الثاني بدل من الاول تحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها

بشر واستبشر وابشر بمعنى بشر ايضا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وعن يقوم ولا ينتفع بالثنا والنداء ولقد آتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرايع واورثنا بني اسرائيل وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولي الالباب واولوا الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصر على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما تجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلوتا العصر والفجر ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا كبر ان في صدورهم الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسدا وغيظا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول وتقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها فانها خلق عظيم لا يقادر قدره خلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا يعلمون لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالتاء والياء والتاء اعم ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني استجب لكم والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى النعمان بن البشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة

من افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد سيدخلون جهنم داخرين صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل ومتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه لقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم لقوله في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى

ولعلكم تعقلون لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك ليكونوا واما لتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد لقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم فان قلت وهل قوله فسوف تعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تع متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون في الحميم بالنصب وفتح الياء على عطف جملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قال بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون ثم في النار يسجرون في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوة بها اجوافهم ومنه قوله تع نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت اما ذكرت في تفسير قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في ساير الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم وكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بسبب ما كان من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في مسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان قلت لا يخلو اما ان يعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك اما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره

فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تع فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من ساير الناس وعن علي عليه السلام ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليك وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لرسول لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فمن لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله قضي بالحق وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيمة وخسر هنالك المبطلون المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات فانكروها وسموها سحرا الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة لمن يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله عليها ويزاوجه ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون فاي آيات جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمونث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فما اغنى عنهم ما الاولى نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه ستة منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادرك علمهم في الآخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى فرحهم والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل

قوله قد بعث الله الخ قال سلمه الله الصحيح ما رويناه عن الامام احمد بن حنبل عن ابي ذر رحمه الله

الف الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا والله اعلم بالصواب

فاما

لمّا رأوا جهلهم المتمادي واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تع يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلمّا جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والكف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغّروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به **فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** البأس شدّة العذاب ومنه قوله تع بعذاب بئيس **فان قلت** اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم **قلت** هو مثل كان في نحو قوله وما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم **فان قلت** كيف ترادفت هذه الفاآت **قلت** امّا قوله تع فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وامّا قوله فلمّا جاءتهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلمّا رأوا بأسنا تابع لقوله فلمّا جاءتهم كانه قال فكفروا فلمّا رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لمّا رأوا بأس الله سنّة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له ٥ **سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم** ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل وخبر بعد خبر وخبر مبتدا محذوف وجوّز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه انّ تنزيلا تخصّص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا **كتاب فصّلت آياته** فصّلت آياته ميّزت وجعلت تفاصيل في معاني مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصّل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد **قرآنا عربيا** قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصّل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا **لقوم يعلمون** اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصّلة المبيّنة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه **فان قلت** بم يتعلق قوله لقوم يعلمون **قلت** يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصّلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصّلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كاينا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات **بشيرا ونذيرا** وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا محذوف **فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون** فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفّعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنّه لمّا لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه **وقالوا قلوبنا في اكنّة ممّا تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب** والاكنّة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبّل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنعه من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومجّ اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين

رسول الله صلعم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي **فاعمل** على دينك **فانّنا عاملون** اننا على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون **فان قلت** هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فايدة **قلت** نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى انّ حجابا حاصل وسط الجهتين وامّا بزيادة من فالمعنى انّ الحجاب ابتدأ منّا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا ولجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها **فان قلت** هلّا قيل على قلوبنا اكنّة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد **قلت** هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنّة وعلى قلوبنا اكنّة والدليل عليه قوله تع انا جعلنا على قلوبهم اكنّة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنّة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعنى **قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد** **فان قلت** من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنّة **قلت** من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحّت بالوحي الي وانا بشر نبوّتي واذا صحّت نبوّتي وجب عليكم اتّباعي وفيما اوحي الي انّ الهكم اله واحد **فاستقيموا اليه** فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء **واستغفروه** وتوبوا اليه ممّا سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون** **فان قلت** لم خصّ من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة **قلت** لان احبّ شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيّته ونصوع طويّته الا ترى الى قوله تع ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبّتون انفسهم ويدلّون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلّفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرّت عصبيّتهم ولانت شكيمتهم واهل الردّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاجّ ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان **انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** الممنون المقطوع وقيل لا يمنّ عليهم لانه انما يمنّ التفضّل فامّا الاجر فحقّ اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصحّ ما كانوا يعملون **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا** ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين **ذلك** الذي قدر على خلق الارض في يومين هو **ربّ العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها** رواسي جبالا ثوابت **فان قلت** ما معنى قوله من فوقها وهلّا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي **قلت** لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقرّ عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرّضة لطالبيها حاضرة لمحصّليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بدّ لها منه وهو ممسكها عزّ وعلا بقدرته **وبارك فيها** واكثر خيرها وانماه **وقدّر فيها اقواتها** ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها **في اربعة ايام سواء للسائلين** فذلكة لمدّة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان

خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلث الجر على الوصف والنصب على سوت سواء اى استواء والرفع على هي سواء فان قلت بم يتعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت فهلا قيل في يومين واى فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان وقال في يومين وقد يطلق اليومان على اكثرهما كان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين **ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين** ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما فكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ايتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان تحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمهما في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وينصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اى لتوات كل واحدة منكما اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما تقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طايعتين او مكرهتين فان قلت هلا قيل طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طايعين في موضع طايعات نحو قوله ساجدين **فقضيهن سبع سموات في يومين** يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طايعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قيل وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان فان قلت لو قيل خلق الارض في يومين كاملين

وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة ايام سواء قلت الذي اورده سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب **واوحى في كل سماء امرها** ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك او شانها وما يصلحها **وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا** وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **ذلك تقدير العزيز العليم فان اعرضوا** بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته **فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اى عذاب شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل **اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم** اى اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة ويقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل جاؤهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولساير الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم **ان لا تعبدوا الا الله** ان في ان لا تعبدوا بمعنى اى او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اى بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا **قالوا لو شاء ربنا** ومفعول شاء محذوف اى لو شاء ربنا ارسال الرسل **لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون** معناه فاذ انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روى ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال عليه الصلوة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق** اى تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام واستعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية **وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم**

هو اشد منهم قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض في ايام نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون وقرئ لتذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر واما ثمود قرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريق الضلالة والرشد لقوله وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين والآخرين يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاؤها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وعلا ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح

قد ذكر ان اضافة اسوء ليس من اضافة افعل التفضيل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه كقوله

وقيل هي كناية عن الفروج اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلين اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا يريد فانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال شعر من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والرجز وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان تذكر للذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر اسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء اعداء الله النار ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى يستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان

للجزاء وخبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد فإن قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار
في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة
وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها
فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا
ليكونا من الأسفلين اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين من الجن والإنس لأن الشياطين على ضربين جني وإنسي
قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ
وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون
فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن
كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن
أبي بكر استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على
أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب
وعن عثمان أخلصوا العمل وعن علي عليه السلام أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله
أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاث مواطن عند
الموت وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون
نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور
رحيم أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود
لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو
حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه من أحوال الآخرة ولا
تحزنوا على ما خلفتم من أمور الدنيا كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين
تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل
صالحا وقال إنني من المسلمين ممن دعا إلى الله عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
عائشة ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا
معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا إليه وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد
الدعاة إلى دين الله وقوله وقال إنني من المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام مذهبه
ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن
فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة
التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك

رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك
فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم
مصافاة لك ثم قال وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وما يلقى هذه الخليقة
والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فإن قلت
فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن قلت هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن وقيل لا مزيدة والمعنى
ولا تستوي الحسنة والسيئة فإن قلت فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت أجل
ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها
وعن ابن عباس التي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن
الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فصار وليا مصافيا وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع
العليم النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي
وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى
وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره وامض على شأنك ولا
تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله
الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم
جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات
فقيل خلقهن فإن قلت أين موضع السجدة قلت عند الشافعي تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله
لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد
ابن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون
بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا إن
كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون فإن استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا
الواسطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالإخلاص وله العباد المقربون
الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة
وقرئ ولا يسأمون بكسر الياء ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء
اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير الخشوع التذلل
والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض
هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها
بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ وربأت أي
ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون
علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير

لوصفين فكونه حكيما موجب لان يكون منزله محكما متقنا قويا رصينا يغلب ولا يُغلب فيكون عزيزا وكونه حميدا

يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق واستعير للانحراف فى تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يُلحدون ويَلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف **ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم** فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله **وانه لكتاب عزيز** اى منيع محمى بحماية الله **لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون **ما يقال لك** اى ما يقول لك كفار قومك **الا ما قد قيل للرسل من قبلك** الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات الموذية والمطاعن فى الكتب المنزلة **ان ربك لذو مغفرة** ورحمة لانبيائه **وذو عقاب اليم** لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة **ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمى وعربى** كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اى بينت ولخصت بلسان نفقهه ءاعجمى وعربى الهمزة همزة الانكار يعنى لانكروا وقالوا اقرآن اعجمى ورسول عربى او ومرسل اليه عربى وقرئ اعجمى والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه من اى جنس كان والعجمى منسوب الى امة العجم وفى قراءة الحسن اعجمى بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمى والمرسل اليه عربى والمعنى ان آيات الله على اى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربى المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع فى انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمى ومكتوب اليه عربى وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتى الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع فى ذكورة اللابس وانوثته انما وقع فى غرض وراءهما **قل هو** اى القرآن **للذين آمنوا هدى وشفاء** ارشاد الى الحق وشفاء لما فى الصدور من الظن والشك **والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر** فان قلت والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا او فى آذانهم منه وقر **وهو عليهم عمى** وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله فعميت عليكم **اولئك ينادون من مكان**

**بعيد** يعنى انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم فى ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل **ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب** والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى **من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** فلنفسه نفعه ونفعها فنفسه ضر **وما ربك بظلام للعبيد** فيعذب غير المسيء **اليه يرد علم الساعة** اى اذا سئل عنها قيل الله يعلم او قيل لا يعلمها الا الله **وما تخرج من ثمرة من اكمامها** وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اى وما يحدث شيء من خروج ثمرة **وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه** ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك **ويوم يناديهم اين شركائى** اضافهم اليه على زعمهم وبيانه فى قوله اين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع **قالوا آذناك** اعلمناك **ما منا من شهيد** اى ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك وما منا من احد يشاهدهم **وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل** لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم **وظنوا** وايقنوا **ما لهم من محيص** والمحيص المهرب فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائى اعادة للتوبيخ واعادته فى القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكى ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت **لا يسأم الانسان من دعاء الخير** من طلب السعة فى المال والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاء بالخير **وان مسه الشر** اى الضيقة والفقر **فيؤس قنوط** بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون **ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى** واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لى اى هذا حقى وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل واعمال بر او هذا لى لا يزول عنى ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه **وما اظن الساعة قائمة** ونحوه قوله وما اظن الساعة قائمة ان تظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون **ولئن رجعت الى ربى** فان كانت على طريق التوهم **ان لى عنده للحسنى** ان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ويقول فى الآخرة يا ليتنى كنت ترابا وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة **فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ** فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون

اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه** هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم **وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** وان مسه الشر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى **فان قلت** حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه **قلت** فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه **قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد** اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود وخارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك من التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقايعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل **أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة **ألا**

**إنهم في مرية من لقاء ربهم** وقرئ في مرية بالضم وهو الشك **ألا إنه بكل شيء محيط** عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

**سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم** قرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول **فان قلت** فما رافع اسم الله على هذه القراءة **قلت** ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم **فان قلت** فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون **قلت** يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر **له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم** قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السماوات يتفطرن منه **فان قلت** لم قال من فوقهن **قلت** لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين **فان قلت** كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم **قلت** قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما **فان قلت** قد فسرت قوله تكاد السماوات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما **قلت**

امّا على احدهما فكانه قيل يكاد السموات تنفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافّون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن فى الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثانى فكانه قيل يكدن ينفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحّدون الله وينزّهونه عمّا لا يجوز عليه من الصفات التى يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التى علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمنى اهل الارض الذين تبرّؤا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون من ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا فى ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا فى توبة الكفار والفساق منهم **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** جعلوا له شركاء وانداداً **اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ** رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شىء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** وما انت يا محمد بموكّل بهم ولا مفوّض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ** ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرّره الله فى كتابه فى مواضع جمّة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربى بيّن لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حدّ الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البيّن المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدّى الاول اعنى لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثانى وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تع يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محلّ له **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اى متفرقين كقوله تع ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **فان قلت** كيف يكونون مجموعين متفرقين فى حالة واحدة **قلت** هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** لجعلهم امة واحدة اى مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تكره بادخال الهمزة للانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى ولا نصير فى عذابه **أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** معنى الهمزة فى ام الانكار **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ** هو الذى يجب ان يتولّى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء فى قوله فالله هو الولى جواب شرط مقدّر كانه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق



لا ولى سواه **وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى** اى ومن شأن هذا الولى انه يحيى الموتى **وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شىء **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** وما اختلفتم فيه من شىء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اى ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربى عليه توكلت فى ردّ كيد اعداء الدين واليه ارجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شىء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم فى شىء فردّوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تع ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى **فان قلت** هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين فى احكام الشريعة **قلت** لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول **فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف **جَعَلَ لَكُمْ** خلق لكم **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** من جنسكم من الناس **أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا** اى وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا **يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** يذرؤكم يكثّركم يقال ذرأ الله الخلق بثّهم وكثّرهم والذرّ والذرو والذرء اخوات فيه فى هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلّبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيّب مما لا يعقل وهى من الاحكام ذات العلتين **فان قلت** ما معنى يذرؤكم فى هذا التدبير وهلّا قيل يذرؤكم به **قلت** جعل هذا التدبير كالمعدن والمنبع للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان فى خلق الازواج تكثير كما قال تع ولكم فى القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسدّ مسدّه وعمن هو على اخصّ اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفى حديث رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم تقع فرق بين قوله ليس كالله شىء وبين قوله ليس كمثله شىء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه قوله تع بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كرّرت للتأكيد كما كرّرها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف مأكول **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ** وقرئ ويقدّر **إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والّا افقره **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى** شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء

ثم فسّر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة
دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما
ولم يرد الشرايع التى هى مصالح للامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع
فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تع ان هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما
تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبى اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد
من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجدى عليهم لطفه ويهدى اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما
جاءهم العلم بغيا بينهم وما تفرقوا يعنى اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة
ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل
مسمى وهى عدة التاخير الى يوم القيمة لقضى بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوه وان الذين
اوتوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفى شك
منه مريب لفى شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان
اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله
اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم وقيل وما تفرق اهل اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل
الكتاب التورية والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من
تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة
اليها كما امرت كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب باى
كتاب صح ان الله انزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم
فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم اى ولا خصومة
لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا
حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة
بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت
وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم فى مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون فى الله
يخاصمون فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى الجاهلية
كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر
واظهر دين الاسلام حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد داحضة
باطلة زايلة الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان الكتاب اى جنس الكتاب والميزان والعدل والسوية

ومعنى



معنى الدقة فى اللطف تعالى توصل اليه اى يلطف فى الوصول اليه وقوته متوكل اى ناسيا مسدا منكل

ومعنى انزال العدل انه انزله فى كتبه المنزلة وقيل الذى يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل
او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحريم والتحليل وغير ذلك وما يدريك لعل الساعة
قريب الساعة فى تاويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجئ الساعة قريب فان قلت كيف توفق ذكر اقتراب
الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم
الله بالعدل والسوية والعمل بالشرايع قبل ان يفاجئكم اليوم الذى يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفى لمن اوفى
ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها
الحق الا ان الذين يمارون فى الساعة المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه لفى
ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب
فيها ولشهادة العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء لطيف بعباده بر بليغ
البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته فان قلت
فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف
وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطبق لبعض العباد صنف
من البر لم يطبق مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم
للاخر فقد رزقه وهو الذى اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة
اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد
حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب سمى
ما يعمله العامل مما يبتغى به الفايدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملى العاملين بان من عمل للآخرة
وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطى شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذى
قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط فى الآخرة ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على ان رزقه
المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب ام لهم
شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله معنى الهمزة فى ام التقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذى شرع
لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء
لله فتارة تضاف اليهم بهذه الملابسة وتارة الى الله تع ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة
لدين الكفر كما قال ابرهيم صلوات الله عليه انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق
بتاجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين او بين
المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرأ مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا له
على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا ترى الظالمين
فى الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيآت وهو واقع بهم يريد وباله
واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير كان روضة جنة المؤمن اطيب

بقعة فيها وان منها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن **ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى** قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى يبشر الله عباده روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا صلعم يسال على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الاية الا المودة فى القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اى لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتى ولم يكن هذا اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم فى المروة ويجوز ان يكون منقطعا اى لا اسألكم اجرا قط ولكنى اسألكم ان تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم **فان قلت** هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة فى القربى **قلت** جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى اهل القربى وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روى عن على عليه السلام شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وروى ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتاهم فى مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوننى قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما فى ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودونى فى القربى اى فى حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن اجله يعنى انكم قومى واحق من اجابنى واطاعنى فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا على وقيل اتت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تحبوا

الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى **ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا** عن السدى انها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت فى ابى بكر الصديق ومودته فيهم والظاهر العموم فى اى حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اى يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبشرى **ان الله غفور شكور** الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب **ام يقولون افترى على الله كذبا** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذى هو اعظم الفرى وافحشها **فان يشا الله يختم على قلبك** فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلنى لعل الله اعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم **ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته** ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلعم بانه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى انت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم **انه عليم بذات الصدور** ان الله عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم **فان قلت** لو كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط **قلت** كما سقطت فى قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة فى بعض المصاحف **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده** يقال قبلت منه الشئ وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدا قبولى ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته **ويعفو عن السيئات** عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر **ويعلم ما يفعلون** قرئ بالياء والتاء اى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ويستجيب الذين لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله واذا كالوهم اى يثيبهم على طاعتهم **ويزيدهم من فضله** على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا

وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو
من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل
له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا
والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لبغوا من
البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قرون عبرة ومنه
قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمى ينبت بيننا
وبين بنى رومان نبعا وشوحطا يعنى انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغى والتغابن او من البغى وهو البذخ و
الكبر اى لتكبروا فى الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من اهل الصفة
تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بنى قريظة والنضير
وبنى قينقاع فتمنيناها ولكن ينزل بقدر ما يشاء بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا انه بعباده
خبير بصير خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر
ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية لو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان
قلت قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط
لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة فى ان البغى مع الفقر
اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب
البغى حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر انه قيل
له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الاية ويجوز ان يريد رحمته فى كل شىء كانه قال
ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة وهو الولى الذى يتولى عباده بالاحسان الحميد
المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة
وما بث يجوز ان يكون مجرورا او مرفوعا محمولا على المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة
والدواب فى الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب الشىء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما
يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان
فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون
للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد ان يخلق فى
السموات حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف
الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضى قال الله تعالى والليل
اذا يغشى ومنه اذا يشاء وقال الشاعر شعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم فى مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط
وفى مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى
الشرط والاية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض ويعفو عن كثير

فاما

فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شىء من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر
وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر فى
احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل اوان وجناياته فى طاعته اكثر من جناياته فى معاصيه لان
جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه
اثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى اول خطوة وعن على رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى
عنه فى الآخرة ومن عوقب فى الدنيا لم يثن العقوبة عليه فى الآخرة وعنه عليه السلام هذه ارجى اية للمؤمنين فى القران
وما انتم بمعجزين فى الارض بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير
من ولى من متول بالرحمة ومن اياته الجوار فى البحر كالاعلام الجوارى السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال
قالت الخنساء ع كانه علم فى راسه نار ان يشا يسكن الريح فيظللن وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها
من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجرى على ظهره على ظهر البحر ان فى ذلك لايات لكل
صبار شكور لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذى وكل
همته بالنظر فى ايات الله فهو يستملى منها العبر او يوبقهن بما كسبوا يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشا
يبتل المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجرى واما ان
يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن
قلت على يسكن لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها فان قلت ما معنى ادخال العفو فى
حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرأ
ويعفو قلت قد استانف الكلام ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا فان قلت فما وجوه القراءات الثلث
فى ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف
تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن منه قوله تعالى ولنجعله
اية للناس وقوله وخلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها
جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه
نظر لما اورده سيبويه فى كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو فى قوله ان تاتنى اتك واعطيك ضعيف وهو
نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه فى الجزاء صار اقوى قليلا
لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه
هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا
الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الايات المشكلة فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم
قلت كانه قال او ان يشا يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص من محيص من
محيد من عقابه فما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لابى بكر مال
فتصدق به كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم

وَالفَوَاحِشَ والذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كباير الاثم الكباير من هذا الجنس وقرى كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ هم يغفرون اى هم الاحقاء بالغفران فى حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجى بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان امنوا به واطاعوه وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ واتموا الصلوات الخمس وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ هو ان ينتصروا فى الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت أهم محمودون على الانتصار قلت نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف فى القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ عدة مبهمة لا يقاس امرها فى العظم وقوله إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السوية والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول ويفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعايب إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ يبتدئونهم بالظلم وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ويبغون فى الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون وَلَمَنْ صَبَرَ على الظلم والاذى وَغَفَرَ ولم ينتصر وفوض امره الى الله إِنَّ ذَٰلِكَ منه لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عايشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعايشة دونك فانتصري وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ ومن يخذل الله فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ فليس له ناصر يتولاه من بعد خذلانه وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف

خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل فى نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا فى الدنيا واما ان يتعلق بقال اى يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون فى صحايف اعمالكم فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ والكفور البليغ الكفران ولم تقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء فى آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلم حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين إِنَّهُ عَلِيمٌ بمصالح العباد قَدِيرٌ على تكوين ما يصلحهم وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ وما صح لاحد من البشر أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف فى القلب والمنام كما اوحى الله الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام فى ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الى الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجلي اى الهمني وقذف فى قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه فى بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه فى ذاته

فلبني ان قوما اخذوا ابل ابي اوفى وصادوا اموا عليها فقمت فى مدد ابي اوفى لاردها ... المصنف الابل خمس ولا يكاد يسمع من العرب التحريك

مرئي وقوله من وراء حجاب مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض الخواص وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا ومسمعا من وراء حجاب ومرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا او الا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه واسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه أن يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على وهو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عايشة من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت او لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية **إِنَّهُ عَلِيٌّ** عن صفات المخلوقين **حَكِيمٌ** يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة إما الهاما وإما خطابا **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح **فان قلت** قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطيهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكباير ومن الصغاير التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر **قلت** الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تع وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان **وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

**سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله من رسلنا وهي تسع وثمانون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان يعقله العرب ولئلا تقولوا لولا فصلت

جعلناه

آياته

أي اضربن فحذفت النون الخفيفة وطارقها ما يطرق بالليل وهو بدل اشتمال من الهموم والعوس منسب شعر
له ان فلانا اخبرني ان شمس الايمة قال كنا مع ان الفلان لم يجر على لسانه شمس الايمة وانما قال الشيخ ولكني اذكر القا

آياته **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ** وقرئ إم الكتاب بالكسر وهي اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ **لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ** على رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها **حَكِيمٌ** ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا **أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا** بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرايب الابل وقال طرفة شعر اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره افنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا لتعقلوه وتعملوا بواجبه وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه وهو ان يكون تخفيف صحف جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين **إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ** ان كنتم لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم **فان قلت** كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت **قلت** هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له **وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه **فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا** الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم **وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ** اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ** **فان قلت** قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه **قلت** هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بعد ان يعترفوا بتسليم معه العباد والبلاد ولم يكن طوفانا **وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ** والازواج الاصناف ما تركبون اي تركبونه **فان قلت** يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه **قلت** غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان تذكروها في قلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون

بهما الدوحة اى لان البيت الاول انشده الزجاج وقال لا ادري البيت قديم ام مصنوع والثاني عن ... والله اعلم

وكبّر ثلاثا وهلّل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسين
بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم قال وبم أمرنا قال
ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد فنبّهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على
دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات
فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة واقرنت ما
حمّلتني ولقلّما يطاق احتمال الصدّ يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب
لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرّنين والمعنى واحد فان قلت
كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من
ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب
من اسباب التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه
ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون
ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه
على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون
حتى يميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون
الا اوامره ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا
بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه
الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن
سألتهم اي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده
جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا
منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة
العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه
اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزأت حرة يوما فلا عجب * زوجتها من بنات الاوس مجزئة وقرئ
جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر
اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا
لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو
الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن
كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن
ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين
وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تع يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم بما ضرب للرحمن مثلا
بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا

له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك
بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي
فيه المرأة فقالت ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا
وانما نأخذ ما اعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعانيها وقرئ مسود ومسواد
على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر او من ينشأ في الحلية ثم قال او يجعل للرحمن
من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو في الخصام
وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من
يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قل ما تكلمت امرأة فأرادت ان تتكلم
بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأ في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات
الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر اخشوشنوا واخشوشبوا
وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشّأ ويناشأ ونظير المناشأة
بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قد جمعوا في كفرة ثلث
كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد
الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم
واناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث اشهدوا خلقهم وقرئ أأشهدوا وأأشهدوا بهمزتين
مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم
فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به من خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان
يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون
وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو
شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلث وهما عبادتهم الملائكة من
دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا
ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل
عليه باطل على ان الله تع قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ
بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو
كانوا ناطقين بها على طريق الهزؤ لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جد وفي
النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزؤ فبقي ان يكونوا جادين وتشترك كلها في انها
كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزؤ دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا
بها هزؤا لم يكن لقوله تع ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله
الا الله على طريق الهزؤ كان الواجب ان تنكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق
جادا كان او هازئا فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا

يخرصون فى ذلك القول لا فى تعليق عبادتهم بمشيّة الله قلت تمحّل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تع سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شئ كذلك كذّب الذين من قبلهم ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون الضمير فى من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انّهم الصقوا عبادة غير الله بمشيّة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثمّ قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا نحصل لهم علم بذلك من جهة الوحى فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجّوا به بل قالوا بل لا حجّة لهم يستمسكون بها الّا قولهم انّا وجدنا آباءنا على امّة على دين وقرئ على امّة بالكسر وكلتاهما من الامّ وهو القصد فالامّة الطريقة التى تؤمّ اى تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامّة الحالة التى يكون عليها الآمّ وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة وانّا على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الّا قال مترفوها انّا وجدنا آباءنا على امّة وانّا على آثارهم مقتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اى ابطرتهم فلا يحبّون الّا الشهوات والملاهى ويعافون مشاقّ الدين وتكاليفه قل اولو جئتكم باهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم قالوا انّا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذّبين قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعنى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم قالوا انّا ثابتون على دين آبائنا لا ننفكّ عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انّنى براء ممّا تعبدون قرئ براء بفتح الباء وضمّها وبرئ وبرئ وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكّر والمؤنّث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الّا الذى فطرنى فانّه سيهدين فى الّا الذى فطرنى فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انّه استثناء منقطع كانّه قال لكن الذى فطرنى فانّه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانّه قال انّنى براء ممّا تعبدون الّا من الذى فطرنى فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما انّ ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى انّ الله تع غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان يكون الّا صفة بمعنى غير على انّ ما فى ما تعبدون موصوفة تقديره انّنى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الّا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرّة فهو يهدين ومرّة فانّه سيهدين فاجمع بينهما وقدّر كانّه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلّان على الاستمرار الهداية فى الحال والاستقبال وجعلها كلمة وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التى تكلّم بها وهى قوله انّنى براء ممّا تعبدون الّا الذى فطرنى كلمة باقية فى عقبه فى ذرّيته فلا يزال فيهم من يوحّد الله ويدعو الى توحيده لعلّهم يرجعون لعلّ من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحّد منهم ونحوه ووصّى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفى عقبه كذلك وفى عاقبه اى فيمن عقبه اى خلفه بل متّعت هؤلاء وآباءهم يعنى اهل مكّة وهم من عقب ابرهيم عم بالمدّ فى العمر والنعمة فاغترّوا بالمهلة وشغلوا بالتنعّم واتّباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتّى جاءهم الحقّ وهو القرآن ورسول مبين مبيّن الرسالة واضحها بما معه من الآيات البيّنة ولمّا جاءهم الحقّ قالوا هذا سحر وانّا به كافرون فكذّبوا به وسمّوه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متّعنا فان قلت فما وجه قراءة من قرأ متّعت بفتح التاء قلت كانّ الله تعالى اعترض على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلّهم يرجعون فقال متّعتهم بما متّعتهم به من طول العمر والسعة فى الرزق حتّى شغلهم ذلك

عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب فى تعييرهم لانّه اذا متّعهم بزيادة النعمة وجب ان يجعلوا ذلك سببا فى زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثمّ يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بذلك الكلام توبيخ المسئ تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجئ الحقّ والرسول غاية التمتيع ثمّ اردفه قوله ولمّا جاءهم الحقّ قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤدّاه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد حتّى جاءهم الحقّ ورسول مبين فخيّل بهذه الغاية انّهم تنبّهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبّه ثمّ ابتدأ قصّتهم عند مجئ الحقّ ولمّا جاءهم جاؤا بما هو شرّ من غفلتهم التى كانوا عليها وهو ان ضمّوا الى شركهم معاندة الحقّ ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله فى تخير محمّد عليه الصلوة والسلام من اهل زمانه بقولهم وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهى الغاية فى تشويه صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكّة والطائف وقيل من رجلى القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومى وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفى عن ابن عبّاس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى وكان الوليد يقول لو كان حقّا ما يقول محمّد لنزل هذا القرآن علىّ او على ابى مسعود الثقفى وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلمّا علموا بتكرير الله الحجج انّ الرسل لم يكونوا الّا رجالا من اهل القرى جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكّمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدّمه فى الدنيا وعزب عن عقولهم انّ العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضا سخريّا ورحمة ربّك خير ممّا يجمعون اهم يقسمون رحمة ربّك هذه الهمزة للانكار المستقبل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكّمهم وان يكونوا هم المدبّرين لامر النبوّة والتخيّر لها من يصلح وتقوم بها والمتولّين لقسمة رحمة الله التى لا يتولّاها الّا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثمّ ضرب لهم مثلا فاعلم انّهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم فى دنياهم وانّ الله عزّ وجلّ هو الذى قسم بينهم معيشتهم وقدّرها ودبّر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسوّ بينهم ولكن فاوت بينهم فى اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالى وخدما ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخّروهم فى اشغالهم حتّى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولّاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير امر المعيشة الدنيّة فى الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنّك بهم فى تدبير امر الدين الذى هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلّم الى حلول دار السلام ثمّ قال ورحمة ربّك يريد وهذه الرحمة وهى دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب خير ممّا يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تع قسم لكلّ عبد معيشته وهى مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له فى تناولها ولكن شرط عليه وكلّفه ان يسلك فى تناولها الطريق التى شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة

العرب الوقف على اجراء الاسم الصحيح والمعتل في حالة النصب بلا الف والله اعلم بالصواب

حلالا وسمّاها رزق الله واذا لم يتسلّطها تناولها حرامًا وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عمّا شرعه الى مالم يشرعه **وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قوله وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفرا جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما استطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الدنيا كقوله مثلا ما بعوضة اى ما هو بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اى ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **فان قلت** فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدى اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام **قلت** التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما يؤدى اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين وكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت حتى توارى جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اى يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان **فان قلت** لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم **قلت** لان من مبهم في جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا** العاشى وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه **قَالَ** لشيطانه **يَا لَيْتَ بَيْنِي**

**وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران **فان قلت** فما بعد المشرقين **قلت** تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما **وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من منى مثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء اعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه **فان قلت** ما معنى قوله اذ ظلمتم **قلت** معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اى تبين اني ولد كريمة **أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا على الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ما في قوله فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان ننجز في حيوتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي اوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه الى يوم الآخر فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شئ من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره **وَإِنَّهُ** والذي اوحي اليك **لَذِكْرٌ** لشرف **لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسائلة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض

الكملة والله اعلم ٥ قوله قرئ يا ايه الساحر بالضم قراءة ابن عامر والباقون بفتحها والله اعلم ٥
مضلّ وعدهم بقولهم اننا لمهتدون اعلام بانه هاد مهتد واجاب قولهم اننا لمهتدون تعلیق مخالف لما في ضمايرهم ٥

من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسئل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية والانجيل وعن الفراء هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سال الانبياء **ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين** ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله **فلما جاءهم باياتنا** وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الاية **اذا هم منها يضحكون** اي يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة **فان قلت** كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة **قلت** لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاؤا وقت ضحكهم **وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها فان قلت** اذا جاءتهم اية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الايات **قلت** اختها التي هي اية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رايتهم اذا قروتهم رجلا رجلا **فان قلت** فهو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فيكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة **قلت** الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب اليسير ان تختلف اراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلف اراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة **شعر**

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم … مثل النجوم التي يسري بها الساري

ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها **واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون** ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان **فان قلت** لو اراد رجوعهم لكان **قلت** ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وبين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك **وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون** قرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه **فان قلت** كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون **قلت** قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه متعلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون** ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر

وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال هي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه **ام انا خير** ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليه من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملائه مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي **من هذا الذي هو مهين** اي ضعيف حقير وقرئ اما انا خير **ولا يكاد يبين** الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس معه من العدد والات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء **فلولا القي عليه اسورة من ذهب** واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب **او جاء معه الملائكة مقترنين** اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة وقارن بينه وبين موسى عليه السلام ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ اساور جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى **فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين** فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز **فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين** اسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم **فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين** وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون **ولما ضرب ابن مريم مثلا** لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة

نعبدون فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله
ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش
منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه اسكات رسول
الله صلى الله عليه بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرأ يصدون
بالضم فمن الصدود اى ومن اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو
الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك
ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اى ما ضربوا هذا المثل
لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون
لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك ان قوله انكم وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام و
كذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملئكة
الا ان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم
مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود
غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام على
ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن
من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا خير ام هو على هذا القول
تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني
آلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة
عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اى جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى
عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى
المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم
بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله
وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله و
عبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب
النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل
ان هو الا عبد وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه وجعلناه مثلا حيث جعلناه آية بغير
سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا
منكم ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفون
يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا
ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من الاجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى عليه السلام

لعلم للساعة اى شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة
وقرئ للعلم وقرأ ابى لذكر على تسمية ما تذكر به ذكرا كما سمي ما تعلم به علما وفي الحديث ان عيسى صلوات الله عليه ينزل
على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق عليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال
فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا
من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان بالقرآن تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها من المرية
وهو الشك واتبعوني واتبعوا هداي وشرعي ورسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله هذا صراط
مستقيم اى هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير فيه وانه للقرآن ولا يصدنكم الشيطان انه لكم
عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة
يعني الانجيل والشرائع فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات
وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه
مما يعنيهم من امر دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود
والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد للاحزاب فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير
فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم هل ينظرون
الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون
وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تأتيهم بغتة وهم فطنون الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين يومئذ منصوب بعدو اى ينقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير
ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا
ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف
وعقبة بن ابي معيط يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا
مسلمين يا عبادي حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي
لانه منادى مضاف اى الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس
منها غير المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى
اثره على وجوههم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وانتم فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم
لانها اما مشتهيات في القلوب واما مستلذة في العيون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون

حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فهلا قال ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه نفي الحاكم له الملك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده

وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدا والجنة خبر والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدا الذي هو
اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدا او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف
التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها
فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمارها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل
في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه مبلسون
والمبلس اليائس الساكت سكوت ياس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا
لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار وما ظلمناهم ولكن كانوا
هم الظالمين ونادوا يا مالك وقرا علي عليه السلام وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول
القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرا ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم
وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع
كما يقال يا حار ليقض علينا ربك ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضي
علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف
بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم قال انكم ماكثون
ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
تلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا يا مالك ليقض علينا ربك لقد
جئناكم بالحق كلام الله تعالى بدليل قراءة من قرا لقد جئتكم بالحق ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سالوا لما كان ان
يسال الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه و
تشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله
فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام يحسبون انا لا نسمع
سرهم ونجواهم وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت ما المراد
بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما
ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة لديهم يكتبون عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر
من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه
وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد
الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه
وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق
العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة
وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا



بالياء التحتانية والباقون بالتاء مضموما ... في قوله في السماء اي هو معبود في السماء ومعبود في الارض

عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه
نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع
الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة
منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له اما والله
لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من
هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه
فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
وقرا بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي
ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد
ابن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد
بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون نزه نفسه موصوفة
بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما
لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول
وخذلان لهم وتخلية لقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم
في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي
في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك
والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز
الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في
السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون
ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولا يملك الهتهم الذين يدعون من دون الله
الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به
عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في
جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
وقيله قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله

قوله او مشاحن الى آخره اى المعادى والشحناء العداوة وقال الاوزاعى اراد بالمشاحن هنا صاحب البدعة المفارق لجماعة الامة

وعنده وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذى قالوه ليس بقوى فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اى تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير فى وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه ه عن النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهى سبع وخمسون وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم

الواو فى والكتاب المبين واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل فى تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من كتب لهم البراءة كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة وقيل هى مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب الله النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام ان الله يرحم امتى فى هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام ان الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا وما اعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان فى امته فاعطى الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله فى هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر والمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وليلة القدر فى اكثر الاقاويل فى شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن فى هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى سماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه فى ليلة القدر فكان جبرئيل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر

قوله وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا هذا جمع وقوله اى يفصل فى هذه الليلة كل امر وقوله او يصدر

بهما جواب القسم الذى هو قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب فكان انزلنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكمية وهذه الليلة مفرق كل حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التى يتعلق بها منافع العباد فى دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله تعالى وقرأ زيد بن على نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذى حكمة اى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذى هو ضد النهى ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذى هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشئ وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين فى انزلناه اما من ضمير الفاعل اى انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اى انزلناه فى حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى يفصل فى هذه الليلة كل امر وتصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وفى قراءة زيد بن على امر من عندنا على هو امر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بانها مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك يلعبون وقرئ رب السموات وربكم ورب آبائكم الاولين بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذى هو قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم فى شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر

ذنوبهم العظيمة نعذبهم عذابا شديدا او بحسب كثرتهم لو وقعه على كثيرين فنوزع فيهم والله اعلم

عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين
يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون يوم تاتي السماء مفعول به ارتقب
يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه
اخذ الحسن انه دخان ياتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد
كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر
عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الاية وقال يملأ
ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر
فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة
واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ
بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا
يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز
وكان الرجل يرى ما بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه
ابو سفيان ومعه نفر وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى
شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان
وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك
انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه
من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار
من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من
المعجزات فلم يذكروا ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا
لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون انا كاشفوا
العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه
من التضرع والابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله انا كاشفوا العذاب
قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة
الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم
ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه
يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى
يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وقرئ فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه على القوم ومعنى

الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق وكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الاثام او ابتلاهم
بارسال موسى عليه السلام اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم وجاءهم رسول
كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا
الي عباد الله هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا او داعيا
الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو
اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم
على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي اني لكم رسول امين
وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين وقد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا على الله ان هذه
مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله اني اتيكم
بسلطان مبين بحجة واضحة واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ان ترجمون ان تقتلون وقرئ عت
بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم
والقتل وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني
واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى
ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون ان هؤلاء بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه
اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب
الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء
فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان
اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول
فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين
ويغرق التابعين واترك البحر رهوا الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى شعر
يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي ساكنا على هينته اراد موسى لما
جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب
الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم
والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين
اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا من جنات و
عيون وزروع ومقام كريم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر ونعمة
كانوا فيها فاكهين والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة
على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناهم او في موضع الرفع على الامر كذلك واورثناها قوما اخرين
قوما اخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم
فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما بكت عليهم السماء والارض اذا مات رجل خطير
قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وقالت الخارجية شعر ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل و
التخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض
ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا
بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت
آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون
من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون
المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون هذين قوله من فرعون من عذاب
فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة
قال من فرعون على هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين
اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن
المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم على علم الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل
وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم
يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم
وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله يبلو بالمصيبة او اختبار
ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما
نحن بمنشرين هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا
قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا
موتتنا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله
الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تتعقبها
حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا
للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم
اذا بعثهم فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فأتوا بآبائنا خطاب للذين يعدون النشور من رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى
يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر
لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون اهم خير ام قوم
تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان

اذا كتب

اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعن عايشة
السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر
رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون
كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت
معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام قوم
تبع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون
وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على
انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او
غيرها عن مولى عن اي مولى كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم
في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله من رحمه الله في محل الرفع على البدل
من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينتصر منه
من عصاه الرحيم لمن اطاعه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات
شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن
يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد
فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم
وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية
على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة
كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني
والاغراض ما لا يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه
عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية
كالمهل يغلي في البطون قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم يكون السماء كالمهل مع قوله فكانت
وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام
كغلي الحميم والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بالعنف والغلظة وهو
ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء
الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم فان قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه
من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليهم الحميم فقد صب عليهم
عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله ربنا افرغ
علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم
على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن
بن علي رضي الله عنهما انه قرأه على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون

قلت بل على المضاف اليه يعني العطف على المضمر المجرور قبيح سواء كان مجرورًا بحرف الجر او بالاضافة ولا فرق بين ان يوكد ام لا قال في النساء الضم

او تمارون وتلاحون إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملًا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانه يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ عجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كَذَٰلِكَ الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل اثبناهم وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان يكون حورًا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلًا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم لا يذوقونها وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ وقرئ ووقاهم بالتشديد فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اي ذلك فضل ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ارادة ان تفهمه قومك فيتذكروا فَارْتَقِبْ فانتظر ما يحل بهم إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورًا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية وقيل ست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ حم ان جعلتها اسمًا مبتدأ مخبرًا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدًا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرًا إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرًا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف

والتي فمن رفع طيبه فعلى الغاء كان المخففة ومن نصبها فعلى اعمالها ومن جرها ففي ان لفظه ان بعدها الكاف زايدة و

وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ بعد الله وآياته اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالتاء والياء وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارًا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل

يرى غمرات الموت ثم يزورها

وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على موردها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدًا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم و محل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتَّخَذَهَا هُزُوًا اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية شعر

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة وقرئ علم أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين

من ورائهم جهنم والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من قدام او خلف قال شعر
اليس ورائي ان تراخت منيتي • ادب مع الولدان ارجف كالنسر • ومنه قوله عز وجل من ورائهم جهنم
اى من قدامهم ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم شيئا ولا ما اتخذوا من
دون الله من الاوثان اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى اشارة الى القرآن يدل عليه قوله
والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول
زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل لهم عذاب من رجز اليم والرجز اشد العذاب وقرئ
بجر اليم ورفعه الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع
البحر وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فان
قلت ما معنى منه في قوله جميعا وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر
هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه
ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدا قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرا ابن عباس منة وقرا مسلمة بن محارب منه
على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اى ذلك او هو منه قل للذين
آمنوا يغفروا حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها
الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر وقد شتمه رجل من
غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرا قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر
بما صنع ليجزي قوما ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اى انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم
يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم
كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه
من الغصص بما كانوا يكسبون بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر
ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك
بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزي قوما اى الله تع ولنجزي قوما وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب الكتاب التورية
والحكم الحكمة والفقه وفصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة والنبوة ورزقناهم من
الطيبات مما احل الله لهم واطاب لهم من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم
مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فما وقع بينهم الخلاف في
الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغي حدث بينهم اي لعداوة
وحسد ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا

عنك

عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين على شريعة على طريقة و
منهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال
ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا تولهم انما يوالي الظالمين
من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين هذا القرآن بصائر
للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى وهو
هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اى هذه الآيات
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه
الجوارح وفلان جارحة اهله اى كاسبهم أن نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما
الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في
حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرا
بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم
بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اى سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار
ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات
واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك
على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة
لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم
كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم سواء كل يموت على حسب ما
عاش عليه وعن تميم الداري انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح
ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اى الفريقين انت
وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزى
معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف وتقديره خلق السموات والارض ليدل
بها على قدرته ولتجزى كل نفس افرايت من اتخذ الهه هواه اي مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه
فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن
رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم وتركه
عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون او مع علمه بوجوه
الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات
الثلث وغشوة بالفتح والكسر وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما
يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون نموت ونحيى نموت
نحن ونحيى اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا

الامرين الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيي بضم النون وقرئ الا دهر يمرّ وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين** وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره **فان قلت** لم سمي قولهم حجة وليس بحجة **قلت** لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسمي حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة **قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فان قلت** كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين **قلت** لما انكروا البعث وكذبوا الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله تعالى هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شئ عليه **ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** عامل النصب في يوم يقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم يقوم **وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون** جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول **هذا كتابنا فان قلت** كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله **قلت** الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده **ينطق عليكم** يشهد عليكم بما عملتم **بالحق** من غير زيادة ولا نقصان **انا كنا نستنسخ** الملائكة **ما كنتم تعملون** اى نستكتبهم اعمالكم **فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين** في رحمته في جنته **واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين** وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم ياتكم رسلي فلم يكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه **واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين** وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها ما الساعة اى اى شئ الساعة **فان قلت** ما معنى ان نظن الا ظنا **قلت** اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين **وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** سيئات ما عملوا اى قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها **وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار**

وما



**وما لكم من ناصرين** ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشئ المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشئ الذي يطرح نسيا منسيا **فان قلت** ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم **قلت** كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه **ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها** وقرئ لا يخرجون بفتح الياء **ولا هم يستعتبون** ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه **فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم** فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم ● عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

## سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل خمس بسم الله الرحمن الرحيم

**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون** الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالغرض الصحيح والحكمة وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم **قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا** بكتاب من قبل هذا اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله **او اثارة من علم ان كنتم صادقين** او اثارة او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اى من شئ اوثرتم به وخصصتم به من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به **ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان يقوم الساعة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا يتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين** بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق

مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اى بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه **أم يقولون افتراه** اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا عليه السلام كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كان تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات **قل ان افتريته** على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه **فلا تملكون لي من الله شيئا** فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال **هو اعلم بما تفيضون فيه** اى تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى **كفى به شهيدا بيني وبينكم** يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم **وهو الغفور الرحيم** موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي **قلت** كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه **قل ما كنت بدعا من الرسل** البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اى ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي **وما ادري** لانه لا علم لي بالغيب **ما يفعل بي ولا بكم** ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه **ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين** ان اتبع الا ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم انزل بمكة او امر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اى يفعل الله عز وجل **فان قلت** ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم **قلت** اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية

مرفوعة وقرئ يوحي اى الله **قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين** جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبقه ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال النبي عليه السلام لهم اى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التورية من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله **فان قلت** اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم **قلت** الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك واعرضت لم تتفق انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك **وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم** للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه **فان قلت** لا بد من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون

هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التورية ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول صلعم وقرئ لتنذر بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ثلثون شهرا ومدة حمله وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين كاملين لقوله تع حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك واني من المسلمين من المخلصين اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فان قلت ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق

الذي كانوا يوعدون وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر والذي قال لوالديه اف لكما والذي قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا الي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة انكار نزولها فيه وحين كتب معوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله تع وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما اتعدانني وقرئ اتعدانني بنونين واتعداني باحديهما واتعداني بالادغام وقد قرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح احديهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك آمن دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين وقرئ ان بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان بالسيف اذا قتلوا به ومنه قوله تع النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لدعوت بصلاء وصناب وكراكر واسنمة ولكني

قوله لا يرى الا مساكنهم الآية قرأ عاصم وحمزة لا يرى الا مساكنهم على البناء للمفعول وبالرفع والباقون بالياء مفتوحة وبالنصب فان القراءة بالتا

رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما يستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وقرئ اذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بالف بين همزتين **فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها **واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون من بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس يعني الرسل الذين بعثوا في زمانه ومعنى من خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم **قالوا اجئتنا لتأفكنا** الافك الصرف يقال افكه عن رأيه **عن آلهتنا** عن عبادتها **فأتنا بما تعدنا** ما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك **ان كنت من الصادقين** ان كنت صادقا في وعدك **قال انما العلم عند الله** فان قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى **وابلغكم ما ارسلت به** وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شأني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي **ولكني اراكم قوما تجهلون** ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه **فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم** فلما رأوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض السحاب الذي يعرض في افق من السماء مثل الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل **تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين** تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتاويل القراءة بالتاء

وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة ع وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا مسكنهم وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعهما في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي اول ما عرفوا به انه عذاب انهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا **فان قلت** ما فائدة اضافة الرب الى الريح **قلت** الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون** ان نافية اي فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله **شعر** لعمرك ما ما بان منك لضارب • وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ان ما بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش **شعر** يرجي المرء ما ان لا يراه • وتعرض دون ادناه الخطوب • وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار من شيء اي من شيء من الاغناء وهو القليل منه **فان قلت** بم انتصب اذ كانوا يجحدون **قلت** بقوله فما اغنى **فان قلت** لم جرى مجرى التعليل **قلت** لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك **ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى** ما حولكم يا اهل مكة **وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون** من القرى من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد اهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة** القربان ما يتقرب به الى الله اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم **بل ضلوا عنهم** اي غابوا عن نصرتهم **وذلك افكهم وما كانوا يفترون** وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة

... بما عد عليه بل بقوله بقادر من حيث المعنى ٥ قوله مستثفري قال في النهاية الاستثفار هو ان يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل

شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء، وقرئ أفكهم والإفك كالحِذر والحَذر، وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق، وقرئ أفّكهم على التشديد للمبالغة، وآفكهم جعلهم آفكين، وأفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب، وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** صرفنا إليك نفرًا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك، وقرئ صرّفنا بالتشديد لأنهم جماعة، والنفر دون العشرة ويجمع أنفارًا، وفي حديث أبي ذر لو كان هنا أحد من أنفارنا، فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم، أو لرسول الله ويعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها، قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين، يقال أنصت لكذا واستنصت له، روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حُرست السماء ورُجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث، فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة، وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف، وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم، وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم، فصرف إليهم نفرًا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثًا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا أعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطًّا وقال لي لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم افتتح القرآن وسمعت لغطًا شديدًا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئًا قلت نعم رجالًا سودًا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين، وكانوا اثني عشر ألفًا، والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك **فإن قلت** كيف قالوا من بعد موسى **قلت** عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية، وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى **فإن قلت** لم بعّض في قوله من ذنوبكم **قلت** لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها، ونحوه قوله نوح أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم **فإن قلت** هل للجن ثواب كما للإنس **قلت** اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم، وإليه كان يذهب أبو حنيفة، والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم **وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق، ونحوه قوله وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** بقادر محله الرفع لأنه خبر أنّ، يدل عليه قراءة عبد الله قادر، وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أنّ وما في حيزها، وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدًا بقائم جاز، كأنه قيل أليس الله بقادر، ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم، وقرئ يقدر، ويقال عييت بالأمر

اذا لم تعرف وجهه، ومنه أفعيينا بالخلق الأول **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر، وهذا المضمر هو ناصب الظرف، وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب، والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** أولو العزم أولو الجد والثبات والصبر، ومن يجوز أن يكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء، قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار وذبح ولده، وإسحق على الذبح، ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف على الجب والسجن، وأيوب على الضر، وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، قال إنها معبر فاعبروها ولا تعمروها، وقال الله في آدم ولم نجد له عزمًا، وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت، ويجوز أن يكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم صلوات الله عليهم **وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ** ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر، وأنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار **هَذَا بَلَاغٌ** هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة، أو هذا تبليغ من الرسول **فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** فهل يهلك إلا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه، ويدل على التبليغ قراءة من قرأ بلّغ فهل يهلك، وقرئ بلاغًا أي بلغوا بلاغًا، وقرئ يُهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك، ونُهلك بالنون إلا القوم الفاسقين ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

**سورة محمد عليه السلام مدنية عند مجاهد، وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية، وهي سورة القتال، وهي تسع وثلاثون آية، وقيل ثمان**

**بسم الله الرحمن الرحيم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام، أو صدوا غيرهم عنه، قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر، وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلًا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر، وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام، وقيل هو عام في كل من كفر وصد **أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** أبطلها وأحبطها، وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي مضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها، أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن، وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار، وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** قال مقاتل هم ناس من قريش، وقيل من الأنصار، وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب، وقيل هو عام، وقوله **وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الإيمان به تعظيمًا لشأنه وتعليمًا لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به، وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله **وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه نسخ وهو ناسخ لغيره، وقرئ نُزّل وأُنزل على البناء للمفعول، ونَزّل على البناء للفاعل، ونزل بالتخفيف **كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ** ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم **وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**

اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتدا وما بعده خبره اى ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيات الثانى كاين بسبب اتباع هولاء الباطل وهولاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت فى ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المومنين او فى ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا لفوز المومنين فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا فى قوله بما كسبت ايديكم على ان فى هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس فى لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذى هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد فى هذه الغلظة فى قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابى حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون فى المن والفداء المذكورين فى الاية نزل ذلك فى يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعى فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضيه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من على ابى عزة الجمحى وعلى اثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراى وقرى فدى بالقصر مع فتح الفاء حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى شعر

واعددت للحرب اوزارها ٭ رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعنى حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين

وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابى حنيفة اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى يضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من التاويل ذلك اى الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض ليبلو المومنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم وقرى قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرى فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت فى يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدى اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفى كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كفوح القمارى او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة من غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم فى مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم واضل اعمالهم كانه قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم كرهوا القرآن وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله فى الذين خلوا ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفى قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا ويروى ان رسول الله كان فى الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففى النار يعذبون فان قلت قوله نعم وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما معنى الناصر فهو مولى المومنين خاصة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين فى العاقبة كما تاكل الانعام فى مسارحها ومعالفها

غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم وقرى وكائن بوزن كاعن وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذي أخرجوك أهلكناهم ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك فإن قلت كيف قال فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك أهلكناهم فهم لا ينصرون أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ولرسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم فإن قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار فإن قلت فلم عري عن حرف الإنكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل شعر أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار مثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معوية شعر لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فت على ماء العناقيد من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير طعم ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدره وقرئ بالحركات فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ماء حميما قيل إذا دني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة ماذا قال



الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوا لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا والذين اهتدوا زادهم هدى زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم عليها وآتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم أن تأتيهم بدل اشتمال عن الساعة نحو أن تطؤوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك فإن قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا ينفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين قلت بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الأسود شعر فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء عليه السلام منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله تعالى وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم متقلبكم ومثواكم والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم قال ألم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم ثم أمر بالعمل بعد فقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت سورة فأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فإذا أنزلت سورة وذكر فيها القتال وذكر على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت

قوله في التضافر التضافر التعاون والمضافرة المعاونة من ضفر الحبل لفتها بهما ولو بضفيس والله اعلم بالصواب

ابصارهم جبنًا وهلعًا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت **فاولى لهم** وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه **طاعة وقول معروف** كلام مستانف اى طاعة وقول معروف خير لهم وقيل حكاية قولهم اى قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف **فاذا عزم الامر** اى جدّ والعزم والجدّ لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادًا مجازيًا ومنه قوله ان ذلك لمن عزم الامور **فلو صدقوا الله** فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه السنتهم **لكان خيرًا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم** عسيت وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضماير وقرا نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ **فان قلت** ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض **قلت** معناه هل يتوقع منكم الافساد **فان قلت** فكيف صح ذلك في كلام الله وهو عالم بما كان وما يكون **قلت** معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرًا على الملك وتهالكًا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضًا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي رضي الله عنه توليتم اى ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوايهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع **اولئك** اشارة الى المذكورين **الذين لعنهم الله** لافسادهم وقطعهم الارحام **فاصمهم واعمى ابصارهم** فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المومنين الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها **افلا يتدبرون القرآن** ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال **ام على قلوب اقفالها** وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا **فان قلت** لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها **قلت** اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال اليها فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر **ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم** الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرًا لان كقولك ان زيدًا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعًا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف **فان قلت** من هؤلاء **قلت** اليهود كفروا بمحمد عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التورية وقيل هم المنافقون **ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله** الذين قالوا القايلون هم اليهود والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم **سنطيعكم في بعض الامر** وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التضافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تامرون به او في بعض الامر الذي يهمكم **والله يعلم اسرارهم** وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرًا فيما بينهم فافشاه الله عليهم **فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم** فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيًا ومضارعًا قد حذفت احدى تاييه كقوله ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره **ذلك** اشارة الى التوفي الموصوف **بانهم اتبعوا ما اسخط الله** من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكرهوا رضوانه** ورضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم **فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم** احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقًا عليهم **ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم** لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق **فان قلت** اى فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم **قلت** الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطي لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم** اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنًا فحسن وان قبيحًا فقبيح وقرا يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قراها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئًا وسيحبط اعمالهم** التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم** اى لا تحبطوا الطاعات بالكباير كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكباير على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكباير اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولًا حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكباير الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكباير

ويرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم** ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم** فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى الصلح وقرئ السلم وهما المسالمة **وأنتم الأعلون** اي الاغلبون الاقهرون **والله معكم** اي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى **ولن يتركم أعمالكم** من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم** ثواب ايمانكم وتقويكم **ولا يسألكم أموالكم** اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال **إن يسألكموها فيحفكم** اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه استأصله **تبخلوا ويخرج أضغانكم** اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ ونخرج بالنون و تخرج بالتاء والياء مع فتحهما ورفع اضغانكم **هاأنتم هؤلاء** هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته **تدعون** اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون **لتنفقوا في سبيل الله** قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر **فمنكم من يبخل** فمنكم ناس يبخلون به ثم قال **ومن يبخل** بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله **وإنما يبخل عن نفسه** فانما يبخل عن نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه **والله الغني وأنتم الفقراء** ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه وهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب **وإن تتولوا** معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا **يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملئكة وقيل الانصار وعن ابن عباس من كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

## سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

**إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا** هو فتح مكة وقد نزلت عند مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى **فان قلت** كيف جعل

فتح مكة علة للمغفرة **قلت** لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح **فان قلت** كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية **قلت** ذلك كان قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع ما كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح اعظم منه وابين وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من حديث امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة ووصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** السكينة السكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزدادوا ايمانا **ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا** ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط

الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دايرة السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حايق بهم ودايم عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دايرة السوء بالفتح اى الدايرة التى يذمونها ويسخطونها فهى عندهم دايرة سوء وعند المؤمنين دايرة صدق **فان قلت** هل من فرق بين السوء والسوء **قلت** هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير يقال اراد بها السوء واراد بها الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدايرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التاويل الذى ذكرنا واما دايرة السوء بالضم فلان الذى اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة **وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** شاهدا تشهد على امتك لقوله تع ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس ويعزروه ويقووه بالنصرة ويوقروه ويعظموه ويسبحوه من التسبيح او من السبحة والضماير لله عز وعلا والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضماير فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ويسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللّٰهَ يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو ايدى المبايعين هى يد الله والله تع منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه وقال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اى لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** وبما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون والياء ويقال وفيت بالعهد واوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله واوفوا بالعقود والموفون بعهدهم **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة **قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا** فمن يملك لكم يمنعكم من مشية الله وقضايه **إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا** ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة **أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا** او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم **بَلْ كَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا** الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله تع وكلاهما مما جاء فى القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ويجوز ان يكون جمع باير كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه **وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا** للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى **وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ** ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم **يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ** فيغفر ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتايب وتعذيب المصر **وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا** وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيآت باجتناب الكباير ويغفر الكباير بالتوبة **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ** سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية **إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ** اذا انطلقتم الى مغانم الى خيبر **لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللّٰهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللّٰهُ مِنْ قَبْلُ** ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تع لن تخرجوا معى ابدا **فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا** تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنايم وقرئ بضم السين وكسرها **بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا** لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تع يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا **فان قلت** ما الفرق بين حرفى الاضراب **قلت** الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه **قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللّٰهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولى باس شديد يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابى حنيفة ومن عداهم من مشركى العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعى لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركى العرب والعجم وهذا دليل على امامة ابى بكر الصديق فانهم لم يدعوا الى حرب فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تع فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى تسلمون تنقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم اعطاء الجزية **فان قلت** عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم **قلت** ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معى ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم كما توليتم من قبل يريد فى غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اى تكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفى قراءة ابى او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا** نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات فى

التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة هي بيعة
الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزل بالحديبية بعث جواس بن أمية
الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي
إياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت لحرب
وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن
يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح
حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على
رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل
ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلاثمائة فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فأنزل السكينة
عليهم أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم وأثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم
من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر وكانت أيضا
ذات عقار وأموال فقسمها عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق وكان الله
عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة فعجل لكم هذه
المغانم يعني مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم
فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون
بها أنهم من الله بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا
الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما و
يزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل
شيء قديرا وأخرى معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في
غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد أحاط الله بها أي قدر عليها وغلبكم بها ويجوز في أخرى النصب
بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع
على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ والجر بإضمار رب فإن قلت قوله ولتكون آية للمؤمنين
كيف موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم الله المغانم
فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار
عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء
أهل خيبر لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا لغلبوا وانهزموا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا سنة الله في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي وهو الذي كف
أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون
بصيرا أيديهم أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح

قوله أو ليدخل في الإسلام الخ يعني إذا أريد من نساء المؤمنين فالمناسب أن يفسر الرحمة بالتوفيق فيكون مراعاة جانب طايفة

وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة
بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هزمهم وأدخلهم حيطان مكة وعن ابن
عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقرئ يعملون بالتاء والياء هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله قرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها
وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم عن نحر الهدي معكوفا أن يبلغ محله محبوسا
عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة أن المحصر
محل هديه الحرم فإن قلت فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية قلت
بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فإن
قلت فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في
رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا
وأن تطؤوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره إذا عراه أي دهاه ما
يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بأن تطؤوهم يعني أن تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع
والإبادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن آخر وطأة
وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا
كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم
عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى
واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فإن قلت أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت يصيبهم وجوب الدية و
الكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير فإن قلت
قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة
والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في
توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من
بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان
الله بكل شيء عليما إذ يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبنا أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت و
أن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما روي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز
بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام
القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه
ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول
الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب

ما يريدون فانا اشهد انى رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه والذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هى كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفى مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذى دفن مصحفه ايام الحجاج **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون** رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت الآية ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فان قلت** بم تعلق بالحق **قلت** اما بصدق اى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من فى قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اى صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل او بالحق الذى هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف **فان قلت** ما وجه دخول ان شاء الله فى اخبار الله تعالى **قلت** فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هى حكاية لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين **فعلم ما لم تعلموا** من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة الى العام القابل **فجعل من دون ذلك** اى من دون فتح مكة **فتحا قريبا** وهو فتح خيبر لتستروح قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود **هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق** دين الاسلام **ليظهره على الدين كله** ليغلبه على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين من اهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والبينات وفى هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة **وكفى بالله شهيدا** على ان ما وعده كائن عن الحسن شهيد على نفسه انه سيظهر دينك **محمد رسول الله** اما خبر مبتدأ محذوف اى هو محمد لتقدم قوله هو الذى ارسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرأ رسول الله بالنصب على المدح **والذين معه** اصحابه **اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا** اشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف فى المعانقة ومن حق المسلمين فى كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه

قوله فهو فى معنى القرائتين يعنى آزر اما فاعل من المؤازرة المعاونة او افعل من الازر القوة كما قاله الاخفش وقوله فى معنى

ويعاشروا اخوتهم فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ بالنصب اشداء ورحماء ان ينتصب على المدح او على الحال بالمقدر فى معه ويجعل تراهم الخبر **سيماهم فى وجوههم من اثر السجود** علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اى من التأثير الذى يؤثره السجود وقوله كان كل من العليين على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنه وعلى بن عبد الله بن عباس ابى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجوده احدثت فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه **فان قلت** فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر انه رأى رجلا قد اثر فى وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك **قلت** ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك نفاق ورياء نستعيذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين اعيننا شئ ونرى احدنا الآن يصلى فيرى بين عينيه ركبة العنز فما ندرى اثقلت الاروس ام خشنت الارض انما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار **ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما** ذلك الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشان فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاءه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلب الهمزة واوا فآزره من المؤازرة وهى المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد اى فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو فى معنى القرائتين فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع **فان قلت** قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

## سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

**يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله** قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه

اذا تقدمه فى قوله تع يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفى قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما يقدم وان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذى يحيى ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تائى تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملائمة لبلاغة القران والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اى لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشىء باسم غيره اذا جاوره وداناه فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذى يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام العريان وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا يقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فيكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين برسول الله وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيا حتى يقصه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفايدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفى هذا تمهيد وتوطية لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من اخطاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بنى سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بنى عامر لانهم اعز من بنى سليم فقتلوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فودا هما رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت اى لا تعملوا شيا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عايشة فى اليوم الذى يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت انى صايم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابى حنيفة الا ان تزول الشمس وعند الشافعى يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الافاق فاكثروا عليه بالمسايل فنهوا ان يبتدوه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدى وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون لو انزل فى كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هى عامة فى كل فعل وقول ويدخل فيها انه اذا جرت مسئلة فى مجلس رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشى بين يديه الا لحاجة وان يتأنى فى الافتتاح بالطعام **واتقوا الله** فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها وعن جميع ما يقتضى مراقبة الله تجنبه فان التقى حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك فى ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما يقول لمن يقارف بعض الرذايل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم يعم وتشيع تامره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك

قوله يميل به صفة حد وضمير الفاعل يعود اليه والضمير فى به عايد الى الصوت وفاعل حيثيتين الماموربه والضمير

الفعلة وكل ما يضرب فى طريقها ويتعلق بسببها **ان الله سميع** لما تقولون **عليم** بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب **يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون** اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منه لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذى المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى فى دينهم وذلك فى ان اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالو عملا مما يجدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى انه اذا انطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى يكون مزيته عليكم لايحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز وجل وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر انه كان تكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم كاخى السرار لا يسمعه حتى يستفهم وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مومنون وانما الغرض صوت هو فى نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهى ايضا رفع الصوت الذى لا يتاذى به رسول الله وهو ما كان منهم فى حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففى الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه قول نابغة بنى جعدة زجر ابى عروة السباع اذا اشفق ان تختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه وفى قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذوة بها حذو التشديد فى قول الاعلم الهذلى رفعت عينى بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى فى هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان

قوله يا صباحاه الخ فى الجامع هذه كلمة يقولها المستغيث واصلها اذا صاحوا للغارة لانهم اكثر ما يغيرون عند الصباح فكانه يقول يا صباحاه قد غشينا العدو

قوله رفعت عينى الى اخره الشديد فى رفعت للمبالغة كما ان الباء زيدت فى قراءة ابن مسعود لها وانفق ان ابن مسعود كان هذليا وكذا الاعلم روية

يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله والخطاب للمومنين على ان ينهى المومنون
ليندرج المنافقون تحت النهى ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهر قلة مبالاتهم به صلى الله
عليه وسلم فيقتدى بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه فى محل النصب اى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى
هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعنى
الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر
الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفى متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى
فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تع يبين الله لكم ان
تضلوا والثانى ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذى فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء
الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه السبب والعلة فى ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا **فان قلت**
لخص الفرق بين الوجهين **قلت** تلخيصه ان تقدر الفعل فى الثانى مضموما اليه المفعول له كانهما شىء واحد ثم يصب النهى
عليهما جميعا صبا وفى الاول تقدر النهى موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه **فان قلت** باى النهيين علق المفعول
له **قلت** بالثانى عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله اتونى افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما
كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك
لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان فى قوله فيحل عليكم غضبى
والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل
حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر
اذا غفر وهو نكسه وترامية الى الفساد جعل العمل السيئ فى اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله
من حبط الاعمال وخيبة الامال وقد دلت الاية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يومن من الاثام ما يحبط
عمله والثانى ان فى اثامه ما لا يدرى انه يحبط ولعله عند الله كذلك فعلى المومن ان يكون فى تقواه كالماشى فى طريق شائك
لا يزال يتحرز ويتوقى ويتحفظ **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم** امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب
له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان
موضع المعرفة لان تحقق الشىء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام
متعلقة بمحذوف واللام هى التى فى قولك انت لهذا الامر اى كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر اعداء
من لليعملات على الوجى واضياف ليل بيتوا للنزول وهى مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اى لتثبت وتظهر تقويها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند
المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من
خبثه ونقاه وعن عمر اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل
جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت اطلالها قيل انزلت فى الشيخين لما كان منهما
من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذى رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان
المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو

جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة فى الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين
وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم وفى الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر
شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون** والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن
لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وبين ما تسقط عنه **قلت**
الفرق بينهما ان المنادى والمنادى فى احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفى الثانى لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدا
الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذى يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد
وجه الدار ولا دبرها ولكن اى قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل
ان النداء وقع منهم فى ادبار الحجرات او فى وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير
قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهى فعلة بمعنى مفعولة
كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء النبى وكانت لكل واحدة
منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء
تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التى كان فيها ولكنها قد جمعت اجلالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون
راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون
يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفى ان يكون فيهم من يعقل فان القلة
تقع موقع النفى فى كلامهم روى ان وفد بنى تميم اتوا رسول الله وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا
فاستيقظ رسول الله فخرج ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بنى تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت
الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية على النمط الذى وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله و
اجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن
موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف
باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واسترذال عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات
تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى اخر
هذه الاية فتامل كيف ابتدا بايجاب ان تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد
ثم اردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثانى ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء
على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله ثم جىء على عقيب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح
برسول الله فى حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجروا اليه و
جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخى السرار كان صنيع
هؤلاء من المنكر الذى بلغ فى التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله لم يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الاداب كما يحكى عن
ابى عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت
خروجه **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم** انهم صبروا فى موضع الرفع على الفاعلية

لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
وقولهم صبر على كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس
على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج
قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة
في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم
ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم
للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر
صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته
عن هولاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي
ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم
مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال
لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فغضب وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم
رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي عليه السلام وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد
فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق
والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول
الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه
يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء
اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة شعر
يذهبن في نجد وغور غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي قراءة ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما
طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا تجسر احد ان يخبرهم
بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم فاسق بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان
يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة
حال كقوله ورد الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم
ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر
المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان
اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه واعلموا
ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في
قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله و
نعمة والله عليم حكيم الجملة المصدرة بلو لا يكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما
قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم

رسول الله على حاله تجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على
مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك
لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض
بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المومنين زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك
من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين
استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة
غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون
هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المومنين
على ما استهجن منهم من استتباع راي رسول الله لارائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه فان قلت فلم قيل يطيعكم
دون اطاعكم قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كلما عن لهم راي في امر كان
معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه
مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ
حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من
الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى
بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بفعل غيره وحمل الآية على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد
نعى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجه وذلك فعل
الله وهو مدح عند الناس غير مردود قلت الذي سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن
مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره
على ان من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير
وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة
والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله تعالى وغمطها
بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع
والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة
وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا
مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله
والشرط ان يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست
اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى
اسم الله تعالى والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا
من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل
والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المومنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم

بالتوفيق على ما ضلهم ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ عن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبّا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها **فان قلت** ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين **قلت** هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت كما امر الله تعالى ثم قاله بعد ان اعتزل فاذا كفّت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المؤمنين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين وتثمر المكافة والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان كان احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند وحين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال في اول الآية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بارادة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم يبرز عليها ولم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظه منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر دون الجميع **قلت** لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجميع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان تقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير **شعر**

اقوم آل حصن ام نساء

واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان تقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما كان قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان خيرا عند الله من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن يقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء

وترخص في غيبة الفاسق والوجه الثاني اوجه لموافقته ولا تسخر قوم من قوم وقوله انما المؤمنون اخوة وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا

مؤكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله عسى ان تكرهوا شيئا **ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب** واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى ابي حذيفة فنزلت وعن عائشة انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري الى ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا قال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي ياباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله

منه في جانب فيتعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم قال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم **فان قلت** بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة **قلت** مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله سبحانه واذا استتر لم يظهر الله عليه هتكه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو وكانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه **ولا تجسسوا** وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن وقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به **ولا يغتب بعضكم بعضا** غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه** ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب من الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم تعالى بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اي ان صح هذا فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم

له وتقذرتم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديه بالى فتاول واجراء الكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه الشيء فهو حبيب اليه وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ وقرئ أن بالفتح كانه قيل لم لا تتفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده رسول الله ثم سال عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام

ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال الته السلطان حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالقلبين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان في جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات

لم يدر ما مرجوعه السايل ه قوله فما ناصب الظرف يعني اذا كان الرجع بمعنى المصدر يصح ان يكون دالا على عامل الظرف

قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يقال ما علمت بقدومك اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يمنون عليك ان اسلموا يقال من عليه بيد اذا اسداها اليه كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكاين من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله ان هولاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام قل لا تمنوا علي اسلامكم فقل لهم لا تعتدوا على اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يمن عليكم بل الله يعتد عليكم ان هديكم للايمان ان امدكم بتوفيقه حيث هديكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان كنتم صادقين انصح زعمكم وصدقت دعويكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتامل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعايكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان هديكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هديكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون وقرئ تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعويهم يعني انه تع يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمايركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا يختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله ومن عصاه

## سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحو في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقايهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفقا عليهم خايفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تع على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب اذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تع استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم قد علمنا رد لاستبعاد الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم

احياء



جعل النفس الانسان موسوسا وما على الاول موصولة والضمير في به راجع الى ما اي شيء الذي يوسوس به نفسه وعلى الثاني مصدرية

احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما ينقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم بل كذبوا بالحق لما اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا الى السماء فوقهم افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها وزيناها بنيناها رفعناها بغير عمد وما لها من فروج من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي رواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت وانبتنا فيها من كل زوج من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لنبصر به ونذكر لكل عبد منيب كل عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدايع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف لها طلع نضيد نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لنرزقهم واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملايهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه الملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق جديد له شان عظيم وحال شديده حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلوماته منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد

مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومقعد الازار قال ذو الرمة شعر والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاءا خلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعنى يعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف الاعمال يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح لقوله خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان في قوله على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح ابن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا وهو للبر والفاجر ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيمة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف القيا في جهنم خطاب من الله للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان يكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط ومناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدا مضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد قال قرينه فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استونفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ربنا ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكن كان في ضلال بعيد ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسولي فما تركت لكم حجة علي ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى سبحانه وتعالى ذلك

لقد كنت

هب الى مصقلا باذ وهى محلة بالجرجان تسقى زروعها استوفى فى قعود وبعد منتصبا غير مطمئن وهو على وفز واوفاز اى عجلة وما ابهاميه ومن

يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا اشار بذلك الى يوم يقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب وتبيينه وفيه معنيان احدهما انها تمتلى مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شىء ولا يزاد على امتلائها لقوله لاملأن جهنم والثانى انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستيداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد غير بعيد نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ قرئ توعدون بالتاء والياء وهى جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب والى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده من خشى الرحمن بالغيب ومن خشى بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون فى حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى وحده ويجوز ان يكون مبتدا خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الى وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اى خشيه خشية وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشى اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او خشية بسبب الغيب الذى اوعده به من عذابه وقيل فى الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشى مع ان المخشى عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب وصف القلب بالانابة وهى الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار بما ثبت منها فى القلب ادخلوها بسلام يقال لهم ادخلوها بسلام اى سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم الله عليكم وملائكته ذلك يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤوه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص فنقبوا وقرئ بالتخفيف خرقوا فى البلاد ... التنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة نقبوا فى البلاد من حذر الموت وجالوا فى الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيروا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد هل من محيص من الله او من الموت ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلا

باذ لسقى الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحى من الله او وهو بعض الشهداء فى قوله ولتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة القى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق السموات والارض فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود فاصبر على ما تقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور وعلينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اى ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته فى قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشيها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة والذاريات مكية وهى ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء فى الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اى ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد يتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن على رضى الله عنه انه قال وهو على المنبر سلونى قبل ان لا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن

واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج واستمع يعنى واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفى ذلك

المقسمات السحاب يقسم بها الارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب
وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين
قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبا
لملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه واما على الثاني فلانها تبتدئ في الهبوب
فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون لصادق جواب القسم وما
موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية وان الدين والدين الجزاء لواقع والواقع الحاصل
والسماء ذات الحبك الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره
قال زهير يصف غديرا ثم استغاثت بما الارشاء له من الاباطح في حافاته البرك مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق
لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها
والمعنى انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها
واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل
والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل انكم
لفي قول مختلف قولهم في رسول الله ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول
الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه من افك الضمير في عنه
للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك و
قيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما يوعدون
او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك و
منهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيمة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله
في قوله ينهون عن اكل وشرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما
وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس
عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي عليه السلام يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك
مأفوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن
اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء
بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام
اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم
ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة
فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين يوم هم
على النار يفتنون فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار
يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله
نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون

ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا
الذي كنتم به تستعجلون هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان
يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم
آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير
مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضيها انهم كانوا قبل ذلك محسنين
محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة
للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون
فيه ارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة راسي فما اطعم
نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون
الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم
المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان قلت
هل يجوز ان يكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت
لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت وفي اموالهم حق للسائل السائل
الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل
المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط
لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن
سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات و
انواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها
موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المقتنة
والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين
للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما
رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا مع ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون وفي انفسكم في
حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان و
حسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في ترتيبها
وتركيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح
وتأتيها لما خلقت له وما سوي في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى
اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم وما توعدون رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات و
عن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم
ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه

في الدنيا وما توعدون في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء **فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون** قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي صلى الله عليه وسلم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل فقلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاؤه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه **هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين** هل اتيك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تع بل عباد مكرمون **اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون** اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل وباضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او رأى لهم شكلا وخلقا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم **فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون** فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء بعجل والهمزة في الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل وحثهم عليه **فاوجس منهم خيفة** فاوجس فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه **قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم** بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل **فاقبلت امرأته في صرة** في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم **فصكت وجهها** فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتي وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب **وقالت عجوز عقيم** عجوز انا عجوز فكيف الد **قالوا كذلك** كذلك مثل ذلك الذي

قلنا واخبرنا به **قال ربك** اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة **قال فما خطبكم ايها المرسلون** لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله تع رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم **قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين** الى قوم مجرمين **لنرسل عليهم حجارة من طين** حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما طبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة **مسومة** معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا **عند ربك للمسرفين** سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم **فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله **وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم** آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخرة منضود فيها وقيل ماء اسود منتن **وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين** وفي موسى معطوف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا **فتولى بركنه** فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف **وقال ساحر او مجنون** اي هو ساحر **فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم** مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه **فان قلت** كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم **قلت** موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة **وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم** العقيم الذي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي عليه السلام النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب **ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم** والرميم كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك **وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين** حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام **فعتوا عن امر ربهم** فاستكبروا عن امتثاله **فاخذتهم الصاعقة** وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها **وهم ينظرون** كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم **فما استطاعوا من قيام** كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه **وما كانوا منتصرين** منتصرين ممتنعين من العذاب **وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين** وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح **والسماء بنيناها بايد** بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد **وانا لموسعون** لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة **والارض فرشناها فنعم الماهدون** فنعم الماهدون نحن **ومن كل شيء** اي من كل شيء من الحيوان **خلقنا زوجين** ذكرا وانثى وعن الحسن

السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تع فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين ففروا الى الله بطاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ولا يصح ان يكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعنى اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تؤثر فى الذين عرف الله منهم انهم يدخلون فى الايمان وتزيد الداخلين فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وراوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله تع وذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين يريد ان شانى مع عبادى ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز فى تجارة ليفى ربحا او مرتب فى فلاحة ليغتل ارضا او مسلم فى حرفة لينتفع باجرته او محتطب ومحتش ومستق وطابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التى هى تصرف فى اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم فى انفسكم ولا اريد ان اصرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم وانا غنى عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندى فما هو الا انا وحدى المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شىء وقرئ الرازق وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم انى انا الرزاق فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا تستعجلون الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله فى السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شاس وفى كل حى قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان الذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون

من يومهم من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا سورة والطور مكية وهى تسع واربعون وقيل ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور فى رق منشور الطور الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين والكتاب المسطور فى الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذى يكتب فيه الكتاب الذى يكتب فيه الاعمال قال الله تع ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى عليه السلام وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سويها والبيت المعمور الضراح فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملئكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملو وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروى ان الله تع يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن على رضى الله عنه انه سال يهوديا اين موضع النار فى كتابكم قال فى البحر المسجور قال على عليه السلام ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه فى الاسارى فالفيته فى صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون تمور تضطرب وتجىء وتذهب وقيل المور تحرك فى تموج وهو الشىء يتردد فى عرض كالداغصة فى الركبة غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذى خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى اقفيتهم وقرا زيد بن على يدعون من الدعاء اى يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين هذه النار التى كنتم بها تكذبون يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون سواء خبر محذوف اى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين فى جنات ونعيم فى اية جنات واى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اى متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقيهم ربهم قلت على قوله فى جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا هنيئا يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله فى قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا

من يوم

هنيئا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون بما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في
بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم
بحور عين وقرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور العين وبالذين آمنوا اي بالرفقاء
والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بموانسة اخوان المومنين و
اتبعناهم ذرياتهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه
لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان
المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء
الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير
الايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من
الايمان لا يوهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم تفضلا وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم ذرياتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر
الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتداء خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم
وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من عملهم من ثواب عملهم
من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل
قرئ التناهم وهو من بابين من الت يالت ومن لات يليت كامات يميت والتناهم من آلت يولت كآمن يومن ولتناهم
من لات يليت ولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد
رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا
اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون
يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها اي لا يتكلمون
في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا تاثيم
ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم
والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو ولا تاثيم ويطوف
عليهم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ مكنون مكنون في الصدف لانه
رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك
لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله
وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله
فمن الله علينا ووقانا وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح
الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة انا كنا من قبل من قبل لقاء الله
والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة
الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن

ولا مجنون فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول
باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك
بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني
معكم من المتربصين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس وتشخص بها
من حوادث الدهر قال امن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهي في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان
الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة
من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم بهذا احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم
احلام عاد والمعنى ايامرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش
يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت
ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله تعالى اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم
قوم طاغون ام يقولون تقوله تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم
يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب فليأتوا
بحديث مثله ان كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله ومعناه ان مثل محمد في
فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل
ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الخالقون
ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من
خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل خلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا
حساب وقيل خلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن ربك خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا
او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى
يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب
الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم
هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماع مستمعهم ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم
ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب
اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما يكتبون فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا
وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمومنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون
هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم الكسف القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم
وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب
فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يومهم الذي فيه يصعقون يموتون وقرئ يصعقون

يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون
وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين
وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم
وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نريك ونكلاك وجمع العين لان الضمير بلفظ
ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني وقرئ باعينا بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مقام قمت وقيل
من منامك ومن الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب
النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقوله سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من
نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة والنجم مكية وهي احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال اذا
طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر
يوم القيمة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى
اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى
وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي
عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم
ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا
جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان شعر
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم وما غوى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب
لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى
الضلال والغي وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وما اتيكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه وانما هو
وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان
الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير
حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبرئيل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود
وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده
في اوحى من رجعة الطرف وراى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه في اقصى جبل
بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون
الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو بالافق الاعلى وهو افق الشمس فملا الافق وقيل ما رآه
احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله

فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق وقال ع تدلى عليها
بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلي ان راى خيرا تدلى وان راى شرا تولى فكان قاب قوسين مقدار
قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرا زيد بن علي عليهما السلام قاد وقرئ
قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا
صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا و
ما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله
فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذف هذه المضافات كما قال
ابو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع فاوحى الى عبده ما اوحى الى عبده
الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وعلا ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه قيل
اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما راى
ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبرئيل عليه السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان
كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه
جبرئيل بصورته افتمارونه على ما يرى افتجادلونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان
كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن هجرت اخا صدق ومكرمة
لقد مريت وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا يصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة
اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبرئيل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج
قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع
من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او
الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد
ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء عندها جنة المأوى جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون عن
الحسن وقيل تاوي اليها ارواح الشهداء وقرا علي عليه السلام وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله
ودخل فيه وعن عائشة انها انكرته وقالت من قرا به فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى ما يغشى تكثير وتعظيم
لما يغشيها وقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت و
لا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف
من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر ما زاغ بصر رسول الله وما طغى اي اثبت
ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها
ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى من آيات ربه الكبرى والله لقد راى من آيات ربه
الكبرى الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فاري عجائب الملكوت افرايتم اللات والعزى

ومناة الثالثة الأخرى اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطايف وقيل كانت لنخلة يعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلتّ عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلتّ السويق بالطايف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز وبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عزّ كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ ومناءة فكانها سميت مناة لان دماء النسايك كانت تمنى عندها اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخريهم لاوليهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى الكم الذكر وله الانثى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يكون يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هذه الاناث اندادا لله وتسمونهن آلهة تلك اذا قسمة ضيزى قسمة ضيزى جايرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضُيزى فعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضازه بالهمزة وضَيزى بفتح الضاد هي ضمير الاصنام ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم اي ما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او هي ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ما انزل الله بها من سلطان ليس لكم من الله سبحانه على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم شفعاؤهم وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمنّ على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمنّي بعضهم ان يكون هو النبي فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى فلله الآخرة والاولى اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى وما لهم به من علم لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عمن

تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اي انما يعلم الله سبحانه من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله سبحانه ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء ولله ما في السموات والارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى قرئ ليجزي ونجزي بالياء والنون ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بعقاب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى وهي الجنة او وبسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كباير الاثم الكباير من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على صغاير وكباير والكباير الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش والفواحش ما فحش من الكباير كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله الا اللمم واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والمّ بالمكان اذا قل فيه لبثه والمّ بالطعام قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغاير من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كباير الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغاير باجتناب الكباير والكباير بالتوبة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب والرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى الكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر اذا بلغ الكدية وهي صخرة صلبة فيترك الحفر روي ان عثمان كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل اعنده علم الغيب فهو يرى فهو يعلم ان ما قال اخوه من احتمال اوزاره حق ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وفى وقرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابرهيم عليهما السلام يوخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته

والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم وعن عطا بن السايب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبرئيل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات فى صدر النهار وهى صلوة الضحى وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المومنين قد افلح المومنون وقرئ فى صحف بالتخفيف **الا تزر وازرة وزر اخرى** الا تزر ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قايلا قال وما فى صحف موسى وابرهيم فقيل ان لا تزر **وان ليس للانسان الا ما سعى** الا سعيه **فان قلت** اما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج منه وله الاضعاف **قلت** فيه جوابان احدهما ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مومنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعى غيره كانه سعى نفسه لكونه تابعا له وقايما بقيامه والثانى ان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنايب عنه والوكيل القايم مقامه **وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى** ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا **وان الى ربك المنتهى** وقرئ بالفتح على معنى ان هذا كله فى الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير **وانه هو اضحك وابكى** خلق قوتى الضحك والبكاء **وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى** اذا تدفق فى الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى المانى اى قدره المقدر **وان عليه النشاة الاخرى** قرئ النشاة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة **وانه هو اغنى واقنى** واقنى واعطى القنية وهى المال الذى تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك **وانه هو رب الشعرى** الشعرى مرزم الجوزاء وهى التى تطلع وراها ويسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة يعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له بمخالفته اياهم فى دينهم يريدانه رب معبودهم هذا **وانه اهلك عادا الاولى** عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون فى الدنيا الاشراف وقرئ عاد الولى وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمها الى لام التعريف **وثمود فما ابقى** وقرئ وثمودا **وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى** لانهم كانوا يوذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاوه قريبا من الف سنة **والموتفكة** والقرى التى ايتفكت باهلها اى انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فايتفك وقرئ والموتفكات **اهوى** رفعها الى السماء على جناح جبرئيل عليه السلام ثم اهواها الى الارض اى اسقطها **فغشاها ما غشى** ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود **فباى آلاء ربك تتمارى** تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او للانسان على الاطلاق وعدد نعما ونقما وسماها كلها الاء من قبل ما فى نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين **هذا** القرآن **نذير من النذر الاولى** اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة **ازفت الازفة** قربت الموصوفة بالقرب فى قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة **ليس لها من دون الله كاشفة** ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة





مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرا طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت الغاشية **افمن هذا الحديث** وهو القرآن **تعجبون** انكارا **وتضحكون** استهزاء **ولا تبكون** والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو **وانتم سامدون** شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجارية له اسمدى لنا اى غنى لنا **فاسجدوا لله واعبدوا** ولا تعبدوا الالهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة

**سورة والقمر مكية وهى خمس وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم**

**اقتربت الساعة وانشق القمر** انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن انس ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة وقوله **وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دايم مطرد وكل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم قد استمر مريره وقيل هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته اى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا **وكذبوا واتبعوا اهواءهم** وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره **وكل امر مستقر** اى كل امر لابد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة فى الدنيا وشقاوة او سعادة فى الآخرة وقرئ بفتح القاف يعنى كل ذى امر ومستقر اى ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابى جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اى اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله **ولقد جاءهم من الانباء** من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار **ما فيه مزدجر** ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو فى نفسه موضع للازدجار ومظنة له كقوله لكم فى رسول الله اسوة حسنة اى هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاء فيها **حكمة بالغة** بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما **فان قلت** ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر **قلت** تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها **فما تغنى النذر** نفى او انكار وما منصوبة اى فاى غناء تغنى النذر **فتول عنهم** لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم **يوم يدع الداع** نصب يوم يدع الداعى بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل وجبرئيل كقوله يوم ينادى المنادى **الى شئ نكر** منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر **خشعا ابصارهم** حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهى لغة من يقول اكلونى البراغيث وهم طى ويجوز ان يكون فى خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم

على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن المذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما **يخرجون** وقرئ يخرجون **من الاجداث** من القبور **كانهم جراد منتشر** الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته **مهطعين الى الداع** مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع **يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم** قبل اهل مكة **قوم نوح فكذبوا عبدنا** يعني نوحا **فان قلت** ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت **قلت** معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اى كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل **وقالوا مجنون** هو مجنون **وازدجر** وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطار بقلبه **فدعا ربه اني مغلوب** وقرئ انى بمعنى فدعا بانى مغلوب وانى على ارادة القول فدعا فقال انى مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي **فانتصر** فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليهم الامر وبلغ السيل الزبى فقد روى ان الواحد من امته كان تلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **ففتحنا ابواب السماء** وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا **بماء منهمر** منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما **وفجرنا الارض عيونا** وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا **فالتقى الماء** يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان اى النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرا الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان **على امر قد قدر** على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل الله من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان **وحملناه على ذات الواح ودسر** اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه **تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر** جزاء مفعول له لما تقدم من فتح ابواب السماء وما بعده اى فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرا قتادة كفر اى جزاء للكافرين وقرا الحسن جزاء اى مجازاة **ولقد تركناها آية فهل من مدكر** الضمير في تركناها للسفينة او للفعلة اى جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومدكر



بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مزدجر **فكيف كان عذابي ونذر** والنذر جمع نذير وهو الانذار **ولقد يسرنا القرآن للذكر** سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد **فهل من مدكر** فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التورية والانجيل لا يتلونها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن **كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر** النذر جمع نذير ونذر وانذار اتى لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذار اتى في تعذيبهم لمن بعدهم **انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر** في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في ايام نحسات قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء في آخر الشهر لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة **تنزع الناس** تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم **كانهم اعجاز نخل منقعر** يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية **فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر** بشرا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب **فان قلت** كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا **قلت** قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم **االقي الذكر عليه من بيننا** اى انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة **بل هو كذاب اشر** اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ذلك **سيعلمون غدا** عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة **من الكذاب الاشر** اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حذر وحذر وحذر واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري تقول العرب هو اخير واشر وما اخيره وما اشره **انا مرسلوا الناقة** باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا **فتنة لهم** امتحانا لهم وابتلاء **فارتقبهم** فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون **واصطبر** على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امري **ونبئهم ان الماء قسمة بينهم** مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء **كل شرب محتضر** محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها **فنادوا صاحبهم**

قدار بن سالف احيمر ثمود **فتعاطى** فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له **فعقر** فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف **فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة** صيحة جبريل عليه السلام **فكانوا كهشيم المحتظر** والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر و المحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اى الحظيرة **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا** حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم **الا آل لوط نجيناهم بسحر** بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وانشد

مرت باعلى السحرين تذال

وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه **نعمة من عندنا** نعمة انعاما مفعول له **كذلك نجزى من شكر** نعمة الله بايمانه وطاعته **ولقد انذرهم** لوط عليه السلام **بطشتنا** اخذتنا بالعذاب **فتماروا بالنذر** فكذبوا بالنذر متشاكين **ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم** فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط **فذوقوا عذابي ونذر** فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة **ولقد صبحهم بكرة** اول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن على بكرة غير مصروفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته **عذاب مستقر** ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضى بهم الى عذاب الآخرة **فان قلت** ما فائدة تكرير قوله **فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت** فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فباى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها فى سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها فى سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص فى انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل اوان **ولقد جاء آل فرعون النذر** النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار **كذبوا بآياتنا كلها** بالآيات التسع **فاخذناهم اخذ عزيز** لا يغالب **مقتدر** لا يعجزه شىء **اكفاركم** يا اهل مكة **خير من اولئكم** الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اى اهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا او اقل كفرا وغلوا وعنادا يعنى ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم **ام لكم** ام انزلت عليكم يا اهل مكة **براءة فى الزبر** فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة **ام يقولون نحن جميع** جماعة امرنا مجتمع **منتصر** ممتنع لا نرام ولا نضام وعن ابى جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت **سيهزم الجمع** عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تاويلها **ويولون الدبر** اى الادبار كما قال كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار **بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر** ادهى وامر اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والاسر



وقرئ سيهزم الجمع **ان المجرمين فى ضلال وسعر** فى هلاك ونيران او فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة **يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر** مس سقر كقولك وجد مس الحمى و ذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة يصف ظبيا

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتانيث والتعريف **انا كل شىء خلقناه بقدر** كل شىء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شىء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اى خلقنا كل شىء مقدرا مرتبا محكما على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه **وما امرنا الا واحدة** الا كلمة واحدة سريعة التكوين اراد قوله كن يعنى انه اذا اراد تكوين شىء لم يلبث كونه **كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم** اشباهكم فى الكفر من الامم **فهل من مدكر وكل شىء فعلوه فى الزبر** فى دواوين الحفظة **وكل صغير وكبير** من الاعمال ومن كل ما هو كائن **مستطر** مسطور فى اللوح **ان المتقين فى جنات ونهر** وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد **فى مقعد صدق** فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق **عند مليك مقتدر** مقربين عند مليك مبهم امره فى الملك والاقتدار فلا شىء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

**سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل مكى ومدنى وهى ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم**

**الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم اول شىء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو فى اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحى الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه فى ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض فى انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه **الشمس والقمر بحسبان** بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب **والنجم والشجر يسجدان** والنجم النبات الذى ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذى له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده **فان قلت** كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن **قلت** استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له **فان قلت** كيف اخل بالعاطف فى الجمل الاولى ثم جىء به بعد **قلت** بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر ايادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال الذى قدمته ثم رد الكلام

الى مناهجم بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف **فان قلت** اى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف **قلت** ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس الانسان آدم عليه السلام وعنه محمد عليه السلام وعن مجاهد النجم نجوم السماء **والسماء رفعها** خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه **ووضع الميزان** وفى قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى اخذهم واعطائهم **ان لا تطغوا فى الميزان** لان لا تطغوا او هى ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول **واقيموا الوزن بالقسط** وقوموا وزنكم بالعدل **ولا تخسروا الميزان** ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها للانام** خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها **فيها فاكهة** ضروب مما يتفكه به **والنخل ذات الاكمام** والاكمام كل ما يكم اى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف **والحب ذو العصف** والعصف ورق الزرع وقيل التبن **والريحان** الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم وفى مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه **فباى آلاء ربكما تكذبان** والخطاب فى ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان **خلق الانسان من صلصال كالفخار** الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف **فان قلت** قد اختلف التنزيل فى هذا وذلك قوله تعالى من حمإ مسنون من طين لازب من تراب **قلت** هو متفق فى المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا **وخلق الجان من مارج من نار فباى آلاء ربكما تكذبان** والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط **فان قلت** ما معنى قوله من نار **قلت** هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى **رب المشرقين ورب المغربين فباى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان** مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مراى العين **بينهما برزخ لا يبغيان** بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة **فباى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباى آلاء ربكما تكذبان** قرئ نخرج ونخرج من اخرج وخرج ويخرج اى الله تعالى اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره **فان قلت** لم قال منهما وانما يخرجان من الملح **قلت** لما التقيا فصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب **وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام فباى آلاء ربكما تكذبان** الجوارى السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباى آلاء ربكما تكذبان** عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذى الجلال على صفة ربك ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذى يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك **فان قلت** ما النعمة فى ذلك **قلت** اعظم النعمة وهى مجئ وقت الجزاء عقيب ذلك **يسأله من فى السموات والارض** كل من فى السموات والارض مفتقر اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم **كل يوم هو فى شأن فباى آلاء ربكما تكذبان** اى كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاى اخبرنى ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدى فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافا ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاى هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة فى تلك الامة ويكون توبة فى هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولى ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه **سنفرغ لكم ايها الثقلان فباى آلاء ربكما تكذبان** سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه حتى لا يكون لى شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التى ارادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ

سيفرغ لكم اى الله تعالى وسافرغ وسنفرغ لكم بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفى قراءة ابى سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض

يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وارضى فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعنى بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وروى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رأهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباى آلاء ربكما تكذبان شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وانشد تضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اى ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباى آلاء ربكما تكذبان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهى دردى الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال الشاعر كانهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان شبه عينيه بالمزادتين وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان انس بعض من الانس ولا جان اريد به ولا جن اى ولا بعض من الجن فوضع الجان الذى هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى الانس والمعنى لا يسئلون لانهم يعرفون بسيماء المجرمين وهى سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسئولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون فى موطن ولا يسألون فى آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسألون عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا عن التقاء الساكنين وان كان على حده يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام فباى آلاء ربكما تكذبان فيؤخذ بالنواصى والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فى سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فباى آلاء ربكما تكذبان حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اى يتطوفون ويطافون وفى قراءة عبد الله هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكر من هول العذاب نجاة الناجى منه برحمته وفضله وما فى الانذار به من اللطف ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان مقام ربه موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامى ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قايم عليه

اى حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد شعر مقام الذئب كالرجل اللعين يريد به وتنفيت عنه الذئب فان قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى يضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة ذواتا افنان فباى آلاء ربكما تكذبان خص الافنان بالذكر وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجرة لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش اخضر ناضر فيهما عينان تجريان فباى آلاء ربكما تكذبان عينان تجريان حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فيهما من كل فاكهة زوجان فباى آلاء ربكما تكذبان زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين نصب على الحال من الخائفين او مدح عليهم لان من خاف فى معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور جان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباى آلاء ربكما تكذبان فيهن فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او فى الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم كانهن الياقوت والمرجان فباى آلاء ربكما تكذبان قيل هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب وعن محمد بن الحنفية هى مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة يعنى ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيئ اليه ومن دونهما جنتان فباى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان فباى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة فيهما عينان نضاختان فباى آلاء ربكما تكذبان نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فيهما فاكهة ونخل ورمان فباى آلاء ربكما تكذبان فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله جبريل وميكائيل ولان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه فيهن خيرات حسان فباى آلاء ربكما تكذبان خيرات خيرات فخفف كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذى هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا اخيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق حور مقصورات فى الخيام فباى آلاء ربكما تكذبان مقصورات قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة

وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان
قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء
ربكما تكذبان ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب
عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم
العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد
وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الوجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين
الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة
دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقرئ ذو الجلال صفة
للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة
مكية وهي سبع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة
والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة وكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال
وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او
محذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب
في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة
واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي اوليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها
يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه
وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها
بما تحدثه عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى
قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل
على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه
قال زهير شعر اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على
هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس
الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها
تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر
وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا رجت
حركت تحريكا شديدا حتى تنهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
وبست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال منبثا متفرقا
وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج
وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة

رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
وكنتم ازواجا ثلاثة ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب الميمنة الذين
يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية
من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن
وتشاؤمهم بالشمائل ولسفاء لهم بالسانح وتطيرهم من البارح وكذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن
وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين
على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات
الشمال والسابقون السابقون والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار
في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا
السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر
في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب
المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون
من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما
انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذلك
ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون والصواب ان توقف على الثاني لانه تمام الجملة
وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة اولئك المقربون في جنات النعيم المقربون في
جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم ثلة من الاولين
وقليل من الآخرين والثلة الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من
السيل مزبد وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من
الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم
من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وآله وقليل من الآخرين وهم امة محمد عليه الصلوة والسلام وقيل
من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان
جميعا من امتي فان قلت كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين و
ذلك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا فان قلت فقد روي انها لما نزلت شق ذلك
على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قلت
هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى
كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقو الامم
اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلة على سرر موضونة
موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى شعر
ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض متكئين عليها متقابلين متكئين حال من الضمير

قال رحمة الله فطولا الباذخ الطويل لاحبّ له وحلوكا اشهذ ٥ قوله وماشان الطلح الى قوله فقال وما بال الطلح اي قال
واخراه مرتضا والصحاح قوله وحور عين بالرفع الى قرأ حمزة والكسائي بكسرهما والباقون برفعهما والله اعلم بالصواب ٥

في على وهو العامل فيهما اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب **يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين** مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم **لا يصدعون عنها ولا ينزفون** لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها ولا ينزفون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم **وفاكهة مما يتخيرون** يتخيرون ياخذون خيره وافضله **ولحم طير مما يشتهون** ويشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير **وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون** قرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا **جزاء بما كانوا يعملون** جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم **لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما** سلاما سلاما اما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد وقرئ سلام سلام بالرفع على الحكاية **واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود** السدر شجر النبق المخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي يثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب **وطلح** والطلح شجر الموز وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع قال وما شان الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد رزقا للعباد فقيل او نحولها قال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه **منضود** والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة **وظل ممدود** ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس **وماء مسكوب** يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة** لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا **ولا ممنوعة** ولا يمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين **وفرش** جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف **مرفوعة** نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن **انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين** انا انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة سالته عن قوله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك

وشرب وبعال والله اعلم ٥ قوله ولا يقضي عليها الى آخره من قضى عليه اذا قتله واهلكه اي لا

قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام اخبروها انها يومئذ ليست بعجوز وقرأ الآية عربا وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلث وثلثين وازواجهن ايضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا **ثلة من الاولين وثلة من الآخرين واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم** في سموم في حر نار ينفذ في المسام **وحميم** وماء حار متناهي الحرارة **وظل من يحموم** من دخان اسود بهيم **لا بارد ولا كريم** نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك **انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم** والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالماثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تاثم وتحرج **وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون** اوآباؤنا الاولون دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف **فان قلت** كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن **قلت** حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ او آباؤنا **قل ان الاولين والآخرين لمجموعون** وقرئ لمجمعون **الى ميقات يوم معلوم** الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما **ثم انكم ايها الضالون** عن الهدى **المكذبون** بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم **لآكلون من شجر من زقوم** من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه **فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم** ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهو في معناه **فشاربون شرب الهيم** شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة شعر واصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل بمعنى فعل يجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منها البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم **فان قلت** كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه **قلت** ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين **هذا نزلهم يوم الدين** النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في

قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي شعر وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ما تمنون ما تمنونه اى تقذفونه في الارحام من النطف وقرا ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمنا عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما يقتضيه مشيتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشئ اذا عجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اى على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اى على ان نبدل ونغير صفاتكم التى انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون وقرئ النشاءة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشاة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون افرايتم ما تحرثون من الطعام اى تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الاية لو نشاء لجعلناه حطاما والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التى اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ ءانا افرايتم الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخل اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا وماتوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ارفاذن حذفها اختصار



لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء شعر اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم النار التى تورون تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون شجرتها التى منها الزناد نحن جعلناها تذكرة تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى يوقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام اى لم اكل شيئا فسبح باسم ربك العظيم فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اى بذكر ربك العظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الاية واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التى عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة موكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرا الحسن فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون الموكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومساريها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقران كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القران اى اوقات نزولها انه لقران كريم كريم حسن مرضي من جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته صفة للقران فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرا الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون

انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف
بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل
كذا ونطق به التنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا **افبهذا الحديث** يعني القرآن **انتم مدهنون** اي متهاونون
به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به **وتجعلون رزقكم انكم تكذبون** على حذف المضاف
يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون
وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء
ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبونه من الله حيث تنسبونه
الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء في المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب **فلولا اذا
بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين
ترجعونها ان كنتم صادقين** ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة
للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا
ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء
ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم
صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض
وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد **فاما ان كان** المتوفى **من المقربين** من السابقين من الازواج الثلاثة
المذكورة في اول السورة **فروح وريحان وجنة نعيم** فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم
والريحان الرزق **واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين** اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك
اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما **واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم**
فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف **وتصلية جحيم** وقرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم **ان هذا**
الذي انزل في هذه السورة **لهو حق اليقين** اي الحق الثابت من اليقين **فسبح باسم ربك العظيم** عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا **سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي و
في بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شأن ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي
هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله ويسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح
اذا ذهب وبعد فاللام لا يخلو اما ان يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله
ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح **فان قلت** ما محل يحيي **قلت** يجوز ان لا يكون له محل ويكون
جملة برأسها كقوله له ملك السموات والارض وان يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا
فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء **هو الاول** هو القديم الذي كان قبل كل شيء **والآخر**
الذي يبقى بعد هلاك كل شيء **والظاهر** بالادلة الدالة عليه **والباطن** لكونه غير مدرك بالحواس **فان قلت** فما معنى الواو

الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما
الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية
والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز
ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي
بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم **وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله
ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير** مستخلفين
فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم
خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن
كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا
به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** لا تؤمنون
حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال
فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج **وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين** وقبل
ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم تبق
لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ
ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم** ليخرجكم الله بآياته **من
الظلمات** من ظلمات الكفر **الى النور** الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته **وان الله بكم لرؤف رحيم** لرؤف
وقرئ لرؤوف **وما لكم الا تنفقوا** ان لا تنفقوا في ان لا تنفقوا **في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض** يرث كل شيء
فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم
فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق
**لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل** من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس
في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة **اولئك** الذين انفقوا
من قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه **اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا** اعظم درجة
وقرئ قبل الفتح **وكلا** وكل واحد من الفريقين **وعد الله الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ
بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله **والله بما تعملون خبير**
**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه

اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقترضه اياه **فيضاعفه له** اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله **وله اجر كريم**
يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرأ بنصب على جواب الاستفهام والرفع عطف على
يقرض او على هو يضاعفه **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم** يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم
او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين
كما ان الاشقياء يؤتونها من شمايلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم
سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما
ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز **يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا
انظرونا نقتبس من نوركم** يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة
على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ
انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا
بهم فيستنيروا به **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا** طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا
هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين
وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم **فضرب
بينهم بسور** بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف **له باب** لذلك السور باب
لاهل الجنة يدخلون منه **باطنه** باطن السور والباب وهو الشق الذي يلي الجنة **فيه الرحمة وظاهره** ما ظهر لاهل النار
**من قبله** من عنده ومن جهته **العذاب** وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي عليهما السلام فضرب بينهم على البناء للفاعل
**ينادونهم الم نكن معكم** الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر **قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم** فتنتم
انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها **وتربصتم** بالمؤمنين الدواير **وارتبتم وغرتكم الاماني** طول الآمال والطمع في امتداد
الاعمار **حتى جاء امر الله** الموت **وغركم بالله الغرور** وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم **فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية** فدية ما يفتدى به **ولا من الذين كفروا ماويكم النار هي مولاكم** هي مولاكم قيل هي اولى
بكم وانشد قول لبيد شعر فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته مولاكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم
الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها و
المراد نفي الناصر على البتات ونحوه قوله اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تع يغاثوا بماء كالمهل وقيل يتوليكم كما
توليتم في الدنيا اعمال اهل النار **وبئس المصير الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون** الم يأن للذين من انى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انا يأني و الما يأن قيل كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين
اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على راس ثلث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون
فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة

فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل وانزل ولا تكونوا عطف على تخشع و
قرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك
ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم
الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره **فان قلت** ما معنى لذكر الله وما نزل
من الحق **قلت** يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء
وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا والمراد
بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون
لما في الكتابين **اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** قيل هذا
تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض **ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم اجر كريم** المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين
صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين **فان قلت** علام عطف قوله واقرضوا الله **قلت** على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى
الذين واسم الفاعل بمعنى صدقوا كانه قيل ان الذين صدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة
النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله **والذين آمنوا بالله و
رسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم** يريد ان المؤمنين بالله ورسوله عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا
الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم **فان قلت** كيف
يسوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت **قلت** المعنى ان الله تع يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم
مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره **اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور**
اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام
وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث
فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر
وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا
**سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله**
سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات
وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة
عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم
من الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول
الجنة **ذلك** الموعود من المغفرة والجنة **فضل الله** عطاؤه **يؤتيه من يشاء** وهم المؤمنون **والله ذو الفضل العظيم
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم** المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزرع والثمار وفي الانفس

نحو الادواء والموت **الا في كتاب** في اللوح **من قبل ان نبراها** يعني الانفس او المصائب **ان ذلك** ان تقديره ذلك واثباته في كتاب **على الله يسير** وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال **لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله **والله لا يحب كل مختال فخور** لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر وتكبر على الناس قرئ بما آتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم **فان قلت** فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح **قلت** المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم ذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته **ومن يتول** عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي **فان الله هو الغني** عنه **الحميد** وقرئ بالبخل وقرأ نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك **لقد ارسلنا رسلنا** يعني الملائكة الى الانبياء **بالبينات** بالحجج والمعجزات **وانزلنا معهم الكتاب** اي الوحي **والميزان** روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به **ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد** قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والملح والماء وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه **فيه باس شديد** وهو القتال به **ومنافع للناس** في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد **وليعلم الله من ينصره ورسله** باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء الدين **بالغيب** غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه **ان الله قوي عزيز** غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب **ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** والكتاب والوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة **فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون** فمنهم في الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل** قرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة** وقرئ رآفة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب النبي رحماء بينهم **ورحمة ورهبانية** والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها

الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية **ابتدعوها** يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها **ما كتبناها عليهم** لم نفرضها نحن عليهم **الا ابتغاء رضوان الله** استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله **فما رعوها حق رعايتها** كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه **فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم** يريد اهل الرحمة والرافة الذين اتبعوا عيسى **وكثير منهم فاسقون** الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله وثوابه فرعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله** يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب فالمعنى والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد **يؤتكم كفلين من رحمته** اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله **ويجعل لكم** يوم القيامة **نورا تمشون به** وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم **ويغفر لكم** ما اسلفتم من الكفر والمعاصي **والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب** ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة **ان لا يقدرون** وان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون بمعنى ان الشان لا يقدرون **على شيء من فضل الله** اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه الى الايمان فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيا لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموالهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل فنزلت عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكي لا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء ولييعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد ع اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا **وان الفضل بيد الله** في ملكه وتصرفه واليد مثل **يؤتيه من يشاء** ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه **والله ذو الفضل العظيم** عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

**سورة المجادلة**

مدنية وهي ثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير

قد سمع الله قالت عايشة الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتحاولك اي تسايلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي فكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر **فان قلت** ما معنى قد في قوله قد سمع **قلت** معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها **الذين يظاهرون منكم من نسائهم** في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان في ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون ساير الامم **ما هن امهاتهم** وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين **ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم** يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله امهات المومنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات **وانهم ليقولون منكرا من القول** فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية **وزورا** وكذبا باطلا منحرفا عن الحق **وان الله لعفو غفور** لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا** يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا يحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عايد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه **فان قلت** هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ **قلت** نعم اذا وضع مكان انت عضوا مما يعبر به عن الجملة



كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان تقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا **فان قلت** فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه **قلت** لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها **فان قلت** فان مس قبل ان يكفر **قلت** عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر **فان قلت** اي رقبة تجزي في كفارة الظهار **قلت** المسلمة والكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزي الا المومنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مومنة ولا تجزي ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يود شيئا جاز وعند الشافعي لا يجوز **فان قلت** فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس **قلت** عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيها وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى **فان قلت** كم يعطي المسكين في الاطعام **قلت** نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه **فان قلت** ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين **قلت** اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المسيس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء **فان قلت** الضمير في ان يتماسا الام يرجع **قلت** الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها **ذلك** البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها **لتومنوا** لتصدقوا **بالله ورسوله** في العمل بشرايعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم **وتلك حدود الله** التي لا يجوز تعديها **وللكافرين** الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها **عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله** يعادون ويشاقون **كبتوا** اخزوا واهلكوا **كما كبت الذين من قبلهم** من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق **وقد انزلنا آيات بينات** تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به **وللكافرين** بهذه الآيات **عذاب مهين** يذهب بعزهم وكبرهم **يوم يبعثهم الله** يوم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم **جميعا** كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع **فينبيهم بما عملوا** تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رووس الاشهاد **احصاه الله** احاط به عددا لم يفته منه شيء **ونسوه** لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور **والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا**

ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شئ عليم مايكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تانيثها غير حقيقى ومن فاصلة او على ان المعنى مايكون شئ من النجوى والنجوى التناجى فلا يخلو اما ان يكون مضافة الى ثلثة اى من نجوى ثلثة نفر او موصوفة بها اى من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى فى انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرا ابن ابى عبلة ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعى الى تخصيص الثلثة او الخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجى مغايظة للمسلمين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقال ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عدديهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع مايقولون فقد روى عن ابن عباس انها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم مانقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثانى انه قصد ان يذكر ماجرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولى النهى والاحلام ورهط من اهل الرأى والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلى هذا العدد ويقاربه وفى مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفى الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان يتناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته صلى الله عليه وسلم وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما يقول فقال الله حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول يا ايها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باولئك فى تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا

انما النجوى

انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين فى نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اى بمشيئته وهو ان يقضى الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم تفسحوا فى المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى اى تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة لقوله مقاعد للقتال وقرئ مجالس قيل كان الرجل يأتى الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم بين العابد والعالم مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال عليه السلام اوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم انى عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجويكم صدقة بين يدى نجويكم صدقة استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته ذلك ذلكم خير لكم فى دينكم واطهر لان الصدقة طهرة فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم روى ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال على رضى الله عنه لما نزلت دعانى رسول الله فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغنى فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كانت لعلى عليه السلام ثلث لو كانت لى واحدة منهن كانت احب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة عليها السلام واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس

هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اخفتم
تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم
به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا
الله ورسوله فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون قرئ بالياء والتاء
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من
لعنه وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو
ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون
الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم
عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ثم يرفع حديثه
الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما
فعل فقال عليه الصلوة والسلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم عذابا
شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي مصطحبين على
على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا ايمانهم وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا
ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا عن سبيل
الله فلهم عذاب مهين فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن
القول الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم واعاد وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله
والذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم
الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم روى ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا
فيحلفون لله على انهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني
ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية
وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار
الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيه لا يضمحل كما
قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما يرى في هذه
الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم انهم على شيء
من النفع اذا حلفوا استنطاؤهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم
على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا
والآخرة استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا ومنه كان احوذيا نسيج
وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته

وحزبه فانسيهم ذكر الله فانساهم ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان الممتنع المحال ان تجد
قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه
والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد
ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان
بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه
كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه بلطف من عنده حييت
به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحيوة القلوب به وعن الثوري انه قال
كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب
منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت
فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة
سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منه
لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعني
اكن في الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او في مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد
بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي رضي الله عنه وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة
وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب الله
من حزب الله يوم القيمة سورة الحشر مدنية اربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من
ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار صالح بنو النضير
رسول الله على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما هزم
المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر
عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم
بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة
ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن
خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا
من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاء من متاعهم فجلوا الى الشام

نظير قوله فاعتبروا فى التفريع اذ المعنى هو الذى اخرج وفيل كذا وكذا من تطهير الارض لانه عزمه فلولا ذلك لكان القتل وهو العذاب

الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة
اللام فى لاول الحشر تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقوله جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين
كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج
من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر
حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية وقيل
معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم ان
يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتيهم امر الله
من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك
مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين
فى تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه
اتاهم الهلاك **فان قلت** اى فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه **قلت**
فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه
دليل على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى
قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فآتاهم الله اى فاتيهم الهلاك والرعب الخوف الذى يرعب الصدر اى يملاه وقذفه
اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون
ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الخراب كانوا يخربون بواطنها والمسلمون
ظواهرها لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم
الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة والا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان فى
ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب **فان قلت** ما معنى
تخريبهم لها بايدى المؤمنين **قلت** لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا بما
دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين ان يورثهم ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال **ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا
ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب**
يعنى ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم فلولا انه كتب عليهم الجلاء
واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم فى الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بنى قريظة ولهم سواء
اجلوا او قتلوا عذاب النار يعنى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة **ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها** من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اى شئ قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما
فى قوله او تركتموها لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود
النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة
**شعر** تنودى فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها لين وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان
انه جمع اصل كرهن ورهن او اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما **فباذن الله** فقطعها

باذن

باذن الله وامره **وليخزى الفاسقين** وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين امر ان يقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى انفس المؤمنين
من ذلك شئ فنزلت يعنى ان الله اذن لهم فى قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون فى اموالكم
كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق
وترمى بالمنجنيق وكذلك اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة او غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال **فان قلت**
لم خصت اللينة بالقطع **قلت** ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل
فليكون غيظ اليهود اشد واشق وروى ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسالهما رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد
استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد
مصيب **وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير** افاءه الله على رسوله جعله فيئا له خاصة والايجاف من الوجيف
وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام فى الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على
هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما
مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله رسوله من اموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن
سلطه الله عليهم وعلى ما فى ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء
يعنى انه لا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت **ما افاء الله
على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون
دولة بين الاغنياء منكم** لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير اجنبية عنها بين
لرسول الله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره بان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة
والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان اى يدور من الجد يقال دالت له الدولة واديل لفلان
ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفئ الذى حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة
يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية
ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز
والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا
يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعنى كيلا يكون الفئ
شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اى كيلا يكون ذا
تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله
وان كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شئ
متعاورا بينهم غير مخرج الى الفقراء **وما آتاكم الرسول** من قسمة غنيمة او فئ **فخذوه وما نهاكم عنه** عن اخذه منها **فانتهوا**
عنه ولا تتبعه انفسكم **واتقوا الله** ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه **ان الله شديد العقاب** لمن خالف رسوله
والاجود ان يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفئ داخل فى عمومه وعن ابن مسعود انه لقى رجلا

محرمًا وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها
عليه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون
الله ورسوله للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله والرسول والمعطوف عليهما
وان كان المعنى لرسول الله ان الله اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله
عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا اولئك هم الصادقون
في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا الدار والايمان معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف
الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا
او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار
الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف
اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم
سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون ولا يعلمون
في انفسهم في صدورهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج
والمحتاج اليه تسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا
ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها
خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل
بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا
وديارنا ونؤثرهم بالقسمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر وقد قرئ
بهما اللؤم وان يكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال شعر يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت
له مهلا وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت الانفس الشح
ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون
الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوقّ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم والذين جاؤا
من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقد قيل التابعون باحسان غلا وقرئ
غمرا وهما الحقد الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم
لنخرجن معكم لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم
على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا ابدا من رسول الله والمؤمنين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف
ما وعدناكم من النصرة وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لكاذبون في مواعيدهم لليهود
وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الادبار ثم لا ينصرون فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه

في خرشة

الكزازة اليبس والانقباض رجل كز قليل الخير

في يوالونهم

في حملنا

في والمسلمين

في بالغيوب

ولين

ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون
والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور
كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم
قوم لا يفقهون رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم
معناه انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من
الله حتى يكون رهبتهم منه اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا
يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما
اولي بأس ونجدة وكانوا يشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه
حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين الا
كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم
وان تأييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد
يعني ان البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان
الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم
شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة
وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن
قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم قريبا اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قلت
بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم
لرسول الله من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
عذاب النار كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين
مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان
اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك
جزاء الظالمين وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر
وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء وعاقبتهما بالرفع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد و
اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون كرر الامر بالتقوى تأكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل
واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا
له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر
عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير
النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه
وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا
ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون

نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم لقوله لا يرتد اليهم طرفهم **لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون** هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملكون اموال المسلمين فيها **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله تع انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرى مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله والى امثاله في مواضع من التنزيل **هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** الغيب المعدوم و الشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده وقيل ما غاب من العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة **هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس** القدوس بالفتح والضم وقد قرى بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح **والسلام** بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقايص او في اعطائه السلامة **والمؤمن** واهب الامن وقرى بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين **والمهيمن** الرقيب على كل شي الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء **العزيز الجبار** والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره **والمتكبر** البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده **سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق** المقدر لما يوجده **البارئ** المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة **المصور** الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرا البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرا المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات **له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم** وقرا ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة سالت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت فاعاد علي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

**سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم** وروى ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي عليه السلام والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تع ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي اتخذ الى مفعوليه يتعدى واولياء والعدو فعول من عدا كالعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد **فان قلت** تلقون بم يتعلق **قلت** يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا **فان قلت** اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة **قلت** ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول يلقون محذوف معناه يلقون اليهم بالمودة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم ولذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة **فان قلت** وقد كفروا حال مماذا **قلت** اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادوهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون **ومن يفعله منكم** ومن يفعل هذا الاسرار **فقد ضل سواء السبيل** فقد اخطا طريق الحق والصواب وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم **ان يثقفوكم** ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم **يكونوا لكم اعداء** خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم **ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء** بالقتال والشتم **وودوا لو تكفرون** وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطا منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تع لا يالونكم خبالا **فان قلت** كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا لو تكفرون لفظ الماضي **قلت** الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدين والدنيا جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم

وردّكم كفّاراً اسبق المضارّ عندهم واولها لعلمهم انّ الدين اعزّ عليكم من ارواحكم لانّهم يبذلون لها دونه والعدوّ اهمّ شيء عنده ان يقصد اعزّ شيء عند صاحبه **لن ينفعكم ارحامكم** اي قراباتكم **ولا اولادكم** الذين توالون الكفّار من اجلهم وتتقرّبون اليهم محاماة عليهم ثمّ قال **يوم القيمة يفصل بينكم** وبين اقاربكم واولادكم يوم يفرّ المرء من اخيه وامّه وابيه وصاحبته الآية فما لكم ترفضون حقّ الله مراعاة لحقّ من يفرّ منكم غداً **والله بما تعملون بصير** خطّأ رايهم في موالاة الكفّار بما يرجع في حال من والوه اوّلاً ثمّ بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانياً ليريهم انّ ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلاً وقرئ يفصل ويفصّل على البناء للمفعول ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجلّ ونفصّل ونفصل بالنون **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انّا برآء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتّى تؤمنوا بالله وحده الّا قول ابرهيم لابيه لاستغفرنّ لك وما املك لك من الله من شيء ربّنا عليك توكّلنا واليك انبنا واليك المصير ربّنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربّنا انّك انت العزيز الحكيم** قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضيّ بان يؤتسى به ويتّبع اثره وهو قولهم لكفّار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرّحوا بانّ سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الّا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائماً كانت العداوة قائمة حتّى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبّة والمقت مقة فافصحوا من محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انّا لا نعتدّ بشانكم ولا بشان آلهتكم وما انتم عندنا على شيء **فان قلت** ممّ استثنى قوله الّا قول ابرهيم **قلت** من قوله اسوة حسنة لانّه اراد بالاسوة الحسنة قولهم ان تبرّوهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولّوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهيكم عن مبرّة هؤلاء وانّما ينهيكم عن تولّي هؤلاء وهذا ايضاً رحمة لهم لتشدّدهم وجدّهم في العداوة متقدّمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخّص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل ارادبهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكّة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امّها قتيلة بنت عبد العزّى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم **يا ايّها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات** سمّاهنّ مؤمنات لتصديقهنّ بالسنتهنّ ونطقهنّ بكلمة الشهادة ولم يظهر منهنّ ما ينافي ذلك او لانهنّ مشارفات لثبات ايمانهنّ بالامتحان **فامتحنوهنّ الله اعلم بايمانهنّ** فابتلوهنّ بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهنّ وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الّا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الّا حبّاً لله ورسوله الله اعلم بايمانهنّ منكم لانّكم لا تكسبون فيه علماً تطمئنّ معه نفوسكم وان استحلفتموهنّ ورزتم احوالهنّ وعند الله حقيقة العلم به **فان علمتموهنّ مؤمنات** العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظنّ الغالب بالحلف وظهور الامارات **فلا ترجعوهنّ الى الكفّار** فلا تردّوهنّ الى ازواجهنّ المشركين **لا هنّ حلّ**

ستغفار **فان قلت** بم اتّصل قوله ربّنا عليك توكّلنا **قلت** بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربّنا امراً من الله وتاكيداً عليهم ولذلك جاء به مصدراً بالقسم لانّه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** وعقّبه بقوله **ومن يتولّ فانّ الله** ... ما تمّ وقيل تزوّج رسول الله صلعم امّ حبيبة فعند ذلك لانت عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت امّ حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله ... من المشركين **لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرّوهم وتقسطوا اليهم انّ الله يحبّ المقسطين انّما ينهيكم الله**

قوله ... وابى المشركون ان يؤدّوا شيئاً الى آخره في المطلع قال ابن جني زيد خرجت امرأة من المسلمين الى المشركين فقال القوم

**لهم ولا هم يحلّون لهنّ** لانّه لا حلّ بين المؤمنة والمشرك **وآتوهم ما انفقوا** واعطوا ازواجهنّ مثل ما دفعوا اليهنّ من المهور وذلك انّ صلح الحديبية كان على انّ من اتاكم من اهل مكّة ردّ اليهم ومن اتى مكّة منكم لم يردّ اليكم وكتبوا بذلك كتاباً وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلميّة مسلمة والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقالت يا محمّد اردد عليّ امرأتي فانّك قد شرطت لنا ان تردّ علينا من اتاك منّا وهذه طينة الكتاب لم تجفّ فنزلت بياناً لانّ الشرط انّما كان في الرجال دون النساء وعن الضحّاك كان بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منّا امرأة ليست على دينك الّا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان تردّ على زوجها الذي انفق عليها وللنبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثمّ نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوّجها عمر **فان قلت** كيف سمّى الظنّ علماً في قوله فان علمتموهنّ **قلت** ايذاناً بانّ الظنّ الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وانّ صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم **فان قلت** فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهنّ وذلك معلوم ولا شبهة فيه **قلت** فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئنّ به النفس ويثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهنّ فانّ ذلك ممّا استأثر به علّام الغيوب وانّ ما يؤدّي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وانّ تكليفكم لا يعدوه **ولا جناح عليكم ان تنكحوهنّ اذا آتيتموهنّ اجورهنّ** ثمّ نفى عنهم الجناح في تزوّج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهنّ اجورهنّ اي مهورهنّ لانّ المهر اجر البضع ولا يخلو امّا ان يراد بها ما كان يدفع اليهنّ ليدفعنه الى ازواجهنّ فيشترط في اباحة تزوّجهنّ تقديم ادائه وامّا ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهنّ على سبيل القرض ثمّ تزوّجهنّ على ذلك لم يكن به بأس وامّا ان يبيّن لهم انّ ما اعطى ازواجهنّ لا يقوم مقام المهر وانّه لا بدّ من اصداق وبه احتجّ ابو حنيفة على انّ احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلماً او بذمّة وبقي الآخر حربيّاً وقعت الفرقة ولا يرى العدّة على المهاجرة ويبيح نكاحها الّا ان تكون حاملاً **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني ايّاكم وايّاهنّ ولا يكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقة زوجيّة قال ابن عبّاس من كانت امرأة كافرة بمكّة فلا يعتدّنّ بها من نسائه لانّ اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفّار ومفارقتهنّ **واسئلوا ما انفقتم** من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفّار **وليسئلوا ما انفقوا** من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسّكوا بالتثقيل ولا تمسّكوا اي ولا تتمسّكوا **ذلكم** يعني جميع ما ذكر في هذه الآية **حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم** يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكماً على المبالغة روي انّه لمّا نزلت هذه الآية ادّى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهنّ المشركين وابى المشركون ان يؤدّوا شيئاً من مهور الكوافر الى ازواجهنّ المسلمين فنزل قوله **وان فاتكم** وان سبقكم وانفلت منكم **شيء من ازواجكم** احد منهنّ **الى الكفّار** وهو في قراءة ابن مسعود احد **فان قلت** هل لايقاع شيء في هذا الموقع فائدة **قلت** نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قلّ وحقر غير معوّض عنه تغليظاً في هذا الحكم وتشديداً فيه **فعاقبتم** من العقبة وهي النوبة شبّه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر **فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا** فآتوا من فاتته امرأته الى الكفّار مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق

بهم وقرئ فاعقبتم فعقّبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف مع فتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقّبتم
من عقّبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف فقال عقبه يعقبه وعقبتم
نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة
المهر وفسر غيرها من القرآت فكانت العقبى لكم اى كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين
المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية كانت
تحت عمر بن الخطاب وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة
وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ
الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللّٰهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ولا يقتلن
اولادهن وقرئ يقتّلن بالتشديد يريد وأد البنات وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ كانت
المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها
كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديه وفرجها الذى تلده به بين الرجلين وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَ
اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فى معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق
طاعة الله فهو معروف فان قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف
قلت نبه بذلك على ان طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة بغاية التوقى والاجتناب وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن
بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام
وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا
يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فما ادرى ايحل لى ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من
شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزنى الحرة وفى رواية
ما زنت منهن امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان
ابنها حنظلة بن ابى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين فقالت والله
ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا
مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ وقيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن
ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ روى ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا
قوما مغضوبا عليهم قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ قد يئسوا من ان يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى التورية كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ من موتاهم ان يبعثوا
ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تيقنوا قبح

حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات شفعاءه
يوم القيمة سورة الصف مكية وهى اربع عشرة آيات بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم وعم ومم والام
وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشئ واحد ووقع استعمالهما كثيرا فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل
قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثة اربعة
بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروى ان المؤمنين قالوا
قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد
فى سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا
ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت و
لم يصبر وقيل قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبى صلى الله
عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى
قال نعم فنزلت فى المنتحل وعن الحسن نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ
أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ هذا من افصح كلام وابلغه فى معناه قصد كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب
بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظايره واشكاله واسند
الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت لانه
اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ
من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف انه
قيل له حدثنا فسكت فقيل له حدثنا فقال تأمروننى ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله فى قوله إِنَّ اللّٰهَ
يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عقيب ذكر المقت المختلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا
الثبات فى قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن على عليهما السلام يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتّلون صَفًّا
صافين انفسهم او مصفوفين كَأَنَّهُمْ فى تراصهم من غير فرجة وخلل بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ رص بعضه الى بعض ورصف
وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم فى الثبات حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل
على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي كانوا يؤذونه
بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر
وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه وَقَدْ تَعْلَمُونَ فى موضع الحال اى تؤذوننى عالمين
علما يقينا أَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمى وتوقيرى لا ان تؤذونى وتستهينوا بى
لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه فى تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا
به فَلَمَّا زَاغُوا عن الحق أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ بان منع الطافه وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ لا يلطف
بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد فى قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون

علما يقينا لا شبهة لكم فيه وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد قيل إنما قال يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال
موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أني أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال
تبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ
من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل
بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فإن قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم
قلت بل بمعنى الإرسال لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها
من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر
مبين وقرئ هذا ساحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي
القوم الظالمين وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين
فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب
وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدّعى بمعنى يدعى ادعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدّعي بمعنى يدعو وهو الله
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت
مع فعل الإرادة تأكيدا لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أباك تأكيدا لمعنى الإضافة
في لا أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم
بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره ولو كره الكافرون أي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ
بالإضافة هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليغلبه على الدين كله
على جميع الأديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام
وعن مجاهد إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام وقرئ أرسل نبيه ولو كره المشركون يا أيها الذين
آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا تؤمنون بالله واليوم الآخر
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وتؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال
تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله و
جاهدوا فإن قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين
ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت فإن قلت هل لقول الفراء
أنه جواب هل أدلكم وجه قلت وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل
هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم فإن قلت فما وجه قراءة زيد بن علي تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها أن يكون
على إضمار لام الأمر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب
الأعمال إلى الله لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون
وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوق وتطلع منها إليه أوقع
فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم من أموالكم وأنفسكم

ان كنتم

إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ذلك الفوز العظيم فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم تعلمون قلت معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان
خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون
وأخرى تحبونها ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها
بقوله نصر من الله وفتح قريب أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ
على محبة العاجل وبشر المؤمنين فإن قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لأنه في معنى الأمر
كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فإن قلت لم نصب من قرأ نصرا من الله
وفتحا قريبا قلت يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم
أخرى نصرا وفتحا يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال
الحواريون نحن أنصار الله قرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حثم
للنصرة عليهم فإن قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى عليه السلام من أنصاري
إلى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم
من أنصاري إلى الله فإن قلت ما معنى قوله من أنصاري إلى الله قلت يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين
نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجها إلى نصرة الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار
الله فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي
في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لأنه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله
والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو
البياض الخالص والحوارى الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي وقيل كانوا
قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فآمنت طائفة من بني إسرائيل
منهم بعيسى وكفرت به طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأيدنا مؤمنيهم على كفارهم فأصبحوا ظاهرين
فظهروا عليهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه والله أعلم

سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع
على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد هو الذي بعث
في الأميين رسولا منهم الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم
وقيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى بعث في الأميين رسولا
منهم بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيا إني أبعث أعمى في عميان وأميا في أميين وقيل منهم كقوله
من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا
مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث
الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وإن في وإن كانوا

هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
وآخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذي على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم وهم الذين بعد
الصحابة وقيل لما نزلت هذه الآية قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله
رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم
ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله وكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو
العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك فضل الله
الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه و
تقتضيه حكمته والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراؤها وحفظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها
نعت رسول الله والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما
يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التورية
كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها وقرئ حملوا التورية اي حملوها ثم لم يحملوها على الحقيقة لفقد العمل
وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم هاد يهود
اذا تهود انكم اولياء لله من دون الناس اولياء الله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي
اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول
الله لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ
فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا
وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه والله عليم بالظالمين قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه
خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه ولا هو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما انه ملاقيكم وفي
قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي
تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم يا ايها الذين
آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه
ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ
بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان
عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد وكان اذا جلس على المنبر اذن على باب



المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا
آخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام
للصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان
الانصار قالوا لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فنذكر
الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن
زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول
جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب
وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه
ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة
فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه
السلام اتاني جبرئيل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك
من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد وعنه عليه السلام ان لله في كل جمعة ستمائة
الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه
السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة
قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت
الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة
احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فرأى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب
نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة الا في مصر جامع لقوله
عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت
فيه الاحكام ومن شرطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث
وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب
شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد وصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند
الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة
ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر انه سمع رجلا
يقرأ فاسعوا فقال من اقرأك قال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي و
قيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان
الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن في موطئه ان ابن عمر
سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة

والصلوة ولتسبيحه الله للخطبة ذكراً له قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المكان مقالاً وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه احد وعند صاحبيه والشافعي لابد من كلام يسمى خطبة **فان قلت** كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله **قلت** ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغياً نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام **وذروا البيع** اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب **فان قلت** فاذا كان البيع في هذا الوقت مأموراً بتركه محرماً فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد **ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان يكون همهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظراً في هذه الآية **واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لاضرم الله عليهم الوادي ناراً وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير **فان قلت** فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع **قلت** ان بقي وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت **فان قلت** كيف قال اليها وقد ذكر شيئين **قلت** تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهواً انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهواً او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما. عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين

**سورة المنافقون مدنية وهي احدى عشرة آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله** اراد بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك

**والله يعلم انك لرسوله** والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله **والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه **فان قلت** اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله **قلت** لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام **اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله** اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفاً للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقوله ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بألسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا **انهم ساء ما كانوا يعملون** من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين **ذلك** اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالاً **بانهم آمنوا ثم كفروا** بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا **فطبع على قلوبهم** فجسروا على كل عظيمة **فان قلت** المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا **قلت** فيه ثلثة اوجه احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقاً فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي عليهما السلام فطبع الله **فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو** كان عبد الله بن ابي رجلاً جسيماً صبيحاً فصيحاً ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم **فان قلت** ما معنى قوله كانهم خشب مسندة **قلت** شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رأيتهم تعجبك لرسول الله او لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب مسندة رفع على هم كانهم خشب وهو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون

اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت
دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
ومنه اخذ الاخطل شعر مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف عليهم و يبتداء هم العدو اي
هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا
تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقال هي العدو
قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله
دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون
عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم
ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون لووا رؤسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ
بالتخفيف والتشديد للتكثير سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا
يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن
السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه ابن مسعود اجير لعمر يقود
فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها
جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما
مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل محمدا ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن
جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع
بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من
المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا
رسول الله فقال اذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فأمر به انصاريا فقال فكيف
اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله
الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول
الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروي ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه
قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه
فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترضه
ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله
لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله بتخليته وروي انه
قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد
ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد

الله قيل له قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان أومن فآمنت و
امرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات
سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت
على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار
والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر وآلله ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم
وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السماوات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو
رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون
بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن ابي عبلة
لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل واخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة الغلبة والقوة
ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه
من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى
الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه
عزة وتلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم لا تشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها
والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع لمنافعها ولا أولادكم
وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر
منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليهما ومن يفعل
ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير
الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد
مع رسول الله صلعم وأنفقوا مما رزقناكم من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل أن يأتي
أحدكم الموت من قبل ان ترى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه
الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض اناملة على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل ان
ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان
يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي الزكوة والله لو رأى خيرا لما سأل
الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون
بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة انها نزلت في اهل القبلة فيقول
رب لولا أخرتني وقرئ اخرتن يريد هلا اخرت موتي إلى أجل قريب الى زمان قليل فأصدق وقرأ ابي فاتصدق
على الاصل وأكن من الصالحين وقرئ واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرأ واكون
على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا
إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ولن يؤخرها نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة
المنفي للحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم
باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله

وقرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

## سورة التغابن مختلف فيها وهي ثمان عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تع والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم الذين هما من عملكم و المعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروة كما يذمون القاتل بل انحاءهم باللوايم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا واليه مصيركم فيجزاكم على الشكر والتفريط فيه فان قلت كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال تع في احسن تقويم فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى من مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسرون العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله تع على عباده والكفر اعظم كفران من العباد أَلَمْ يَأْتِكُمْ الخطاب لكفار مكة نَبَأُ الَّذِينَ



كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُ وذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ واستغنى الله اطلق ليتناول كل شئ يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تع لم يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا اهل مكة قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وبلى اثبات لما بعد لن وهو البعث وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ اي لا يصرفه عنه صارف فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وعني برسوله والنور محمدا والقرآن يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون فان قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الا باذن الله الا بتقديره ومشيته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمومن واجد له مهتد اليه لقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وعلى الله فليتوكل المومنون بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجنين عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم

ويحزنونهم بالغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واولادكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعى ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا وبكوا اليه ورققوه فكانه هم باذاهم فنزلت إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما فوضعهما فى حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ فى خطبته فقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ما استطعتم جهدكم ووسعكم اى ابذلوا فيها استطاعتكم وَاسْمَعُوا ما توعظون به وَأَطِيعُوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وَأَنْفِقُوا فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ نصب بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عليه عاكفون من حب الشهوات وزخارف الدنيا وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء يُضَاعِفْهُ لَكُمْ يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ شكور مجاز اى يفعل بكم ما يفعل المبالغ فى الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسئ فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة او اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كذا وكذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه لقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلوة والمنتظر لها فى حكم المصلى فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المراة فى الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى ينقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روى عن ابرهيم النخعى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا



للسنة الا واحدة ثم لا تطلقوا غير ذلك حتى ينقضى العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة فى طهر فاما مفرقا فى الاطهار فلا لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهى حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعى لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعى فى طلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده فَإِنْ قُلْتَ هل يقع طلاق المخالف للسنة قُلْتُ نعم وهو آثم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفى حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة فى الطلاق فاوقعه فى حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فَإِنْ قُلْتَ كيف تطلق للسنة التى لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قُلْتُ الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابى حنيفة وابى يوسف يفرق عليهن الثلاث فى الاشهر وخالفهما محمد وزفر فى الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فَإِنْ قُلْتَ هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة بائنة قُلْتُ اختلفت فيه الرواية عن اصحابنا والظاهر الكراهة فَإِنْ قُلْتَ قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قُلْتُ لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل وطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ حتى ينقضى عدتهن مِنْ بُيُوتِهِنَّ من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فَإِنْ قُلْتَ ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن قُلْتُ معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له فى رفع الحظر وَلَا يَخْرُجْنَ بانفسهن ان اردن ذلك إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هى الزنا يعنى الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها فى السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتوكده قراءة ابى الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة فى نفسه وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا الامر الذى يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ وهو آخر العدة وشارفنه فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف

والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا
للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا ذوي عدل منكم يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد
مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في
الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي
الآخر ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم واقيموا الشهادة لله لوجهه
خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ورفع الظلم كقوله
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم ذلكم اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل
القيام بالقسط يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة
لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله وطلق للسنة
ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا يجعل له مخرجا مما في شان الازواج
من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من حيث لا يحتسب ويرزقه من
وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وان قل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك
مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به
يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من هموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال
مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ
الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي عن عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما
فاتى رسول الله فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول
ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه
الآية ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ
بالغ امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره وقرأ المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال
قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم
ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من
المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة
اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم
البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا
كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر
فحذف لدلالة المذكور عليه واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل
على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي رضي الله عنه وابن عباس
عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي
في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام سلمة ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها



بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا
ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله انزله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ومن يتق
الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ
على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات و
غير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اسكنوهن وما بعده
بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف يعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن فان قلت
من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض
مكان سكناكم كقوله تع يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه
فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من
مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة
وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس
ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر لا ندع كتاب ربنا وسنة
نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن
ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او بشغل مكانهن او غير
ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها وقيل هو ان يلجئها
الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن قلت ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة
الحامل فنفى ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت هي مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها
لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب عليه ان ينفق من ماله بعد موته
فكذلك الحامل وعن علي رضي الله عنه وعبد الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات
ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن اجورهن فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا
يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وأتمروا الايتمار بمعنى التآمر
كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات
بينكم بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه
وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه
طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما يقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية
وانت ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها لينفق كل واحد
من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله بعد عسر يسرا
موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكاين

من قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا وقرى نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيآت واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور رسولا هو جبريل عليه السلام ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله قرئ ندخله بالياء والنون جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن الله الذي خلق مبتدا وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالتاء والياء ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي صلعم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقالتا



دين فيما بينه وبين الله تعالى ولكن لا يدين في قضاء الحاكم بابطال الايلاء لان اللفظ انشاء في العرف والله اعلم طب قوله
اني بهما وترديد ذكرهما ونقيضه اثبات ضمير المنبا به في قوله فلما نبأها به مع الاستغناء عنه بقرينة الاحوال لانه هو المقصود

له انا نشم منك ريح المغافير وكان عليه السلام يكره التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الالى فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم تكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضوان الله عليهم ان الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي عليه السلام ثلث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تع ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تع وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قلت عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله موليكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل موليكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبأت به فلما اخبرت به عائشة وقرئ انبأت به واظهره الله واطلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل عليه السلام وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفين ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها واعرض عن بعض وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث الجارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت

لبس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشايه من قبلها وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجدها الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الاثري
انه لكان المقصود في قوله تعالى فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير ذكر المنبا كيف
اتى بضميره ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس
لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت
الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعايشة فقد
صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه و
كراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة
وافشاء سره فان الله هو موليه فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله موليه اي وليه وناصره
وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزايمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره
بذكره مفردا له من الملايكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المومنين ومن صلح من المومنين يعني كل من آمن
وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم
فان قلت صالح المومنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس
كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المومنين بالواو فكتب
بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع
الخط والملايكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك ظهير بعد نصرة الله وناموسه
وصالح المومنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هو لاء ظهراؤه فان قلت
قوله بعد ذلك تعظيم للملايكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المومنين ونصرة الله اعظم واعظم
قلت مظاهرة الملايكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على
جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه ان طلقكن ان يبدله خيرا منكن مسلمات مومنات
قانتات تايبات عابدات سايحات ثيبات وابكارا قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مومنات مقرات
مخلصات سايحات صايمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصايم سايح لان السايح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد
ما يطعمه فشبه به الصايم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سايحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه
الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المومنين
قلت اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذايهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه
الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله
قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين
الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في ساير الصفات فلم يكن بد من الواو يا ايها الذين
آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وفي الحديث
رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكوتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل
ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت

اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده
فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغايب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا
وقودها الناس والحجارة نارا نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن
ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي ذو وقودها عليها
يلي امرها وتعذيب اهلها ملايكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة
اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا ياخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدايه
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون
ما امر الله اي امره كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت
لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يودون ما يومرون
به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المومنين
قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحد فقيل للذين آمنوا قوا
انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي من الارتداد و
الندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا
عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وصف التوبة بالنصح على الاسناد
المجازي والنصح صفة التايبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيات
وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبايح
الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك
واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال عليه السلام يجمعها ستة اشياء
على الماضي من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة ورد المظالم والاستحلال الخصوم وان تعزم ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب
من الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا تعود ولو حززت بالسيف واحرقت بالنار وعن ابي السمال ان تنصب الذنب الذي
اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد بمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس
والمومنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك في دينك
وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها
لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم
وهو مصدر نصح النصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه
مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار عسى ربكم اطماع من الله
لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه من معنى البت قراءة

ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيآتكم ويدخلكم **يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** يوم لا يخزي الله منصوب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المومنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط **يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير** اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن متمه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا **فان قلت** كيف يشفقون والمومنون آمنون ام من ياتي آمنا يوم القيمة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار التقرب **قلت** اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا **يا أيها النبي جاهد الكفار** بالسيف **والمنافقين** بالاحتجاج **واغلظ عليهم** واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما يجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم **ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين** مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المومنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما ان يكونا في الاخلاص والكاملية فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره **فان قلت** ما فائدة قوله من عبادنا **قلت** لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين

بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده **فان قلت** ما كانت خيانتهما **قلت** نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه لمجنون وامرأة لوط دلت على ضيافه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحا على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة رفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة **فان قلت** ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة **قلت** طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بين مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان يكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه **فان قلت** فما كلمات الله وكتبه **قلت** يجوز ان يراد بكلماته الصحف التي انزلها على ادريس وغيره وسماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل **فان قلت** لم قيل من القانتين على التذكير **قلت** لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها فقال اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمومنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله احكم واسلم من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا والله سبحانه اعلم **سورة الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر**

أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا وعن الواحدي أحصنت فرجها حفظت فرجها ومنعتها عما لا يحل قال الفراء ذكر المفسرون أنه جيب درعها

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل شيء قدير وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا والحيوة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما يقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمى هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فبلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعة كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في مثل

دهذريك سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود وان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء الدنيا الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم بمصابيح والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وجعلناها رجوما للشياطين وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشيطان ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم لقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية الم ياتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم ياتكم نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول اراد واحكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كان هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم عليهم وكان من كان من هؤلاء

فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا
باسم هذين الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل
اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير و
اسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو
عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف
لا يعلم ما تكلم به الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله
انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله
وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله
على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا
جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك
الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان
الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل
ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه
فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها
فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السماء ان
يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان
احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره
ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها
فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف وبحاصب كما تقول
لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالياء والتاء
كيف نذير اي اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان
نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن
قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان الاصل
في الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض
فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصيل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن
القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام
على شكل وخصائص قد تاتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن هذا
الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور ام من يشار من المجموع ويقال هذا
الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان

لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تع ام لهم الهة
تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب
والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب
سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع
كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي
معتسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي
سويا اي قائما سالما من العثور والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على
طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي
الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على المعاصي فحشره الله يوم القيمة
على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم
في الارض واليه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير
مبين فلما راوه زلفة فلما راوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي راوه
ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف
والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا
الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون
انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة
الفجر ولعمري انها لوقادة لمن تصور تلك الحالة وتاملها قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون
لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون
من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم
في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت
هداتكم والاخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك
او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن
يجير من لا ايمان له قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين فان قلت لم اخر
مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر
كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى و
عن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله و
على اياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر والله اعلم

سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم
واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان
جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت
هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم
وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت قلت اما ان يراد
النون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم
بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف
وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل وما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون
الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة ما انت بنعمة
ربك بمجنون فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت
بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا
ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت مجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان تعمل مجنون فيما قبله
لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة
العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه
لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس
بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله
الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في قوله خذ العفو وأمر بالمعروف
واعرض عن الجاهلين وعن عائشة ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه
القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون
او لان العرب يزعمون انه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود
اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم
وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم
على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن لو تلين وتصانع
فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل
خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف
ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا تطع كل حلاف حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله
قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب

لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم
مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشدني
بعض العرب شعر تشببي تشبب النميمة تمشي بها زهرا الى عيثمة مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله
الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان
موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه
انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة
ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان شعر وانت زنيم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة من مولده و
قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاؤه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه
قسى قلبه واجترا على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين
آمنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي
الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين
اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب
لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب
آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى
التكذيب وقرئ ءان كان على الاستفهام على ألان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري
عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط
في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه
اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه
الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه
فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع
منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها
وفي لفظ الخرطوم استخفاف واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر
الكفرة كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره
بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده
على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون انا بلونا اهل مكة
بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه
الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما

اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله **فان قلت** لم سمى استثناء وانما هو شرط **قلت** لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** وطاف عليها طائف بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف **فاصبحت كالصريم** كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال **فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين** حاصدين **فان قلت** هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على **قلت** لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين **فانطلقوا وهم يتخافتون** يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش **ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ان مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك هنا **وغدوا على حرد قادرين** الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبث نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال قد جاء سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان **فلما راوها قالوا** في بديهة وصولهم **انا لضالون** اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا **بل نحن محرومون** حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا **قال اوسطهم** اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا **الم اقل لكم لولا تسبحون** لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين **قالوا**

**سبحان ربنا انا كنا ظالمين** فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم من الفحشاء والمنكر وكان لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم ومن كل قبيح **فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين** ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء ويتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض **عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها** ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد **انا الى ربنا راغبون** طالبون منه الخير راجون لعفوه **كذلك العذاب** مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا **ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون** اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام هم من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود بلغني انهم تابوا اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البعير منهم عنقودا **ان للمتقين عند ربهم** اي في الاخرة **جنات النعيم** جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا **افنجعل المسلمين كالمجرمين** كانت صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات **ما لكم كيف تحكمون** هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم **ام لكم كتاب** من السماء **فيه تدرسون** في ذلك الكتاب **ان لكم فيه لما تخيرون** اي ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله **ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون** لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد **فان قلت** بم يتعلق الى يوم القيمة **قلت** بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا يخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم **سلهم ايهم بذلك** الحكم **زعيم** اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل باموره **ام لهم شركاء** اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه **فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين** في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به **يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون** الكشف عن الساق

والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء يعني يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل فاما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعنى يشتد امر الرحمن وتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن **فان قلت** فلم جاءت منكرة في التمثيل **قلت** للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المالوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة **فان قلت** لم يدعون الى السجود ولا تكليف ثم **قلت** لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم **واملي لهم ان كيدي متين** واملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلاك ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك **ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون** المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان **ام عندهم الغيب** اي اللوح **فهم يكتبون** منه ما يحكمون به **فاصبر لحكم ربك** وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم



**ولا تكن كصاحب الحوت** يعني يونس عليه السلام **اذ نادى** في بطن الحوت **وهو مكظوم** مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه **لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم** حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه **فاجتباه ربه** فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى **فجعله من الصالحين** اي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم** ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين في بني اسد وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان يقرأ هذه الآية **لما سمعوا الذكر** اي القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة **ويقولون انه لمجنون** حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن **وما هو الا ذكر للعالمين** وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

**سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية** [وهي مكية]

**بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة** الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها **وما ادراك** واي شيء اعلمك **ما الحاقة** يعني انك لا تعلم كنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك متعلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام **كذبت ثمود وعاد بالقارعة** القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة

زيادة فى وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم **فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية** بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى بطغيانهم وليس بذلك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر **واما عاد فاهلكوا بريح صرصر** والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها **عاتية** شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل واختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم و يهلكهم وقيل على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وان الريح عتت يوم عاد على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما** الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور و الكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اى تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اى سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى ففرق بين بينهم زمان تتابع فيها اعوام حسوم وقرأ السدى حسوما بالفتح حالا من الريح اى سخرها عليهم مستاصلة وقيل هى ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء **فترى القوم فيها صرعى** فيها فى مهابها او فى الليالى والايام **كانهم اعجاز نخل خاوية** وقرئ اعجاز نخيل **فهل ترى لهم من باقية** من بقية او من نفس باقية ومن بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان **وجاء فرعون ومن قبله** يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله اى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وابى ومن معه وقراءة ابى موسى ومن تلقاءه **والمؤتفكات** قرى قوم لوط **بالخاطئة** بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء العظيم **فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية** شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح ربا الشئ يربو اذا زاد ليربوا فى اموال الناس **انا لما طغى الماء حملناكم** حملنا آباءكم **فى الجارية** فى سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولين لان نجاتهم سبب ولادتهم **لنجعلها** الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكافرين **لكم تذكرة** عظة وعبرة **وتعيها اذن واعية** من شانها ان تعى وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشئ فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى عليه السلام عند نزول هذه الآية سالت الله ان يجعلها اذنك يا على قال على رضى الله عنه فما نسيت شيئا بعد وما كان لى ان انسى **فان قلت** لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير **قلت** للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهو السواد الاعظم

عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد **فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة** وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل **فان قلت** هما نفختان فلم قيل واحدة **قلت** معناه انها لا تثنى فى وقتها **فان قلت** فاى النفختين هى **قلت** الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه انها الثانية **فان قلت** اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية **قلت** جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى يقع فيه النفخات والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته **وحملت الارض والجبال** ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتخفيف المحمل وهو احد الثلاثة **فدكتا دكة واحدة** فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان **فيومئذ وقعت الواقعة** فحينئذ نزلت النازلة وهى القيمة **وانشقت السماء فهى يومئذ واهية** مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة **والملك** يريد والخلق الذى يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا فى قوله فوقهم على المعنى **فان قلت** ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملئكة **قلت** والملك اعم من الملئكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملئكة **على ارجائها** على جوانبها الواحد رجا مقصور معناه انها تنشق وهى مسكن الملئكة فينطوون الى اطرافها وما حولها **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** اى ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون **يومئذ تعرضون** العرض عبارة عن المحاسبة والمسالة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وروى ان يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله **لا تخفى منكم خافية** سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم **فاما** تفصيل للعرض **من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه** هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت فى كتابيه وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف لثباتها فى المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء فى الوصل

بغيرها وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف إني ظننت أني ملاق حسابيه ظننت علمت
وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر
كيت وكيت فهو في عيشة راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحروف ونسبة
بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة
المباني والقصور والاشجار قطوفها دانية ينالها القاعد والنائم كلوا واشربوا فقال لهم كلوا واشربوا هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية
من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول
الله تع يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا
اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت
كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية
اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم القَ ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه
رأى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما أغنى عني ماليه هلك عني
سلطانيه اي ما اغنى نفيا واستفهاما على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطاني ملكي
وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاسد وعن فناخسرة الملقب
بعضد الدولة انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه
الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار
ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فسلكه في السلسلة ان يلوى على جسده حتى تلتف عليه
اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر
لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله
في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من ساير مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة
على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه كان لا يؤمن بالله
العظيم ولا يحض على طعام المسكين انه تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد
فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على
الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن
قول القايل شعر اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس
عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين
فليس له اليوم هاهنا حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما
ولا طعام الا من غسلين والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل
لا يأكله الا الخاطئون الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس

وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود
الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى
الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول
والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس
والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة انه ان هذا القرآن لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم
به على وجه الرسالة عند الله وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى
ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرأ ابو
السمال تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد
صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل
وسمي الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة
من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط
والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن
اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان
يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين
لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو
حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول فما منكم من احد عنه حاجزين
قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تع لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير
في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون
ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم
مكذبين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب
وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين
به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وانه لحق اليقين وان القرآن لليقين حق اليقين
كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك
العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه
اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا والله اعلم

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج ضمن سأل معنى دعا فعدي
تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تع

يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سايل وهو
على وجهين اما ان يكون من السوال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان
ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب
فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سايل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن
معنى عنى واهتم **فان قلت** بم يتصل قوله للكافرين **قلت** هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اى بعذاب
واقع او بواقع اى بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اى دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اى بعذاب نازل لاجلهم
وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسايل اى هو للكافرين **فان قلت** فقوله من الله بم يتصل **قلت** يتصل بواقع اي
واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد
جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال **تعرج الملائكة والروح اليه** الى عرشه
وحيث تهبط منه اوامره **في يوم كان مقداره خمسين الف سنة** في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين
الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه وتفضله وقيل الروح خلق هم حفظة
على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس **فاصبر صبرا جميلا** **فان قلت** بم تعلق قوله فاصبر **قلت** بسال
سايل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي
وذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال
على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرا سال سايل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد
شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اى يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم
القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن
الف سنة وما قدر ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر **انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا** الضمير في يرونه
للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا
هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه **يوم تكون
السماء كالمهل** نصب يوم تكون بقريبا اى يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم يكون
السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة
في تلونها **وتكون الجبال كالعهن** كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود
فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح **ولا يسئل حميم حميما** اى لا يساله بكيف حالك
ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسالة **يبصرونهم** اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم
من المسالة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسال على البناء للمفعول اى لا يقال
لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السوال والطلب **فان قلت** ما موقع يبصرونهم **قلت**
هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا
من تسالهم **فان قلت** لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين **قلت** المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين
ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم **يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ**

**ببنيه وصاحبته واخيه** وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب **وفصيلته** عشيرته الادنون الذين فصل عنهم
**التي تؤويه** تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب **ومن في الارض جميعا ثم ينجيه** ينجيه عطف على يفتدي
اى يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء بمعنى تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده
وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه **كلا** ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه
الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال **انها** والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون
ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة و**لظى** علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب
و**نزاعة** خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كان الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه
في معنى النار او رفع على التهويل اى هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص
للتهويل **للشوى** وتدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله
ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو
الكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم
وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اى اهلكك
قال دعاك الله من رجل بافعى **من ادبر** عن الحق **وتولى** عنه **وجمع** المال **فاوعى** وجعله في وعاء وكنزه ولم يود الزكوة
والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر **ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا** اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه
وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به
ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر والصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع و
اخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثار الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه
امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد لم يكن به
هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المومنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره
وظلفوها من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن آدم شح هالع
وجبن خالع **الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون** **فان قلت** كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون
**قلت** معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عايشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ
الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف الماثم فالدوام يرجع
الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها **والذين في اموالهم حق معلوم** هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او
صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة **للسايل** اى السايل الذي يسال **والمحروم** الذي يتعفف عن السوال
فيحسب غنيا فيحرم **والذين يصدقون بيوم الدين** تصديقا باعمالهم واستعدادهم له **والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون** ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله **ان عذاب ربهم غير مامون** اي لا ينبغي لاحد وان بالغ

فى الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغى ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك فى جنات مكرمون قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى زيّها تضييعها وابطالها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادّى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من يعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون فى دخول الجنة فان قلت من اى وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم فى مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اى من النطف وبالقدرة على ان يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شئ والغرض ان من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اى من النطفة المذرة وهى منصبهم الذى لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب ونصب كل وهو ما نصب فعبد من دون الله يوفضون يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهى ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهى ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان يكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا نحو ان انذر فى الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا

على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا اى دائما من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعائى الا فرارا فلم يزدهم دعائى جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم واصروا الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها واستكبروا استكبارا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه الصلوة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدرا فى موضع الحال اى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا امرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع فى نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وروى سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت قال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية يرسل السماء عليكم مدرارا والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ومتفال ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون

فيما تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار وقوله **وقد خلقكم اطوارا** فى موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اى تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر او لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر **الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا** نبههم على النظر فى انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر فيهن فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما يلى السماء وظهورهما مما يلى الارض **وجعل الشمس سراجا** يبصر اهل الدنيا فى ضوءها كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور **والله انبتكم من الارض نباتا** استعير الانبات من الانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة دل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم فى الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم **ثم يعيدكم فيها** مقبورين **ويخرجكم اخراجا** يخرجكم يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة **والله جعل لكم الارض بساطا** جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** واسعة منفجة **قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** واتبعوا رؤساءهم المقدمين من اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التى لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة فى الدنيا زائدة خسارا فى الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرى وولده وولده بضم الواو وكسرها **ومكروا** معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح **مكرا كبارا** قرى بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** كان هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هى اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرى ودا بضم الواو وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما



منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرى وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج **وقد اضلوا كثيرا** الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعنى ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام لقوله انهن اضللن كثيرا من الناس **ولا تزد الظالمين الا ضلالا فان قلت** علام عطف قوله ولا تزد الظالمين **قلت** على قوله رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا اى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودى للصلوة وصل فى المسجد تحكى قوليه معطوفا احدهما على صاحبه **فان قلت** كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا **مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا** تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفى قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن فى استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطى على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرى خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار فى الآخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات فى ماء او فى نار واكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا **وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** ديار من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا **فان قلت** بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة **قلت** لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم وعرفهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى لا يلدوا الا فاجرا كفارا لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه لقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه **رب اغفر لى ولوالدى** ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرا الحسين بن على رضى الله عنهما ولولدى يريد ساما وحاما **ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات** بيتى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات **ولا تزد الظالمين الا تبارا** هلاكا **فان قلت** ما فعل صبيانهم حين اغرقوا **قلت** غرقوا معهم لا على وجه العقاب

ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الهلاك وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي قرئ احي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا قالوا انا سمعنا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان فآمنا به الضمير في به للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله عز وجل وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله تعالى لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى جد ربنا جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر كان الرجل منا اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم وروى في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا سفيههم ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرا ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب

قوله يرد علينا العير الخ يصف شدة عدو فرسه ويقول يرد علينا العير وهو الحمار الوحشي من دون الفه اي اليفه ...

كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسسنا من الآباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم شعر والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر شعر وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع شعر يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الجن والانس ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين رضي الله عنهما عن ابن عباس رضي الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او ارادوا الطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب وكانت طرائقنا طرائق قددا

على حذف المضاف الذي هو الطرايق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قدّ كالقطعة من قطع ووصف الطرايق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا** في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقايدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب **وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا** لما سمعنا الهدي هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خايف ولان الكلام في تقدير مبتدإ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف **فان قلت** اي فايدة في رفع الفعل وتقدير مبتدإ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف **قلت** الفايدة فيه انه اذا فعل ذلك وكانه قيل فهو لا يخاف وكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله تعالى وترهقهم ذلة **وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** القاسطون الكافرون الجايرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد **وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ** ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام **لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه ليكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة **وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ** عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه **يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** يسلكه وقرئ نسلكه بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** وان المساجد من جملة الموحى

وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنايسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهي السجود **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ** عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم **فان قلت** هلا قيل رسول الله او النبي **قلت** لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله لله ليس بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام عبد الله يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلوة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة **كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلوته وازدحام اصحابه عليه في ايتمامهم به **قَالَ** للمتظاهرين عليه **إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي** يريد ما آتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده **وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي وقال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفض الاشراك بالله بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شركاء او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ** ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل والا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان **فان قلت** الا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني

قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هو بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من حتى اذا رأوا ما يوعدون فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا رأوا ما يوعدون من يوم القيمة واظهار الله له عليهم او من يوم بدر فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه فانه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاء ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاء وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحالته التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل عليهما السلام يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان قم الليل الا قليلا نصفه رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني الربع او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان يجعل نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عائشة ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل ان يفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية ورتل القرآن ترتيلا ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقارئ انا سنلقي عليك قولا ثقيلا هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي

من تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القران لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عايشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا** ناشئة الليل النفس الناشية بالليل التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت ونشا من مكانه ونشز اذا نهض قال نشانا الوحوص براتيهما السرى والصق منهما مشرفات القماحد وقيام الليل على ان الناشية مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روى عن عبيد بن عمير قلت لعايشة رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشية قال لا انما الناشية القيام بعد النوم ففسرت الناشية بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي ابن الحسين رضي الله عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشية الليل هذه ناشية الليل هي اشد وطا هي خاصة دون ناشية النهار اشد مواطاة يواطي قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطي فيها قلب القايم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع روية الخلايق وقرى اشد وطا بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطاتك على مضر **وَأَقْوَمُ قِيلًا** واسد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن انس انه قرا واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرا فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد **إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا** سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزايه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوايج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوايجك وقيل ان فاتك من الليل شي فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ** ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة القرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** وانقطع اليه **فان قلت** كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا **قلت** لان معنى تبتل بتل نفسه فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا** رب المشرق والمغرب قرى مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرا ابن عباس رضي الله عنهما رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده

هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان يوكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا** اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو مطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما يدور حوله امنيته المخاطب وبما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا** ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من ساير العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذونا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى صايما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا** يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشي اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضابية **شعر** اجن جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم **فان قلت** لم نكر الرسول ثم عرف **قلت** لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلا وبيل وخم لا يستمرى لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ** يوما مفعول به اي فكيف تقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تومنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب **شعر** والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة

هو الذي

والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها و احكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلايق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شئ منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض كان وعده مفعولا وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله تعالى ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه و ثلثه ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه جل وعلا مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه علم ان لن تحصوه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفى عنكم فالآن باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرا مائة آية ومن قرا مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرا مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمساوين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ فاقيموا الصلوة يعني المفروضة وآتوا الزكوة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم

من خير واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد ساير الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شئ يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه المعارف في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرا ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

## سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا وتظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وعن عكرمة انه قرا على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شئ والرجز فاهجر والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه ولا تمنن تستكثر قرا الحسن ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله لان الله اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرا الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه

علی انه من المن فی قوله عز وجل ثم لا یتبعون ما انفقوا منا ولا اذی لان من شان المنان بما یعطی ان یستکثره ای یراه کثیرا ویعتد به وان یشبه بثوبعضد فیسکن تخفیفا وان یعتبر حال الوقف وقرا الاعمش بالنصب باضمار ان کقوله الا ایهذا الزاجری احضر الوغی وتؤیده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستکثر ویجوز فی الرفع ان یحذف ان ویبطل عملها کما روی احضر الوغی بالرفع **ولربک فاصبر** ولوجه الله فاستعمل الصبر وقیل علی اذی المشرکین وقیل علی اداء الفرایض وعن النخعی علی عطیتک کانه وصله بما قبله وجعله صبرا علی العطاء من غیر استکثار والوجه ان یکون امرا بنفس الفعل وان یتناول علی العموم کل مصبور علیه ومصبور عنه ویراد الصبر علی اذی الکفار لانه احد ما یتناوله العام **فاذا نقر فی الناقور فذلک یومئذ یوم عسیر علی الکافرین غیر یسیر** والفاء فی قوله فاذا نقر للتسبیب کانه قال اصبر علی اذاهم فبین ایدیهم یوم عسیر یلقون فیه عاقبة اذاهم وتلقی عاقبة صبرک علیه والفاء فی فذلک للجزاء **فان قلت** بما انتصب اذا وکیف صح ان یقع یومئذ ظرفا لیوم عسیر **قلت** انتصب بما دل علیه الجزاء لان المعنی فاذا نقر فی الناقور عسر الامر علی الکافرین والذی اجاز وقوع یومئذ ظرفا لیوم عسیر ان المعنی فذلک وقت النقر وقوع یوم عسیر لان یوم القیمة یاتی ویقع حین ینقر فی الناقور واختلف فی انها النفخة الاولی ام الثانیة ویجوز ان یکون یومئذ مبنیا مرفوع المحل بدلا من ذلک ویوم عسیر خبر کانه قیل فیوم النقر یوم عسیر **فان قلت** فما فایدة قوله غیر یسیر وعسیر مغن عنه **قلت** لما قال علی الکافرین فقصر العسر علیهم قال غیر یسیر لیوذن بانه لا یکون علیهم کما یکون علی المومنین یسیرا هینا لیجمع بین وعید الکافرین وزیادة غیظهم وبشارة المومنین وتسلیتهم ویجوز ان یراد انه عسیر لا یرجی ان یرجع یسیرا کما یرجی تیسیر العسیر من امور الدنیا **ذرنی ومن خلقت وحیدا** وحیدا حال من الله تع علی معنیین احدهما ذرنی وحدی معه فانا اجزیک فی الانتقام منه عن کل منتقم والثانی خلقته وحدی لم یشرکنی فی خلقه احد او حال من المخلوق علی معنی خلقته وهو وحید فرید لا مال له ولا ولد کقوله ولقد جیتمونا فرادی کما خلقناکم اول مرة وقیل نزلت فی الولید بن المغیرة المخزومی وکان یلقب بالوحید ولعله لقب بذلک بعد نزول الآیة فان کان ملقبا به قبل فهو تهکم به وبلقبه وتغییر له عن الغرض الذی کانوا یومونه فی مدحه والثناء علیه بانه وحید قومه لریاسته ویساره وتقدمه فی الدنیا الی وجه الذم والعیب وهو انه خلق وحیدا لا مال له ولا ولد فاتاه الله ذلک فکفر بنعمة الله واشرک به واستهزا بدینه **وجعلت له مالا ممدودا** ممدودا مبسوطا کثیرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قیل کان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما کان له بین مکة والطایف من صنوف الاموال وقیل کان له بستان بالطایف لا ینقطع ثماره صیفا وشتاء وقیل کان له الف مثقال وقیل اربعة آلاف وقیل تسعة آلاف وقیل الف الف وعن ابن جریج غلة شهر بشهر **وبنین شهودا** شهودا حضورا معه بمکة لا یفارقونه للتصرف فی عمل وتجارة لانهم مکفیون لوفور نعمة ابیهم واستغنائهم عن التکسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا یشتغل قلبه بغیبتهم وخوف معاطب السفر علیهم ولا یحزن لفراقهم والاشتیاق الیهم ویجوز ان یکون معناه انهم رجال یشهدون معه المجامع والمحافل وتسمع شهاداتهم فیما یتحاکم فیه وعن مجاهد کان له عشرة بنین وقیل ثلثة عشر وقیل سبعة عشر کلهم رجال الولید بن الولید وخالد وعمارة وهشام والعاص وقیس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهیدا** وبسطت له الجاه العریض والریاسة فی قومه فاتممت علیه نعمتی الجاه والمال واجتماعهما هو الکمال عند اهل الدنیا ومنه قول الناس ادام الله تاییدک وتمهیدک یریدون زیادة الجاه والحشمة وکان الولید من وجهاء قریش وصنادیدهم ولذلک لقب الوحید وریحانة قریش **ثم یطمع ان**

**ازید** ثم یطمع استنکار واستبعاد لطمعه وحرصه یعنی انه لا مزید علی ما اوتی سعة وکثرة وقیل انه کان یقول ان کان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لی **کلا** ردع له وقطع لرجایه وطمعه **انه کان لآیاتنا عنیدا** تعلیل للردع علی وجه الاستیناف کان قایلا قال لم لا یزاد فقیل انه عاند آیات المنعم وکفر بذلک نعمته والکافر لا یستحق المزید ویروی انه ما زال بعد نزول هذه الآیة فی نقصان من ماله حتی هلک **سارهقه صعودا** ساغشیه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما یلقی من العذاب الشاق الصعب الذی لا یطاق وعن النبی صلی الله علیه وآله وسلم یکلف ان یصعد عقبة فی النار کلما وضع علیها یده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه علیه السلام الصعود جبل من نار یصعد فیه سبعین خریفا ثم یهوی فیه کذلک ابدا **انه فکر وقدر فقتل کیف قدر ثم قتل کیف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستکبر فقال ان هذا الا سحر یوثر ان هذا الا قول البشر** انه فکر تعلیل للوعید کان الله تع عاجله بالفقر بعد الغنی والذل بعد العز فی الدنیا لعناده ویعاقبه فی الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غایته واقصاه فی تفکیره وتسمیته القرآن سحرا ویجوز ان یکون کلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ویعلل ذلک بعناده ویکون قوله انه فکر بدلا من قوله انه کان لآیاتنا عنیدا بیانا لکنه عناده ومعناه فکر ماذا یقول فی القرآن وقدر فی نفسه ما یقوله وهیاه فقتل کیف قدر تعجیب من تقدیره واصابته فیه المحز ورمیه الغرض الذی کان ینتحیه قریش او ثناء علیه علی طریقة الاستهزاء به او هی حکایة لما کرروه من قولهم قتل کیف قدر تهکما بهم وباعجابهم بتقدیره واستعظامهم لقوله ومعنی قول القایل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذی هو حقیق بان یحسد ویدعو علیه حاسده بذلک روی ان الولید قال لبنی مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا کلاما ما هو من کلام الانس ولا من کلام الجن ان له لحلاوة وان علیه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه یعلو وما یعلی فقالت قریش صبا والله الولید والله لتصبان قریش کلهم فقال ابو جهل انا اکفیکموه فقعد الیه حزینا وکلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رایتموه یخنق وتقولون انه کاهن فهل رایتموه قط یتکهن وتزعمون انه شاعر فهل رایتموه یتعاطی شعرا قط وتزعمون انه کذاب فهل جربتم علیه شیا من الکذب فقالوا فی کل ذلک اللهم لا ثم قالوا فما هو ففکر فقال ما هو الا ساحر اما رایتموه یفرق بین الرجل واهله وولده وموالیه وما الذی یقوله الا سحر یاثره عن مسیلمة وعن اهل بابل فارتج النادی فرحا وتفرقوا معجبین بقوله متعجبین منه ثم نظر فی وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستکبرا لما خطرت بباله الکلمة الشنعاء وهم بان یرمی بها وصف اشکاله التی تشکل بها حتی استنبط ما استنبط استهزاء به وقیل قدر ما یقوله ثم نظر فیه ثم عبس لما ضاقت علیه الحیل ولم یدر ما یقول وقیل قطب فی وجه رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم ادبر عن الحق واستکبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف علی فکر وقدر والدعاء اعتراض بینهما **فان قلت** ما معنی ثم الداخلة فی تکریر الدعاء **قلت** الدلالة علی ان الکرة الثانیة ابلغ من الاولی ونحوه قوله الا یا اسلمی ثم اسلمی ثمت اسلمی ثلث تحیات وان لم تکلمی **فان قلت** فما معنی المتوسطة بین الافعال التی بعدها **قلت** الدلالة علی انه قد تانی فی التامل وتمهل وکان بین الافعال المتناسقة تراخ وتباعد **فان قلت** فلم قیل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم **قلت** لان الکلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم یتمالک ان نطق بها من غیر تلبث **فان قلت** فلم لم یوسط حرف العطف بین الجملتین **قلت** لان الاخری جرت من الاولی مجری التوکید

من المؤكد سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لا تبقي شيئا يلقى
فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة
لواحة للبشر لواحة من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد
سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل
نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين
وأيمن وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا جعلهم
ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم
ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق بأسا واقواهم بطشا وعن عمرو بن دينار واحد
منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن اعينهم البرق
وكأن افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي
بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم
ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشدين أسيد بن كلدة
الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي وما جعلناهم
رجلا من جنسكم يطاقون فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة
ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك و
انما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا
عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد
العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة
كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان
اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا
لتصديقهم بذلك كما صدقوا بسائر ما انزل ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع لهم
اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال
ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر فان قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون و
السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل
الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبار
بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم
شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين
والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت

افادت

افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان يكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت
المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا
قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا
له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم
انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء الكاف في ذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك
المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه
المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه
فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها
على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة
في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات
والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن في هذا العدد
الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل ما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب
النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله وما هي الا ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة
للبشر او ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر
نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم
لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس
الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ ادبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا
والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت
فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة اي لاحدى
البلايا والدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال
وهي احدى النساء ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا
وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع
خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدأ ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن
توضأ ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التأخر ان يتقدم او يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق
الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها
منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤوا تقدموا ففازوا وان شاؤوا تأخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة الا
رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا
بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه
بيت الحماسة أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس
رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه

باداء الحق وعن على عليه السلام انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس هم الملئكة
في جنات اى هم فى جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر يتساءلون عن المجرمين يسأل
بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال
عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول
المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك
من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين قالوا لم نك
من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه الخوض الشروع فى الباطل وما لا ينبغى
فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا ولتكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين و
قد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت
ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين
جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب
كقوله ثم كان من الذين آمنوا حتى اتانا اليقين واليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اى لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملئكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه
الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد فى درجات المرتضين فما لهم
عن التذكرة معرضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ معرضين ومعرضين نصب
على الحال كقولك مالك قائما كانهم حمر مستنفرة والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من
نفوسها فى جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهى المنفرة المحمولة على النفار فرت من قسورة والقسورة
جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة
وفى وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم فى
(الركز الصوت الخفى)
اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها وفى تشبيههم
بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما فى قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها فى العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب فى وصف
الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التى كانت تتكاتب بها او كتبت فى السماء ونزلت
بها الملئكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك و
نحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم الآية و
قيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل
الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها
واحد كانزله ونزله كلا ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة

فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة
يعنى تذكرة بليغة كافية مبهم امرها فى الكفاية فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه
فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير فى انه وذكره للتذكرة فى قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها فى معنى الذكر
او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم
لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا
وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر
لمن اتقاه وقرئ تذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه
الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

## سورة القيمة مكية وهى تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم
القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى
لا يدعى القوم انى افر وقال غوية بن سلمى بيت الا نادت امامة باحتمال لتحزننى فلا بك ما ابالى وفائدتها توكيد القسم
وقالوا انها صلة مثلها فى لئلا يعلم اهل الكتاب وفى قوله فى بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد
فى وسط الكلام لا فى اوله واجابوا بان القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض الصحيح لانها
لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه
ان يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك انه لا يقسم بالشىء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى انه يستاهل فوق ذلك
وقيل ان لا نفى لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اى ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة
فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التى انشدتها المقسم عليه فيها منفى فهلا زعمت ان لا التى قبل القسم
زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا
تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفى دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقى
لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان فى كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم فى كتاب
مكنون وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده
انه فى الامام بغير الف ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم النفوس فيه اى فى يوم القيمة
على تقصيرهن فى التقوى وبالتى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الاحسان وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما
نفسه وان الكافر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقيل هى التى تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة و
على التفريط ان كانت مسيئة وقيل هى نفس آدم عليه السلام لم تزل تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب
القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه
على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها
فى اباعد الارض وقيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله يا محمد حدثنى عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فنزلت

غنم شيا لان عليه من نفسه بصيرة وفيه تلوح الى معنى قوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم الآية والله اعلم ه

بلى قادرين على ان نسوى بنانه بلى وجبت ما بعد النفى وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير فى نجمع اى نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوى بنانه اى اصابعه التى هى اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على نسوى بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى البعض كما كانت اولا من غير تفاوت ولا تباين فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرين على ان نسوى اصابع يديه ورجليه اى نجعلها مستوية شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينهما فلا يمكنه ان يعمل بها شيأ مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتاتى لما يريد من الحوايج وقرى قادرون اى نحن قادرون بل يريد الانسان بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله يسأل سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة فى قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرى برق من البريق اى لمع من شدة شخوصه وقرا ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرى وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران فى النار وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان يومئذ اين المفر المفر بالفتح المصدر وبكسر الفاء المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرى بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجاء وكل ما التجأت اليه من جبل وغيره وتخلصت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد اى استقرارهم يعنى انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة او نار اى مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخر فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار فى قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم يشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع روية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر والمعاذير قلت المعاذير ليست بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر لا تحرك به لسانك الضمير فى به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل عليه السلام

يقرا

يقراء لتعجل به لتاخذه به على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله ان علينا جمعه فى صدرك وقرآنه واثبات قراءته فى لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن فى ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شىء من معانيه كانه كان يعجل فى الحفظ والسوال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ فى ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة كانه قال بل انتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شىء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرى بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة ينظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المومنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذى يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القايل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم وياوون الى مقايلهم تقول عيينتى نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا الله ووجوه يومئذ باسرة والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه يظن يتوقع ان يفعل بها فعل هو فى شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت التراقى كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين والضمير فى بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذى هو اول مراحل الآخرة حين يبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها وقيل وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه الى ربك يومئذ المساق المساق اى يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعنى الانسان فى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل ايان يوم القيمة اى لا يومن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكوه وقيل نزلت فى ابى جهل ولكن كذب وتولى

ثم ذهب الى اهله يتمطى يتمطى يتبختر واصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفى الحديث اذا مشت امتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل باسهم بينهم يعنى كذب برسول الله صلى الله عليه وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فخلق فقدر فعدل فجعل منه من الانسان الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الذى انشا هذه الاشياء بقادر على ان يحيى الموتى بقادر على الاعادة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مومنا بيوم القيمة

سورة الانسان مدنية وهى احدى وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اى اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اى كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة فى الاصلاب انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج والمراد بالانسان جنس بنى آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر طايفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزى والدعن ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت ارادليت تلك الحالة تمت وهى كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهى الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشيج قال الشماخ شعر طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان تكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هى عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه فى موضع الحال اى خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صايدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو فى تقدير التاخير يعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا شاكرا وكفورا حالان من الهاء فى هديناه اى مكناه واقدرناه فى حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة السمع والعقل كان معلوما منه انه يومن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة فى اما وهى قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان يكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى ان يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف ان الابرار يشربون من كاس الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يوذون الذر والكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا كان مزاجها ما يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورايحته وبرده عينا يشرب بها عباد الله وعينا بدل منه

وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رايحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا قلت لان الكاس مبدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ويخافون يوما كان شره مستطيرا مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا على حبه الضمير للطعام اى مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيوثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار فى دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن ابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن ابى سعيد الخدرى هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لانهم احسان مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغى ان يكون عليه من اخلص لله وعن عايشة انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله لتبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا انا يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صايم روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان تشبه فى شدته وضره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة واصطليت الحروب فى كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة وسرورا ولقيهم نضرة وسرورا اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شى فاستقرض على عليه السلام من شمعون الخيبرى اليهودى ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا فاختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سايل فقال السلام

عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا
صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا
اخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من
شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة **فان قلت** ما معنى ذكر الحرير مع الجنة
**قلت** المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه ماكل هني وحريرا فيه ملبس بهي
**متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة
برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد **شعر**
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر **ودانية عليهم**
**ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فان قلت** ودانية عليهم ظلالها علام عطف **قلت** على الجملة التي قبلها لانها في
موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد
تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل
وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ
ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل
متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية
عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا **فان قلت**
فعلام عطف وذللت **قلت** هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال
من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة
قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل
القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا
كان قصيرا **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا**
قواريرا قواريرا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها
**فان قلت** ما معنى كانت **قلت** هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان
الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير وقدروها
صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم
فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب
لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه
ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها
كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا** سميت العين زنجبيلا
لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن



علس **شعر** وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر **عينا فيها تسمى سلسبيلا** وسلسبيلا السلاسة انحدارها
في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج
السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد
عزوا الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل
سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو
مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي بن ابي طالب ابدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة
النفس براح كانها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا
القول مبدله من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص **ويطوف عليهم ولدان**
**مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا** شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور
وعن المامون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة
اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر قال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى
من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء **واذا رأيت**
**ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا** اذا رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت
الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف
يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا
ويروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا
شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم **عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق** وقرئ
عاليهم بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه
حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا
عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رأيت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم
وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف
لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل
علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح
ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره **وحلوا اساور من فضة** وحلوا معطوف على ويطوف عليهم
**فان قلت** ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب **قلت** هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب و
من فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج
نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من
فضة **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل
وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم تجعل في الدنان
والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك **ان هذا**

اى يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم كان لكم جزاء ما جوزيتم به على اعمالكم وكان سعيكم مشكورا وشكر سعيكم والشكر مجاز انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اى وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيرى وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعى الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخير نصرتك على عدائك من اهل مكة ولا تطع منهم آثما او كفورا ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم فى العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم وكفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو فان قلت معنى او ولا اطع احدهما فهلا جىء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهى عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهى عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له او يعنى صلوة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا ويذرون وراءهم وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشىء الثقيل الباهض لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض نحن خلقناهم وشددنا اسرهم الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته واذا شئنا اهلكناهم و بدلنا امثالهم تبديلا فى شدة الاسر يعنى النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجىء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم ان هذه تذكرة هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء فى رحمته يدخل من يشاء هم المؤمنون والظالمين اعد لهم عذابا اليما ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على اعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وهى خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوايف من الملئكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال اوامره وبطوايف منهم نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرايع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى الاول البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقريا مخففين ومثقلين انما توعدون لواقع ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيمة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات فاذا النجوم طمست طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السماء فرجت فتحت وكانت ابوابا قال الفارجى باب الامير المبهم واذا الجبال نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشىء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم لاى يوم اجلت والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاى يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلايق والوجه ان يكون معنى قتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت اخرت وما ادريك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين فان قلت كيف وقع النكرة مبتداء فى قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو فى اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم تقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين

ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم وتقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انا اهلكنا الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع يفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره **الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم** الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علم الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها اوما فوقها **فقدرنا** فقدرنا ذلك تقديرا **فنعم القادرون** فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره **ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين** الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع ويقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز **فان قلت** لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا **قلت** هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس واموتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس **فان قلت** فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا **قلت** يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم **انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون** اى يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه **انطلقوا الى ظل** الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم **ذي ثلاث شعب** يتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش **لا ظليل** تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين **ولا يغني** في محل الجر اى وغير مغن عنهم **من اللهب** من حر اللهب **انها ترمي بشرر** بشرر وقرئ بشرار **كالقصر** اى كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج **كانه جمالات صفر** جمالات جمع جمال وجمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة للشوى وقال ابو العلا حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهي بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطية لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة

العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه **ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين** قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اى هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة **هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين** جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء وامهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم **فان كان لكم كيد فكيدون** تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة **ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين** كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اى هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك **ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون** وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا **فان قلت** كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة **قلت** يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا **ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا** اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة **لا يركعون** لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود **ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون** بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

**سورة النبا مكية وتسمى سورة النباء وهي اربعون واحدى واربعون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون** عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شان يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبا العظيم

للفرس الكثير الجري وهذا البناء للآلات فاستعمل فيمن يكثر منه الفعل كأنه آلة لذلك والعرب ما سال بحدة واتصل بغير انقطاع

بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ
يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير
في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل
الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء
وقيل المسئول عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يسّاءلون بالادغام كلا سيعلمون وستعلمون
بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه
واقع لا ريب فيه ثم كلا سيعلمون وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ
من الاول واشد الم نجعل الارض فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم
يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع
كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء
مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه
تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد والجبال اوتادا اي ارسيناها بالجبال كما
يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه
مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء وجعلنا الليل لباسا ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة
معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم و
قيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه
من كثير من الامور وللمتنبي وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وبنينا فوقكم سبعا سبع
سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وجعلنا سراجا وهاجا وهاجا
متلألئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات المعصرات السحائب
اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان تراد السحائب لانه اذا كان
الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن
وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه
فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي
تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب
فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث
لا المعصي يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ماء ثجاجا منصبا
بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن
عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي لنخرج
به حبا ونباتا حبا ونباتا يريد ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم
والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا الفافا ملتفة ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب

الاقليد

الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم
الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا
وجيها ان يوم الفصل كان ميقاتا كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق
ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما
كل امة مع امامها وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ
عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة
الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون
السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة
من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم
وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان
واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين
يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء قرئ وفتحت السماء بالتشديد والتخفيف فكانت ابوابا
قرأ بالتخفيف حمزة والكسائي وعاصم والباقون بالتشديد
والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون
تنفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال فكانت
سرابا فكانت سرابا فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم
كانت مرصادا للطاغين مآبا المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذي
يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم
عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على
تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء لابثين فيها احقابا
قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا
يكاد ينفك منه احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا
حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير
وقيل الحقب ثمانون سنة لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ويجوز ان يراد لابثين فيها
احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب
وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه
احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله الا استثناء
منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا ولا روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وعن

بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اى يسيل من صديدهم جزاء وفاقا وفاقا وصف بالمصدر اى ذا وفاق وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا كذابا مكذبيا وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط فى الكذب فعل من يغالب فى امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شئ احصيناه كتابا وقرا ابو السمال وكل شئ احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر فى موضع احصاء او احصينا فى معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة والكتابة فى معنى الضبط والتحصيل ويكون حالا فى معنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهى آية فى غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده حدائق الحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر واعنابا والاعناب الكروم كروما وكواعب والكواعب اللاتى فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا لداتا وكاسا دهاقا والدهاق المترعة وادهق الحوض ملاه حتى قال قطنى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن على عليه السلام انه قرا بتخفيف الاثنين جزاء من ربك عطاء حسابا جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اى جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب اعمالهم وقرا ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا قرئ رب والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثانى على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير فى لا يملكون لاهل السموات والارض اى ليس فى ايديهم مما يخاطب به الله ويامر به فى امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشئ من نقص العذاب او زيادة فى الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم عند الله واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل عليه السلام وهما شرطيتان

ان يكون

ان يكون المتكلم منهم مأذونا له فى الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

## سورة النازعات مكية وهى ست واربعون آية

## بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التى تنشطها اى تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم فى دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا فى النزع اى تنزعها من اقاصى الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التى تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدى الغزاة او انفسهم تنزع القسى باغراق السهام والتى تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة يوم ترجف الراجفة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التى ترجف عندها الارض والجبال وهى النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون اى القيمة التى يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهى رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اى ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن فى الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا من الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان ابصارها خاشعة خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون يقولون ائنا لمردودون

في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان
في حافرته اى في طريقه التي جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا
اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرضا وكقولهم
نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى طريقته وحالته الاولى قال احافرة على
صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي
الصفقة وقرا ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة تدل على
ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة أإذا كنا عظاما نخرة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع
وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف تقديره
ائذا كنا عظاما نرد ونبعث قالوا تلك إذا كرة خاسرة كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت
فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فإنما هي زجرة واحدة فان قلت بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة
قلت بمحذوف معناه لا يستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وعلا فانها سهلة هينة
في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فإذا هم احياء بالساهرة على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا
في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس يضحي السراب مجلدا لاقطارها قد حيتها متلثما اولان
سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
اذهب الى فرعون انه طغى اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول فقل هل لك
الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك وقرا اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك
اليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا يكون الا بالمعرفة قال الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وذكر الخشية لانها
ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرفيق ليستدعيه
بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا لعلك ترضى فأراه الآية الكبرى
الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل
يدك في جيبك او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب
موسى والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم أدبر
اى لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في
مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال
فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا
فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك الكلمة العظيمة وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله
غيري والاخرة انا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى وهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل
نكل الله به نكال الاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة
وعن ابن عباس نكال كلمته الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين.

اربعون سنة وقيل عشرون سنة إن في ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الخطاب لمنكري
البعث يعني اانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها
اى جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس
فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان وأغطش ليلها
غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم وأخرج ضحاها
وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تع والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق
فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب
في جوها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها ورعيها وهو في الاصل
موضع الرعي والجبال أرساها ونصب الارض والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير و
قراهما الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون معنى دحيها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل
والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر
ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله اوجاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعيها
ما ياكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي
ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح
لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى
انعامهم فإذا جاءت الطامة الكبرى الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اى تعلو وتغلب وفي
امثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيمة لطمومها على كل داهية وهائلة وقيل هي النفخة الثانية
وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الإنسان ما سعى
يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله
ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم وبرزت واظهرت وقرا ابو نهيك وبرزت
لمن يرى للرائين جميعا اى لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم
قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود
لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فأما من طغى
وآثر الحيوة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى فاما جواب فاذا اى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى
الالف واللام بدل من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف عينه تركت الاضافة
ودخول حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدا وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر
والتوطين على ايثار الخير فإن الجنة هي المأوى وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب
اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه يسألونك
عن الساعة أيان مرساها ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها اراد متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهيها

قوله اما في ابي عزيز ابا عزيز في نسخ الكشاف
على نحو اسم صاحب اليهود وفي الحواشي
صح ابو عزيز بفتح العين وتكرير
الزاء المعجمة ذكره المصنف
في كتاب متشابه
الاسماء
ق

قوله نفذت المشاقص في جوفه
المشقص من النصال ما طال وعرض
وجمعه مشاقص ق قوله
من ان تذكر الخ من تبعيضية
على الظاهر ويجوز
ان يكون
ابتدائية
ق

اى ارتفاعها عن الرعي بانكسار الكلا
وبالفتح الصفاء والرعي بفتح
عليها وعلى الموضع
والله اعلم
ق

اى يريد ان السماء كالقبة والرواق الممدود
واضيف الليل والشمس اليها
المظلل فيه ... كالبيت المضروب
والشمس هي السراج المثقب
في صوته ... قال

قيل ان الليل ظل الارض فيحجب لكم
يراى الناظر من اعتبار الارض
الى قوله تعالى انا زينا السماء
الدنيا بمصابيح اى
مزينة في مراى
الناظر
قال

انما اضاف الليل والنهار لان الليل
والنهار انما يحدثان بسبب غروب
الشمس وطلوعها وهما انما
يحصلان بسبب حركة
الفلك والله
اعلم
عصام

ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث ينتهي اليه **فيم انت** في اي شيء انت **من ذكريها** من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين في وقتها في شيء وعن عائشة لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال **الى ربك منتهيها** اي منتهى علمها لم يؤت علمها احد من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكريها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكريها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها **انما انت منذر من يخشيها** اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس **كانهم يوم يرونها لم يلبثوا** اي كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور **الا عشية او ضحيها** **فان قلت** كيف صحت اضافة الضحى الى العشية **قلت** لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد **فان قلت** فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة **قلت** الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

**سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**عبس وتولى ان جاءه الاعمى** اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس ابن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ أان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عندك العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تادب الناس بادب الله في هذا تادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء **وما يدريك** واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى **لعله يزكى** اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ **فتنفعه الذكرى** فتنفعه ذكراك اي موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على تذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى **اما من استغنى فانت له تصدى** تتصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه **وما عليك الا يزكى** وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ **واما من جاءك يسعى** يسرع في طلب الخير **وهو يخشى** الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة **فانت عنه تلهى** تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تلهى اي يلهيك شأن الصناديد **فان قلت** قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا **قلت** نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير **كلا** ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله **انها تذكرة** اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها **فمن شاء ذكره** اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ **في صحف** صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح **مكرمة** عند الله **مرفوعة** في السماء او مرفوعة المقدار **مطهرة** منزهة عن ايدي الشياطين **بايدي سفرة** لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح **كرام بررة** اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **قتل الانسان** دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها **ما اكفره** تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان ينتهي وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر **من اي شيء خلقه** من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله **من نطفة خلقه فقدره** فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا **ثم السبيل يسره** نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر **ثم اماته فاقبره** فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوانات يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا **ثم اذا شاء انشره** انشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره **كلا** ردع للانسان عما هو عليه **لما يقض** لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية **ما امره** الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال **فلينظر الانسان الى طعامه** فلينظر الانسان الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا امره **انا صببنا الماء صبا** يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستيناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما انى صببنا الماء بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء **ثم شققنا الارض شقا** شققناها من شق الارض بالنبات شقا ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب **فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم** والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه

اي كان حصا عليك كان الله تعالى يحتذر من رسوله ونظم قرابتهم وما ينوبهم

سمى عضدا قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدايق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان تجعل شجرتها غلبا اى عظاما غلاظا والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدى كرب يمشى بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه يوب اي يوم وينتجع والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابى بكر انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم به وعن عمر انه قرا هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهى عن تتبع معانى القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشىء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسبوقة فى الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا يتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك فى غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن **فاذا جاءت الصاخة** يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها **يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه** يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح **لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه** يغنيه يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه **وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة** مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله **ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة** غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله تعالى يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

**سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية والله اعلم بالصواب**

**بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت** فى التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وهى عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او على الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط **واذا النجوم انكدرت** انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى فى الشمس والنجوم انها تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **واذا الجبال سيرت** اى عن وجه الارض وابعدت او سيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب **واذا العشار** العشار فى جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء وهى التى اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد **واذا البحار سجرت** قرئ بالتشديد والتخفيف من سجر التنور اذا ملاه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة **واذا النفوس زوجت** قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين **واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت** واد يئد مقلوب من آد يؤود اذا اثقل له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا فى الصحراء فيبلغ بها البير فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البير بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته فان قلت ما حملهم على واد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملئكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الواد فيه افتخر الفرزدق فى قوله ومنا الذى منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم توأد فان قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى الى قوله سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وقرئ سالت اى خاصمت عن نفسها وسالت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سالت لقيل قتلت وقرا ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافرين ببراءة الموءودة من الذنب فما اقبح به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية **واذا الصحف نشرت** قرئ بالتشديد والتخفيف يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته وعن عمر انه كان اذا قراها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت

وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اى فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية ويقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال **وإذا السماء كشطت** كشطت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ وقرا ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور **وإذا الجحيم سعرت** سعرت واوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم **وإذا الجنة أزلفت** ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة **علمت نفس ما أحضرت** وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه **فان قلت** كل نفس تعلم ما احضرت كقوله تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس **قلت** هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تع ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه وقول القايل قد اترك القرن مصفرا انامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان تزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود ان قاريا قراها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه **فلا أقسم بالخنس** الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله **الجوار الكنس** والجوارى السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى يجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها **والليل إذا عسعس** عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه **والصبح إذا تنفس فان قلت** ما معنى تنفس الصبح **قلت** اذا اقبل الصبح اقبل باقباله نسيم وروح فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح **إنه** الضمير للقرآن **لقول رسول كريم** وهو جبرئيل عليه السلام **ذي قوة** كقوله شديد القوى ذو مرة **عند ذي العرش مكين** لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته **مطاع ثم أمين** عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة **وما صاحبكم** يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **بمجنون** كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبرئيل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون **ولقد رآه** ولقد رأى رسول الله جبرئيل عليهما السلام **بالأفق المبين** بمطلع الشمس الاعلى **وما هو على الغيب** وما محمد على ما يخبر من الغيب من رؤية جبرئيل والوحى اليه وغير ذلك **بظنين** بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه او يسال

تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابى بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارى فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهى احد الاحرف الذلقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب **فان قلت** فان وضع المصلى احد الحرفين مكان صاحبه **قلت** هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما **وما هو** وما القرآن **بقول شيطان رجيم** اى بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة **فأين تذهبون** استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل **إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم** لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا **وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين** وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

## سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

**إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت** فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذى بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تع لا يبغيان لان البغى والفجور اخوان **وإذا القبور بعثرت** بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فان قلت** معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن على رضى الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه **قلت** معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اى زين له المعاصى وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به اولا

هو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطاء في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما تظنه الطماع وتظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون ساير صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا الذي خلقك فسويك فسويك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضها اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت ما في ما شاء مزيدة اى ركبك في اى صورة اقتضتها مشيته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت هلا عطف هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اى ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال اى علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اى معنى التعجب اى فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وان عليكم لحافظين تحقيق لما تكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون عليكم اعمالكم ليجازوا بها في تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلايل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملايكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمومنين وعن الفضيل انه كان اذا قراها قال ما اشدها من آية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغايبين وما هم عنها بغايبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغايبين وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه والامر يومئذ لله ولا امر الا لله وحده من رفع يوم فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

## سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضي الله عنه انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبايع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوايج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر وفي المثل الحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي الايمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم

عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف
كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن
قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه
يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان
المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل
ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك
القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه
ما ذكرته ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب و
نبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من
اعمالهم فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما
كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس و
التضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته
استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون فان قلت فما سجين اصفة
هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف الذين
يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين الذين
يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصداء وغلب عليها وهو ان يصر
على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى
يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت
به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ردع عن الكسب
الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم
ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب
وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من
اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل

من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء
السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا
به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله
فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة
على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من
النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم من الادراك تعرف في وجوههم
نضرة النعيم نضرة النعيم بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء
للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه
مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا
شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون فليرتقب المرتقبون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون
تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما
لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا منصوب على المدح وقال الزجاج
نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا
يضحكون هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب
وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن ابي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان
يصل علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنه واذا مروا بهم يتغامزون يتغامزون
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين فكهين متلذذين بذكرهم والسخرية
منهم واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا عليهم
حافظين وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم
لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين
اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك
آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك
مرارا فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس
ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام في الثاء عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب والاكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال الله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة وبسطة وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في إلقاء ما في بطنها وتخليها يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب وينقلب إلى أهله مسرورا إلى أهله إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين وأما من أوتي كتابه وراء ظهره وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى سعيرا وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم إنه كان في أهله مسرورا في أهله فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين إنه ظن أن لن يحور ظن أن لن يحور لن يرجع إلى الله تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد شعر

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود بن عبد الأشد فلا أقسم بالشفق الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روي عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين أنه البياض

وروي أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه والليل وما وسق وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها والقمر إذا اتسق إذا اتسق إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة لتركبن قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا أيها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان طبقا عن طبق والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق أي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها فإن قلت ما محل عن طبق قلت النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون الذين كفروا إشارة إلى المذكورين والله أعلم بما يوعون بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون إلا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة والسماء ذات البروج مكية اثنان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم السلام فإن قلت أين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله

قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع العذاب الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها وهم الذين اراد هم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ هم عليها قعود اي على ما يلي حافتها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود ومعنى شهادتهم على احداق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان

كقوله

كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن بها ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منه هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالانتقام والعذاب انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ وهو الغفور الودود الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا ذو العرش المجيد وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال لما يريد فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله من ورائهم محيط والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به بل هو ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح وقرا يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي ترجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما عرف

له

فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق
ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شانه كما قال فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط
نجم فامتلا ما ثم نورا ففزع ابو طالب فقال اي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية
من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرا
لما مشددة بمعنى الا تكون نافية وفيمن قراها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما
كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء
مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل
بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة
عين لاختطفته الشياطين فلينظر الانسان فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر الانسان بما قبله قلت وجه
اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه بوصية الانسان بالنظر في اول امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه
قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته مم خلق استفهام
جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر
او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه
يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر
حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب
قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة انه الضمير للخالق
لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر
لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير يوم تبلى منصوب
برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى
نصب الظرف بمضمر تبلى السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال
وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد شعر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشى سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما اغفله عما في السماء والطارق
فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه ولا ناصر والسماء ذات
الرجع سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال ربّاء شماء لا ياوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل تسمية
بمصدري رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى
الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء هم
كالرجع في المدجية الساريه والارض ذات الصدع الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير
للقرآن لقول فصل فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه و
من حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه
ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى

ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في
قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا يعملون
المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيد كيدا وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم
الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا
امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة الاعلى مكية
وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى
سبح اسمه عز وعلا نزهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك
مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان
يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله
عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود
اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم
ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدى قدر فهدى
قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد
الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام
فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها
عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في
اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين
لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى
احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى درينا اسود ويجوز ان يكون احوى
حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله
بشره الله باعطاء آية بينة وهو ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه
ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه
جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان يقراه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء
الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط آية في قراءته في
الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل
لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء من ذلك وهو من استعمال القلة في معنى النفي
وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما
شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر وما يخفى انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة
جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه

او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك بعمل الجنة فذكر ان نفعت الذكرى فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعاد التاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون كذلك سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشعين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افضل من الصلي وهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء وتفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة وذكر اسم ربه فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رحم الله امرا تصدق وصلى وعن علي عليه السلام انه تصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وعلا وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما به تفلحون وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون والآخرة خير وابقى خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عليه السلام عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي عم وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله يوم يغشيهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وجوه يومئذ يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما يخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها في الآخرة وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجري عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل ؤهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم تصلى نارا حامية وقرئ تصلى بضم التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا تسقى من عين آنية آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذويب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال اخر وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ما ادّاهم اليه من الكرامة والثواب في جنة عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه فيها لاغية لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس فيها سرر مرفوعة مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم الدائم وقيل مخبوة لهم من رفع الشيء واكواب موضوعة موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا ونمارق مصفوفة مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح

ابنما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابى وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او متفرقة فى المجالس افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لمن اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شى نابت فى البرارى والمفاوز مما لا ترعاه ساير البهايم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضى فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشيا نظر العرب فى اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا فى اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز والى السماء كيف رفعت كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وغير عمد والى الجبال كيف نصبت وكيف نصبت نصبا ثابتا فهى راسخة لا تزول ولا تميل والى الارض كيف سطحت وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهى مهاد للمتقلب عليها وقرا على عم خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه فذكر انما انت مذكر اى لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو فى لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر الا من تولى استثناء منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذى هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرى الا من تولى على التنبيه وفى قراءة ابن مسعود فانه يعذبه ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقرا ابو جعفر المدنى ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا لا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالى العشر عشر ذى الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشيا كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه وبعد ما اقسم بالليالى المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسرى اذا يمضى كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرى والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابى عمرو وقرى والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسرى تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه هل فى ذلك اى فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اى مقسم به لذى حجر يريد هل تحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر اى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم فى قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرى بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرى بورقكم وقرى بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعنى بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرى بعاد ارم ذات العماد اى جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلث مائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا

والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها في البلاد مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعماية
ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا
وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اى لم يخلق الله مثلها **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** جابوا قطعوا صخر الجبال واتخذوا
بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعماية مدينة كلها
من الحجارة **وفرعون ذي الاوتاد** قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او
لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وباسية **الذين طغوا في البلاد** احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب
على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون **فاكثروا
فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب** يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ما
احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى ساير ما يعذب به وعن
عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها **ان ربك
لبالمرصاد** المرصاد والمكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة
~~فقال لبالمرصاد~~ بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال لبالمرصاد وعن عمرو بن عبيد
انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء
بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اى اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء
والبدع باحتجاجه **فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن** **فان قلت** بما اتصل قوله فاما الانسان **قلت** بقوله ان ربك
لبالمرصاد كانه قيل ان الله تع لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان
فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها **فان قلت** فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتليه
ربه وقوله واما اذا ما ابتليه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك
فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو مسيء اليك **قلت** هو متوازنان من حيث ان التقدير
واما هو اذا ما ابتليه ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمني خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت الابتلاء
فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديره **فان قلت** كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره
ابتلاء **قلت** لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر فاذا قدر عليه فقد اختبر حاله
ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة **فان قلت** هلا قيل فاهانه وقدر عليه رزقه
كما قال فاكرمه ونعمه **قلت** لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة
له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مهين ولا مكرم واذا
اهدى لك زيد تقول اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك **فان قلت** فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه
ابتليه ثم انكر قوله ربي اكرمني وذمه عليه كما انكر قوله ربي اهانني وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه
واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم
عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه ولا سابقة مما لا يعتد

الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويريدون استحقاق الكرامة من اجلها و
الثاني ان سياق الانكار والذم الى قوله ربي اهانني يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه
واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه وقرئ
فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسرة
**كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين** كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك
شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة
وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام فيحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء و
قرئ تحاضون اى يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة **وتاكلون التراث
اكلا لما** ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا
يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون
تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان
يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين
الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون **وتحبون المال حبا جما** كثيرا شديدا
مع الحرص والشره ومنع الحقوق **كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء
يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى** كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر
تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة يومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا
دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا **فان قلت** ما معنى اسناد المجيء الى
الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة **قلت** هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره و
سلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر
بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف
محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا كرم الله وجهه فجاء فاحتضنه
من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الاية
فقال علي رضي الله عنه كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة
لو تركت لاحرقت اهل الجمع اى يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من
تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر وبين انى له الذكرى تناف وتناقض **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** قدمت
لحياتي هذه وهي حياة الاخرة او وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا بين دليل
على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي
كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر **فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد**
قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف
وقيل هو ابي بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده

او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه **يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية** يا ايتها النفس على ارادة القول اى يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابى بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة **فان قلت** متى يقال لها ذلك **قلت** اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعى الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله **فادخلى فى عبادى** فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم **وادخلى جنتى** معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى اجساد عبادى وقرأ ابن عباس فادخلى فى عبدى وقرأ ابن مسعود فى جسد عبدى وقرأ ابى ايتها ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا الى يوم القيمة

**سورة البلد مكية وهى عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان فى كبد** اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعنى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعنى وانت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر **فان قلت** اين نظير قوله وانت حل فى موضع الاستقبال **قلت** قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع فى كلام العباد يقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو فى كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح **فان قلت** ما المراد بوالد وما ولد **قلت** رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذى هو مسقط رأسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسمعيل عليهما السلام وبمن ولده وبه **فان قلت** لم نكر **قلت** للابهام المستقل بالمدح والتعجب **فان قلت** هلا قيل ومن ولد **قلت**

فيه ما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شىء وضعت يعنى موضوعا عجيب الشان وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته وتام الخصوم فى كبد بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا اى فى شدة الامر وصعوبة الخطب **ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد** والضمير فى ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى ايظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر ايحسب ان لن يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعنى ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترفه اهله من المآثم متحرج برئ فهو حقيق بان اعظمه بقسمى به لقد خلقنا الانسان فى كبد اى فى مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذى يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه فيقول من ازالنى عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد **الم نجعل له عينين** يبصر بهما المرئيات **ولسانا** يترجم به عن ضمائره **وشفتين** يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك **وهديناه النجدين** اى طريقى الخير والشر وقيل الثديين **فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة** فلا اقتحم العقبة يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الآية **فان قلت** قلما تقع لا الداخلة على الماضى الا مكررة ونحو قوله فاى امر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر فى الكلام الافصح **قلت** هى متكررة فى المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة الشدة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفى الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليستا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين فى تخليصها من قود او غيره والعتق والصدقة من افضل الاعمال

وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على نفسها وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمتربة والمقربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى صار ذا ثروة وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم همّ ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشئمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن قرئ موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

## سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم **والشمس وضحيها** ضحيها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأنه وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف **والقمر اذا تليها** اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور **والنهار اذا جليها** اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء **والليل اذا يغشيها** اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر وكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها **والسماء وما بنيها والارض وما طحيها ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها** جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها فجورها وتقواها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا

فان قلت

فان قلت لم نكر النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وتنكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله **قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها** فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال اتقرأ قد افلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء **كذبت ثمود بطغويها** الباء في بطغويها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر **اذ انبعث اشقيها** اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكون جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم **فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها** والضمير في قولهم يجوز ان يقال للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا عقرها وسقيها فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها **فكذبوه فعقروها** فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا **فدمدم عليهم ربهم** فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم **بذنبهم** بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر **فسويها** الضمير للدمدمة اي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم **ولا يخاف عقبيها** اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او بالهلاك ولا يخاف عقبى هلاكهم وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي عليه السلام ولم يخف. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

## سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **والليل اذا يغشي والنهار اذا تجلي** المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس **وما خلق الذكر والانثى** وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى بالجر وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق

بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وعن الكسائي جاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا **إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى** شتى جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى** يعني حقوق ماله **وَاتَّقَى** الله فلم يعصه **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** واستغنى وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر وفي ابي سفيان بن حرب **وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى** وما يغني عنه استفهام في معنى الانكار او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى** ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع **وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى** اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين **فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى** وقرا ابو الزبير تتلظى **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى** فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب **وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى** الا ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد بيت بشر بن ابي خازم

أضحت خلاء قفارا لا انيس بها … الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها انيس … الا اليعافير والا العيس

ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة **وَلَسَوْفَ يَرْضَى** موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

**سورة والضحى مكية احدى عشرة آية** بسم الله الرحمن الرحيم

**وَالضُّحَى** المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة قوله بياتا **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى** سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فاتر **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر … فرائس اطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى** بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع الانبياء والرسل وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان يكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى** والم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين وكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقسة واما من اوى له اذا رحمه **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى** ضالا معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض

قوله الموقسة اي الموقسة الابل الجربى والوقس الجرب ولو كان من اوى لقال اووي

شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل بالشام حين خرج به ابو طالب فهداك فعرفك القرآن والشرايع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها عن الكباير والصغاير الشاينة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر **ووجدك عايلا** فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما **فاغنى** فاغناك بمال خديجة او بما افاء الله عليك من الغنايم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك **فاما اليتيم فلا تقهر** فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني **واما السايل فلا تنهر** فالنهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السايل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسايل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره **واما بنعمة ربك فحدث** التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث اقرأه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس امثلك يقول مثل هذا يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي عليه السلام فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعايلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السايل وتفقده بمعروفك فلا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرايع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسايل

## سورة الم نشرح مكية ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

**الم نشرح لك صدرك** استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها **ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك** والوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرايع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك **ورفعنا لك ذكرك** ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به **فان قلت** اي فايدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه **قلت** في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك **فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا** **فان قلت** كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله **قلت** كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلايل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا **فان قلت** ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر **قلت** اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب **فان قلت** ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين **قلت** هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال **فان قلت** فما المراد باليسرين **قلت** يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب **فان قلت** فما معنى هذا التنكير **قلت** التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة **فان قلت** فاذا ثبت في قراءته غير مكررة فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين **قلت** كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة **فاذا فرغت فانصب** **فان قلت** فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله **قلت** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الراي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل الدنيا ولا في عمل آخرة وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته **والى ربك فارغب** فاجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي رغب

قوله وقرأ انس الخ عن ابن جني قال ابان قلت لانس يا ابا حمزة ووضعنا قال وضعنا وحللنا سواء

قوله فانصب الخ ما احمله على هذا القول الاعهد ارايته في الكلام وقد خطر ببالي ان

الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني سورة
والتين مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم
فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته
يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال
لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون
جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وطور سينين واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي
البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب و
هذا البلد الامين والبلد مكة حماها الله تع والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل الامان كما قيل كرام في
كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه
مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تع حرما آمنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع
المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى ومنشاه
عليهما السلام والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد
رسول الله ومبعثه عليه الصلوة والسلام لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم في احسن تعديل
لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم رددناه اسفل سافلين ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم
اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن
الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا
غضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته
خرف وقرأ عبد الله اسفل السافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك
بعد بالدين فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني
ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة و
الهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فان قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب
للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء
لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تع الذين هم
به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل
ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا
كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلعم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا

على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله تع خصلتين العافية
واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة سورة اقرأ باسم ربك
مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين
على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ
فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد به
انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق
فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان
التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل
الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع
وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل
كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم
المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء
التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه
بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع
العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب
الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره
دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم ورواقم ورقش مثل ارقم قطف الخطى نيالة اقصى
المدى سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا
ان الانسان ليطغى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه استغنى
ان رآه استغنى ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصايصها ومعنى الرؤية العلم
ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى
واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى
الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من
استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام
فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الدعاء ابقاء عليهم ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت
ان كذب وتولى ان كذب وتولى وروي عن ابي جهل انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي
يحلف به لئن رايته لاوطئن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا
من نار وهولا واجنحة فنزلت ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك

الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرًا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما تعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن **ألم يعلم بأن الله يرى** ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد **فان قلت** ما متعلق ارايت **قلت** الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين **فان قلت** فاين جواب الشرط **قلت** هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني **فان قلت** فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه **فان قلت** فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت **قلت** هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن ان امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة **كلا** ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات ثم قال **لئن لم ينته** عما هو فيه **لنسفعا بالناصية** لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب قوم اذا نقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة **ناصية كاذبة خاطئة** ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية و ناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** وقرا ابن ابي عبلة ستدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا **كلا** ردع لابي جهل **لا تطعه** اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين **واسجد** ودم على سجودك يريد الصلوة **واقترب** وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله **سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**إنا أنزلناه في ليلة القدر** عظم القرآن بثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فيكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على ساير





الليالي **وما ادراك ما ليلة القدر** يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها **ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح** ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكر من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة **فيها باذن ربهم من كل امر** من كل امر اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان **سلام هي حتى مطلع الفجر** قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلام اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع الفجر بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر **سورة البينة مدنية تسع آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة** كان الكفار من الفريقين وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الباطل الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة ويجوز ان يراد بالبينة القرآن او لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ورسول من الله جبريل عليه السلام وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحي ويجوز ان يراد النبي صلى الله عليه وسلم **فان قلت** كيف نسبة تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي **قلت** اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند **فان قلت** لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب **قلت** لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة** وما امروا يعني في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا

وذلك دين القيمة اى دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما فى الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرا ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه قرا نافع البريئة بالهمزة والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد جمع جيد وطياب فى جمع طيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وهى تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها زلزالها قرئ بكسر الزاى وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقى اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما تستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه واخرجت الارض اثقالها الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما فى جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت قد حذف اولهما والثانى اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء فى قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتنى كل نصيحة بان نصحتنى فى الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن فيكون قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبى بالتخفيف يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقرا ابن عباس وزيد بن على يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبى هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء

---

وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى منها عند ام هانى نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى وقد النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يارب لا ارجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من ذهبهم وجواهرهم الجور وكان سبب يساره وعن ابى سعيد الخدرى انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدرى ظهر قرئ الم تر بسكون الراء للجد فى اظهار اثر الجازم والمعنى انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف فى موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فى تضليل فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفى امثالهم ضغث على ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير فى تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرا ابو حنيفة يرميهم اى الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى وسجيل كانه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان السجين علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل شعر ورجلة يضربون البيض عن عرض ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة فى ديوانه فجعلهم كعصف مأكول شبهوا بورق الزرع اذا اكل اى وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن لقوله كانا يأكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقى صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم سورة قريش مكية وهى اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين فإن قلت لم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتين يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والإيلاف من قولهم آلفت المكان أولفه إيلافا إذا ألفته فأنا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الأوارك وقرئ لئلاف قريش أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرأ أبو جعفر لإلف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف وقرأ عكرمة ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولا به كما نصب يتيما بإطعام وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف بإخفاء النون ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لإيلاف أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون

قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه صاح هل ريت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أي يترك



ويجفو ولا يحض ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالدين بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم فإن قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لأن المراد به الجنس فإن قلت أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء السهو في كتبهم وعن أنس الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون فإن قلت ما معنى المراآة قلت هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود الماعون الزكاة قال الراعي قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك بالنون وفي حديثه عليه السلام وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير فصل لربك وانحر والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجه الله وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان إن شانئك ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنابر على لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وايل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تع من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر سورة الكافرين مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد

قوله لانهم كانوا يعبدون الخ
في هذا الجواب بحث ويمكن ان يقال
انه انما قال ما اعبد ليلا يكون

الباطل

ان اراد بعبادة المنوضا بعد نزول القرآن كان الجواب وجه ولا وجه للصلا

الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فان لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشيطان وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب وعلى قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تع امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ورأيت الناس يدخلون في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه أفواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال عليه الصلوة والسلام اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت وعرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك واستغفره فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك وفضله لديه روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة انه كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك واستغفره والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك

يا عمر قال نُعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيّره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نُعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة عليها السلام فقال يا بنتاه انه نُعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع **انه كان توابا** اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة **سورة تبت مكية وهي خمس آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب** التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته لقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا فقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت **فان قلت** لم كناه والتكنية تكرمة **قلت** فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهْب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم **ما اغنى عنه ماله وما كسب** ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه

وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد** سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي توقد بينهم النائرة وتورث الشر قال من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال لبيد ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عيّر بعض الناس الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما تعيير من حمالة الحطب غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

**سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم**

**قل هو الله احد** هو ضمير الشان والله هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له **فان قلت** ما محل هو **قلت** الرفع على الابتداء والخبر الجملة **فان قلت** فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع **قلت** حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفته هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين **الله الصمد** والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون

عنه والغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد او قد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكن له كفوا احد ولم يكافئه احد اى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوى على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بانه حى سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبيح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله ولم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما فى افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفى المكافاة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شىء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بالمعلوم وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى انس وابى عن النبى صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعنى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال عليه الصلوة والسلام وجبت له الجنة

## سورة الفلق مختلف فيها وهى ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالى اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصى والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله فى الموات من انواع الضرر كالاحراق فى النار والقتل فى السم ومن شر غاسق اذا وقب والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين

اى غسق اعتكر الظلام اى اختلط كانه كر بعضه على بعض من بطوء الجلاء

---

فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

## سورة العاديات مختلف فيها احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قال عنترة شعر والخيل تكدح حين تضبح فى حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اى ضابحات فالموريات قدحا تورى نار الحباحب وهى ما تنقدح من حوافرها قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار يقال قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا فى وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع جمعا اى وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذى دل عليه والعاديات ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به او هى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسألنى عن العاديات ففسرتها بالخيل فذهب الى على رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثغر للثور وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن ان الانسان لربه لكنود الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها فى جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه لحب الخير لشديد الخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد يعنى وانه لحب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله تعالى وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور

بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف
أي أظهر محصلاً مجموعاً وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل إن ربهم بهم يومئذ
لخبير ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال أن
ربهم بهم يومئذ خبير. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد
من بات بالمزدلفة وشهد جمعاً

سورة القارعة مكية عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث الظرف نصب بمضمر دلت
عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة و
التطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار
المصطلي. وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشاً لتفرشه وانتشاره وتكون الجبال كالعهن
المنفوش وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألواناً لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف
فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية
الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي بكر
لعمر في وصيته له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا
يوضع فيه إلا السيئات أن يخف فأمه هاوية من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط
وهلك فقد هوت أمه ثكلاً وحزناً قال هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يرد الليل حين يؤوب فكأنه قيل وأما
من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوي أهل النار فيها مهوى بعيداً
كما روي يهوي فيها سبعين خريفاً أي فمأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه وعن
قتادة فأمه هاوية فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله فأمه
هاوية في التفسير الأول أو ضمير هاوية والهاء للسكت وإذا وصل القاري حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها
الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القارعة
ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية ثماني آيات بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول
هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روي أن بني عبد مناف تفاخروا أيهم أكثر عدداً فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم
إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم
عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكماً بهم وقيل كانوا يزورون
المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم
في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن
متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو
أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد
أو يزور القبرا وقال جرير زار القبور أبو مالك فأصبح ألأم زوارها وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذي معناه

التقرير

التقرير كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون
الدنيا جميع همه ولا يهتم لدينه سوف تعلمون إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تأكيد للردع والإنذار
عليهم وثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون
الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وإن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه أيضاً
وقال كلا لو تعلمون علم اليقين لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي
كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون
الجحيم ثم لترونها عين اليقين فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من
تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره
معطوفاً بثم تغليظاً في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة فإن قلت لم استكرهت والواو
المضمومة قبلها قياس مطرد قلت ذلك في الواو التي ضمتها لازمة وهي عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على
البناء للمفعول عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فإن قلت ما النعيم الذي
يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش
إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع
بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك
بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمراً وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي
أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم
به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة والعصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر
في مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق
لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى
لما فيهما جميعاً من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس والخسر الخسران
كما قيل الكفر في الكفران والمعنى أن الناس في خسران من تجارتهم إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا
فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالأمر الثابت
الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة
في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز
الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم
وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال وإن أغيب فأنت الهامز اللمزه

وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه **الذي جمع مالا وعدده** الذي بدل من كل او نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده على فك الادغام نحو ضننوا بمعنى ضنوا **يحسب ان ماله اخلده** اخلده وخلده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك **كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة** كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل من يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها **انها عليهم موصدة** موصدة مطبقة قال الشاعر تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة **في عمد ممددة** وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد وتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم

**سورة الفيل مكية وهي خمس آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره

---

امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل ومنه قولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه **ومن شر النفاثات في العقد** النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تاثير لذلك اللهم اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله تعالى قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبؤون به **فان قلت** فما معنى الاستعاذة من شرهن **قلت** فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد واللواتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك **ومن شر حاسد اذا حسد** اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره **فان قلت** قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد **قلت** قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يشعر **فان قلت** فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه **قلت** عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها حسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها **سورة الناس مدنية وقيل مختلف فيها وهي ست آيات**

**بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس** قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير **فان قلت** لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة **قلت** لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم **فان قلت** ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس **قلت** هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد

بيانا بآله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما
آله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة قلت
لان عطف البيان للبيان وكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر
فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه او
اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والخناس الذى عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر
كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذى يوسوس يجوز
فى محله الحركات الثلث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارى على الخناس ويبتدى الذى يوسوس
على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن
وعن ابى ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية
اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق
على الجنة واستدلوا بنفر ورجال فى سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من
الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة
القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسى كقوله يوم يدع الداع كما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة
والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله وحده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على سورتان
ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما قال المصنف رحمه الله وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة
التامة واعوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود فى العاقبة بالندم او يقدح بالايمان المسوط
باللحم والدم واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذى هو الشيبة
فى الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت به من مهاجرتى اليه ومجاورتى ومرابطتى بمكة ومصابرتى على تواكل من
القوى وتخاذل من الخطى ثم اساله نحو صراطه المستقيم وقرآنه المجيد وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين فى عمل الكشاف عن حقائق
المخلص عن مضايقه المطلع على غوامضه المبثث فى مداحضه المخلص لنكته ولطائف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكتنز
بالفوائد المفتنة التى لا توجد الا فيه المحيط لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستنكر
المملول ولم يكن فى مضمونه الا ايراد كل شئ على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاخبار وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة
البحار وبما اشتهر فى به ومجدنى واختصنى بكرامته ويوحدنى من ارتفاع على يدى فى محيط ببارائه وندره ومتنزل آياته
وسوره من البلد الامين بين ظهرانى الحرم وبين يدى البيت المحرم حتى وقع التاويل حيث وجد التنزيل
ان يهب لى خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتى يوم التناد ولا يفضحنى بها على رؤس
الاشهاد ويحلنى دار المقامة بفضله بواسع طوله وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين اجمعين قال المصنف فى آخر نسخته هذه النسخة
هى النسخة الاصل الاولى التى نقلت من السواد وهى ام الكشاف الحرمية المباركة المستمسح بها المحفوفة
بان تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها فى السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة فى
جناح دار السليمانية التى على باب اجياد العلامة الموسومة بمدرسة ... ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين
من ربيع الآخر سنة ٥٢٨ حامدا الله على باهر كرمه ومصليا على محمد عبده ورسوله
وعلى آله واصحابه اجمعين تمت